الحياة

محمد رضا الحكيمي محمد الحكيمي علي الحكيمي

OLN
BP
193
.5
H15
Jn2'5

CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.

AM 0004665 Code I-AR-85-930368 Vol 5
07 CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



دفتر نشر فرهنگ اسلامی

الحياة

الحياة

موسوعةٌ، اسلاميّةٌ، علميّةٌ، موضوعيّـةٌ، تُخطِّطُ مناهجَ الحياةِ الحُرّةِ الصاعدة، للفردِ والمجتمع، وتَدعو الى دَعْمِ نظامٍ إنسانيٍّ صالح، في جميعِ آفاقِ الارض.

الجزء الخامس

محمّدرضا الحكيمي محمّد الحكيمي عليّ الحكيمي



* الحيـــاة
* محمّد رضا الحكيمي، محمّد الحكيمي، علي الحكيمي.
* الجزء الخامس.
* ١٠٠٠٠ نسخة.
* الطبعة الاولى (١٤٠٨ هـ.ق ـ ١٣٦٧ هـ. ش).
* مكتب نشر الثّقافة الإسلاميّـــة (دفتر نشر فرهنگ اسلامی) ـ طهران.
* حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّفين.

الفهرست

الفصل ٤١ ـ الغنى، اطاران وحدان	٢٧
أ ـ الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)	٢٩
ب ـ الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كغاية)	٣٢
ـ مسائل :	
الاولى : التحديث بالنعمة	٣٣
الثانية : الردع عن التظاهر بالفقر	٣٤
الثالثة : لا تحديث بالفقر	٣٥
نظرة الى الفصل	٣٦
ـ الاحاديث التي تشجب التكاثر وتحد الغنى والامتلاك	٣٩
ـ تنبيه	٤٤
ـ دفع لوهم	٤٧
ـ بحث آخر	٥٣
ـ تأشير رئيسي بات نثير الاهتمام به	٥٦
الفصل ٤٢ ـ الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوة)	٥٩

الفهرست

أ ـ الاخلاق الفاضلة :

١ ـ التقوى والحياة المادية ٥٩

٢ ـ الدنيا معمل ومتجر ٦١

٣ ـ رفض التقشف الباطل ٦٢

٤ ـ اهمية التجمل والتزين وحسن الملبس والهيئة واستعمال الطيب، دون تبذير وبذخ وسرف ٦٤

٥ ـ من اسباب السعادات ٦٧

تنبـــيه هام ٦٨

ب ـ القوة الغالبة :

١ ـ القوة والعزة الشعبية ٦٩

٢ ـ القوة والمنعة العسكرية ٧٠

نظرة الى الفصل ٧٣

ـ تذييـــل ٧٤

الفصل ٤٣ ـ اصالة التذرع بالمواهب الطبيعية والاستمتاع الملتزم منها للفرد والمجتمع ٧٧

أ ـ قيمة الحياة واهميتها ٧٨

ب ـ حث وتحضيض ٧٩

ج ـ التزام وتيقظ ٧٩

د ـ اغتنم، ثم اغتنم ٨٠

هـ ـ المحاولة ودورها الهام ٨٠

نظرة الى الفصل ٨١

الفصل ٤٤ ـ الاقتصاد، اصالة اسلامية ٨٥

نظرة الى الفصل ٩٢

ـ تذييـــل : عمود العمود عمود ٩٦

الفصل ٤٥ ـ الاخوة الاسلامية والاقتصاد ٩٩

- نبذة من مظاهر الاخوة الاسلامية في الحقل الاقتصادي :
أ - اداء حاجة المسلم ١٠٠
ب - المؤاساة لاهل الحاجة ١٠٠
ج - الاخوة والحق العظيم الاقتصادي والمعيشي ١٠١
د - الاخوة والايثار المالي ١٠١
هـ - الملكية الاخوية ١٠١
و - رفض الاستئثار على الاخ الديني ١٠٢
ز - حفظ الاخوة بالمؤاساة ١٠٢
ح - نظام الدين بمؤاساة الاخوان ١٠٢
ط - الاخاء الصادق والمستوى المعيشي ١٠٣
ي - المساواة المالية ١٠٣
يا - لايظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (١) ١٠٤
يب - لايظلم الاخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢) ١٠٤
يج - لا إعسار ولا تضييق ١٠٤
يد - ثواب معونة المسلم وعقاب تركها ١٠٤
يه - مسرة رسول الله «ص» بقضاء الحاجات ١٠٦
نظرة الى الفصل ١٠٧
- تذنيب ١٠٩

الفصل ٤٦ - المؤاساة، اصل عظيم ١١١
أ - المؤاساة والايمان ١١١
ب - المؤاساة، الرشد العقلي ١١٢
ج - المؤاساة، العمل الصالح ١١٣
د - مساءلة الاخوان وزيارتهم وتعاهدهم ١١٣
هـ - دور الواقع الاقتصادي في فعلية الايمان واستقراره ١١٤
و - حب الاخوان واهميته من الجهة الاقتصادية ١١٤

زـ هذه هي الاخوة .. ١١٥

حـ ـ الاخوة الاسلامية والتحذير من الخيانة الاقتصادية فيها ١١٦

ايقاظ هام: الاسلام العلوي، بعض ملامحه وسماته في المجالات الاقتصادية والمعيشيه، ممّا يجسد الاسلام المحمدي المحض :

١ ـ الايثار على النفس (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧

٢ ـ تعهد الجيران (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧

٣ ـ التواسي المالي (الاقتصاد والمعيشة) ١١٧

٤ ـ حب الانفاق على الآخرين (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨

٥ ـ العيادة والصلة (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨

٦ ـ القناعة، حتى تصل المعايش الى الآخـرين (الاقتصاد والمعيشة) ١١٨

٧ ـ نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩

٨ ـ المؤاساة ترادف الصلاة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩

٩ ـ المؤاساة مما يمتحن به (الاقتصاد والمعيشة) ١١٩

١٠ ـ المؤاساة مما امروا به (الاقتصاد والمعيشة) ١٢٠

تربيـــه عظيمة ١٢٠

نظرة الى الفصل ١٢٢

الفصل ٤٧ ـ مبدأ المساواة في الاسلام ١٢٣

أ ـ ان الله تعالى يدعو الى المساواة ١٢٤

ب ـ ان اولياء الله تعالى يدعون الى المساواة، او واقع التسوية في العهود الاسلامية :

١ ـ في العهد النبوي ١٢٥

٢ ـ في العهد العلوي ١٢٦

٣ ـ خط ذهبي في جبين التاريخ ١٢٩

تنبـــيهان هامان ١٢٩

٤ ـ شعاع الهي على قمة الاعصار	١٣١
٥ ـ تعاليم وهدايات :	
ـ من التعليم السجادي	١٣٢
ـ من التعليم الباقري	١٣٢
ـ من التعليم الصادقي	١٣٢
تنبـــيه	١٣٣
ـ من التعليم الكاظمي	١٣٧
ـ من التعليم الرضوي	١٣٧
٦ ـ في العهد المهدوي	١٣٩
ج ـ معلم وضاح (١)	١٣٩
د ـ معلم وضاح (٢)	١٤٠
هـ ـ الوضع المطلوب للنظام الاقتصادي في الاسلام	١٤١
و ـ ايقاظ ديني وتربوي واجتماعي واصلاحي هام	١٤٢
ز ـ الفقه القديم يؤكد علي تبني «مبدإ المساواة»	١٤٥
ح ـ الثورات الدامية تتبنى «مبدأ المساواة»	١٤٦
ط ـ مثال اعلى	١٤٧
ي ـ اصلان تربويان عظيمان :	
الاصل الاول : المساواة في التعليم	١٤٨
الاصل الثاني : المساكين ولزوم تعليمهم وتثقيفهم	١٥٠
نظرة الى الفصل	١٥١
ـ الاصول الرئيسية التي تدعو الى «المساواة» :	
١ ـ اصل التوحيد	١٥٣
٢ ـ اصل تساوي الناس في الخلق	١٥٥
٣ ـ اصل كرامة الانسان	١٥٦
٤ ـ اصل الاخوة الايمانية	١٥٧
٥ ـ اصل محدودية الانسان التكوينية في استغلال المواهب	١٥٧

٦ـ اصل رفض التكاثر (الاقتصاد الحر) ١٥٧

٧ـ اصل البنوة الاسلامية ١٥٧

٨ـ اصل شجب الاثرة والمحاباة ١٥٨

٩ـ اصل تعميم المواهب المعيشية ١٥٨

١٠ـ اصل قوامية المال وتساويها للكل ١٥٩

١١ـ اصل محدودية الامتلاك في التشريع الاسلامي ١٦٠

١٢ـ اصل محدودية الاستهلاك في التشريع الاسلامي ١٦٠

١٣ـ اصل الانفاق ١٦١

١٤ـ اصل الاقتصاد في المعيشة ١٦١

١٥ـ اصل العدل (التوازن الاقتصادي) وتقريب مستوى العيش للجميع ١٦١

١٦ـ اصل الاحسان (الانسجام المعيشي) ١٦٢

١٧ـ اصل اسناد الفضل والميزة الى التقوى ١٦٢

١٨ـ اصل رابطة العدل والتسوية ١٦٢

١٩ـ اصل رفض الاسراف والتبذير والتقتير ١٦٣

٢٠ـ اصل كفاح الفقر واستئصاله ١٦٣

٢١ـ اصل شجب الاستضعاف ١٦٤

٢٢ـ اصل تمويل الفقير لان يلحق عياله بالناس ١٦٤

ـ تنبـــيه ١٦٥

ـ تذكير ١٦٦

الفصل ٤٨ـ القسط الاسلامي ١٦٧

القسط القرآني، تجسيد و تجسيد :

١ـ النبي الاعظم «ص» والقسط ١٧٠

٢ـ الامام علي بن ابي طالب «ع» والقسط ١٧٤

٣ـ ثورة عاشوراء والقسط ١٧٧

٤ـ الامام الصادق «ع» والقسط ١٨٢

٥ـ الحكم المنتظر والقسط ١٨٤

الماح الى سركبير ١٨٦

الحيف يدعو الى السيف ١٨٨

المقياس الفاصل بلاريب ١٨٩

نظرة الى الفصل ١٩١

ـ ايقاظ هام (١) : الحكم الاسلامي والقسط ١٩٤

ـ ايقاظ هام (٢) : التقنين الاسلامي والقسط ١٩٩

ـ ايقاظ هام (٣) : العدل والتوحيد علويان ٢٠٠

ـ ايقاظ هام (٤) : الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر ٢٠٠

ـ ايقاظ هام (٥) : اهمية توعية الناس بواقع الدين ٢٠١

ـ ايقاظ هام (٦) : القوامية بالقسط واجب من؟ ٢٠٣

ـ ايقاظ هام (٧) : القرآن، كله لا بعضه ٢٠٣

ـ ايقاظ هام (٨) : النضال ضد الجوع ٢٠٨

ـ تنبـــيهات هامة :

١ـ اشباع الجائعين، اصل وتعميم (١) ٢١٦

٢ـ اشباع الجائعين، اصل وتعميم (٢) ٢١٧

٣ـ اشباع الجائعين، صور فاضلة ٢١٧

٤ـ اشباع الجائعين ودوره في تحكيم الصلات الاقتصادية ٢١٨

٥ـ اشباع الجائعين ودوره في صيانة الكيان السياسي ٢١٩

٦ـ اشباع الجائعين، الواجب الكبير ٢٢٠

٧ـ اشباع الجائعين ودوره في بناء الانسان الخلقي ٢٢٠

٨ـ اشباع الجائعين ودوره في الكيان الديني ٢٢١

٩ـ اشباع الجائعين واطعام الآخرين، مكارم وآداب ٢٢١

١٠ـ اشباع الجائعين، تجسيد مستوعب ٢٢٢

الفصل ٤٩ ـ مضاداة التكاثر والفقر للقسط الاسلامي ٢٢٣

نظرة الى الفصل ٢٢٥

- تنبـــيه ٢٢٧

- توضيحان ٢٢٧

- تذييل هام: تفسير الطبقات بمقياس التعاليم الاسلامية، و التكاثرية ٢٢٨

١ - تفسير الطبقية في مفهومها الاسلامي ٢٢٩

٢ - تفسير الطبقية في مفهومها التكاثري ٢٣٥

الفصل ٥٠ - الاصلاح الاجتماعي، مقاطعة ودفاع ٢٤٠

نظرة الى الفصل ٢٥٦

- اصل وتنبـــيه ٢٥٨

- اخطار: السيدة خديجة في الجاهلية وفي الاسلام ٢٦١

الباب الثاني عشر: المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلامي (اصول عامة) ٢٦٣

الفصل ١ - صور المالكية ٢٦٥

أ - مالكية الله تعالى ٢٦٥

ب - مالكية الحكم الاسلامي ٢٦٦

ج - مالكية الناس عامة ٢٦٧

د - مالكية الناس خاصة ٢٦٩

نظرة الى الفصل ٢٧١

الفصل ٢ - الارض .. موضوعة للانام ٢٧٢

نظرة الى الفصل ٢٧٧

- تنبـــيه ٢٧٩

- اشارة ٢٨١

الفصل ٣ - المواهب والاموال، تعميم وتأميم ٢٨٢

نظرة الى الفصل ٢٩٠

الفصل ٤ ـ العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (١) ٢٩١

أ ـ العمل في سنة التكوين ٢٩١

ب ـ العمل في سنة التشريع ٢٩٤

ج ـ الحث على العمل (١) ٢٩٥

د ـ الحث على العمل (٢) ٢٩٧

هـ ـ اتقان العمل ٢٩٨

و ـ انتظام العمل ٢٩٩

ز ـ العمل بالعلم والاختصاص ٢٩٩

ح ـ العمل بالالتزام ٣٠١

نظرة الى الفصل ٣٠٢

ـ شرح الجهات الهامة التي تركز قيمة العمل :

١ ـ الجهة الطبيعية ٣٠٣

٢ ـ الجهة الانسانية الجسمية ٣٠٤

٣ ـ الجهة الانسانية الروحية ٣٠٤

٤ ـ الجهة الحياتية ٣٠٥

٥ ـ الجهة التربوية ٣٠٥

٦ ـ الجهة التعليمية ٣٠٥

٧ ـ الجهة الاخلاقية ٣٠٦

٨ ـ الجهة التكاملية ٣٠٦

٩ ـ الجهة الاجتماعية ٣٠٧

١٠ ـ الجهة البيئية ٣٠٨

١١ ـ الجهة الاقتصادية ٣٠٨

١٢ ـ الجهة التشريعية ٣٠٩

١٣ ـ الجهة الثقافية ٣١٠

١٤ ـ الجهة السياسية ٣١٠

١٥ ـ الجهة الدفاعية ٣١١

١٦ ـ الجهة الفنية	٣١١
١٧ ـ الجهة الصحية	٣١٢
١٨ ـ الجهة التقدمية	٣١٢
١٩ ـ الجهة الصناعية	٣١٣
٢٠ ـ الجهة الرفاهية	٣١٣
الفصل ٥ ـ العمل والعمالة، ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي (٢)	٣١٤
أ ـ تقسيم الوقت	٣١٤
ب ـ تقسيم العمل	٣١٦
ج ـ العمل ودوره في مطاردة الفقر	٣١٦
د ـ العمل ودوره في صيانة الدين	٣١٨
هـ ـ السعي والمثابرة في العمل	٣١٨
و ـ الاغتراب في طلب الرزق والتماس العمل	٣١٩
ز ـ لايستجاب دعاء الفارغ والعاطل	٣٢٠
ح ـ الانبياء والاوصياء والعمل	٣٢١
تنبيه	٣٢٥
تذييلان :	
أ ـ العمل، اخلاق و آداب :	
١ ـ رعاية الاعتدال	٣٢٦
٢ ـ لاحرص ولا ضعف	٣٢٧
٣ ـ الحذق و استعماله	٣٢٧
٤ ـ الالتزام بالامانة	٣٢٧
٥ ـ حسن التعامل	٣٢٧
٦ ـ التحذير من التسويف وتضييع اوقات الناس	٣٢٨
ب ـ لاعمل للحكم الجائر	٣٢٨
نظرة الى الفصل	٣٣٠

الفصل ٦ ـ العطل والكسل، استنكار ورفض ٣٣٢
أ ـ العطل ٣٣٢
ب ـ الكسل ٣٣٤
نظرة الى الفصل ٣٣٦
ـ تدليل ٣٣٨
ـ تكميل : النبي «ص» يقبل يد العامل ٣٤٢

الفصل ٧ ـ الفلاحة والزراعة ٣٤٣
ـ تذييل : الزراعة، آداب و حقوق ٣٤٧
نظرة الى الفصل ٣٤٩

الفصل ٨ ـ الرعي وتربية المواشي ٣٥٠

الفصل ٩ ـ البحر، صيده واستخراج فوائده والصناعة البحرية واهمية طرق البحر ٣٥٢
نظرة الى الفصل ٣٥٤

الفصل ١٠ ـ الصناعات والاختراعات ٣٥٦
اشارة : الكشوف والاختراعات التي تكون رهينة العصور وتطوراتها ٣٥٩
نظرة الى الفصل ٣٦٠

الفصل ١١ ـ الاخصائية الملتزمة ٣٦١
نظرة الى الفصل ٣٦٤

الفصل ١٢ ـ الاجراء، الفلاحون، العمال، لا ظلم ولا استغلال ٣٦٦
نظرة الى الفصل ٣٦٩

الفصل ١٣ ـ الاستيراد والبيع ٣٧١

أ ـ الحض على الكسب والاستيراد	٣٧٣
ب ـ الفقه ثم المتجر (الكسب والاستيراد)	٣٧٣
ج ـ السنة في البيع والشراء	٣٧٤
د ـ تحديد الربح	٣٧٧
هـ ـ شجب الارباح الضخمة والتكاثرية	٣٧٧
و ـ السماح والسهولة في البيع	٣٧٩
ز ـ البيع في الظلال غش	٣٨٠
ح ـ الغش ورفضه الحاسم	٣٨٠
ط ـ غبن المؤمن والمسترسل ربا	٣٨١
ي ـ الصدق واخذ الحق واعطاؤه، والافالفجور	٣٨١
يا ـ شراء الجيد وبيع الجيد	٣٨٣
يب ـ لايمين في البيع	٣٨٣
يج ـ لابخس لاشياء الناس	٣٨٣
يد ـ لا تطفيف ولا اخسار	٣٨٤
يه ـ لا تسويف ولا تأخير	٣٨٤
يو ـ مجادلة السيوف اهون من طلب الحلال	٣٨٤
يز ـ بيع المضطرين ممنوع	٣٨٤
يح ـ رفض الوساطة في البيع	٣٨٥
يط ـ حق الميزان والوفاء به	٣٨٥
ك ـ لايباع السلاح من اعداء الاسلام	٣٨٦
تنبـــيه	٣٨٦
كا ـ اي كاسب حبيب الله؟	٣٨٧
كب ـ تدنٍ وسقوط	٣٨٧
كج ـ قيم مثلى للحياة الاسلامية في الاسواق	٣٨٧
كد ـ اوقات وحقوق	٣٨٨
كه ـ السوق سوقان	

١ ـ مسيرة الى الله ومغفرته وجنته ٣٨٩

٢ ـ ميدان الشيطان ومحضره ٣٨٩

تتميمات :

١ ـ التعريف بشر الناس ٣٩٠

٢ ـ الظلم الذي لا يترك ٣٩١

٣ ـ خلط الطعام في البيع ٣٩١

نظرة الى الفصل ٣٩٢

ـ الاحاديث المؤشرة للبيع والاستيراد الاسلامي ٣٩٤

ـ تذييلات ٣٩٨

الفصل ١٤ ـ الربا، سحق جبار ٤٠٠

أ ـ اكل الربا عمل شيطاني ٤٠٠

ب ـ اذان الحرب من الله تعالى ٤٠٠

ج ـ الربا يمحق ٤٠٠

د ـ المؤمن لا يأكل الربا ٤٠١

هـ ـ اكل الربا سيرة يهودية ٤٠١

و ـ الربا مضاعفة وتكاثر ٤٠١

ز ـ شر المكاسب واخبثها ٤٠٢

ح ـ الوزر الاكبر ٤٠٣

ط ـ اخوف مايخاف منه على الامة ٤٠٣

ي ـ اكل الربا بالحيلة ٤٠٤

يا ـ الربا وفساد الاموال والتجارات وتعطيل حركة العمل ٤٠٤

يب ـ آكل الربا ملعون ٤٠٥

يج ـ آكل الربا يقتل ٤٠٥

يد ـ اوزار وعظائم ٤٠٦

يه ـ اهوال عظيمة ٤٠٧

يو ـ الربا يمحق الدين ٤٠٨

يز ـ الربا ظلم ٤٠٨

يح ـ ذهاب المعروف ٤٠٨

يط ـ الربا هلاك فردي ٤٠٩

ك ـ الربا هلاك اجتماعي ٤٠٩

نظرة الى الفصل ٤١٠

الفصل ١٥ ـ الاحتكار ٤١٢

أ ـ احتكار الاموال ٤١٢

ب ـ احتكار الارزاق ٤١٣

ج ـ الاحتكار وإضراره بدين المحتكر ٤١٣

د ـ الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر ٤١٣

هـ ـ الاحتكار وإضراره بالمجتمع ٤١٤

و ـ الاحتكار وإضراره بالحكم ٤١٤

ز ـ الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة وشرارة ٤١٤

ح ـ الاحتكار فجور ٤١٥

ط ـ المحتكر آثم ٤١٥

ي ـ المحتكر ملعون ٤١٥

يا ـ المحتكر شر من السارق ٤١٦

يب ـ التجار والاحتكار ٤١٦

يج ـ المنع من الاحتكار ٤١٧

يد ـ لا كفارة للاحتكار ٤١٧

يه ـ عذاب المحتكرين :

١ ـ عقوبتهم في الدنيا:

أ ـ بما يناسب فعلهم ٤١٨

ب ـ باظهار ما يحتكرون ٤١٨

ج ـ باحراق اموالهم وابادتها ٤١٩
٢ ـ عذابهم في الآخرة ٤١٩
تذييل : مسؤولية الحكم الاسلامي بالنسبة الى المحتكرين
وعرض اموالهم على الناس واجبارهم على البيع ٤١٩
تتميمان :
١ ـ تعيين موضوعات الاحتكار ٤٢٢
٢ ـ التسعير ٤٢٥
تذنيب ٤٣١

نظرة الى الفصل ٤٣٣
ـ تنبـــيه ٤٣٩
ـ ايقاظ ٤٤٠

الفصل ١٦ ـ الانفاق (١) ٤٤١
ـ نظرة عامة ٤٤١
أ ـ الانفاق، مبنى واصل ٤٤٢
ب ـ الانفاق، من اركان الايمان ٤٤٤
ج ـ الانفاق، من دعائم الحياة الاجتماعية وبقائها ٤٤٥
د ـ الانفاق، زينة اليقين ٤٤٦
هـ ـ الانفاق، اعظم نعمة ٤٤٦

الفصل ١٧ ـ الانفاق (٢) ٤٤٧
ـ عظمته واهميته :
أ ـ رديف الايمان بالغيب ٤٤٧
ب ـ رديف اقامة الصلاة ٤٤٧
ج ـ رديف القتال فى سبيل الله والجهاد بالنفس ٤٤٨

د ـ رديف السهر لصلاة الليل والتجافي عن المضاجع ٤٥٠

هـ ـ رديف الصبر والقنوت والاستغفار بالاسحار ٤٥١

و ـ رديف النصح لله وللرسول «ص» ٤٥٢

ز ـ رديف الاستجابة للرب تعالى ٤٥٢

ح ـ احد ملاكات الايمان الحق ٤٥٣

ط ـ من علائم الصدق والالتزام ٤٥٣

ي ـ من سمات المتقين ٤٥٤

يا ـ درجات ومغفرة ورزق كريم ٤٥٤

يب ـ النجاة من الخوف والحزن اللازمين للانسان في احواله الآتية ٤٥٥

الفصل ١٨ ـ الانفاق (٣) ٤٥٦

ـ آثاره الخالدة :

أ ـ مكتوب عندالله محسوب ٤٥٦

ب ـ إخلاف الله له ٤٥٧

ج ـ اجور مضاعفة ٤٥٨

د ـ شكران للنعمة ٤٥٩

هـ ـ عمل لنفسك ٤٦٠

و ـ حمل الزاد ليوم المعاد ٤٦١

ز ـ تجارة لن تبور ٤٦٣

ح ـ شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة ٤٦٣

ط ـ لاضرر ولا نقصان في الانفاق ٤٦٤

يا ـ لا توفيق الا في الانفاق ٤٦٥

يب ـ ليس لك الا ما انفقت ٤٦٥

يج ـ لا ينفع المال بلا انفاق ٤٦٦

يد ـ شر المال مالم ينفق منه (١) ٤٦٦

يه ـ شر المال مالم ينفق منه (٢) ٤٦٦

الفصل ١٩ ـ الانفاق (٤) ٤٦٧

ـ احوال و اوقات :

أ ـ سرّاً ٤٦٧

ب ـ علانية ٤٦٧

ج ـ بالليل ٤٦٨

د ـ بالنهار ٤٦٨

هـ ـ في السراء ٤٦٨

و ـ في الضراء ٤٦٨

ز ـ فرص مؤاتية والتحذير من فواتها ٤٦٨

ح ـ الانفاق، بذل و بذل ٤٧٠

ط ـ هم الاخسرون الا المتقين ٤٧٠

ي ـ اهمية الانفاق في ازمنة العسرة واليأس من غلبة الحق ٤٧١

الفصل ٢٠ ـ الانفاق (٥) ٤٧٣

ـ بعض مناشئ اهماله و تركه :

أ ـ سوء الظن بالله تعالى ٤٧٣

ب ـ النفاق والكذب ٤٧٤

ج ـ الكفر ٤٧٥

مغبات ترك الانفاق و اهماله :

١ ـ المغبات الفردية :

أ ـ الدنيوية ٤٧٥

ب ـ الاخروية ٤٧٦

٢ ـ المغبات الاجتماعية :

أ ـ الدنيوية ٤٧٧

ب ـ الاخروية ٤٧٨

٣ ـ المغبة الكبرى : الابتعاد عن الله تعالى ٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم...

القرآن ٢٤-٨

يتـــبع :

«البـــاب الحـــادي عشر»

* سلف من فصول «الباب الحادي عشر» أربعون فصلاً، في الجزءَين، الثّالث والرّابع ؛ وإلى القارئ، الفصلَ الحادي والأربعين إلى الفصل الخمسين، من الباب المذكور، وعشرين فصلاً من «الباب الثّاني عشر»، في هذا الجزء :

الفصلُ الحادي والأربعون

الغنى، إطاران وحدّان

لقد وَرَدَت في التَّعاليم، مقاطعُ تَمدَحُ الغنى وتُنَوِّهُ بشأنِه، وتَحُضُّ عليه وتَدُلُّ على مطلوبيَّته، وتَعُدُّ سَعَةَ المالِ من النِّعَم، كما وَرَدَت في الأدعِيَةِ الشّريفةجُمَلٌ طُلِبَت بها السَّعَةُ والغنى . وهناك آياتٌ تُنَدِّدُ بالموسرين والمُترَفين ـ وهمُ الاغنياءُ طبعاً ـ وبالاموالِ الكثيرةِ والقناطيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذَّهبِ والفضّة، واحاديثُ كثيرةٌ تَذُمُّ الغنى ذَمّاً حاسماً وتَمقُتُ الاغنياءَ والموسرين وتَزدَريهم وتَرسُمُ ذمائمَ صفاتِهم، وتُحَذِّرُ المجتمعَ منهم ومن نَـزعاتِهمُ المُعتـدِية، ومن الاقترابِ منهم، بل تَدعُو النّاسَ الى رفضِهم ومحارَبَتِهم ـ ولقد مَرَّت نبذةٌ منها في سالفِ الفصول ـ وهناك في الاحاديثِ ما يَدعُو الى الاحترازِ من سَعَةِ المالِ والافتتانِ بها .

في هذا الضّوء، اِنَّ السُّؤالَ الّذي يُواجِهُنا هو اَنَّهُ كيفَ يُوَفَّقُ بين هاتين الطّائفتين من التَّعاليم؟ فنَقولُ : لقد اَرْشَدَتْنا تلكُم التّعاليمُ نفسُها الى ذلك التّوفيق؛ فمَعالِمُ الحقِّ واضحة، وتعاليمُ دينِ اللّهِ الحنيفِ مُبَيَّنَة . وعلينا اَن لا نَميلَ يَميناً وشمالاً، واَن لانَحيدَ عن المَهْيَعِ اللّاحب، واَن نَتَحَرَّزَ من الانحياز، واَن نَستَقِيَ العلمَ من يَنابيعِه، واَن نَتَفَقَّهَ في الدّين بشكلٍ موضوعيٍّ مجموعيٍّ، اذ الدّينُ في حالةِ صلةِ بعضِ احكامِه بالبعضِ الآخرِ (ورعايةِ «المركز»

و«التّرابط» في الاحكام)، يَهدي الانسانَ ويَأخُذُ بيدِه في مَغاوِرِ الحياةِ الشّاسعة، ويَصنَعُ المجتمعَ الانسانيَّ ويُحَلِّقُ به الى اوجِ الفضيلةِ والحقّ، والعظمةِ والعدل، والمثاليّةِ والقسط . ولا جلِ ذلك نُشاهِدُ اَنَّ النّبيَّ الاعظم «ع» حينَما يُرسِلُ الصَّحابيَّ المعروف، مَعاذَ بنَ جبلٍ ، الى اليَمنِ لصُنعِ مجتمعٍ اسلاميٍّ، يَسُوُده الاسلامُ ويَحكُمُ فيه القرآن، يُوصيه بأَن يُظهِرَ «امرَ الاسلامِ كلَّه، صغيرَه وكبيرَه»[1] . والتّأكيدُ على هذا الموقف، يعني اظهارَ امرِ الاسلام كلِّه، صغيرِه وكبيرِه، فِقْهِيِّه واخلاقيِّه،[2] هو ملاكُ صُنعِ المجتمعِ الاسلاميِّ وارساءِ قواعدِ حكومتِه؛ فَلْتَكُنْ لنا في رسولِ الله «ص» أُسوةٌ حسنَة .

واما الغنى، على حسَبِ ما نَفْهَمُه من مجموعِ التَّعاليمِ القرآنيّةِ والحديثيّة، والجمعِ بين بعضِها مع بعض، فهوقسمان كمّاً، ونوعان كيفاً، اما الاوّلان فهما :

١ ـ الغنى المُقتصد .

٢ ـ الغنى المُفرط .

واما الثّانيان فهما :

١ ـ الغنى المُلتزِم .

٢ ـ الغنى اللاّمُلتزِم .

والاوّلان من الاوّلَين والثّانيَين ممدوحان . وهما مُتَّحِدان بحسَبِ الواقعِ والمصداقِ في الاغلب . والثّانيان من الاوّلَين والثّانيَين مرفوضان، وهما ايضاً مُتَّحدان بحسَبِ الواقعِ والمصداقِ في الاغلب .

فكلُّ ما كان من الغنى مطابقاً لموازينِ الاعتدالِ والقصدِ كمّاً وامتلاكاً، راجعاً الى الخيرِ والفضيلةِ والعدلِ والاحسانِ والحقِّ

١ ـ تحف العقول / ٢٥.

٢ ـ على حَسَبِ المصطَلَح .

كيفاً واستهلاكاً، فهو ممدوحٌ مطلوب . وكلُّ ما جاوَزَ تلك الموازينَ كمّاً وامتلاكاً، وكان راجعاً الى التّفاخرِ والاعتداءِ والتّكاثرِ ومنعِ الحقوقِ واستغلالِ النّاسِ كيفاً واستهلاكاً، فهو مذمومٌ مرفوض .

فِللغنى إطاران كيفاً وحدان كمّاً، ولعلَّ الآياتِ والاحاديثَ المذكورةَ في الفصولِ السّالفة، تَكفي لِاَن تَرسُمَ هذين الإطارَين وتَحُدَّ هذين الحدَّين، وتُجَسِّدُ امامَ القارئ اَنَّ الغنى قد يُنظَرُ اليه كوسيلةٍ، مع رعايةِ الحدِّ فهو مطلوب، وقد يُنظَرُ اليه كهدفٍ فهو مذموم، ومآلُه الى عبادة الدّينارِ والدّرهم و اتِّخاذِ المالِ صنماً . فعلاوةً على ما مرَّ نُقَدِّمُ الى القارئ في هذا الفصلِ شَذْرَةً اُخرىٰ من تلك التَّعاليم :

أ ـ الغنى المقتصد والملتزم (الغنى كوسيلة)

الكتـــاب

١ وما اَموالُكُم ولا اولادُكُم بالّتي تُقَرِّبُكُم عندَنا زُلْفىٰ اِلّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحاً، فاُولئك لَهُم جَزاءُ الضِّعفِ بما عَمِلُوا، وهم في الغُرُفاتِ آمِنون *[1]

٢ تُؤْمِنُون باللّهِ ورسولِه وتُجاهِدُون في سبيلِ اللّهِ بأَموالِكُم واَنفُسِكم، ذلكُم خيرٌ لكُم اِن كُنتُم تَعلَمُون *[2]

٣ اِنفِرُوا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدُوا بأَموالِكُم واَنفُسِكُم في سبيلِ الله، ذلكُم خيرٌ

---

١ ـ سورة سبأ (٣٤) : ٣٧.

٢ ـ سورة الصّفّ (٦١) : ١١.

لكُم إن كُنتُم تعلَمُون *[1]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : طوبى لمَنِ اكْتَسَبَ من المؤمنين مالاً من غيرِ معصية، وَأَنْفَقَهُ في غيرِ معصية ..[2]

٢ الامام علي «ع» ـ دخل على العَلاءِ بنِ زيادٍ الحارثيّ، وهو من اصحابِه يَعُودُه، فلَمّا رَأىٰ سَعَةَ دارِه قال : ما كُنتَ تَصنَعُ بسَعَةِ هذه الدّار في الدّنيا، وانتَ اليها في الآخرةِ كُنتَ أَحْوَ ج؟ وبلى، إن شِئْتَ بلغت بها الآخرةَ تَقْري فيها الضّيف ، وتَصِلُ فيها الرَّحِم، وتُطلِعُ منها الحقوقَ مَطالِعَها، فإذاً انتَ قد بَلَغْتَ بها الآخرة .[3]

٣ الامام علي «ع» : .. إنَّ من النِّعَمِ سَعَةَ المال .[4]

٤ الامام علي «ع» : .. أَمسِكِ المالَ بقدرِ ضرورتِك، وقَدِّمِ الفضلَ ليومِ حاجتِك .[5]

٥ الامام الباقر «ع» : وَجَدنا في كتابِ عليِّ بنِ الحسين «ع» : «ألا! إنَّ اولياءَ اللّهِ لا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحزَنُون؛ اذا أَدُّوا فرائضَ الله، وأَخَذُوا بسُنَنِ

---

١ ـ سورة التّوبة (٩) : ٤١.

٢ ـ تحف العقول / ٢٨.

٣ ـ نهج البلاغة / ٦٦٢ ـ ٦٦٣؛ عبده ٢ / ٢١٣.

٤ ـ نهج البلاغة / ١٢٧١؛ عبده ٣ / ٢٤٧. راجع ايضاً : الفصل ٣١، من الباب ١٢، فِقرَةَ «ب».

٥ ـ نهج البلاغة ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

رسولِ الله، وتَوَرَّعُوا عن محارِم الله، وزَهِدُوا في عاجلِ زَهْرَةِ الدُّنيا، ورَغِبُوا فيما عندالله، واكْتَسَبُوا الطَّيِّبَ من رزقِ الله ـ لا يُريدُون التّفاخرَ والتّكاثر ـ ثم انفَقُوا فيما يَلْزَمُهُم من حقوقٍ واجبة؛ فاولئك الّذين بارَكَ اللّهُ لهم فيمَا اكْتَسَبُوا، ويُثابُون على ما قَدَّموا لآخرتِهم»[1].

٦ الامام الصادق «ع» : غنًى يَحْجُزُك عن الظُّلم، خيرٌ من فقرٍ يَحمِلُك على الاِثْم.[2]

٧ الامام الصادق «ع» ـ ذَكَرَ رجلٌ عندَ ابي عبدِالله «ع» الاغنياءَ ووَقَعَ فيهم، فقال ابو عبدِالله : اُسْكُت ! فاِنَّ الغنيَّ اذا كان وَصولاً لرَحِمه، بارّاً باِخوانه، اَضْعَفَ اللّهُ له الاجرَ ضِعْفَين، لِاَنَّ اللّهَ يَقولُ : «وما اَموالُكُم ولا اولادُكُم بالّتي تُقَرِّبُكُم عندَنازُلفىٰ اِلّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحاً، فاُولئك لهُم جَزاءُ الضِّعفِ بما عَمِلُوا، وهم في الغُرُفاتِ آمِنون».[3]

٨ الامام الكاظم «ع» : يا هِشام! مَن اَكرَمهُ الله بثلاثٍ فقد لَطُفَ له : عقلٍ يَكفيه مؤونةَ هواه، وعلمٍ يكفيه مؤونةَ جهلِه، وغنًى يكفيه مخافةَ الفقر.[4]

* مقتضى الجمع، هوتبريرُالغنى المقتصدِ الّذي يُوافِقُ الحدَّ القواميَّ للمال، لغايةِ دفعِ الفقرِ ورفعِ الكلِّ عن النّاس، والانفاقِ والبذلِ وصلةِ الرَّحِمِ وبِرِّ الاخوانِ واداءِ سائرِ الحقوقِ الظّاهرةِ والباطنة.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ٢ / ٣٠٩.

٢ ـ الكافي ٥ / ٧٢.

٣ ـ تفسير القمي ٢ / ٢٠٣.

٤ ـ تحف العقول / ٢٩٥.

٩ الامام الرضا «ع» : اِنّ الّذي يَطلُبُ من فضلٍ ، يَكُفُّ به عِيالَه، اَعظمُ اجراً من المجاهدِ في سبيلِ الله .[١]

* يُقَيِّدُ الامامُ «ع» كلامَه في طلبِ فضلٍ ، بأن يكونَ لكَفِّ العيال . وهذا هو الغنى المقتصدُ القواميُّ الملتزِم .

ب ـ الغنى غير المقتصد وغير الملتزم (الغنى كغاية)

الكتـــاب

١ اَلْهٰاكُمُ التَّكاثر * حتّى زُرْتُمُ المَقابر *[٢]

٢ كَلّا، اِنّ الانسانَ لَيَطْغىٰ * اَن رَآهُ اسْتَغْنىٰ *[٣]

٣ وَاعْلَمُوا اَنَّما اَموالُكُم واَولادُكُم فِتنَةٌ ..[٤]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : المالُ مادّةُ الشّهَوات .[٥]

---

١ ـ تحف العقول / ٣٢٨.

٢ ـ سورة التّكاثر (١٠٢) : ١ ـ ٢.

٣ ـ سورة العَلَق (٩٦) : ٦ ـ ٧.

٤ ـ سورة الانفال (٨) : ٢٨.

٥ ـ نهج البلاغة / ١١١٣؛ عبده ٣ / ١٦٤.

٢ الامام علي «ع» : .. اِعْلَمُوا اَن كثرةَ المالِ مفسَدَةٌ للدّين، مَقْساةٌ للقُلوب .[١]

٣ الامام علي «ع» : .. فلاتَعتَبِرُوا الرِّضا والسُّخْطَ بالمالِ والولد، جهلاً بمواقعِ الفتنةِ والاختبار، في مواضعِ الغنى والاقتار ..[٢]

٤ الامام الصادق «ع» : فيما ناجَى اللّهُ عزَّ وجلّ به موسى : يا موسى! لا تَركَنْ الى الدّنيا رُكونَ الظّالمين، ورُكونَ مَنِ اتَّخَذَها اباً واُمّاً .. واعْلَم اَنَّ كُلَّ فتنةٍ بَدْؤُها حبُّ الدّنيا. ولاتَغْبِطْ احداً بكثرةِ المال، فاِنَّ مع كثرةِ المالِ كثرةَ الذُّنوبِ لواجبِ الحقوق .[٣]

٥ الامام الصادق «ع» ـ العَقَر قُوفي قال : قلتُ لابي عبدِالله «ع» : شيءٌ يُروىٰ عن ابي ذرٍّ ـ رحمةُ اللّهِ عليه ـ انّه كان يَقولُ : ثلاثةٌ يُبغِضُها النّاسُ واَنَا اُحِبُّها، اُحِبُّ الموت، واُحِبُّ الفقر، واُحِبُّ البلاء؟ فقال : اِنّ هذا ليس على ماترون،[٤] اِنّما عَنىٰ : الموتَ في طاعةِ اللّهِ اَحَبُّ اليَّ من الحياةِ في معصيةِ الله، والفقرَ في طاعةِ اللّهِ اَحَبُّ اليَّ من الغنى في معصيةِ الله، والبلاءَ في طاعةِ اللّهِ اَحَبُّ اِليَّ من الصِّحَّةِ في معصيةِ الله .[٥]

مسائل

الاولى : التّحديث بالنّعمة

---

١ ـ تحف العقول / ١٤١.

٢ ـ نهج البلاغة / ٧٨٩؛ عبده ٢ / ١٦٨.

٣ ـ الوافي ١ (م٣) / ٧٧.

٤ ـ في بعضِ النُّسخ : «يَرَون»، وفي بعضِها : «يَروُون».

٥ ـ معاني الاخبار / ١٦١ ؛ و ١٦٥، من طبعةِ الغفّاريِّ المُصحَّحة.

الكتـــاب

١ وَاَمّا بنعمةِ ربِّك فحَدِّث *[١]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : اِنّ اللّهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمال، ويُحِبُّ اَن يُرىٰ اَثَرُ النّعمةِ على عبدِه .[٢]

٢ الامام علي «ع» ـ فيما كتَبَه الى الحارثِ الهَمْداني : .. وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نعمةٍ اَنْعَمَها اللّهُ عليك؛ ولا تُضَيِّعَنَّ نعمةً من نِعَمِ اللّهِ عندَك؛ وَلْيُرَ عليك اَثَرُ ما اَنْعَمَ اللّهُ به عليك .[٣]

٣ الامام الصادق «ع» ـ في تفسيرِ قولِه تعالى : «وَاَمّا بِنِعمَةِ رَبِّك فَحَدِّث» : معناه فَحَدِّث بما اَعْطاكَ اللّهُ وفَضَّلَكَ ورَزَقَكَ واَحْسَنَ اليك وهَداك .[٤]

الثّانية : الـرّدع عن التّظاهـر بالفقـر

٤ النبـــي «ص» : مَن تَفاقَرَ افْتَقَرَ .[٥]

---

١ ـ سورة الضُّحىٰ (٩٣) : ١١.

٢ ـ الكافي ٦ / ٤٣٨.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٦٧؛ عبده ٣ / ١٤٢.

٤ ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٠٧.

٥ ـ تحف العقول / ٣٥.

الثّالثة : لا تحديث بالفقر

٥ الامام الكاظم «ع» : لا تُحَدِّثُوا انفُسَكم بفقرٍ، ولا بطولِ عمرٍ، فإنّه من حَدَّثَ نفسَه بالفقرِ بَخِلَ، ومَن حَدَّثَها بطولِ العمرِ يَحْرِص .[١]

---

١ ـ تحف العقول / ٣٠٢.

نظرة الى الفصـــل

الغنى، إطاران وحـدّان : اِنّ الغنى قد يُقال في مقابلِ «الفقر»، ويُرادُ به اصابةُ المالِ بالمقدارِ اللاّزمِ للعيشِ ومستلزَماتِه، والتّمكُّنُ من الاستجابةِ لحاجاتِ الحياة، فيُوصَفُ صاحبُه بـ «الغنيّ» في مقابلِ «الفقير»، فيُقال : فلانٌ غنيٌّ، اي مُكتَفٍ في رزقِه ولايَحتاجُ الى غيرِه . وقد يُقالُ بمعنى التّكاثرِ والافراطِ في تملُّكِ الثّروةِ والمال، فيُوصف صاحبُه بـ «الغنيّ المُترَف»، و «الغنيّ المُتكاثِر»، في مقابلِ «الغنيّ المُقتصِد»، فيُقال : فلانٌ غنيٌّ، اي رأسماليٌّ تَكَدَّسَتْ لديه الاموالُ الطّائلة .

والغنى، بمعناه الحقيقيّ،[1] الّذي يُقِرُّه الاسلام، هو الغنى بالمعنى الاوّل، وهو في مقابلِ «الفقر»، كما يَقولُ الامامُ الصّادق «ع» : «الغنى وضدُّه الفقر»[2]. هذا هو الغنى الّذي يُبَرِّرُهُ الاسلامُ ويرتَضيه بل يَحُضُّ على طَلَبِه من الحلال . وهذا هو الغنى الّذي يُعينُ الانسانَ على التّقوى والصّلاح، كما يقولُ النّبيّ «ص»، فيما رواه الامامُ الصّادق «ع» : «نِعْمَ العونُ على تقوى اللّهِ الغنى»[3] .

وهذا الموضوع ـ الّذي دَعَت اليه الاحاديثُ وتَبَنَّتْهُ كتعليمٍ بَنّاء ـ يعني كونَ الغنى مُعيناً على التّقوى والخير، اِنّما هو اتّخاذُ موقفٍ اصيلٍ لاثارةِ كِفاحَين صامدَين :

---

١ ـ اِنّما قلنا : «بمعناه الحقيقيّ»، لانّ الغنى التّكاثريَّ والاترافيَّ ليس هو في الحقيقة غنى، بل هو امتصاصٌ واستغلالٌ وسرقةٌ واغتصاب .

٢ ـ الكافي ١ / ٢٢.

٣ ـ الكافي ٥ / ٧١.

١ ـ كفاحٌ في وجهِ الفقرِ والحاجة .

٢ ـ كفاحٌ في وجهِ التّكاثرِ والإتْراف .

فليس من الانصافِ الدّينيِّ والعلميِّ والثّقافيِّ والفَقاهيِّ والتّربويِّ والاقتصاديِّ والاجتماعيّ والسّياسيِّ والدّفاعيّ، اَن نجعَلَ الموضوعَ المذكورَ دعايةً لتبريرِ الغنى التّكاثريِّ والاترافيِّ وتعبيدِ طُرُقِه وتحسينِ غاياتِه .

ولعلَّ في مُفكّري المسلمين من يَعُدُّ هذه الدّعايةَ المُزَيَّفَةَ من تَبِعاتِ الجهل، او عملاً للتّغطِيَةِ على الضّمائرِ والعقول، اذ المدائحُ الواردةُ بحقِّ الغنى المُعين على التّقوى والآخرة، كيف يُمكِنُ اَن تَكونَ مُبَرِّرةً لعمليَّةٍ تُضادُّ التّقوى وتَطرَحُ الآخرةَ خَلفَ ظهرِها، في مَسيرِها ومَسرَبِها .. ؟ فايُّ شكلٍ من اشكالِ التّكاثر ـ المُلْهي بنصِّ القرآنِ والمستلزمِ لاستغلالِ النّاس وامتصاصِ دِماءِ المحرومين وحيازةِ الحرامِ بنصِّ الاحاديث ـ يَجتَمِعَ مع التّقوى حتى يَكونَ عَوناً عليها؟ فضلاً عن اَن يَكونَ نِعْمَ العَون؟ فالتّعاليمُ المادحةُ للغنى ـ المعينِ على التّقوى والآخرة ـ الدّاعيةُ الى طَلَبِه من حِلِّه، اِنّما تَدعُو الى تَبَنِّي أمرين موضوعيّين، ألاوهما :

١ ـ سببيّةُ الفقرِ للسّيّئاتِ وما نعيَّتُه من الصّالحات .

٢ ـ سببيّةُ التّكاثرِ للسّيّئات وما نعيَّتُه من الصّالحات .

واِنّ كَونَ الغنى عوناً على التّقوى، يُشيرُ بوضوحٍ الى اَنَّ الفقرَ مانعٌ منها، مُضَيِّعٌ لها . فلمجابَهَةِ آثارِ الفقرِ السّلبيّة ـ من الّتي مرّ ذكرُها في الفصولِ السّالفةِ ذاتِ الارتباطِ بهذا الموضوع ـ يَمدَحُ الاسلامُ الغنى ويَقولُ : «غِنًى يَحْجُزُك عن الظّلم، خيرٌ من فقرٍ يَحمِلُك على الإثْم»[1] . فيَأتي بكلمةِ «غِنًى» مُنَكَّرةً مُنَوَّنة ـ وهي تَدُلُّ على القِلَّةِ والمحدوديّة ـ ثمَّ يصِفُه بما يَكونُ حاجزاً عن الظّلم، ومطلوباً لهذه الغاية، فيَعُدُّ هذا الغنى المحدودَ، لتلك الغايةِ المعلومة، خيرٌ من فقرٍ يَحمِلُ الانسانَ على الإثْم .

١ ـ الكافي ٥ / ٧٢، من حديثِ الامام الصادق «ع» .

ولعمرِ الحقِّ والعدل، اِنَّ الواقفَ على تعاليمِ الاسلامِ القرآنيّةِ والحديثيّة، بصورةٍ مجموعيّةٍ ذاتِ تنظيمٍ حكيم، يَعلَمُ اَنَّ الغنى المنشودَ في الاسلام، الّذي حَضَّ عليه، ليس الّا ما كان مقتصداً منه، يَستَغني صاحبُه عن النّاس، فيُمَوِّنُ هو بنفسِه عائلتَه، ويَصِلُ رَحِمَه وقُرباه، ويُنفِقُ فضلَ مالِه على المحتاجين .

وبكلامٍ آخر : اِنَّ الاسلامَ يَذكُرُ بنفسِه فلسفتَه لِاقرارِ الغنى وقبولِه . وهي كونُه مُعيناً على التّقوى والصّلاح، مع اَنَّ الغنى التّكاثريَّ يُضادُّ كلَّ ذلك ـ كماجاءَ في التّعاليم ـ بل اِنّ مانعيَّةَ الغنى التّكاثريِّ للتّقوى والالتزامِ الدّينيّ، اشدُّ من ما نعيَّةِ الفقرِ لهما . اِنَّ الاسلامَ يَحُضُّ النّاسَ على طَلَبِ الحلال، وهو لا يُجامِعُ الغنى التّكاثريّ ايضاً . اِنَّ الاسلامَ يَدعُو المكتسبين وطلّابَ المالِ الى الاعتدالِ في الطّلب، وهو لا يُجامِعُ التّكاثرَ بوجه . فالاسلامُ اِذا مَدَحَ الغنى يَقصُدُ غيرَ التّكاثريِّ والاِترافيِّ منه. وبذلك يَحُثُّ النّاسَ على السَّعيِ والعملِ والكَدّ، وطلبِ الرِّزقِ الحلال، حتى لايَكونَ المسلمُ عاطلاً فارغاً، مُلْقياً كَلَّه على الآخرين، ولكي لايَفْشُوَ الكَسَلُ والتّعَطُّلُ والحاجةُ في المجتمع، ولِاَن يُحتفَظَ على كرامةِ المسلمِ وحرمتِه باستغنائِه عن الغير . ففي ضوءِ ما اَوضَحناه، لايَظُنُّ ايُّ مسلمٍ نابه، اَنَّ الاسلامَ حينما يَمدَحُ الغنى، يَمدَحُ ذلك السَّرطانَ المُهلِكَ المُبيد .

والّذي يُنتِجُه هذا البحث، هو اَنَّ للغنى حدَّين واِطارَين، وهو ممدوحٌ في حدٍّ ومرفوضٌ في حدٍّ آخر . وهذه النّظرةُ الّتي يَنظُرُ بها الاسلامُ الى الغنى فيَقسِمُه الى قسمَين، ويُقِرُّ احدَهما ويرفُضُ الآخر، اِنّما تَنبَعُ من اصلٍ رئيسيٍّ قد قَرَّرَه في تعاليمه . وهو اَنّ للمالِ حدّاً الهيّاً وهو حدُّ القوام، واَنَّ لِلمالِ مواضعَ يَجِبُ اَن لا يُحرَّفَ عنها، وحقائقَ يَجِبُ ان لايُصرَفَ عنها ـ كما ذَكَرناه وذكَرنا آياتِه واحاديثَه في الفصولِ الاولى من هذا الباب ونظراتِنا اليها ، فراجِعْها اذا شِئت .

والّذي نُعيدُ التّذكيرَ به هنا، اَنَّ الواجبَ على الباحثين ـ من فقهاء وغيرِهم ـ عندَما يَرُومُون الفحصَ عن حقيقةِ الملكيّةِ في الاسلام و ما يُعطيه الاسلامُ للمالِ من الدَّورِ في الحياةِ الانسانيّةِ والمجتمع، وتعيينِ حدودِ المالَين :«المقبول» و«المرفوض»،في التَّصوّرِ الاسلاميّ،اَن يَجمَعُوا كلَّ آياتِ هذا الباب واحاديثِه ويَضُمُّوا بعضَها الى بعض، بصورةٍ علميّة، وبإعمالِ ما هناك من القواعدِ الاجتهاديّة، حتى يَتسنّىٰ لهم التّفقُّهُ الصَّحيحُ المطمئنّ، والوصولُ الى واقعِ التَّعاليمِ الاسلاميّة في هذا الحقلِ المصيريِّ بقدرِ الامكان .

ولعلَّ النّابهين لايَذهَبُ عليهم اَنَّ الموضوعَ وتنقيحَه، هو من اهمِّ المواضيعِ الاسلاميّةِ اليوم، الّتي تَقومُ عليها تربيةُ الافراد، وبناءُ المجتمعات، وتركيزُ الحكوماتِ الاسلاميّة، وشجبُ الحكوماتِ المُعاديةِ للاسلامِ والمسلمين، وصيانةُ الاستقلالِ الاسلاميِّ بمعناه الواقعيّ، وسَحْقُ التَّبعيَّةِ الاقتصاديّة، واِعلاءُ كلمةِ الحقِّ والعدل ، واقامةُ القسطِ في النّاس، والاشادةُ بالتّعاليمِ الاسلاميّة كمُثُلٍ هاديةٍ للبشريّة، وبَرمَجَةٍ لحياةٍ فاضلةٍ ومنهاجٍ ناجح .

الأحاديث الّتى تشجب التّكاثر وتحدّ الغنى والامتلاك

ونحن الآن نُشيرُ ـ بصورةٍ كلّيّة ـ الى اَقسامٍ من الاحاديثِ الّتي يَجِبُ اَن تُجْعَلَ مستندَ الاستنباطِ الشّرعيِّ والفقاهةِ الاسلاميّة، في هذا الموضوع، حتى يَحصُلَ الاطمينانُ بما هنالك من فتوى او رأيٍ :

١ ـ الاحاديثُ الّتي تَأمُرُ بالعملِ والكَدِّ لطلبِ المعيشةِ والرّزق .

٢ ـ الاحاديثُ الّتي تَأمُرُ بالاعتدالِ في الطَّلَبِ والكسبِ وتَمنَعُ من السَّعيِ التّكاثريِّ وطلبِ المزيدِ والحرصِ وظلمِ النّفس .

٣ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ ذريعةً لتأمينِ الحياةِ المادّيّةِ والمعنويّة (المعاشِ والمعاد) وقواماً لهما، لاغير.

٤ ـ الاحاديثُ الّتي تَمدَحُ الغنى مشروطاً بعملِ البرِّ وصلةِ ذوي الارحام، وتَعُدُّ الغنى بهذا الوصفِ عوناً على التّقوى والصّلاح.

٥ ـ الاحاديثُ الّتي تَحُضُّ على جمعِ المال لتموينِ العائلةِ والانفاقِ في سبيلِ الله، لالغيرِهما.

٦ ـ الاحاديثُ الّتي تَذُمُّ المالَ وحبَّه وجمعَه وتبنّيَه غايةً وهدفاً.

٧ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ سبباً لحياةِ المسلمين وبقائِهم وتَغَلْغُلِ المعتَقداتِ الصَّحيحةِ وبقائِها في نفوسِهم.

٨ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ قاعدةَ الظّلمِ والاستغلال.

٩ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ مادّةَ الشَّهَوات وسببَ التَّميُّعاتِ الخُلقيّةِ وعاملاً على تَسَرِّي الفَسادِ في قِطاعاتِ الأُمّة.

١٠ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المال يَعسوبَ الكُفّار والمنافقين ومِعْوَلاً هَدّاماً لِأُسُسِ الحقِّ والمعتَقَد.

١١ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ اصحابَ الاموالِ اعداءَ الحقِّ والعدلِ ومُكَذِّبي الدُّعاةِ المُصلِحين.

١٢ ـ الاحاديثُ الّتي تُشيرُ الى اَنَّ اصحابَ الاموالِ يَنفُذُون الى الحكمِ، ويُحَرِّفُون القوانينَ على حسَبِ ما يَشاؤون.

١٣ ـ الاحاديثُ الّتي تَدُلُّ على اَنَّ اصحابَ الاموالِ يُعادُون عِبادَ الله وعِيالَهُ الفقراءَ والمحتاجين ويُبغِضُونَهم ولايُحِبُّونَهم ولايُجالِسُونَهم.

١٤ ـ الاحاديثُ الّتي تُعَرِّفُ اصحابَ الاموالِ اَلَدَّ اعداءِ الانبياءِ وشرائِعِهِمُ المُدافعةِ عن الضُّعفاءِ والمحرومين.

١٥ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ الظّلمَ الاقتصاديَّ الظّلمَ الرّئيسيَّ، وتَجعَلُ سائرَ المظالمِ ناشئةً منه.

١٦ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ اصحابَ الاموالِ والاغنياءَ غاصبي حقوقِ الفقراء واموالِهم،وتَجعَلُ الفقرَ معلولاً لذُنوبِ الاغنياءِ ومنعِهم حقوقَ المحرومين .

١٧ ـ الاحاديثُ الّتي تُصَرِّحُ بَأنَّ اللّهَ اَشرَكَ الفقراءَ في اموالِ الاغنياء، وقَدَّرَ ارزاقَ الفقراءِ في اموالِ الاغنياء .

١٨ ـ الاحاديثُ الّتي تُسَمّي اصحابَ الاموالِ المتكاثرين طاغين وطواغيتَ وهالكين واشراراً .

١٩ ـ الاحاديثُ الّتي تَذُمُّ التَّرَفَ والبَذَخَ والافراطَ الاستهلاكيَّ كمّاً وكيفاً .

٢٠ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ القَلَقَ والتّوَتُّرَ الاجتماعيَّ من آثارِ اعمالِ الاغنياءِ وسلوكِهِمُ التَّرَفيِّ وعَجْرَفَتِهِمُ الاخلاقيَّةِ واهمالِهم اداءَ ما عليهم من الحقوق .

٢١ ـ الاحاديثُ الّتي تُنَدِّدُ بمخالَطَةِ الاغنياءِ والمُتموِّلين ومجالَستِهم وتأكيدِ الصِّلاتِ بهم .

٢٢ ـ الاحاديثُ الّتي تَشجُبُ الكنزَ وادِّخارَ الاموال .

٢٣ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ الزّائدَ اسرافاً وكنزاً .

٢٤ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ الاموالَ امانةً في ايدي الاغنياء لايصالِها الى اهلِها ومستحقِّيها ويَعُدُّهم اُمَناءَ على المحتاجين .

٢٥ ـ الاحاديثُ الّتي تَزْدَري حياةَ الاغنياءِ المُتموِّلين واخلاقَهم واَعرافَهم .

٢٦ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ الاغنياءَ آكلي الضّعفاءِ والمحرومين، وسارقي ارزاقِهم .

٢٧ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّالتُّجارَ والمستوردين ذِئاباً والنّاسَ شياهاً، وتَقولُ اِنَّ الذِّئابَ تَجُزُّ شعورَ الشِّياه .

٢٨ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ المالَ الكثيرَ سبباً لهلاكِ الانسانِ وشَقائه الابديّ .

٢٩ ـ الاحاديثُ الّتي تُؤَكِّدُ على الانفاقِ بصورةٍ حاسمةٍ ولحنٍ شديد، وتَتَوَعَّدُ على تركِه واهمالِه .

٣٠ ـ الاحاديثُ الّتي تُنَدِّدُ بالفقرِ وتَهْتَمُّ بتعدادِ سلبيّاتِه .

٣١ ـ الاحاديثُ الّتى تَشطَبُ على الحدِّين : التّكاثرِ والفقر، وتَعُدُّ الاوّلَ افراطاً مُضِرّاً والثّانيَ تفريطاً مُفسداً .

٣٢ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ الفقرَ ـ المُنتَجَ من عملِ الاغنياء وذُنوبِهم ـ سبباً لهلاكِ الانسانِ وشَقائه الابديّ .

٣٣ ـ الاحاديثُ الّتي تَعُدُّ الزَّكاةَ زكاتَين : ظاهرةً وباطنةً، وتَجعَلُ النِّصابَ للباطنةِ وجودَ السّائلِ والمحرومِ في النّاس .

٣٤ ـ الاحاديثُ الّتي تَدُلُّ على اَنَّ المؤمنَ الملتزمَ لا يَتَكَدَّسُ لديه المال .

٣٥ ـ الاحاديثُ الّتي تَقولُ اِنّ المالَ الحلالَ لايَكونُ كثيراً، ولايَجتَمِعُ الكثيرُ من حلال، فالمالُ الكثيرُ لابُدَّ مِن اَن يَكونَ من غيرِ الحلال، من مغصوبٍ او ما ضاهاه، فهو مالُ الآخرين بحسَبِ الواقع .

٣٦ ـ الاحاديثُ الّتي تَأْمُرُ بالاقتصادِ والاعتدالِ في المعيشة ـ وهي تَشمُلُ بعمومِها الامتلاكَ والاستهلاك ـ وتُؤَكِّدُ على رعايةِ الحدِّ والتّقديرِ في الاستهلاك .

٣٧ ـ الاحاديثُ الّتي تَنهىٰ عن الاستهلاكِ الزّائدِ ولو من مالِ الانسانِ نفسِه .

٣٨ ـ الاحاديثُ الّتي تَحُدُّ للمالِ والثَّروةِ حدَّه التّكوينيَّ والقواميّ، وتَجعَلُ له موضعاً يَجبُ اَن لا يَعدُوَه .

٣٩ ـ الاحاديثُ الّتي تَأمُرُ وتَحُضُّ على المُواساة و«المساواة».

٤٠ ـ الاحاديثُ الّتي تَمنَعُ صيرورةَ المالِ دُولةً بين الاغنياءِ والموسرين .

٤١ ـ الاحاديثُ الّتي تَقولُ اِنَّ المسرفين يأكُلون ما لَيس لهم و ..

٤٢ ـ الاحاديثُ الّتي تَحُضُّ على الاُخُوَّةِ الاسلاميّة ورعايتِها، وهي تَشمُلُ المسائلَ المعيشيّةَ والحوائجَ الحياتيّةَ والاقتصاديّةَ بطريقٍ اولىٰ .

٤٣ ـ الاحاديثُ الّتي تَقولُ : «لو عُدِلَ في النّاس لَاسْتَغْنَوا». وتُؤَسِّسُ اصلاً رئيسيّاً هامّاً (العدلُ في النّاسِ يُساوِقُ اسْتغناءَهم).

٤٤ ـ الاحاديثُ الّتي تُؤَكِّدُ على تركيزِ العدالةِ والقسط، برعايةِ حقوقِ الآخرين .

٤٥ ـ الاحاديثُ الّتي تَقولُ : «لا يُصلِحُ المجتمعَ الّا العدلُ».

هذه خمسةٌ واربعون قسماً من الاحاديث ـ ولعلَّ هناك اقساماً اُخرى ـ الّتي يَجِبُ اَن تُجعَلَ قاعدةَ الاستنباطِ في قضايا الملكيّةِ والاموال، بما فيها من التّعاليم، ممّا لا يَسَعُنا اَن نُوضحها هنا . ولقد جاءَت ايضاحاتٌ بصددِها في مختلِفِ فصولِ هذين البابين . ومن البَيِّنِ اَنَّ المسائلَ المطروحةَ في هذه الاحاديث ـ الّتي اشَرنا الى عناوينها ـ قد وَرَدَتْ بصددِ العديدِ منها آياتٌ في القرآنِ الكريم ايضاً، تَدُلُّ عليها بصُوَرِ الدّلالات، مثلَما شاهَدَ القارئُ اَنَّ النَّبذَةَ الّتي اَورَدْنا من الاحاديثِ، في فصولِ الكتاب، انّما اَورَدناها في ذيلِ آياتِها الوشيجةِ الصِّلةِ بها . والاحاديثُ هي شارحاتُ القرآنِ ومُفسِّراتُه، ومبيِّناتُ ما جاءَ فيه مجملاً او عامّاً او كلّيّاً. فالتّأكيدُ على الرّجوعِ الى الاحاديثِ اِنّما يَكون لاجلِ ما جاءَ فيها من ذكرِ المغازي والمصاديقِ والموارد،بصورةٍ اكثرَ تفصيلاً .

والّذي يَتَحَصَّلُ من التَّفقُّهِ الموضوعيِّ في تلك الاحاديثِ مع آياتِها القرآنيّة، بالجمعِ بين مفاهيمِها وتعاليمِها الهادفة، اَنَّ الاصلَ الرَّئيسيَّ في

مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ، هو شجبُ الامرين : التّكاثرِ والفقر، والوقوفُ على حدِّ الغنى المقتصدِ القواميّ ـ كما قلناه كراراً، لتركيزِ هذا الاصل الاسلاميّ ـ فالغنى المقبولُ هو الّذي يُؤَمِّنُ به العيش، لا ما يُمْتَصُّ به النّاس .

تنبيـــه

جاءَ في الحديثِ الصّادقيِّ قولُه «ع» : «لا خيرَ فيمَن لا يُحِبُّ جمعَ المالِ من حلال، يَكُفُّ به وجهَه، ويَقضي به دينَه، ويَصِلُ به رَحِمَه»[1] . والحديثُ بنفسِه كفانا البحثَ عنه، لِأَنَّه قَيَّدَ الجمعَ بالحلال . والجمع في هذا الحديث وامثالِه، بمعنى الطَّلَبِ والكسب . وقد ذُكِرَ الغايةُ له وهي كفُّ الوجهِ وقضاءُ الدّين وصِلَةُ الرَّحِم . ولعلَّ في قولِه «ع» : «يَقضي دينَه»، ايماءً الى مَن تَرَكَ الكسبَ والطَّلَبَ حتى اسْتَقْرَضَ وبَقِيَ عليه دَينٌ . فهذا الحديثُ وامثالُه لايَرمي الى غرضِ جمعِ المالِ الكثيرِ وتبريرِ التّكاثرِ المرفوضِ بوجهٍ،[2] بل يَرمي الى شجبِ الفقرِ ورفضِه والتّحذير من إلقاءِ الكَلِّ على الآخرين .

والقارئُ قَد اَشرَفَ بنفسِه على امثالِ هذه الاحاديثِ المادحةِ للغنى وعلى مغزاها (وهي قليلةٌ ومقصودُها معلوم)، بفضلِ الآياتِ والاحاديثِ الّتي مَرَّت عليه في الفصولِ وتَمُرُّ، والاصولِ المُتَّخَذَةِ منها . وجاءَ في الحديثِ الباقريِّ قولُه «ع« : «منَ طَلَبَ [الرّزقَ في] الدُّنيا استعفافاًعن النّاسِ وتوسيعاً على اهلِه، وتَعطُّفاً على جارِه، لَقِيَ اللّهَ عزَّ

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٩.

٢ ـ وقد عَقَدَ كلُّ واحدٍ من الشّيخين، صاحبي «الوسائل» و«المستدرك»، باباً بهذا العنوان : «عدم جوازِ جمعِ المالِ وتركِ الانفاقِ منه»، فلاحظ : الوسائل ١٥ / ٢٦٥، المستدرك ٢ / ٦٤٥.

وجلَّ يومَ القيامةِ ووجهُه مثلُ القمرِ ليلةَ البدر»[1]. وهذه التَّعاليمُ كلّها تَحُدُّ المالَ كسباً وجمعاً وغايةً.

فعلى هذا، اِنَّ الّذي وَرَدَ في الادعيةِ الشّريفةِ ايضاً، من ذكرِ المالِ وطلبِ العيشِ الواسع، يُحمَلُ على ما اَوضحناه، اذ من الواضحِ اَنَّ التّعاليمَ لا يَنقُضُ بعضُها بعضاً، واَنَّ مضمونَ الادعيةِ لايَخرُجُ عن حدِّ القصدِ الّذي اَقَرَّه الاسلام، ولاتَشمُلُ ما عَدَّه القرآنُ الكريمُ مُلْهياً، والاحاديثُ مُطْغياً، فاِنَّهما مرفوضان بالضّرورة،[2] ضرورةَ مرفوضيَّةِ «مادَّةِ الشَّهَوات»، و«يعسوبِ الكُفّار» و «ميراثِ الفراعنة» و.. فجَمعُ المالِ الّذي يُؤَدّي الى هذه الامور لا يُمكِنُ اَن يَكونَ موردالاَمرٍ وجوبيٍّ او ندبيٍّ، بل لا يُمكِنُ اَن يُعَدَّ مباحاً، او يُصبِحَ مسؤولاً من الله في الدّعاء، بل نُشاهِدُ اَنّ الائمَّةَ «ع» يَسألونَ اللّهَ تعالى ان لا يُترِفَهم ـ كما مرّ؛ وقد تَعَوَّذُوا باللّهِ من كثرة المال ـ كما مرّ. فالاسلام لايَدعو الى ما يُبَعِّدُ الانسانَ من الالتزامِ ويُقَرِّبُه من الانحلالِ العقيديِّ والعمليّ. واِنَّ القرآنَ الكريم قد شَنَّ الحربَ في وجهِ طُلّابِ المالِ وكانِزيه، من المتكاثرين والمُسرفين والمُترَفين والمستكبرين والطّواغيتِ الاقتصاديّين.

واِنَّ الهُداةَ الّذين يُلقُون مسؤوليَّةَ فقرِ النّاسِ وحرمانِهم وعُرْيِهم ومسكنتِهم على عاتقِ الاغنياء، كيف يُسَوِّغُونَ اِكثارَ المالِ وامتلاكَ الكثيرِ منه، الخارجَ عن الحدودِ القواميّة، الموجبَ لفقرِ الآخرين؟ واِنَّ المُعلِّمين المصلحين الّذين يَعُدُّون حرمانَ المحرومين من ذنوبِ اصحابِ الاموالِ الكثيرة، كيف يَحُضُّون على جمعِ المالِ بذلك المعنى او يَطلُبُونه، حتى يَجِدَ المتكاثرون ومدافعُوهم في كلامِهم لذلك مُبَرِّراً؟[3] اَضِف الى ذلك اَنَّ

---

١ ـ الكافي ٥ / ٧٨.

٢ ـ واِنَّ السَّعَةَ غيرَ الكثرة، كما مَرَّ في الفصلِ ٣٠، من هذا الباب.

٣ ـ راجع بهذا الصّدد: الفصل ٣، فقرة «يا»، والفصول ٢٣ الى ٢٩، من هذا الباب ايضاً.

الاسلامَ يَأْمُرُ بدفعِ المالِ الزّائدِ والكثير، حيث يَرىٰ اَنَّ كثرةَ المالِ تُوجِبُ اَن تَعْظُمَ الحُجَّةُ على صاحبِه، كما جاءَ في الحديث: «كناعندَأبي ـ عبدِالله «ع»، اِذ دَخَلَ عليه سَديرٌ الصّير فيّ، فسَلَّمَ وجَلَس. فقال له: "يا سَدير، ما كَثُرَ مالُ رجلٍ قطُّ اِلاّ عَظُمَتِ الحُجَّةُ لِلّهِ تعالىٰ عليه، فاِن قَدَرْتُم اَن تَدفَعُوها عن اَنفُسِكُم فافعَلوا". فقال له: يا بنَ رسولِ الله بماذا؟ قال: "بقضاءِ حوائجِ اِخوانِكُم من اموالِكُم". ثم قال: "تَلَقَّوا النِّعَمَ يا سَدير بحسنِ مجاوَرَتِها"».[1] واِنَّك تَرى اَنَّ حسنَ مجاوَرَةِ المالِ الكثيرِ اِنّما هو بدفعِه للِاخوان، كما يُصَرِّحُ به هذا التّعليم، لا بجمعِه وامساكِه واخراجِه من اِيدي الجماهير.

واِنَّ القولَ الفصل في هذا المقام، الّذي يُجمَعُ به بين ماوَرَدَ في الاحاديثِ والادعية، من مدحِ الغنى والمالِ وطلبِه، وما جاءَ في ذمِّه، هو ما جاءَ عن الامامِ الرّابع، عليِّ بنِ الحسينِ السّجّاد «ع»، من بعضِ اقوالِه وادعيتِه الشّريفة: «اللّهُمَّ اِنّي اَسْأَلُك خيرَ المعيشة، معيشةً اَقوىٰ بها على جميعِ حاجاتي، واَتَوَصَّلُ بها اليك في حياةِ الدُّنيا و في آخرتي، من غيرِ اَن تُتْرِفَني فيها فَاَطْغىٰ، او تَقْتُرَها عليَّ فاَشْقىٰ، واَوسِعْ عليَّ من حلالِ رزقك.. ولا تشغَلْني عن شكرِ نعمتِك عليَّ باِكثارٍ منها تُلْهيني عجائبُ بهجتِه، وتَفْتِنُني زَهَراتُ نَضرَتِه، ولا بالاِقلالِ عليَّ منها فيَقصُرَ بعملي كدُّه، ويَملَأَ صدري همُّه؛ واَعطِني من ذلك يا الهي غنًى عن شِرارِ خلقِك، وبَلاغاً به الى رضوانِك..»[2]. فيَحذَرُ الامامُ «ع» من الاكثارِ الماليِّ، في حين اَنَّه يَسأَلُ المعيشةَ والنّعمة.

وحيثُ انْتَهى بنا الكلامُ في هذه النّظرة، في البحثِ عن حَدَّيِ الغنى واِطارَيْه، يعني قسمَيه الممدوحِ والمرفوض، الى هنا، نَرىٰ من المناسبِ

---

١ ـ امالي الطوسي ١ / ٣٠٩؛ البحار ٧١ / ٤٧ ـ ٤٨. مع اختلافٍ يسير.

٢ ـ البحار ٩٠ / ٣.

اَن نُورِدَ كلاماً للعلاّمةِ المجلسيّ : «وَاعْلَم اَنَّ مجامعَ الهوىٰ خمسةُ امورٍ، وهي ما جَمَعَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ في قولِه : "... اَنّما الحياةُ الدّنيا، لَعِبٌ[١]، و لهوٌ [٢]، وزينةٌ [٣]، وتفاخُرٌ بينكم [٤]، وتكاثُرٌ في الاموال والاولاد [٥] ..[١]". والاعيانُ الّتي تَحصُلُ منها هذه الامورُ سبعة، يَجمَعُها قولُه تعالى : "زُيِّنَ للنّاسِ حبُّ الشَّهَواتِ من النّساء [١]، والبنين [٢]، والقَناطيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذّهب [٣]، والفضّة [٤]، والخيلِ المُسَوَّمة [٥]، والاَنعام [٦]، والحَرْث [٧]، ذلك متاعُ الحياةِ الدُّنيا، واللّهُ عندَه حسنُ المآب *[٢]"، فقد عَرفتَ اَنَّ كلَّ ما هو لِلّهِ فليس من الدُّنيا، و قدرُ ضرورةِ القوتِ وما لابُدّ منه من مسكنٍ وملبسٍ فهو لِلّه، اِن قُصِدَ منه وجهُ الله . والاستكثارُ منه تَنَعُّمٌ وهو لغيرِ الله . وبين التَّنَعُّمِ والضّرورةِ درجةٌ يُعَبَّرُ عنها بالحاجة . ولها طَرَفان وواسطة، طرفٌ يَقْرُبُ من حدِّ الضّرورةِ فلايَضُرُّ، فاِنَّ الاقتصارَ على حدِّ الضَّرورةِ غيرُ ممكن . وطرفٌ يَتآخَمُ جانبَ التَّنعُّمِ ويَقْرُبُ منه، وينبغي اَن يُحْذَرَ . وبينَهما وسائطُ متشابِهة . ومن حامَ حولَ الحِمى يُوشَكُ اَن يَقَعَ فيه . والحزمُ في الحذرِ والتّقوى، والتّقرّبِ من حدِّ الضّرورةِ ما امكن، اقتداءً بالانبياءِ والاولياء»[٣].

دفع لوهم

لقد وَرَدَ في كلامِ اميرِ المؤمنين «ع» في «نهجِ البلاغة» هذا المقطع : «.. اِنَّ المالَ والبنين حَرْثُ الدُّنيا، والعملَ الصّالحَ حَرْثُ الآخرة، وقديَجمَعُهُماالله لاقوامٍ ..»[٤]. وربما يَتَوَهَّمُ البعضُ اَنَّ هذا الكلامَ يَرمي الى

١ ـ سورة الحديد (٥٧) : ٢٠.

٢ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٤.

٣ ـ البحار ٧٣ / ٢٩.

٤ ـ نهج البلاغة / ٨٤؛ عبده ١ / ٥٦ ـ ٥٧.

اَنَّ المالَ الكثير الدُّنيويّ، يُمكِنُ اَن يُجمَعَ عند شخصٍ مع العملِ الصّالحِ الاُخرويّ ..

والجوابُ عن هذا الوهمِ معلومٌ ممّا سَلَف،[1] وعندَ منِ انْصَهَرَ بروحِ التّعاليمِ الاسلاميّة، غيرَ انّا لِاَن نُلقِيَ ضوءًا على الموضوعِ اكثرَ من ذي قبل، نَقولُ : لايُلائِمُ هذا الوهمُ التّعاليمَ الاسلاميّةَ الّتي تَقولُ بَانَّ المالَ الكثيرَ يُلْهي الانسانَ عن الالتزامِ ولا يُجامعُ التّقوى وانّهُ يُميتُ القلبَ ويُوهنُ الدّين، اَضِفْ الى ذلك اَنَّه لا يَجتَمِعُ من حلال . ومن جملةِ هذه التّعاليمِ الاسلاميّة، تعاليمُ عليٍّ «ع» نفسِه، وهو يُكَرِّرُ القولَ فيها عن التّضادِّ بين الدّنيا وحُبِّ المالِ وبين الآخرةِ والعملِ الصّالح لها . وهذا مشهورٌ من كلامِه وخُطَبِه ومواعظِه . ومنها قولُه الّذي يَجري مَجرَى المَثَل : «و هما بعدُ ضَرَّتان»[2] ـ يعني الدّنيا والآخرة . فَلْنُوضِحِ الكلامَ العلويَّ بالاشارةِ الى امور :

١ ـ لعلَّ المقصودَ من هذا الكلامِ هو المجتمعاتُ الّتي تَتَمَتَّعُ بُرشدٍ اقتصاديٍّ سالمٍ وكمالٍ خُلْقيٍّ ومعنويٍّ . ويَدُلُّ على ذلك تعبيرُه «ع» : «لِاَقوامٍ» (لا «لِاَفرادٍ»).

٢ ـ يُمكِنُ اَن يَجمَعَ اللّهُ الدّنيا والآخرةَ لاَقوامٍ ، بَان يَعمَلُوا بما في ايديهم من الغنى والمالِ الحلالِ لطلبِ الآخرةِ وكسبِها، بالانفاقِ والبذل، فلا يَتَكَدَّسُ المالُ عند ذلك طبعاً ولا يَخرُجُ عن ماهيَّتِه القَواميّة .

٣ ـ اَنَّ المالَ الّذي يُمكنُ اَن يَجتَمِعَ امتلاكُه مع آخرةٍ صالحة، لابُدَّ من اَن يَكونَ مشروعاً حلالاً . وهو لايكون كثيراً مُتَكَدِّساً، كما رأيتَ في

---

١ ـ خصوصاً ممّا اوردناه في شرحِ كلامِ الامامِ الصّادق «ع»، المشابهِ لهذا الكلام، فراجع : التّنبيه ١، من التّنبيهاتِ الّتي مَرَّت في الفصل ٢٣، من هذا الباب .

٢ ـ نهج البلاغة / ١١٣٣؛ عبده ٣ / ١٧٣.

التّعاليم .

٤ ـ اَنّ الامامَ الّذي يُؤَكِّد في تعاليمه ـ بتعابيرَ مختلفةٍ وكثيرة ـ على اَنَّ «الدّنيا والآخرةَ ضَرَّتان»، كيف يَقولُ : «وقد يَجْمَعُها اللّهُ لاقوام»؟ اِلّا اَن يَكونَ المرادُ صورةً خاصَّةً من الامر، ممّا تَصيرُ فيه «الحياةُ العاجلة» بما فيها، ذريعةً لطلبِ «الحياةِ الآجلة» بما فيها. وذلك لا يَكونُ ـ وِفْقَ التّعاليم ـ الّا ما اَشَرنا اليه، مِن كَونِ الغنى غيرَ تكاثريٍّ وغيرَ اترافيٍّ، وكان فضلُ المالِ مبذولاً في سُبُلِ الخير، لا مجموعاً مُتَكَدِّساً لمقاصدَ رأسماليّةٍ واستغلاليّة، ولم يكن ما يَبْذُلُه الممتلكون ذريعةً للإبقاءِ على دُخولِهم وامتصاصِهم، ولِشَقِّ الطّريقِ امامَهم لأرباحٍ ودخولٍ كثيرةٍ اُخرى تصاعديَّة .

٥ ـ اَنَّ كلمةَ «قد» في التّعبيرِ المذكور، تقليليَّةٌ ـ كما هو واضح . فالكلامُ ناظرٌ الى صُوَرٍ مخصوصة، ممّا يُوافِقُ الموازين الشّرعيّةَ في الامتلاك . فليس في هذا الكلامِ ايُّ مستَنَدٍ لاصحابِ الثَّرواتِ الكبيرة، اذ المقصودُ من المالِ الّذي قد يَجْمَعُهُ اللّهُ مع العملِ الصّالحِ لاقوامٍ، ليس الّا ما يَكونُ بنفسِه عملاً صالحاً ايضاً ـ امتلاكاً واستهلاكاً ـ وليس هو الّا ما كان مشروعاً محدوداً يمكن اجتماعُه من حلالٍ .

ففي هذا الضّوء، لا يُتَصَوَّرُ اَن يَكونَ هناك مؤمنٌ صالح،[1] قَدِ اجْتَمَعَ لَدَيه الكثيرُ الوافرُ من المال، مع حضورِ الفقرِ في النّاسِ وعمقِ وجودِه فيهم .

---

١ ـ ولعلَّه لايُكابِرُنا ايُّ مسلمٍ نابهٍ اَن نقول : اِنَّ المؤمنَ الصّالحَ منفقٌ بَذّال، قد اكتَسَبَ مالاً من غير معصية، و انفَقَه في غير معصية، لا رأسماليٌّ مُستَثمِر، ولاصاحبُ مَعمَل مستغِلٌّ، ولا مستوردٌ مُغالٍ بالاثمان، ولامحتكرٌ شرٌّ من السّارق، ولا مُمتلِكُ الاراضي الفسيحة والدُّورِ الكثيرةِ والبساتين الكبيرة، من الّذين يُحَرِّفُون المالَ عن مواضعِه، ويُخرِجُونه من كونِه قواماً للنّاسِ عامّة ويَجعَلُونه دُولةً بينهم .. وما الى ذلك .

ومما يَدُلُّ على المعنى المذكور، مَقطَعان من كلامِه الشّريف في هذه الخطبة :

١ ـ «فَاحذَرُوا من اللّهِ ما حَذَّرَكُم من نفسِه، وَاخْشَوه خشيةً ليست بتعذيرٍ، وَاعْمَلُوا في غيرِ رياءٍ ولا سُمْعَة، فإنَّه مَن يَعْمَلْ لغيرِ اللّهِ يَكِلْهُ اللّهُ لمَن عَمِلَ له ..»[١].

٢ ـ «اَلا! لا يَعْدِلَنَّ احدُكم عن القرابةِ يَرى بها الخَصاصة، اَن يَسُدَّها بالّذي لا يَزيُده اِنْ اَمْسَكَه، ولا يَنْقُصُه اِن اَهْلَكَه ..»[٢].

فالمُنذِرُ الّذي يَقولُ : «وَاخْشَوه خشيةً ليست بتعذير»، والمُرَبِّي الّذي يَقولُ، اِنَّ امساكَ المالِ لايَزيدُه وانفاقَه لا يَنقُصُه، كيف يُقِرُّ امتلاك الكثيرِ من المالِ حتى نَستَدِلَّ ببعضِ كلامِه عليه؟

ونحن دفعاً لامثالِ هذه التّوهّماتِ النّاشئةِ من عدمِ الامعانِ في مغازي هذا التّعليم وامثالِه الواردةِ في بعضِ الاحاديث ـ او منَ الدَّجْلِ والتّمويه حُبّاً للمالِ وجمعِه ـ ولاَن نَصونَ التّعاليمَ والمبانيَ الاسلاميّةَ عن التّحريف، او التّجزئةِ في الاستنباط، او التّسامحِ فيما لا يَجوزُ التّسامحُ فيه، وشجباً لِاَن يَتَمَسَّكَ بهذا الكلامِ وما يُضاهيه عُبّادُ المالِ ومُحامُوهم، نَزيدُ المقامَ ايضاحاً فنقول :

أ ـ اِنّ الامامَ يُصَرِّحُ في مُستَهَلِّ هذه الخطبة بَاَنَّ كُلَّ نفسٍ لها نصيبٌ من الرِّزقِ والمعاش (.. فاِنَّ الامرَ يَنزِلُ من السّماءِ الى الارض، كقَطَراتِ المَطَر الى كلِّ نفس، بماقُسِمَ لها من زيادةٍ ونقصان)، فيكونُ الامرُ الالهيّ (وهو تقديرُ الارزاقِ وانزالُها الى كلِّ نفس)، نازلاً من السّماءِ الى الارضِ الى كلِّ نفس ـ لا الى بعضِ النُّفوسِ دونَ بعضها ـ كما اَنَّ قَطَراتِ المَطَر تَنزِلُ حينما تَنزِلُ الى كلِّ نقطةٍ من نِقاطِ الارض، من الصّحاري والبَراري والسُّهول والجِبال والانهارِ والبِحار والقُرى والامَصار .. فهذا التّشبيهُ

---

١ و ٢ ـ نهج البلاغة / ٨٤؛ عبده ١ / ٥٧.

البليغ[1] يَقولُ اِنَّ لكلِّ احدٍ نصيباً من الرِّزقِ والمعيشة . واِنّما الفرقُ بالزّيادةِ والنُّقصان، لا بالعُدْمِ والتّكاثر والاملاقِ والتَّرف .

ب ـ كما اَنَّ المطرَ او الثَّلْجَ اذا تَجَمَّعَ في قُلَّةٍ من قللِ الجبالِ او بُقعَةٍ من بِقاعِ الارض اكثرَ من غيرِها ـ لِما هناك من اسبابٍ ومقتضيات ـ لا يَبقىٰ ذلك المقدارُ محبوساً عندَه، بل يُستَخْرَجُ منها و يُوصَلُ الى غيرِها، او تُوصِلُه هي بنفسِها الى قِطَعٍ تَحتاجُ اليه، فكذلك تَكونُ الاموالُ اذا تَكَدَّسَت عندَ اشخاصٍ او فِئات ـ لما هناك من اسبابٍ ومقتضيات ـ يَجبُ اَنْ تُخرَجَ منهم الى غيرِهم،[2] ممّن يَحتاجُ اليها :

(١) ـ اِنفاذاً لارادةِ اللّهِ سبحانه وحُكمِه؛ و

(٢) ـ اِقامةً لنظامِ العالَم (حيثُ يقولُ الامام عليٌّ «ع»: «بتقديرِ اَقسامِ اللّهِ للعبادِ قام وزنُ الامورِ للعالَم[3] ..»)؛ و

(٣) ـ تموينا لعِيالِ اللّهِ وعبادِه؛ و

(٤) ـ صيانةً لدينِ اللّهِ وشرائعِه؛ و

(٥) ـ تجسيداً للاُخُوَّةِ القرآنيّةِ في الواقعِ العينيّ؛ و

(٦) ـ سيراً على مقتضى العدل؛ و

(٧)ـ تركيزاً لِاُسُسِ القسط؛ و

(٨) ـ اِبقاءً للمالِ على حالتِه القَواميّةِ الّتي جَعَلَها الله له؛ و

(٩) ـ تحكيماً للصِّلاتِ الانسانيّة، و

(١٠) ـ تحصيناً لعِزِّ الاُمَّةِ (وللّهِ العِزَّةُ ولرسولِه وللمؤمنين) .

---

١ ـ وقد وردت التّعبيرةُ المذكورة عن النّبيِّ الاعظم «ص» ايضاً، فيما رواه الامامُ الباقر «ع» : «اِنَّ الرّزقَ لَيَنْزِلُ من السّماءِ الى الارض، على عدد قَطْرِ المطر، الى كلِّ نفسٍ بما قُدِّرلها ..» ـ راجع : «الفصول المهمّة» / ٢٨؛ «سفينة البحار» ١ / ٥١٨ .

٢ ـ ولعلّ هذا سرُّ ما جاءَ في الاحاديث، من «اَنَّ اللّهَ اَشرَكَ الفقراءَ في اموالِ الاغنياء» ـ راجع : الفصل ٣٧، من هذا الباب .

٣ ـ غرر الحكم / ١٤٨.

ج ـ اِنّ الامامَ عليّاً «ع» يُفَسِّرُ النُّقصان والزّيادةَ ببيانِ متعلّقاتِهما، كالاهلِ والنّفس، فيُومي بذلك الى مقاديرِهما وانّهما لا يَخرُجان عن الحدودِ المعقولة اِن كانا جاريَين في مجراهما الطّبيعيّ، من غيرِ اَيِّ عدوانٍ او اغتصابٍ او حرمان . ولعلَّ في كلمةِ «غفيرةً» (النَّكِرةِ المُنَوَّنة) ايضاً ايماءً الى قلّةِ ذلك الفرقِ بحسَبِ الموازينِ الاصليّةِ الاوّليّة .

د ـ جاءَ في هذه الخطبة، بعدَ المقاطعِ المذكورة، قولُه «ع» : «.. المرءُ المسلمُ البريءُ من الخيانةِ يَنتَظِرُمن اللّهِ إحْدَى الحُسْنَيَيْن : اِمّا داعيَ اللّهِ فما عندَاللّهِ خيرٌ له، وامّا رزقَ اللّهِ فاذا هو ذواهلٍ ومالٍ ومعه دينُه وحسَبُه ..»، فيَصِفُ المسلمَ بالبَرائة من الخيانة؛ ولقد وَرَدَ في عدَّةٍ من الاحاديثِ عَزْوُ الاغنياءِ والتُّجّارِ ـ الاّ المتقين منهم ـ الى الغصبِ والخيانة وسرقةِ ارزاقِ المحرومين واكلِ الضُّعفاء، كما مرّ في الفصولِ الماضية، من هذا الباب . فأَيْنَ هؤلاء من الّذين جَمَعَ الله لهمُ الدُّنيا والآخرة، ان كان امثالُ هؤلاء مرادَ اميرِ المؤمنين «ع»؟

هـ ـ ولعلّ في تعقيبِ الكلامِ بذكرِ المسلمِ البريءِ من «الخيانة» (مع انّه «ع» وَصَفَ التُّجارَ بـ «الخيانة» في كلامٍ آخر، وهو قولُه : «اِنّ اللّهَ يُعَذِّبُ سِتَّةً بستّةٍ : .. والتُّجارَ بالخيانة ..»[1] ومع قولِه بصددِهم في العهدِ الأشتريّ : «.. اَنَّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنامع، وتحكُّماً في البياعات»،[2] ممّا لا يَجتَمِعُ مع آخرةٍ صالحة)، ايماءً بيّناً الى اَنّ مرادَه «ع» ليس اولئك المتكاثرين الطّواغيت .

و ـ فمعنى كلام اميرِ المؤمنين «ع» في هذا المقام، لا يَختَلِفُ عن

---

١ ـ الكافي ٨ / ١٦٣؛ تحف العقول / ١٥٧. و قد وردت هذه التّعبيرةُ بصددِ التُّجّار، عن الامام الصّادق «ع» أيضاً، حيث قال : «يُهْلِكُ اللّهُ سِتّاً بسِتٍّ : الأُمراءَ بالجور، والعربَ بالعَصَبيّة، والدّهاقين بالكِبر، والتُّجارَ بالخيانة، وأهلَ الرُّستاقِ بالجهل، والفقهاءَ بالحسد» ـ (البحار٧٢ / ٢٠٧، عن «كشفِ الغُمَّة») .

٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

معاني كلامِه في سائر المقامات . وهو ايماءٌ الى فواصلَ معاشيَّةٍ بين النّاسِ لا تَخرُجُ عن الحدودِ الاسلاميَّة، ولاتَنتَهي الى حدِّ التّكاثرِ والتَّرَفِ والسَّرَف، فلا صِلةَ لكلامِه بتبريرِ تلكم الاَدواءِ الكبيرة، وقبولِ الهُوّةِ الاقتصاديَّةِ السّحيقةِ بين قطاعاتِ النّاس .

بحث آخر

لقد ورد في بعضِ الآياتِ والاخبارِ نسبةُ التّوسيعِ والتّضييقِ في الارزاقِ الى اللّهِ تعالى وتقديرِه . وهذا ثابت، غيرَ اَنّه لا يُثبِتُ قبولَ الاسلامِ لحضورِ الفقرِ في الجماهير (بصورِه المختلفةِ واضرارِه السّاحقةِ للدّينِ والدّنيا) واقرارِه كظاهرةٍ مجتمعيّةٍ مقبولةٍ وغيرِ مكافَحَة ـ كما اشرنا اليه ايضاً .

وذلك لأنّه من الضّروريِّ، اَنّ اللّهَ تعالى قد جعل ـ بمقتضى الرّحمةِ والحكمةِ والعدل ـ لكلِّ فردٍ من افرادِ الانسان و الحيوان رزقاً ومعاشاً، كما ورد في صريحِ الآياتِ القرآنيّةِ والاحاديثِ الكثيرة . هذا بحسب التّكوين . واما في التّشريع فقد اَمَرَ بالعدلِ والاحسانِ واداءِ الزَّكاتَين واطعامِ الجائعين واغناءِ البائسين، وسَلَبَ الايمان ـ بلسانِ اوليائِه[1] ـ عمّن يَبيتُ شبعانَ وجارُه جائع، وما الى ذلك من الكثيرِ الوارد، حتى التّنديدِ بالّذين يَمنَعُون الماعُون .

فاللّهُ ـ جَلَّت اسماؤُه وعَمَّت آلاؤُه ـ قد رَزَقَ الجميع، وقَسَمَ بينهم معايشَهم، وجَعَلَ رزقَ بعضٍ من بعض؛ وانّه يُوَسِّعُ ويُضَيِّق على حسبِ الحكمة، لكنّ الامرَ يجب ان لا ينتهيَ ـ استناداً الى الموازينِ الاسلاميّة . وعملاً برضا اللّه تعالى والرّسول «ص» ـ في التّوسيعِ الى حدِّ التّكاثر وفي

---

١ ـ وجاء في «الحديث القدسيّ» ايضاً، راجع :الفصل ٣٧، من هذا الباب .

التّضييق الى حدِّ العُدْم لولا اعتداءُ المعتدين، لانّهما خلافُ العدل . وربُّنا حكيمٌ عادلٌ لا يَظلِمُ احداً شيئاً، ولكنّ النّاسَ انفسَهم يَظلِمُون . ولقد ورد عن الامامِ اميرِ المؤمنين «ع» قولُه : «ايُّها النّاس! اعلموا انّ كمالَ الدّينِ طلبُ العلمِ والعملُ به . أَلا! وانّ طلبَ العلمِ اَوجَبُ عليكم من طلبِ المال، انّ المالَ مقسومٌ مضمونٌ لكم، قد قَسَمَه عادلٌ بينكم وضَمِنَه، وسَيَفي لكم؛ والعلمُ مخزونٌ عند اهلِه، وقد اُمِرتُم بطلبِه من اهلِه فَاطْلُبُوه»[1]. فقسمةُ العادلِ امرٌ قطعيٌّ لاريب فيه، والعدلُ لا يُؤدِّي الى الافراطِ والتّفريط، اى التّكاثرِ والفقر .

وهذا ما يُبَلْوِرُه جوهرُ التّعاليمِ القرآنيّةِ والحديثيّة، وقد اشتملت على لُمَعٍ منها فصولُ هذا الباب . وهنا نُورِدُ حديثين ونُشيرُ الى مؤدّاهما من التّعليمِ التّربويّ :

١ ـ ما رواه الشيخ بهاءُ الدّين الإربلي، في «كشفِ الغُمّة»، عن الامامِ الصادق «ع» : «.. واللّه عزّ وجل .. يُنزِلُ الرّزقَ على قدرِ المَؤُونة»[2]. وهذا صريحٌ في كفايةِ القسمةِ والتّقدير، لكلِّ من له مؤونة . فكلما وُجِدَ ذومؤونةٍ محتاجٌ وعائلٌ فقير، فما هو الاّ من ظلمِ الظّالمين، من المجتمعِ او الحكم .

٢ ـ ما رواه الشّيخ ابومحمد الحسنُ بنُ شُعبة الحرّاني، في «تُحَفِ العقول»، عن الامام الصادق «ع» : «اَلا! وانّ احبَّ المؤمنين الى الله، من اَعان المؤمنَ الفقيرَ من الفقر، في دنياه ومعاشِه»[3]. ومن اللّاحب اَنّ الانسانَ اِنّما يَصيرُ احبّ، بعد اَن اَتىٰ باحبِّ الاعمال . فالنّتيجةُ اَنّ اعانةَ المؤمنِ الفقيرِ من الفقر في حاجيّاتِه الدّنيويّةِ والمعاشيّةِ المختلفة،

---

١ ـ الكافي ١ / ٣٠.

٢ ـ كشف الغمّة ٢ / ٣٩٦، البحار ٧٢ / ٢٠٤ و ٢٠٨.

٣ ـ تحف العقول / ٢٧٧.

وتخليصَه من براثنِ العَوَزِ باعطائِه مالاً ومعونةً وباعدادِ ما يَحتاجُ اليه، واِغنائِه واخراجِه من حدِّ الحاجةِ الى حدِّ الاستغناء، هو احبُّ الاعمالِ الى اللّهِ تعالى.

ففي ضوءِ هذا التّعليمِ وامثالِه، هل يُوجَدُ مجالٌ لاَن يُظَنَّ اَنّ الفقرَ امرٌ يَرتضيه الاسلامُ ويُقِرُّ بقاءَه في النّاس، واِن كان في اصلِه تقديراً تكوينيّاً؟ فالفقرُ في ذلك يكون كالغَرَقِ مثلاً، فإنّا اذا صادَفْنا انساناً اَشرَفَ على الغرق، يَجبُ علينا انقاذُه لا تركُه، وان كان ما وَقَعَ له من كسرِ سفينتِه وسقوطِه في البحرِ تقديراً تكوينيّاً البتّة.

ومن هنا نَجِدُ تعاليمَ المعصومين «ع»، تَنسِبُ الفقرَ وبقاءَه في النّاس الى الظّلمِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ و السّياسيِّ والثّقافيّ،[1] فترى احتياجَ المحتاجين وفقرَ الفقراء من ذنوبِ الاغنياء[2]، وتقول: «اِنّ النّاسَ يَستَغْنُون اذا عُدِلَ بينهم»[3]، و «لو عُدِلَ في النّاسِ لَاسْتَغْنَوا»[4]. فاستغناءُ النّاسِ دليلُ العدل، والفقرُ دليلُ الظّلم. وهل يُنْسَبُ الظّلمُ الى احدٍ غيرِ النّاسِ

---

١ ـ وقد شَجَبَت تعاليمُهم «ع» الظّلمَ الثّقافيّ في صورٍ حاسمةٍ ايضاً. ومن تلكم التّعاليمِ كلامُ الامام جعفرِ بنِ محمّدٍ الصّادق «ع» في تصنيف العلماءِ وتقريعِ من يتصدّى منهم لتعليمِ ذوي العزّةِ والشّرف ولا يَعتَدُّ بتعليمِ المساكين وتثقيفِهم، فيقول: «.. ومن العلماءِ من يَرىٰ اَن يَضَعَ العلمَ عند ذوي الثّروةِ والشّرف ولا يَرىٰ له في المساكين وضعاً؛ فذلك في الدَّرَكِ الثّالثِ من النّار» ـ (روضة الواعظين / ٧؛ البحار ٢ / ١٠٨، عن «الخصال». راجع ايضاً: الفصل ٦، من الباب ٨، من هذا الكتاب، فقرة «يط»).

وهذا التّعليمُ بدورِه يَسوقُ العلماءَ الملتزمين والمثقّفين النّابهين لان يَضَعُوا العلمَ عند الفقراء والمساكين ايضاً، وان يُعلِّمُوا هؤلاء ويُربُّوا ناشئتَهم ويُثَقِّفُوهم ويُوَعُّوهم، لكي يَقدِرُوا هم بانفسِهم على التّدخّلِ في مجالاتِ الحياةِ المختلفة، فيَظفَرُوا باستردادِ حقوقِهم وازالةِ الحرمانِ والمسكنةِ عن انفسِهم وذويهم.

٢ ـ الوسائل ٦/٤، من حديث الامام الصّادق «ع»، راجع: «التّصدير»، البند ٩.

٣ ـ الكافي ٢ / ٥٦٨، من حديثِ الامام الصّادق «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢.

٤ ـ الكافي ١ / ٥٤٢، من حديثِ الامام الكاظم «ع»، راجع: الفصل ٤٦، من الباب ١٢.

انفسِهم؟ فالفقرُ الباقي مولودٌ للظّلمِ الّذي ارتكبه الاغنياءُ والحكمُ والنّظام بحقِّ الفقراءِ والمحتاجين والبُؤَساءِ والمساكين.

والكلمةُ النّهائيّةُ في هذا المقام، اَنّا لانقول اَنَّ الفقرَ يجب اَن لا يُوجَد (فهو يُوجَدُ في الافرادِ والقطاعات، في احوالٍ مختلفةٍ ولعللٍ متفاوتة، وخصوصاً عند الحوادثِ والنّوازل)، بل نقول اِنّه يَجبُ اَن لا يَبقىٰ، لاَنَّ بقاءَه يَدُلُّ على وجودِ الظّلم، والظّلمُ لايَرضاهُ اللّهُ والرّسول، ولا يُقِرُّه الإسلام. وكلُّ هذه المسائلِ واضحة، لمن كان له قلبٌ او اَلْقَى السَّمعَ وهو شهيد.

تأشير رئيسيّ باتّ نثير الاهتمام به

إنّ الّذي يُستَفادُ كـ«تأشيرٍ رئيسيٍّ باتٍّ»، ويُستَنبَطُ من الآياتِ والأخبارِ الّتي وَرَدَت بصددِ «نظرةِ الإسلامِ إلى الأموال وكيفيّةِ تداولِها بين الجماهير»، ومن مُقارَنَتِها والجمعِ بينَها، هو أنّ الإسلامَ يَرى أنّ لصلةِ الإنسانِ بالمالِ والمالِ بالإنسانِ خمسَ صُوَر، لكلٍّ منها حكمُها الّذي لو تُجُسِّدَ بشكلٍ صالح، لا يَبقى مجالٌ بعدَه للمفاسدِ المُدَمِّرةِ الّتي تَستَتْبِعُها قضيّةُ الأموالِ في النّاس؛ فَدُونَك الصُّوَر:

١ ـ الغنى التّكاثري.

٢ ـ الغنى الوافر.

٣ ـ الغنى الكفافيّ (الغنى المشروع).

٤ ـ الفقر.

٥ ـ المسكنة.

وإليك الإيضاحَ بصددِ الصُّوَر:

أمّا المسكنةُ فهي واجبُ الإزاحةِ فوراً، يعني أن يُعطَى المسكينُ ما يَلزَمُ لمعاشِه بلاتراخ، بحيث إن باتَ رجلٌ شَبعانَ وفي جِوارِه جائع، ولم يَسْمَعَ هو لإشباعِه، فليس الشَّبعانُ ممّن آمَنَ باللّهِ تعالى؛ ومَنِ اكْتَسىٰ وأخوه

عريان، فما آمَنَ باللّهِ تعالى[1] (وهل هناك مِلاكٌ سِوى الإيمان؟).

وأمّا الفقر (وهو قِلّةُ المستلزَماتِ المعيشيّةِ لا عدمُها)، فهو أيضاً واجبٌ أن يُكافَحَ ويُزاح، في بَرمَجَةٍ تجسيديّةٍ سريعة (نائيةٍ عن الشِّعارِ الفارغِ كلَّ النَّأْي)، وذلك لأنّ المجتمعَ الإسلاميَّ مجتمعٌ بلافقر، لامع الفقر، لأنّه مجتمعٌ «لا يُوجَدُ فيه عائلٌ ولا محتاج، ولا يُظلَمُ فيه مسلمٌ أو مُعاهَد» ـ على حدِّ تعبيرِ مولانا أميرِ المؤمنين «ع».[2]

وأمّا الغنى الكَفافيُّ (وهو ما حَصَلَ من الطُّرقِ المشروعة، ويَجعَلُ صاحبَه يَعيشُ على مستوًى مُعترَفٍ به من جهاتٍ مختلفة، فيَأكُلُ ويُطعِمُ ويَتزَوَّجُ ويَتَصَدَّقُ ويَحِجُّ ويُنفِقُ في سُبُلِ الخيرِ الفرديِّ والمجتمعيّ)، فهو الغنى الممدوحُ شرعاً، المرغوبُ فيه، وهو عَونٌ على التّقوى والآخرةِ باكتسابِ الصّالحاتِ به.

وأمّا الغنى الوافر، فهو مرفوض، وقد ذَمَّتْهُ التّعاليمُ بتعابيرَ حاسمة ـ كما مَرَّت في الفصولِ وتَمُرّ ـ ودَعَت صاحبَه إلى الإنفاقِ فالإنفاق، يميناً وشمالاً وقُدّامَ وخَلف، وباليدَين المفتوحتَين، لكي يَصيرَ مُتَبَدِّداً بين النّاس، ولا يَبقى مُتَكَدِّساً على حالتِه المُهلِكةِ في الدّنيا والآخرة.[3]

وإذا كان هناك داعٍ صحيح ـ من الحاجةِ الفرديّةِ أو المجتمعيّة ـ ولم يُنْفِقْهُ الغنيُّ نفسُه، فللحُكمِ الإسلاميِّ أن يَأخُذَهُ منه بالحكومةِ والولاية، ويَستهلِكَهُ في الإنفاقِ على المحرومين، وفيما يَنُوبُه من النّفقات.

وأما الغنى التّكاثريّ، فهو الطّامّةُ الكبرى، وهو واجبُ الدّفعِ فوراً أيضاً كالمسكنة، حيث إنّهما طرفا الإفراطِ والتّفريط. وهو المُطْغي والمُلْهي ـ بنصِّ الكتاب ـ وهو غدّةٌ سرطانيّةٌ لا يَحتَمِلُها الإسلامُ بوجه.

---

١ ـ راجع: الفصلَ ٤٦، من هذا الباب. ولاحظ أيضاً: كلامَ الفقيهِ الكبير، العلّامة السّيّد محمّد مهديّ بحرِ العلومِ الطّباطبائيّ (ـ آخرَ الجزءِ الثّاني)، في تكفيرِ مَن لا يَهتَمُّ بأمرِ المحتاجين.

٢ ـ الكافي ٨ / ٣٢.

٣ ـ راجع: فصولَ الإنفاق، من الباب ١٢.

واذا نظرنا إلى تعريفِ الإسلامِ للمال بأنّه القوامُ والقيام، وما جاء من الإمامين، الصّادقِ «ع» والكاظم «ع»، في حديثِ «جُنودِ العقلِ والجهل» من أنّ «المكاثــرةَ» ضدُّ «القــوام»،[1] نَعلَمُ بوضوحٍ أنّ المالَ التّكاثريَّ لامالِيّةَ له، لأنّه يُضادُّ ما يَعُدُّه الإسلامُ مالاً.

ولقد جاء من الإمام الباقر «ع»، بصددِ «تعريفِ المال»، أنّه مِصَحَّةٌ لشؤونِ الخلق؛[2] والمالُ التّكاثريُّ مفسدةٌ عظيمةٌ وإفسادٌ كبير ـ كما هو واضح ـ أضِف إلى ذلك أنّه ـ بل الأقلُّ منه أيضاً ـ لايجتمعُ من حلالٍ ومشروع ـ كما ورد في الأخبار[3]، وصَدَّقْتُه التّجربةُ الموضوعيّة؛ فهو يُصادَرُ فوراً، ويُرَدُّ إلى أهلِه المغصوبين المحرومين بلا تأجيل، حتى يُزاحَ عنهم الحرمانُ ويُلحِقُوا مستوى معيشتِهم بالآخرين، ثمّ يُستَهلَك ما بقي منه في سائرِ النّفقات. وإنّ حكمةَ هذا التّعجيلِ والتّخصيصِ غيرُ خافية، وأثرَه في بناءِ الأفرادِ وصونِهم عن السّقوطِ والتّميُّعِ وكذلك في صُنعِ المجتمعاتِ وتحصينِها غيرُ مجهول.

وقد يَشتَرِكُ الغِنَيان (التّكاثريُّ والوافر) في الحكمِ الأخير، إذا ظَهَرَ هناك للأسلامِ وللمجتمعِ الإسلاميِّ صالحٌ يَدعُو إلى حركةٍ تغييريّة.

ولقد أَحَسَّتِ البلادُ الرّأسماليّةُ مضارَّ الامتلاكاتِ التّكاثريّةِ بجلاء، فكافَحَتْها بفرضِ الضّرائبِ الباهظةِ على الإرثِ وأمثالِه، ولكنّ الإسلامَ قد عالَجَ الموضوعَ قبلَ أربعةَ عشر قرناً، فلم يُعُدَّ المالَ التّكاثريَّ مالاً.

وهذا كلُّه في «الامتلاك»، أمّا «الاستهلاكُ»، فمطلوبُ الإسلامفيهوأن يَصِلَ الجماهيرُ ـ في مجتمعٍ يَصنَعُه هو ـ إلى مُستَوًى معيشيٍّ متساوٍ أو متقارب.[4]

---

١ ـ الكافي ١ / ١٢؛ تحف العقول / ٢٩٦.

٢ ـ راجع: الفصل ١ و ٢٣ و ٢٤، من هذا الباب.

٣ ـ راجع: الفصل ٣، من هذا الباب.

٤ ـ راجع: الفصل ٤٧، من هذا الباب.

الفصلُ الثّاني والأربعون

الاقتصاد وصلته بالعمودين (الاخلاق، القوّة)

أ ـ الاخلاق الفاضلة

١ ـ التّقوى والحياة المادّيّة

الكتـــاب

١ وَكُلُوا ممّا رَزَقَكُمُ الله حلالاً طيِّباً واتَّقوُا الله ..[١]

٢ .. كُلُوا مِن رزقِ رَبِّكُم وَاشْكُروا لَه ..[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : مَن أُعْطِيَ خَمساً لم يَكُن له عذرٌ في تركِ عملِ الآخرة :

---

١ ـ سورة المائدة (٥) : ٨٨.

٢ ـ سورة سبأ (٣٤) : ١٥.

زوجةٌ صالحةٌ تُعينُه على امرِ دنياه وآخرتِه، وبَنون ابرارٌ، ومعيشةٌ في بلدِه، وحسنُ خُلقٍ يُداري به النّاس، وحبُّ اهلِ بيتي.[1]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق: نِعْمَ العونُ على تقوَى اللّهِ الغِنى.[2]

٣ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الكاظم: اِنَّ النّفسَ اذا اَحْرَزَتْ قوتَها اسْتَقَرَّتْ.[3]

٤ النبـــي «ص»: من السُّنَّةِ اذا خرَجَ القومُ في سفرٍ اَن يُخرِجوا نفقَتَهم، فاِنَّ ذلك اَطْيَبُ لاَ نفُسِهم واحسنُ لاَخلاقِهم.[4]

٥ الامام علي «ع»:.. واعْلَمُوا ـ يا عبادَ الله ـ اَنَّ المتَّقين حازُوا عاجلَ الخيرِ وآجلَه، شارَكُوا اهلَ الدّنيا في دنياهم، ولم يُشارِكْهم اهلُ الدّنيا في آخرتِهم؛ اَباحَهُمُ الله في الدّنيا ما كَفاهم به واَغناهم، قال اللّهُ عزَّ وجلَّ: «قُلْ: مَن حَرَّمَ زينةَ اللّهِ الّتي اَخرجَ لعبادِه والطَّيِّباتِ من الرّزق، قُل: هِي للّذين آمَنوا في الحياةِ الدّنيا خالصةً يومَ القيامة ..»، سَكَنُوا الدّنيا بافضلِ ما سُكِنَت، واَكَلُوها بافضلِ ما اُكِلَت، شارَكُوا اهلَ الدّنيا في دنياهم، فَاَكَلُوامعهم من طيِّباتِ ما يَأْكُلُون، وشَرِبُوا.من طيِّباتِ ما يَشرَبون ..[5]

٦ الامام الصادق «ع»: من دعائِهم (يعني آباءَه «ع»): اللّهُمّ! اِنّي اَسْأَلُك من فضلك الواسع، الفاضل، المُفَضَّل، رزقاً واسعاً حلالاً طيِّباً، بلاغاً للآخرةِ والدّنيا ..[6]

١ـ البحار ١٠٣ / ٢٣٨، عن «دَعَواتِ الرّاوندي».

٢ـ الوسائل ١٢ / ١٦.

٣ـ الكافي ٥ / ٨٩.

٤ـ البحار ٧٦ / ٢٦٩، عن «المحاسن».

٥ ـ امالي الطوسي ١ / ٢٥ ـ ٢٦، طبعة النّجف، مطبعة النُّعمان (١٣٨٤ هـ. ق).

٦ ـ المستدرك ٢ / ٤٢١.

٧ الامام الصادق «ع» : قال سلمان .. اِنّ النَّفسَ قدتَلْتاثُ على صاحبِها اذا لم يَكُن لها من العيشِ ما تَعتَمِدُ عليه، فاذا هيَ اَحْرَزَتْ معيشتَهَا اطْمَأَنَّتْ .[١]

٨ الامام الصادق «ع» : اللَّحمُ يُنبِتُ اللَّحم، ومن تَرَكَ اللَّحمَ اربعين صباحاً ساءَ خُلقُه .[٢]

٩ الامام الصادق «ع» ـ لمُصادفٍ مولاه : اِتَّخِذْ عُقدةً او ضيعَةً، فاِنَّ الرّجلَ اذا نَزَلَت به النّازلةُ او المصيبة، فذَكَرَ اَنَّ وراءَ ظَهْرِه ما يُقيمُ عِيالَه، كان اَسْخىٰ لنفسِه .[٣]

٢ ـ الدّنيا معمل ومتجر

الكتـــاب

١ وَابْتَغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدّارَ الآخرة، ولا تَنْسَ نصيبَك من الدُّنيا ..[٤]

٢ .. فَمِنَ النّاسِ مَن يَقولُ:رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا،ومالَه في الآخرةِ من خَلاقٍ * ومِنهم مَن يَقُول: رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النّار * اولئك لَهُم نصيبٌ ممّا كَسَبُوا واللّهُ سريعُ الحِساب *[٥]

---

١ ـ الكافي ٥ / ٨٩.

٢ ـ البحار ٦٦ / ٦٦، عن «المحاسن».

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٤٤.

٤ ـ سورة القصص (٢٨).

٥ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

الحديـــث

١ الامام الحسن «ع» : اِعْمَل لدُنياك كَاَنَّك تَعيشُ ابداً، وَاعْمَل لآخرتِكَ كَاَنَّك تَموتُ غداً .[١]

٢ الامام السجاد «ع» ـ فيما رواه الامامُ الباقر : ليس مِنّا مَن تَرَكَ دنياه لآخرتِه، ولا آخرتَه لدنياه .[٢]

٣ الامام الصادق «ع» : لاتَدَعْ طَلَبَ الرّزقِ من حِلِّه، فاِنَّه عَونٌ لك على دينِك . وَاْعقِلْ راحلتَك وتَوَكَّلْ .[٣]

٤ الامام الكاظم «ع» : .. اِجْعَلُوا لاَنفُسِكم حظّاً من الدُّنيا بِاعطائِها ما تَشتَهي من الحلال، وما لايَثْلُمُ المُروَّة، وما لا سَرَفَ فيه . واستَعينوا بذلك على امورِ الدّين، فاِنّه رُوِي : «ليس مِنّا مَن تَرَكَ دنياه لدينِه، او تَرَكَ دينَه لدنياه» .[٤]

٣ ـ رفض التّقشّف الباطل

الكتـــاب

١ قُل : مَن حَرَّمَ زينةَ اللّهِ الّتي اَخرَجَ لِعبادِه والطَّيِّباتِ من الرِّزق، قُل : هي

---

١ ـ البحار ٤٤ / ١٣٩؛ الوسائل ١٢ / ٤٩.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٤٩.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٢٠. .

٤ ـ تحف العقول / ٣٠٢.

للَّذين آمَنوا في الحياةِ الدُّنيا خالصةً يومَ القيامة، كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يَعلَمون *[1]

٢ يا اَيُّها الّذين آمَنوا، لا تُحَرِّمُوا طيِّباتِ ما اَحَلَّ اللّهُ لكُم ولاتَعتَدُوا، اِنَّ اللّهَ لايُحِبُّ المُعتَدين *[2]

٣ وكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حلالاً طيِّباً، وَاتَّقُوا اللّهَ الّذي انتُم به مُؤمِنون *[3]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ في قولِه تعالى : «يا اَيُّها الّذين آمَنوا،لاتُحَرِّمُوا طيِّباتِ ما اَحَلَّ اللّه ..»، الآية، نَزَلَت في ..عدّةٍ من اصحابِ النبيّ «ص»، اِنَّهُم اتَّفَقُوا على اَن يَصُومُوا النَّهار، ويَقُومُوا اللّيل، ولايَنامُوا على الفِراش، ولَا يأكُلُوا اللَّحم، ولايَقرَبُوا النّساء والطِّيب، ويَلبَسُوا المُسُوح، و يَرفُضُوا الدّنيا ويَسيحوا في الارض .. فخَطِبَ النّبيُّ «ص» : فقال : «ما بالُ اقوامٍ حَرَّمُوا النِّساءَ والطّيبَ والنَّومَ وشَهَواتِ الدّنيا؟ اَما اِنّي لستُ آمرُكم اَن تَكونوا قِسّيسين ورُهباناً، فاِنّه ليس في ديني تركُ اللَّحمِ والنّساء، ولا اتّخاذُ الصَّوامع، واِنَّ سياحةَ اُمّتي ورهبانيَّتَهُمُ الجِهاد ..»[4].

٢ الامام علي «ع» : قال له العلاءُ بنُ زيادٍ الحارثيّ، وهو من اصحابِه : يا اميرَ المؤمنين، اَشْكُو اليك اَخي عاصمَ بنَ زياد . قال : وما لَه؟ قال : لَبِسَ

---

١ ـ سورة الاعراف (٧) : ٣٢

٢ و ٣ ـ سورة المائدة (٥) : ٨٧ ـ ٨٨.

٤ ـ البحار ٤٠ / ٣٢٨، عن «المناقب».

العَباءَةَ وتَخَلّىٰ من الدّنيا. قال : عَليَّ به . فلّما جاءَ قال : يا عُدَيَّ نفسِه، لقدِ اسْتَهام بَك الخبيث، اما رَحِمْتَ اهلَك وولَدَك؟ اَترى اللّهَ اَحلَّ لك الطَّيِّباتِ وهو يَكْرَهُ اَن تَأْخُذَها؟ ..[1]

٣ الامام الصادق «ع» ـ مرَّ سفيان الثّوريُّ في المسجدِ الحرام فرَأى أبا ـ عبدِالله «ع» وعليه ثِيابٌ كثيرةُ القيمة حِسانٌ. فقال: واللّهِ لَآتِيَنَّه ولَأُوَبِّخَنَّه، فدَنامنه فقال : يا ابنَ رسولِ الله! ما لَبِسَ رسولُ اللّهِ «ص» مثلَ هذا اللِّباس، ولا عليٌّ «ع»، ولا اَحدٌ من آبائِك؟ فقال له ابو عبدِالله «ع» : كان رسولُ الله «ص» في زمنِ قَتْرٍ مُقْتِرٍ.. وانّ الدّنيا بعَدَ ذلك اَرْخَت عَزاليَها، فَاَحَقُّ اهلِها بها اَبرارُها .. غيرَ اَنّي يا ثوريّ! ما تَرىٰ عليَّ من ثوبٍ، اِنّما اَلبَسُه للنّاس . ثُمَّ اجْتَذَبَ يدَ سفيانَ فَجرَّها اليه، ثم رَفَعَ الثَّوبَ الاَعلىٰ واَخْرَجَ ثوباً تحتَ ذلك على جِلْدِه غليظاً، فقال : هذا اَلبَسُه لنفسي وما رَأيتَه للنّاس، ثم جَذَبَ ثوباً على سفيانَ اعلاه غليظٌ خَشِنٌ وداخلُ ذلك ثوبٌ لَيِّن، فقال : لَبِسْتَ هذا الاَعلى للنّاسِ ولَبِستَ هذا لنفسِك تَسُرُّها .[2]

٤ ـ اهميّة التّجمّل والتّزيّن وحسن الملبس والهيئة و استعمال الطّيب، دون تبذير وبذخ وسرف

الكتـــاب

---

١ ـ نهج البلاغة / ٦٦٢ ـ ٦٦٣؛ عبده ٢ / ٢١٣.

٢ ـ الكافي ٦ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

١ يا بَني آدمَ خُذُوا زينتَكُم عندَ كلِّ مسجدٍ ..[١]

٢ مَرَجَ البَحرينِ يَلْتَقِيان * .. يَخرُجُ منهما اللُّؤْلُؤُ والمَرجان *[٢]

٣ .. ومِنَ كُلٍّ تَأْكُلُون لَحماً طَرِيّاً وتَستَخرِجُون حِلْيَةً تَلبَسُونَها ..[٣]

٤ والخيلَ والبِغالَ والحَميرَ لِتَركَبُوها وزينةً ..[٤]

٥ قُل : مَن حَرَّمَ زينةَ اللّهِ الّتي اَخرَجَ لعبادِه؟ ..[٥]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن ابيه : وَقَفَ رجلٌ على بابِ النّبيِّ «ص» يَستَأذِنُ عليه . قال : فخَرَجَ النّبيُّ «ص» فوَجَدَ في حُجرتِه رُكْوَةً فيها ماء، فوَقَفَ يُسَوِّي لحيتَه ويَنظُرُ اليها . فلما رَجَعَ داخلاً قالت له عائشة : يا رسولَ الله! اَنتَ سيّدُ وُلْدِ آدمَ ورسولُ ربِّ العالمين، وَقَفْتَ على الرُّكْوَة، تُسَوِّي لحيتَك ورأسَك؟ قال : يا عائشة، اِنَّ اللّهَ يُحِبُّ اِذا خَرَجَ عبدُه المؤمنُ الى اخيه، اَن يَتَهَيَّأَ له واَن يَتَجَمَّل .[٦]

٢ الامام علي «ع» : لِيَتَزَيَّنْ احدُكم لاخيه اذا اَتاه، كما يَتَزَيَّنُ للغريبِ الّذي يُحِبُّ اَن يراه فى احسن الهَيئَة .[٧]

---

١ ـ سورة الاعراف (٧) : ٣١.

٢ ـ سورة الرّحمن (٥٥) : ١٩ و ٢٢.

٣ ـ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٤ ـ سورة النحل (١٦) : ٨.

٥ ـ سورة الاعراف (٧) : ٣٢.

٦ ـ مكارم الاخلاق / ١٠٩ ـ ١١٠.

٧ ـ مكارم الاخلاق / ١١١.

٣ الامام علي «ع» : فيما خاطَبَ به عاصِمَ بنَ زيادٍ الحارثيّ : .. وَيْحَك يا عاصم! اَتَرَى اللّهَ اَباحَ لك اللَّذاتِ وهو يَكرَهُ ما اَخَذْتَ منها؟ لَاَنْتَ اَهوَنُ على اللّهِ من ذلك . اَوَ ما سمِعْتَه يَقول : «مَرَجَ البحرين يَلْتَقِيان»، ثم قال : «يَخرُجُ منهما اللُّؤلُؤُ والمَرجان»؟ وقال : «ومن كلٍّ تَأْكُلُون لحماً طَرِيّاً وتَستَخْرِجُون حِلْيَةً تَلبَسُونَها»؟. اَما واللّه، ابتذالُ نِعَمِ اللّهِ بالفِعالِ احبُّ اليه من ابتذالِها بالمقال . وقد سَمِعْتُمُ اللّه يَقولُ : «واَمّا بنِعمَةِ رَبِّكَ فحَدِّثْ» وقولَه : «مَن حَرَّمَ زينةَ اللّهِ الّتي اَخرَجَ لِعبادِه والطَّيِّباتِ من الرِّزق». اِنَّ اللّهَ خاطَبَ المؤمنين بما خاطَبَ به المرسلين، فقال : «يا اَيُّها الّذين آمَنوا كُلُوا من طيِّبات ما رَزَقْناكُم»، وقال : «يا اَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالحاً» ..[١]

٤ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائِه : الدُّهْنُ يُظهِرُ الغنى، والثِّيابُ تُظهِرُ الجمال ..[٢]

٥ الامام علي «ع» ـ فيما وَصَفَ به المتَّقين : .. وتَجَمُّلاً في فاقة ..[٣]

٦ الامام الحسن «ع» ـ كان الحسنُ بنُ عليٍّ «ع»، اذا قامَ الى الصَّلاةِ لَبِسَ اَجوَدَ ثِيابِه، فقيلَ له : يا ابنَ رسولِ الله! لِمَ تَلْبَسُ اَجْوَدَ ثِيابِك؟ فقال : اِنَّ اللّهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمال، فاَتَجَمَّلُ لِرَبِّي، وهو يَقولُ : «خُذُوا زينَتَكُم عندَ كلِّ مسجدٍ»، فاُحِبُّ اَن اَلْبَسَ اَجْوَدَ ثِيابي .[٤]

٧ الامام الصادق «ع» : اِنّ اللّهَ يُحِبُّ الجَمالَ والتَّجَمُّل، ويُبغِضُ البُؤْسَ

---

١ ـ البحار ٤٢ / ١٧٣ ـ ١٧٤.

٢ ـ الخصال / ٩٢.

٣ ـ نهج البلاغة / ٦١٦؛ عبده ٢ / ١٨٨.

٤ ـ تفسير العيّاشي ٢ / ١٤.

٥

والتَّباؤُس، فإنَّ اللّهَ اذا اَنعَمَ على عبدِه بنعمةٍ اَحَبَّ اَن يَرىٰ عليه اَثَرَها. قيلَ : كيفَ ذلك؟ قال : يُنَظِّفُ ثوبَه، ويُطَيِّبُ ريحَه، ويُجَصِّصُ دارَه، ويَكْنُسُ اَفْنِيَتَه، حتى اَنَّ السِّراجَ قبلَ مغيبِ الشّمسِ يَنفي الفقرَ و يَزيدُ في الرِّزق.[1]

٨ الامام الصادق «ع» :رَكعتان يُصَلِّيهما مُتَعَطِّراً، افضلُ من سبعين ركعةً يُصلِّيهما غيرَ مُتَعَطِّرَة.[2]

٩ الامام الصادق «ع» : ما اَنْفَقْتَ في الطِّيبِ فليس بسَرَفٍ.[3]

١٠ الامام الرضا «ع» : كان يُعرَفُ موضعُ جعفرٍ (الصّادق) في المسجد، بطيبِ ريحهِ وموضعِ سجودِه.[4]

٥ ـ من اسباب السّعادات

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : من سعادةِ المسلمِ سَعَةُ المسكن، والجارُ الصّالح، والمَركبُ الهَنيء.[5]

٢ الامام الصادق «ع» : ثلاثةٌ هُنَّ من السَّعادة : الزّوجةُ المُؤاتية، والولدُ البارّ،

١ـ الوسائل ٣ / ٣٤١.

٢ و ٣ و ٤ ـ مكارم الاخلاق / ٤٤ و ٤٣ ـ ٤٤.

٥ـ الوسائل ٣ / ٥٥٨.

والرّجلُ يُرزَقُ معيشتُه، يَغدو على اصلاحِها ويَروحُ الى عيالِه.[1]

* هذه التّعاليمُ ايضاً تَشجُبُ الفقرَ وتَرفُضُه، اذ من شأنِ المجتمعِ الاسلاميِّ اَن يكونَ فقراؤُه ومساكينُه ايضاً مُتمكِّنين من التّجمُّلِ والتَعطُّر، ولاسيّما في الصَّلاة والجماعات (لاَنَّ المؤمنين اِخْوَةٌ، بنصِّ القرآن، وهل تكونُ هذه الاُخُوَّةُ امراً لفظيّاً يَتَقَلْقَلُ على اللّسان؟ وان لمْ تكُن هكذا فالى ايِّ مَدًى يَصِحُّ اَن يكون الفرق بين الاخوان؟) فلايَسَعُنا اَن نَدَّعِيَ اَنَّ هذه المزايا تَكونُ وقفاً على الاغنياءِ والموسرين. ولقد رَأَيْنا الامام جعفراً الصّادق «ع» يَقولُ بحقِّ الفقير: «.. فَلْيُعْطِه ما يَأْكُلُ ويَشرَبُ ويَكْتَسي ويَتَزَوَّجُ ويَتَصَدَّقُ ويَحِجّ»[2]. وحينما سَأَلَهُ اسماعيلُ بن جابر: يَحِلُّ للرّجلِ اَن يَأْخُذَ الزَّكاةَ وهو لايَحتاجُ اليها فيَتَصَدَّقُ بها؟ قال: «نَعَم»[3].

تنبيـــه هامّ

اِنَّ الاخلاقَ الاقتصاديّةَ ركنٌ اساسيٌّ في ايِّ مذهبٍ اقتصاديٍّ. ولعلَّنا لانَحتاجُ الى عقدِ فصلٍ او فصولٍ خاصّةٍ لرسمِ خُطوطِ تلك الاخلاقِ في الاسلام. وذلك لِاَنَّ جميعَ فصولِ هذين البابين تَرسُمُ هذه الخُطوطَ وتُبَيِّنُ حدودَها ومحتواها بوضوح. ولعلَّ هناك فصولاً يَجدُرُ بها اَن تُسمَّى «الاخلاقَ الاقتصاديّةَ في الاسلام»، غيرَ اَنّا نَكِلُ تدوينَها واعدادَها بصورةٍ علميّةٍ منظومة، الى مَن له الاهليّةُ لذلك ـ من مختلِفِ الجهات ـ من العلماءِ والاساتذةِ

---

١ ـ امالي الطّوسيّ ١ / ٣٠٩.

٢ و ٣ ـ الوافي ٢ (م ٦) ٢٥.

الباحثين والاَخِصّائيّين . ولاتوفيقَ الاّ من اللّهِ العليمِ الحكيم .

ب ـ القوّة الغالبة

١ ـ القوّة والعزّة الشّعبيّة

الكتـــاب

١ ويُمْدِدْكُم باموالٍ وبَنينَ، ويَجعَلْ لكُم جنّاتٍ ويَجعَلْ لكُم اَنهاراً *[١]

٢ .. يُرسِلِ السَّماءَ عليكم مِدْراراً ويَزِدْكُم قُوَّةً الى قُوَّتِكُم ..[٢]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : اَتَتِ المَوالي اميرَ المؤمنين «ع» فقالوا : نَشكُو اليك هؤلاءِ العرب : اِنَّ رسولَ اللّهِ «ص» كان يُعطينا معهم العَطايا بالسَّويَّة، وزَوّجَ سلمانَ وبلالاً وصُهيباً، واَبوا علينا هؤلاء، وقالوا : لا نَفعَل . فذَهَبَ اليهم[٣] اميرُ المؤمنين «ع» فكَلَّمَهم فيهم، فصاحَ الاعاريب : اَبَينْا ذلك يا

---

١ ـ سورة نوح (٧١) : ١٢.

٢ ـ سورة هود (١١) : ٥٢.

٣ ـ اي : الى العرب .

ابا الحسن، اَبينا ذلك! فخَرَجَ وهو مُغضِبٌ يَجُرُّ رِداءَه، وهو يَقولُ : يا معشرَ الموالي، اِنَّ هؤلاء قد صَيَّرُوكُم بمنزلةِ اليهودِ والنّصارى، يَتَزَوَّجُون اليكُم ولا يُزَوِّجُونَكُم، ولا يُعطونَكُم مثلَ ما يَأْخُذُون؛ فَاتَّجِرُوا بارَكَ اللّهُ لكُم ..[1]

٢ الامام الصادق «ع» ـ عن المُعلَّى بنِ خُنَيس قال : رَآني ابو عبدِالله «ع» وقد تَأَخَّرْتُ عن السّوق، فقال : اُغْدُ الى عِزِّك .[2]

٣ الامام الصادق «ع» ـ الفُضيل بنُ يَسار قال : قال ابو عبدِالله «ع» : اَيُّ شيءٍ تُعالج ؟ قلت : ما اُعالِجُ اليومَ شيئاً . فقال : «كذلك تَذهَبُ اموالُكم»، وَاشْتَدَّ عليه .[3]

٤ الامام الصادق «ع» ـ عن مَعاذِبنِ كثير، بَيّاعِ الأكْسِيَة، قال : قلتُ لابي ـ عبدِالله «ع» : اِنّي هَمَمْتُ اَن اَدَعَ السّوقَ، وفي يدي شيءٌ . فقال : اِذاً يَسقُطُ رَأْيُك، ولا يُستَعانُ بك على شيءٍ .[4]

٢ ـ القوّة والمنعة العسكريّة

الكتـــاب

١ وَاَعِدُّوا لهُم مَا اسْتَطَعْتُم من قُوَّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ، تُرهِبُون به عَدُوَّ اللّهِ وعَدُوَّكُم وآخَرِين من دونِهم لا تَعلَمُونَهم، اللّهُ يَعلَمُهم، وما تُنفِقُوا من شيءٍ في

---

١ ـ الكافي ٥ / ٣١٨ ـ ٣١٩.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٣.

٣ و ٤ ـ الكافي ٥ / ١٤٩.

سبيلِ الله يُوَفَّ اليكُم وَانتُم لا تُظلَمُون *[1]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : اِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ .[2]

٢ النبـــي «ص» : اِرْبِطُوا الخيلَ فاِنَّ ظُهورَها لكُم عِزٌّ، واجوافَها كنزٌ .[3]

٣ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاشتري : .. فالجُنودُ باذنِ اللّهِ حصونُ الرَّعيَّة، وزينُ الوُلاة، وعزُّ الدّين، وسُبُلُ الاَمن، وليس تَقومُ الرّعيَّةُ الاّ بهم . ثمّ لا قِوامَ للجنودِ الاّ بما يُخرِجُ اللّهُ لهم من الخَراج، الّذي يَقوَون به على جِهادِ عدوِّهم، ويَعتَمِدُون عليه فيما يُصلِحُهم، ويَكونُ من وراءِ حاجتِهم ..[4]

٤ الامام علي «ع» : كلُّ مَقدُرةٍ يَحتاجُ الى بَذلٍ .[5]

٥ الامام السجاد «ع» ـ جاءَ في دعائِه لاهلِ الثُّغورِ ما يَدُلُّ على اهميَّةِ المالِ ودَورِه في تجسيدِ الأمنِ والسَّلامِ وحفظِ ثُغورِ الاسلام : اللّهمَّ! صلِّ على محمَّدٍ وآلِه، وحَصِّن ثُغورَ المسلمين بعِزَّتِك، وايِّدْ حُماتَها بقوَّتِك، واَسبِغْ عطاياهم من جِدَتِك .. و واترْ بينَ مِيَرِهم .. واَسبِغْ عليه (الغازي) في النَّفَقة .. اللّهُمَّ! وايُّما مسلمٍ خَلَفَ غازياً او مُرابِطاً في داره، او تَعَهَّدَ خالِفيه في غيبتِه، او اَعانَه بطائفةٍ من مالِه، او اَعَدَّه بعِتادٍ .. فآجِرْ له مثلَ اَجرِه وزناً

---

١ ـ سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ و ٣ ـ مجمع البيان ٤ / ٥٥٥.

٤ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٥ ـ البحار ٧٨ / ٧؛ عن «مطالب السُّؤول».

بوزنٍ ومِثْلاً بمثلٍ .[1]

* بما اَنَّ هذه الدّارَ دارُ الاسباب، نُشاهِدُ اَنَّ اِمدادَ اللّهِ لاهلِ الثُّغورِ والمُرابطين ايضاً يَكونُ باموالٍ تَجري لهم على ايدي النّاس، فيَكونُ المال، من هذه الجهة، ايضاً قواماً للنّاسِ وقياماً . ومن هنا، يَدعُو القرآنُ الكريم النّاسَ الى الجهاد في «سبيل الله»، بـالأموال (يعني : «الإنفـاق»)، و بالأنفُس (يعني : «الجِهـاد»).

---

١ ـ الصحيفة السجادية / ١٨٠ ـ ١٨٩ (الدعاء ٢٧).

نظرة الى الفصـــل

١ ـ الاقتصاد وصلتُه بالعمودين (الاخلاق والقّوة): اِنّ صلةَ الاقتصادِ بالاخلاقِ والقوّة، وتَشابُكَ المادَّةِ والمعنى والمعنى والمادَّةِ في حياةِ الانسان، الفرديّةِ والاجتماعيّة، والدّينيّةِ والسّياسيّة، والتّربويّةِ والثّقافيّة، امرٌ واضحٌ لايَحتاجُ الى تَجشُّمِ التّدليـلِ عليـه؛ إذِ الانسانُ يَعمَلُ كلَّ ما يَعمَل، بوجودِه الطّبيعيِّ، وهو يَحتاجُ الى ما في الطّبيعةِ من الموادِّ والمواهب، ولا فرقَ في ذلك الاحتياجِ الفطريِّ المُبرَم، اَكان ذلك العملُ ماديّاً ايضاً ام معنويّاً. فمادامَ الانسانُ حيّاً، يَسكُنُ روحُه في بدنِه، فهو يَحتاجُ الى المادَّةِ والغِذاء، حتى للفكرِ والخلوةِ والمناجاة، فضلاً عن غيرِها. ولابيانَ لهذه الحقيقةِ الرّاهنةِ اَصرَحُ وآكَدُ واكثرُ حَسْماً من قولِ النَّبيِّ المُرشدِ الاكبر «ص»: «اللّهُمَّ بارِك لنا في الخُبز، ولا تُفَرِّقْ بينَنا وبينَه، فلو لا الخُبزُ ما صُمْنا، ولاصَلَّينا، ولا اَدَّينا فرائضَ ربِّنا عزَّ وجلّ»[١].

فوجودُ الصِّلاتِ الطّبيعيّةِ الجذريّةِ بين المُؤَنِ المادّيّةِ والحياةِ الرّوحيّة، امرٌ مسلّمٌ لا يُنكَر،[٢] حتى اَنَّ التّعليمَ الصّادقيَّ يَقولُ: «رَكعتان يُصلّيهما مُتعَطِّراً افضلُ من سبعينَ ركعةً يُصلّيهما غيرَ مُتَعطِّرَة»[٣]. وهلِ العِطرُ والطّيبُ يَحصُلُ بلا مؤونةٍ ودفعِ ثمن. وهل يَصِحُّ ان تكونَ هذه الامورُ موقوفةً على الاغنياء، ولايكونُ للفقراء فيها نصيب؟

---

١ ـ الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ ـ راجع: الفصل ٥، من هذا الباب ايضاً.

٣ ـ مكارم الاخلاق / ٤٤.

٢ ـ القوّةُ والمَنْعةُ العسكريّة : نُشيرُ هنا في اقتضابٍ، الى دَورِ المالِ في تحصيلِ القوّةِ العسكريّة . من المعلومِ اَنَّ القوَّةَ العسكريّةَ الجاهزةَ من اهمِّ ما يَلزَمُ لحفظِ الاسلامِ وكيانِه وتحصينِ المسلمين وعزِّهم وبلادِهم ومناجِمهم وكلِّ ما يَكونُ بحضرتِهم من حولٍ وطول . وهذه القدرةُ لاتَحصُلُ الاّ بالتَّقدُّمِ البالغِ في العلومِ والصِّناعاتِ العسكريّةِ والتَّقنيَّةِ الحربيّة، وبصنْعِ واعدادِ اَحْدَثِ الآلاتِ الحربيّةِ المعاصرة واَقدرِها واَدقِّها . وهذه القوّة، هي الّتي يُحفَظُ بها سائرُ قوّاتِ المسلمين وقُدُراتِهم، من الدّينيّةِ والثّقافيَّةِ والاقتصاديَّةِ والعلميّةِ والفنّيَّةِ والزِّراعيّةِ والصِّناعيّة . فالتّأكيدُ الّذي جاءَ به الاسلام، بهذه القولةِ المُرِنَّةِ في جوِّ عالمِ الاسلام : «وَاعِدُّوا لهُم مَا اسْتَطَعْتُم من قُوَّةٍ ومن رباطِ الخَيل»، اِنّما جاءَ به لايقاظِ الشُّعورِ ولَفتِ الانظارِ الى هذه النّاحيةِ العظيمة، من كسبِ القوَّةِ العسكريَّةِ واَجهزَتِها، فاِنَّ القوَّةَ الرَّمي، كما رُوِيَ عن النّبيّ «ص» . واِنّ رميَ كلِّ زمانٍ ما يُناسِبُه، وهو ما يكونُ مانعاً حريزاً، بل على المسلمين وحُماةِ القرآنِ اَن يكونوا اشدَّ تقدُّماً في كسب القوَّةِ والمَنعَةِ من غيرِهم، واجدين لاحدثِ الاسلحةِ العصريّة، وان يُزَوِّدُوا الشُّعوبَ المُستضعَفةَ ويُسَلِّحُوها أيضاً، حتى تَثُورَ في وجهِ المستكبرين .

تذييل

لقد تَكَلَّمْنا في الفصلِ الاوّل، من هذا الباب، عن اهميَّةِ المالِ وقواميَّتِه، وفي الفصلِ الثّاني عن دورِ المالِ في بقاءِ المجتمع، في جريانِه المُتوازن، وفي الفصلِ الثّالثِ عن حرمةِ المالِ وعن الغاياتِ الصّالحةِ لطلبِه، واهميَّةِ كسبِه وصيانتِه، وبعضِ آثارِه الايجابيّةِ الفرديّةِ والاجتماعيّة، وفي الفصلِ الرّابع عن الاِمدادِ الالهيِّ بالاموال، وفي

الفصلِ الخامسِ عن دَورِ المُؤَنِ المادّيَّةِ في الحياةِ الرُّوحيَّةِ وفي اداءِ الفرائضِ واقامةِ الشّعائر؛ وكلّ ذلك قد عَقَدْنا له فصولاً لاهميّتِه المسلّمة، فراجع تلك الفصولَ والنّظراتِ اليها اذا شِئت.

والآن نَقولُ ايضاحاً لهذه المسائل، اِنّ للغنى والمالِ دَوراً ايجابيّاً يَجِبُ اَن لا نَنْساه، واِنَّ الاسلامَ لا يَرفُضُ المالَ وطلبَه وجمعَه اذا كان لغاياتٍ صالحة وفي حدودٍ قَواميّة من غيرِ ظلمٍ ولا عدوان، وامّا ما خالَفَ ذلك فلايُقِرُّه. فكلّما وُجِدَ اغنياء متموِّلون، اكتَسَبوا اموالاً وحازُوها وتَجَنَّبُوا سلبيّاتِ التّكاثرِ والارستُقراطيّة، ووَعَوا احكامَ دينِ الله في المكسب والمَتجرِ وفي الجمعِ والانفاقِ وراعُوها، ولم يَظلِموا احداً في الاستيرادِ والانتاجِ والتّوزيعِ والاستثمارِ والتّسعير، ولم يَستَغِلُّوا الكادحين، ولم يُضيِّقُوا على الاُجَراءِ والعُمّالِ ولم يَبخَسُوا حقَّ احدٍ، ولم يُسرِفوا ولم يَقتُروا وكان امرُهم بين ذلك قَواماً، اِنّ هؤلاءِ اذا كانوا غيرَ متكاثرين ولا مُدَّخِرين وكانوا مُتَجنِّبين الاَثَرَة، ولم يَجنَحُوا الى الاستكبارِ والبُخل، ولم يَعْثَوا ولم يُفسِدوا ولم يَبْطَرُوا، وأنفَقُوا جميعَ ما عليهم من الحقوقِ الفرديّةِ والعائليّةِ والاجتماعيّة، الظّاهرةِ منها والباطنة، وَاجْتَنَبُوا التَّرَفَ والبَذَخ، ولم يَفرُضُوا شيئاً على الحُكمِ والتّشريع، فلعلَّ الاسلامَ لا يَرفُضُهم، غيرَ اَنّ هذا النَّوعَ من الغنى لايَبلُغُ حد التّكاثرِ والرّأسماليّةِ المصطلحة ابداً، لاكمّاً ولاكيفاً،[1] وان بَلَغَ فهو ليس هذا المذكور.

---

١ ـ جاءَ في «لئالي الاخبار» (ص ١٦٤ ـ ١٦٥): «.. ومن مفاسِدِه (الغِنى)، اَنَّ فيه الخطرَ من ترك مواساة الاِخوان سيَّما الفقراءِ والمساكينِ والارحام .. قال بعضُ الاكابر: "لولم يكُن في الغنى الاّ الخطرُ من ترك مواساة الفقراءِ والمساكينِ ومساعدةِ الضّعفاء، لكان كافيا؛ اِن هو قامَ بها ذَهَبَ بمامعه وصار في النّاس فقيراً .." وقال بعض آخر: "الاغنياءُ اشقى الاشقياء واحمقُ الحُمَقاء، يجمعون الاموال بانواعِ المَراراتِ والزّحماتِ وصرفِ الاوقاتِ الّتي هي اعزُّ الاشياء، ويَحفظُونها بانواعِ المشقّاتِ والخطرات والصّدمات، ويَترُكونها بالفِ حسرة .."». ومن الواضح، اَنّ هذه التنديدات والتقريعات، اِنّما تَرجِعُ الى جمعِ المالِ وحبِّه والادِّخار، لا الى الكسبِ والطّلبِ للاستهلاكِ السّالمِ والانفاق.

ولأجلِ استثناءِ ما ذُكِرَ من الغنى المحدود، الحائزِ للشّرائط، المُؤَدّي للحقوق، يَقولُ النّبيُّ «ص» عندَ ذَمِّ الغِنىٰ والغنيّ : «كلُّ غنيٍّ مُترَف»، فيُضيفُ الى الغنيِّ وصفَ الاتراف، ويُسمّي كُلَّ غنيٍّ مُترَفٍ ميّتاً . ويَقولُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع» : «مَن يَستَأْثِرْ من الاموالِ يَهْلِك»، فَيُنيطُ الهلاكَ بالاستئثار .

نَعَم، بهذا القسمِ من الغنى المشروع، الّذي يُشَدُّ به ظَهرُ المجتمع، حيث يُحفَظُ فيه موضعُ المالِ الالهيِّ القواميّ، ويكونُ مبذولاً لادُولةً، يُقامُ العَمودان :

١ ـ الاخلاقُ الفاضلة .

٢ ـ القوّةُ الغالبة .[1]

---

١ ـ راجع أيضاً، بروحِ الملاحظة والإمعان: «التّأشيرَ الرّئيسيَّ البات»، الّذي مَرَّ في منتهى النّظرةِ إلى الفصلِ السّابق.

الفصلُ الثّالث والأربعون

أصالة التّذرّع بالمواهب الطّبيعيّة والاستمتاع الملتزم منها للفرد والمجتمع

الكتـــاب

١ هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الارضَ ذَلولاً، فَامْشُوا في مَناكِبِها وكُلُوا من رزقِه ..[١]

٢ .. هُوَ اَنْشَأَكُم من الارضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فيها ..[٢]

٣ وَابْتَغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدّارَ الآخِرة، ولا تَنْسَ نَصيبَك منَ الدُّنيا، واَحْسِنْ كما اَحسَنَ اللّهُ اليك ..[٣]

٤ .. ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقين *[٤]

الحديـــث

---

١ ـ سورة الملك (٦٧) : ١٥.

٢ ـ سورة هود (١١) : ٦١.

٣ ـ سورة القصص (٢٨) : ٧٧.

٤ ـ سورة النحل (١٦) : ٣٠.

أ ـ قيمة الحياة واهميّتها

١ النبـــي «ص» : لا تَسُبُّوا الدّنيا، فنِعْمَتْ مطيَّةُ المؤمن، فعليها يَبلُغُ الخير، وبها يَنجُو من الشَّرِّ.[١]

* يعني : بطلبِ المعرفةِ الصّحيحةِ عن اللّهِ تعالى وعن النّفس والعالم، والحصولِ على علمٍ صادق، و بفعلِ الصّالحات وتركِ السَّيِّئات.

٢ النبـــي «ص» ـ لابي ذرٍّ الغِفاري : كُن على عمرِك اشحَّ منك على درهمِك.[٢]

٣ الامام علي «ع» : اِنّ الدُّنيا دارُ صدقٍ لمَن صَدَقَها، ودارُ عافيةٍ لمن فَهِمَ عنها، ودارُ غنًى لمَن تَزَوَّدَ منها، ودارُ موعظةٍ لمَنِ اتَّعَظَ بها، مسجدُ احبّاءِ الله، ومُصَلّىٰ ملائكةِ الله، ومهبطُ وَحْيِ الله، ومَتْجَرُ اولياءِ الله، اِكْتَسَبُوا فيها الرَّحمة، ورَبِحُوا فيه الجَنة..[٣]

٤ الامام الباقر «ع» ـ في تفسيرِ قولِه تعالى : «ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقين»، قال : الدّنيا.[٤]

٥ الامام الباقر «ع» : نِعمَ العَونُ الدُّنيا على الآخرة.[٥]

---

١ ـ البحار ٧٧ / ١٧٨، عن «اعلام الدّين».
٢ ـ سفينة البحار ٢ / ٢٥٨.
٣ ـ نهج البلاغة / ١١٤٨؛ عبده ٣ / ١٨٢.
٤ ـ المستدرك ٢ / ٤١٦.
٥ ـ الوسائل ١٢ / ١٧.

ب ـ حثّ وتحضيض

٦ الامام السجاد «ع» : مَنِ اتَّخَذَها دارَ قرارٍ ومنزلَ اسْتيطانٍ، فإنَّها دارُ قُلْعَةٍ ومنزلُ بُلْغَة ودارُ عملٍ ، فتَزَوَّدُوا الاعمالَ الصّالحة، قبلَ تَفرُّقِ ايّامِها ..[١]

٧ الامام الصادق «ع» : كان فيما وَعَظَ به لقمانُ ابنَه : يا بُنّي! .. اِنَّما انتَ عبدٌ مُستَأجَرٌ قد اُمِرْتَ بعملٍ ، ووُعِدْتَ عليه اجراً، فَاوْفِ عملَك، وَاسْتوفِ اجرَك .[٢]

ج ـ التزام وتيقّظ

٨ الامام علي «ع» ـ من دعاءٍ له : اللّهُمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد، وَارْزُقْني رزقاً واسعاً، حلالاً طيِّباً، نُؤَدّي به اماناتِنا، ونَستَعينُ به على زمانِنا، ونُنفِقُ منه في طاعتِك، وفي سبيلِك ..[٣]

٩ الامام السجاد «ع» : اللّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه، وسَدِّدْني لِاَن اُعارِضَ مَن غَشَّني بالنُّصح، واَجزِيَ من هَجَرَني بالبِرِّ، واُثيبَ من حَرَمَني بالبَذل، واُكافِيَ من قَطَعَني بالصِّلة .. اللّهُمّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه، وحَلِّني بحِلْيَةِ الصّالحين، واَلْبِسْني زينةَ المتَّقين، في بسطِ العدل .. وايثارِ التَّفضُّل .. والافضالِ على غيرِ المُستحِقِّ .[٤]

١٠ الامام السجاد «ع» ـ من دُعائِه لجيرانِه واوليائِه : .. وَفِّقْهم لِاقامةِ سُنَّتِك،

---

١ ـ تحف العقول / ١٨٢.

٢ ـ الوافي ١ (م ٣) / ٧٧.

٣ ـ البحار ٩٠ / ١٧٥.

٤ ـ الصحيفة السجادية / ١٣٣ (الدعاء ٢٠).

والأخذِ بمحاسنِ ادبِك، في ارفاقِ ضعيفِهم، وسدِّ خَلَّتِهم، وعيادةِ مريضِهم، وهدايةِ مسترشدِهم، ومُناصَحَةِ مُستشيرِهم، وتَعَهُّدِ قادمِهم، وكتمانِ اسرارِهم، وسترِ عوراتِهم، ونصرةِ مظلومِهم، وحسنِ مُواساتِهم بالماعون، والعودِ عليهم بالجِدَةِ والافضال، واعطاءِ ما يَجِبُ لهم قبلَ السّؤال ..[1]

د ـ اغتنم، ثمّ اغتنم

١١ النبـي «ص» ـ فيما اَوصىٰ به اباذَرٍّ الغِفاريّ : يا اباذرّ! اِغْتَنِم خمساً قبلَ خمسٍ : شبابَك قبل هَرَمِك، وصحَّتَك قبلَ سُقْمِك، وغِناك قبل فقرِك، وفَراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبلِ موتِك .[2]

هـ ـ المحاولة ودورها الهامّ

١٢ الامام علي «ع» : اِنَّ اللّيلَ والنَّهار يَعمَلان فيك، فَاعْمَل فيهما؛ ويَأخُذانِ منك، فخُذْمنهما .[3]

١٣ الامام الصادق «ع» : .. يَا ابنَ جُندَب! بَلِّغْ معاشرَ شيعتِنا وقُل لهم : لاتَذهَبَنَّ بكُمُ المَذاهب، فواللّهِ لاتُنال ولايتُنا الّا بالوَرَع، والاجتهادِ في الدّنيا، و ..[4]

* ولعلَّ هذا الاجتهادَ يَعُمُّ كلَّ ما يَتَّصِلُ بحياةِ الانسانِ من طلب معرفةٍ حقّةٍ، وعلمٍ ناجعٍ، وعملٍ فرديٍّ او اجتماعيّ .

---

١ ـ الصحيفة السجادية / ١٧٧ (الدعاء ٢٦).

٢ ـ مكارم الاخلاق / ٥٤٠.

٣ ـ غرر الحكم / ١٢٠.

٤ ـ تحف العقول/ ٢٢٣.

نظرة الى الفصـــل

اصالةُ التّذَرُّعِ بالمواهبِ الطّبيعيّة: يَدعُو القرآنُ الكريم الانسانَ الى التّفاعلِ مع الطّبيعةِ وما اَودَعَ اللّهُ تعالى فيها، تفاعلاً نشيطاً مُستمرّاً؛ نَعم، اِنَّ القرآنَ ـ وهو كتابُ «الحياة» ـ اِنَّما يَحُضُّ الانسانَ فيما يَحُضُّ، على:

١ ـ تعميمُ الانتفاعِ بالارض.[١]

٢ ـ اِتّخاذُ الارضِ مهداً مُهَيَّئاً للسُّلوكِ في سُبُلِها والارتزاقِ من نباتِها.[٢]

٣ ـ الاستمتاعُ بأَلْبانِ الانعامِ والانتفاعُ بفوائدِها الكثيرةِ وقَطْفِ ثَمَرِ النَّخيل والعِنَبِ لما فيه من المَآرب.[٣]

٤ ـ الاستفادةُ من النَّحْلِ وعسلِها.[٤]

٥ ـ المشيُ في مناكِبِ الارضِ والانتشارُ فيها لطلبِ المعيشة.[٥]

٦ ـ اتِّخاذُ الاَمتِعَةِ اللّازمةِ للعيشِ من الطّبيعة.[٦]

٧ ـ الاستفادةُ من المياه المختلفة، من البِحارِ والانهارِ والثُّلوجِ والامطار.[٧]

---

١ ـ سورة الرّحمن (٥٥): ١٠.

٢ ـ سورة طه (٢٠): ٥٣ ـ ٥٤؛ سورة الانبياء (٢١): ٣١؛ سورة الزُّخرُف (٤٣): ١٠.

٣ ـ سورة النّحل (١٦): ٦٦ ـ ٦٧؛ سورة المؤمنون (٢٣): ١٩ و ٢١.

٤ ـ سورة النّحل (١٦): ٦٩.

٥ ـ سورة الجمعة (٦٢): ١٠؛ سورة المُلك (٦٧): ١٥.

٦ ـ سورة البقرة (٢): ٣٦ و ١٦٨.

٧ ـ سورة البقرة (٢): ٢٢ و ١٦٤، سورة الانعام (٦): ٩٩؛ سورة الاعراف (٧): ٥٧؛ سورة نوح (٧١): ١١ ـ ١٢، و..

٨ ـ اتِّخاذُ القصورِ من سُهولِ الارضِ ونَحْتُ البيوتِ من جبالِها .[١]

٩ ـ عمرانُ الارضِ وبسطُ عمارتِها، للاستفادةِ منها باشكالٍ مختلفة .[٢]

١٠ ـ اجراءُ الفُلْكِ في البحرِ وسُلوكُ الطُّرق البحريّة، والحصولُ على ما في نواحي الارضِ المختلفةِ من المعايشِ والموادِّ والمؤَن .[٣]

١١ ـ اتِّخاذُ المَراكبِ البَرِّيَّةِ والبَحريَّةِ لقطعِ المسافاتِ بسرعة .[٤]

١٢ ـ اتِّخاذُ المراكبِ البرِّيَّةِ (والبحريَّةِ) لِلرُّكوبِ ولحملِ الاثقال .[٥]

١٣ ـ الاستفادةُ من اَقطارِ الارضِ الواسعةِ وقِطَعِها المُتَجاوِراتِ وغيرِ المُتجاوِرات .[٦]

١٤ ـ استخراجُ الموادِّ البِروتينيَّةِ من الحيواناتِ البرِّيَّة .[٧]

١٥ ـ استخراجُ الموادِّ البروتينيَّةِ من الحيواناتِ البحريّة .[٨]

١٦ ـ استخراجُ الموادِّ التَّجمُّليَّةِ من البِحار .[٩]

١٧ ـ اتِّخاذ الملابسِ من الاَنعام، جلودِها واَوبارِها .[١٠]

١٨ ـ رَعْيُ الاَنعامِ والمَواشي وسَومُ الشِّياهِ في مَنابِتِ الارض .[١١]

١٩ ـ الاستفادةُ من النُّجومِ والاَهِلَّةِ لمعرفةِ الطُّرُقِ والجِهات

---

١ ـ سورة الاعراف (٧) : ٧٤.

٢ ـ سورة هود (١١) ٦١.

٣ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٤؛ سورة الحجّ (٢٢) : ٤٥؛ سورة الرّحمن (٥٥) : ٢٤.

٤ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٥ ـ سورة النّحل (١٦) : ٦ ـ ٨.

٦ ـ سورة الرّعد (١٣) : ٤؛ سورة العنكبوت (٢) : ٥٦.

٧ ـ سورة النّحل (١٦) : ٥؛ سورة فاطر (٣٥) : ١٢.

٨ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٤.

٩ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٤؛ سورة الرّحمن (٥٥) : ٢٢.

١٠ ـ سورة النّحل (١٦) : ٥.

١١ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٠.

والمواقيتِ والسِّنينَ والحساب.[1]

٢٠ ـ الاستفادةُ من الحدائقِ ذاتِ بهجةٍ والجّناتِ الاَلْفاف، للتّنشيط والإجْمام.[2]

اَضِفْ الى ما ذَكَرنا، اَنَّ الاسلامَ يَحُضُّ الانسانَ على الاستفادةِ الكافيةِ من مواهبِه الشّخصيّةِ واوقاتِه وصِحَّتِه وشبابِه؛ فالاسلامُ حينما يَتَكَلَّمُ عن الاقتصادِ والمسائلِ الماليّة يَعمِدُ الى بيانِ فناءِ الدّنيا وتَفرُّقِ ايّامِها. وحينما يَتَكَلَّمُ عن تَفَرُّقِ الدّنيا وايّامِها يَعمِدُ الى لفتِ الانَظارِ الى التزَوُّدِ منها بالكدِّ والعملِ والسَّعيِ وكسبِ المالِ الحلالِ ودفعِه لمصالحِ المجتمعِ وسدِّ اَعوازِ المُعدِمين، بعدَ انفاقِ المقدارِ اللّازمِ منه على النَّفسِ والعائلة.

وهذا المنهجُ الّذي تَبَنّاه الاسلام، هو اَرْقىٰ منهجٍ تَربَويٍّ بنّاءٍ للحياةِ المادّيَّةِ والمعنويّةِ للافراد والمجتمعات، اذ الانسانُ اذا تَذَكَّرَ اَنَّ العمرَ فانٍ، واَنَّ ايّامَه ايامٌ قلائلُ مُتَصَرِّمات، يُساقُ الى التَّزَوُّدِ منها بالجِدِّ والكَدِّ، فيَعمَلُ ويَسعىٰ، ويُحسِنُ العملَ ويُتْقِنُهُ طلباً لمرضاةِ الله، ويُواصِلُ السَّعيَ فيُصبِحَ مفيداً مُثمِراً، يَعمَلُ لخيرِ النّاس، ولتطويرِ المجتمع، ولتموينِ ابناءِ جنسِه، ولتسليحِ شَعْبِه بالسِّلاحِ الاقتصاديّ، ممّا يَصنَعُ ويُنتِجُ.

وهذه النّاحيةُ الهامّةُ يَجِبُ اَن يُؤَكَّدَ عليه في الحَقلِ التَّربويّ. وممّا هو معلومٌ اَنَّ المجتمعَ الاسلاميّ، يَجِبُ اَن يكونَ بحيث يَسَعُ لِلكلِّ ان يَقُومُوا بالتَّزَوُّد لانفُسِهم، وبتطويرِ مجتمعِهم، وتقويةِ بُنيتِهمُ الاقتصاديّة، فلايَجوزُ اَن يُهمَلَ الفقيرُ والبائسُ على حالِهما، اذ مع تلك الحالةِ لايُتاحُ لهما ايُّ عملٍ او تزوُّدٍ او تطوير، فاِن تُرِكا سُدًى ظُلِما .. وهذا ما لايَجوزُ بوجهٍ ابداً.

---

[1] ـ سورة الانعام (٦) : ٩٧؛ سورة النّحل (١٦) : ١٦؛ سورة البقرة (٢) : ١٨٩؛ سورة يونس (١٠) : ٥.

[2] ـ سورة النّمل (٢٧) : ٦؛ سورة النَّبَأ (٧٨) : ١٦.

ومن هنا نَنتَقِلُ ايضاً، الى اَنَّ التَّعاليمَ الاسلاميّةَ يَرمي كلُّها الى غرضٍ واحد، هو اِسعادُ الانسان، في حالةِ الانفرادِ والاجتماع . وهذه التّعاليمُ مُتماسِكةُ الاَبعاض، مُتَراصَّةُ المباني، لاانفصالَ لايٍّ منها عن سائرِها .

الفصلُ الرّابع والأربعون

الاقتصاد، أصالة إسلاميّـــة

يُستَشَفُّ من الآياتِ السّماويّة ـ المبثوثةِ في القرآنِ الكريم ـ الّتي تَحكي سيرةَ الانبياء «ع» في نَهَضاتِهم وشِعاراتِهم، انّهم كانوا يَدعُون النّاس ـ اوّلَ ما يَدعُون ـ الى عبادةِ اللّهِ تعالى، وايفاءِ الكيلِ والميزانِ وعدمِ بَخسِ النّاسِ اشياءَهم؛ ويُتْبِعُون ذلك بخطابِهم للاغنياء، في صَرْخَةٍ جليلة: «لا اَسْأَلُكُم عليه مالاً»[1].

فهذه ثلاثةُ شِعاراتٍ حيّةٍ رئيسيّة، كانت تَتَلألأُ في جَبهَةِ الدَّعَواتِ النّبويّة، وتَمْلَأُ الاَجواءَ ايّامَ كان الانبياءُ «ع» يَقُومُون بانقاذِ الجماهيرِ البشريّةِ من مخالبِ الطّواغيت:

١ ـ الدّعوةُ الى عبادةِ اللّهِ تعالى، بايمانٍ واخلاص.

٢ ـ الدّعوةُ الى دَعْمِ نظامٍ اقتصاديٍّ سالم، بفضلِ تصحيحِ الصِّلاتِ الاقتصاديّةِ والتّبادليّةِ بين النّاس، وشجبِ العُدوانِ الماليِّ عن الجماهير، في جميعِ صُوَرِه واشكالِه، من المُعلَنةِ وغيرِها، ورَدْعِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين والمستكبرين الماليّين، في اَحْسَمِ شكل.

٣ ـ العَمْدُ الى مقاطَعةِ اصحابِ الاموالِ والثَّروات، حتى لا يَطمَعُوا في تحريفِ الدّعوةِ وغاياتِها.

---

١ ـ سورة هود (١١): ٢٩.

نعم، فهناك طاغوتان : سياسيٌّ واقتصاديّ . فيجبُ اَن يكون هناك شَجْبان ايضاً ـ تَبعاً للانبياء «ع» ـ حتى يَتِمَّ امرُ الدّعوةِ الالهيّةِ والثّورةِ الدّينيّة . فكما اَنَّ الانبياءَ «ع» كانوا يَشجُبُون الطّاغوتَ الاوّل، باخراجِ النّاسِ من عبادةِ العبادِ واطاعةِ قوانينِهم الى عبادةِ اللّهِ تعالى واطاعةِ احكامِه؛ ويَشْجُبُون الطّاغوتَ الثّانيَ بالاَمرين المذكورين، فكذلك يجبُ على الدُّعاةِ الدّينيّين اَن يَشجُبُوهما جميعاً .

ولا يُمكنُ اَن يَتَجَسَّدَ اَيُّ اصلاحٍ دينيٍّ او ثورةٍ دينيّة، اذا لم يَعْمِدِ القائدون الى هذين الشَّجْبَيْن بصمودٍ واستمرار . ولا يُوجَدُ هناك ايمانٌ توحيديٌّ مُستَتْبِعٌ للعملِ الاّ في مجتمعاتٍ صالحة . ولا صلاحَ الاّ بالعدل[1]، ولا عدلَ مع حضورِ الطّاغوتَين في المجتمعِ او حضورِ احدِهما، ولا سيمّا الثّاني، حيث اِنّه اذا لم يُشْجَبْ يَخلُقُ الاوّلَ ايضاً باسامٍ صالحةٍ ومموّهة .

وهذه الامورُ كلُّها من اهمِّ الشّواهدِ القاطعةِ على اَنّ للاقتصادِ وتقويمِه السّالمِ العادل، اصالةً دينيّةً اسلاميّة، لا تَقْبَلُ اَيَّ بَدَلٍ او اهمال .

الكتـــاب

١ واقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وَارْ كَعُوامعَ الرّاكِعين *[2]

---

١ ـ لا تَنْسَ قولَ مولانا امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب «ع» : «الرّعيّة لا يُصلِحُها الاّ العدل» ـ راجع : الفصل ٤٧، من الباب ١٢ .

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٤٣.

٢ واَقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ واَطيعُوا الرَّسول ..[١]

* قد جُعِلَ اداءُ الزّكاةِ رِدْفاً للصّلاةِ والرّكوعِ مع الرّاكِعين واطاعةِ الرّسول «ص». وقد جاءَ ذكرُها والامرُبها في القرآنِ في مواردَ عديدةٍ وكثيرة . ومن هنا نَعلَمُ اَنَّ القضيَّةَ الماليّةَ في الاسلامِ لها اصالةٌ هامَّةٌ كالقضيَّةِ العباديّة، بل هي أيضاً من العبادة .

٣ وَاعْلَمُوا اَنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ فاِنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرَّسولِ ولذي القُربىٰ واليَتامىٰ والمساكينِ وابنِ السَّبيل، اِن كُنتُم آمَنتُم باللّهِ وما اَنزَلْنا على عبدِنا يومَ الفُرقانِ، يومَ الْتَقَى الجَمعان ..[٢]

٤ الّذين في اموالِهم حقٌّ معلوم * للسّائلِ والمحروم *[٣]

٥ يَسأَلونَك عن الاَنفالِ، قل : الاَنفالُ لِلّهِ والرَّسول ..[٤]

٦ للرِّجالِ نصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وللنِّساء نصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْن ..[٥]

٧ ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ اموالَكُمُ الّتي جَعَلَ اللّهُ لكُم قِياماً ..[٦]

٨ ما اَفاءَ اللّهُ على رسولِه من اهلِ القُرىٰ، فلِلّهِ وللرَّسولِ ولذي القُربىٰ واليَتامىٰ والمساكينِ وابنِ السّبيل، كَي لا يَكونَ دُولَةً بينَ الاغنياءِ منكُم ..[٧]

٩ وَاَنفِقُوا في سبيلِ اللّهِ ولا تُلْقُوا بايديكُم الى التهْلُكَة ..[٨]

---

١ ـ سورة النّور(٢٤) : ٥٦.

٢ ـ سورة الانفال (٨) : ٤١.

٣ ـ سورة المعارج (٧٠) : ٢٤ ـ ٢٥.

٤ ـ سورة الانفال (٨) : ١.

٥ ـ سورة النّساء (٤) : ٣٢.

٦ ـ سورة النّساء (٤) : ٥.

٧ ـ سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٨ ـ سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

١٠ .. قال: يا قومِ اعْبُدُوالله، مالكُم من آلهٍ غيرُه، ولا تَنقُصُوا المِكيالَ والميزان ..[١]

* قد جاءَ ذكرُ المكيالِ والميزانِ والنَّهيُ عن نقصِهما، بعدَ ذكرِ العبادةِ للّهِ تعالى. وهذا يَرمي الى اهميَّةِ القضيَّةِ الماليَّةِ والاقتصاديَّة.

١١ ويا قومِ اَوفُوا المِكيالَ والميزانَ بالقسطِ، ولا تَبخَسُوا النّاسَ اَشياءَهُم ..[٢]

١٢ يُرسِلِ السَّماءَ عليكُم مِدْراراً * ويُمْدِدْكُم باموالٍ وبنين * ويَجعَل لكُم جنّاتٍ ويَجعَلْ لكُم انهاراً *[٣]

* والآياتُ الّتي مَرَّت في مُستَهَلِّ الفصلِ الاوّلِ من هذا الباب، تَمُتُّ الى هذا الموضوعِ ايضاً، وكذلك كثيرٌ من الآياتِ الّتي جاءَت في سائرِ الفصول. وذلك لاَنَّ اهميَّةَ الاقتصادِ وأصالتَه في الاسلام امرٌ قطعيٌّ، كما اَنَّ الامرَ كذلك في الحياةِ والفطرةِ والتّجربةِ والعقلِ والمجتمع.

الحديـــث

١ النبـــي «ص»: اللّهُمَّ بارِك لنافي الخُبْز، ولا تُفَرِّقْ بيننَاوبينَه، فلَولا الخُبزُ

---

١ و ٢ ـ سورة هود (١١): ٨٤ ـ ٨٥.

٣ ـ سورة نوح (٧١): ١١ ـ ١٢.

ما صُمْنا ولا صَلَّيْنا ولا اَدَّيْنا فرائضَ ربِّنا عزَّ وجلّ .[1]

٢ النبـي «ص» - فـي واقعـةِ الرّجلِ الانصاريّ مع سَمُرَةِ بنِ جُندَب، المشهورة، فقال «ص» للانصاريّ : «اِذْهَب فَاقْلَعْها وَارْمِ بها اليه، فإنَّه لا ضَرَرَ ولاضِرارَ»[2].

٣ النبـي «ص» : خَصلتـان ليس فوقَهما من الشَّرِّ شيءٌ، الشِّركُ بالله، والضَّرُّ لعبادِ الله .[3]

٤ النبـي «ص» : الفقرُ اشدُّ من القتل .[4]

٥ النبـي «ص» : فيما قاله بحقِّ والي المسلمين : .. لم يُفْقِرْهم فيُكْفِرَهم ..[5]

٦ الامام علي «ع» : فيمـا كَتَـبَ الى عُمّـاله : اَدِقُّـوا اقلامَكم، وقارِبوا بين سطورِكم، وَاحْذِفوامن فضولِكم، واَقْصُدوا قصدَ المعاني، وايّاكم والاكثار، فإنَّ اموالَ المسلمين لاتَحتَمِلُ الاِضرار .[6]

٧ الامام علي «ع» : ـ في العهـدِ الاشتريّ : وتَفَقَّدْ امورَهم (التُّجارَو ذوي الصِّناعات) بحضرتِك، وفي حواشي بلادِك، وَاعْلَم ـ مع ذلك ـ اَنَّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتَحكُّماً في البياعات، وذلك بابُ مضرّةٍ للعامّة، وعيبٌ على الوُلاة؛ فَامنَعْ من الاحتكار، فإنَّ رسولَ الله «ص» مَنَعَ منه . وَلْيَكُنِ البيعُ بيعاً سَمْحاً، بموازينِ عدلٍ، واَسعارٍ

---

١ ـ الكافي ٦ / ٢٨٧.

٢ ـ الكافي ٥ / ٢٩٣.

٣ ـ تحف العقول / ٣١.

٤ ـ البحار ٧٢ / ٤٧.

٥ ـ الكافي ١ / ٤٠٦.

٦ ـ مستدرك نهج البلاغة / ١١١.

لاتُجْحِفُ بالفريقين، من البائعِ والمُتباع ..[1]

٨ الامام السجاد «ع» : .. اَمّا حقُّ المال، فاَن لاتَأْخُذَه اِلّامن حِلِّه، ولا تُنفِقَه اِلّا في حِلِّه، ولا تُحَرِّفَه عن مواضعِه، ولا تَصْرِفَه عن حقائِقِه ..[2]

٩ الامام السجاد «ع» - فيما رواه الامامُ موسى الكاظم «ع» : .. اِستثمارُ المالِ تمامُ المُرُوَّة .[3]

١٠ الامام الباقر «ع» : - فيما رواه الامامُ الصّادق : اِنّه سُئِلَ عن الدّنانيرِ والدَّراهمِ وما على النّاسِ فيها؟ فقال : هي خواتيمُ اللّهِ في ارضِه، جَعَلَها اللّهُ مِصَحَّةً لخلقِه، وبها تَستَقيمُ شؤونُهم ومطالبُهم .[4]

١١ الامام الباقر «ع» : كان عليٌّ «ع» كُلَّ بُكْرَةٍ يَطوفُ في اسواقِ الكوفة، سوقاً سوقاً، ومعه الدِّرَّة على عاتِقِه - وكان لها طَرَفان وكانت تُسمَّى السَّبيبة- فيَقِفُ على كلِّ سوقٍ سوقٍ فيُنادي : يا معشرَ التُّجار! قَدِّمُوا الاستخارة، وتَبَرَّكُوا بالسُّهولة، وَاقْرَبُوا من المُبتاعين، وتَزَيَّنُوا بالحِلم، وتَناهَوا عن الكذبِ واليَمين، وتَجافَوا عن الظُّلم، وَانصِفُوا المظلومين، ولا تَقرَبُوا الرِّبا، (و) اَوفُوا الكيلَ والميزانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ اشياءَهم، ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسِدين ..[5]

١٢ الامام الصادق «ع» : اِنَّما اَعْطاكُم اللّهُ هذه الفُضولَ من الاموال، لِتُوَجِّهُوها حيث وَجَّهَها الله، ولم يُعطِكُمُوها لِتَكْنِزُوها .[6]

---

١ - نهج البلاغة / ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ - تحف العقول / ١٩١.

٣ - تحف العقول / ٢٨٧.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ١٣٣.

٥ - سفينة البحار ١ / ١٢٠.

٦ - الكافي ٤ / ٣٢.

١٣ الامام الصادق «ع» ـ قال له رجلٌ : يا جعفر! الرَّجلُ يَكونُ له (مالٌ) فيُضيعُه فيَذهَب؟ قال : اِحْتَفِظْ بمالكِ فإنَّه قوامُ دينِك، ثمّ قَرَأَ : «ولا تُؤْتُوا السُّفهاءَ اموالَكُمُ الّتي جَعَلَ اللّهُ لكُم قياماً»[١].

١٤ الامام الصادق «ع» : اِنّ من بقاءِ المسلمين وبقاءِ الاسلام، اَن تَصيرَ الاموالُ عند مَن يَعرِفُ فيها الحقّ، ويَصنَعُ فيها المعروف .. واِنّ من فناءِ الاسلامِ وفناءِ المسلمين، اَن تَصيرَ الاموالُ في ايدي مَن لايَعرِفُ فيها الحقّ، ولا يَصنَعُ فيها المعروف .[٢]

١٥ الامام الصادق «ع» ـ الفُضيلُ بنُ يَسار قال : قال ابو عبدِالله «ع» : ايُّ شيءٍ تُعالِج؟ قلت : ما اُعالِجُ اليومَ شيئاً . فقال : كذلك تَذهَبُ اموالُكُم؛ واشْتَدَّ عليه .[٣]

---

١ ـ امالي الطوسي ٢ / ٢٩٢.

٢ ـ الوسائل ١١ / ٥٢١؛ الوافي ٢ (م ٦) / ٦٢.

٣ ـ الكافي ٥ / ١٤٨.

نظرة الى الفصـــل

الاقتصاد، اصالةٌ اسلاميّة : ما كُنّا نَحسَبُ اَنفُسَنا محتاجين الى عَقدِ فصلٍ عن «الأصالةِ الاقتصاديّةِ في الاسلام»، بعدَ الفصولِ والابحاثِ الّتي مَضَت ومايَأتي الى نهايةِ البابِ الثّاني عشر، فاِنَّ من وَقَفَ على التّعاليمِ الاسلاميّة، ذاتِ الصِّلَةِ والاَسْرِ التَّنظيميِّ العميق، وخصوصاً على عشراتٍ وعشراتٍ من التّعاليمِ الاقتصاديّةِ في القرآنِ والحديث، يعَلَم اَنَّ مِن اَجلَى الواضحاتِ اَنَّ هذا الدّينَ يُرَكِّزُ للاقتصادِ مركزاً اصليّاً، ويَتَبَنّىٰ اصالتَه تَبَنِّياً لا محيدَعنه .

فالدّينُ الّذي يَجعَلُ الزَّكاةَ رِدْفَ الصّلاة، ويَقولُ تنزيلُه السَّماويُّ : «ولا تُؤْتُوا السُّفهاءَ اموالَكُمُ الّتي جَعَلَ الله لكُم قِياماً»[1]، ويَقولُ : «للرِّجالِ نصيبٌ ممَّا اكْتَسَبُوا وللنِّساء نصيبٌ ممَّا اكْتَسَبْن»[2]، ويَقولُ : «والَّذين في اموالِهم حقٌّ معلوم * للسّائلِ والمحروم»[3]، ويَقولُ : « وَاَنْفِقُوا في سبيلِ اللّهِ ولا تُلْقُوا بايديكُم الى التَّهْلُكَة»[4]، ويَصْرُخُ بَاَنَّ الاموالَ «لاتَكونُ دُولَةً بين الاغنياء»[5]، كيف لا يُعطي الاقتصادَ اصالة ؟

والدّينُ الّذي يَقولُ نبيُّه الصّادعُ بِه جهاراً : «أللّهُمّ بارِكْ لنافي الخُبْز، ولا تُفَرِّقْ بينَنا و بينَه، فلَولا الخُبزُ ما صُمْنا ولا صَلَّيْنا ولا ..»[6]، ويَقولُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع» : «.. اِنَّ اموالَ المسلمين لا تَحتَمِلُ

---

١ و ٢ ـ سورة النساء (٤) : ٥ و ٣٢.

٣ ـ سورة المعارج (٧٠) : ٢٤ ـ ٢٥.

٤ ـ سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٥ ـ سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٦ ـ الكافي ٦ / ٢٨٧.

الاِضرار»[1]، ويَقولُ الامامُ السّجّاد «ع» : «وَامّا حقُّ المال، فَان لا تَأْخُذَه اِلّا من حِلِّه .. ولا تُحَرِّفَه عن مواضعِه»[2]، ويَقولُ الامامُ الصّادق «ع» :«اِنّ من بقاءِ المسلمين وبقاءِ الاسلام اَن تَصيرَ الاموالُ عند مَن يَعرِفُ فيها الحقّ، ويَصنَعُ فيها المعروف»،[3] و.. كيف لا يُعطي الاقتصادَ اصالة؟

اجَل، اِنَّ الشّرعَ الّذي يَأْمُرُ بالعدلِ والاحسان، ويَرى غايةَ الغاياتِ لرسالةِ الانبياء «ع» هيَ اَن يُقامَ العدلُ في الجماهير ويَقومَ النّاسُ بالقسط، ويُكافِحُ الاقتصادَ الحُرَّ (التّكاثر) اشدَّ مكافَحةٍ، و يَعُدُّ المالَ سبباً لقوامِ الدّين،[4] لا يُهمِلُ القضيّةَ الاقتصاديّة، بل يَدعُو الى اِرساءِ القواعدِ العادلة، ويُبَرْمِجُ للنّاسِ في الاموال، ويَرفُضُ الطّاغوتيَّةَ الاقتصاديّة، ويُحارِبُ اسبابَ الفقرِ وعِلَلَه ، ويَحُضُّ النّاسَ علىٰ احقاقِ حقوقِهِمُ الماليّة ـ الّتي بهايَكونُ قوامُ دينِهم، كما وَرَدَ في الحديث[5] ـ ويُطيحُ بالطّاغوتِ الاقتصاديِّ والاقتصادِ الطّاغوتيِّ، ويدعوعلماءَه وحُكّامَه الى اَن لا يُقارُّوا على كِظَّةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلوم، ويُعُدُّ الظُّلمَ الاقتصاديَّ اَهمَّ انواعِ الظُّلمِ ومصدرَها ـ كما هو كذلك .

ومن المسلَّمِ بِه، اَنَّ الدّينَ الفطريَّ الّذي يَرى اقامةَ الصَّلاةِ وإتْيانَ الصّومِ منوطةً بالخُبز (الموادِّ الغِذائيّة)، لا يُواكِبُ الّذين يَستَغِلُّون النّاسَ ويَسرِقون ارزاقَهم، بل يَقِفُ بجانبِ المضطَهَدين لكَي يَرُدَّ اليهم حقَّهم المُضيَّع .

اِنَّ الاسلامَ باعتدالِه الفطريِّ، يُراعي في بَرْمَجَةِ الحياةِ الانسانيّة كلَّ الجوانبِ الّتي يَنبَغي مراعاتُها، فهو كما يَدعُو الى تأمينِ حياةِ الانسان

١ـ مستدرك نهج البلاغة / ١١١.

٢ـ تحف العقول / ١٩١.

٣ـ الوسائل ١١ / ٥٢١.

٤ و ٥ـ امالي الطّوسي ٢ / ٢٩٢، من حديثِ الامامِ الصّادق «ع».

الرّوحيّةِ يَدعو الى تامينِ حياتِه المادّيّة، وكما يَدعو الى تأمينِ حياتِه المادّيّةِ يَدعُو الى تأمينِ حياتِه الرّوحيّة، وكما يَدعو الى الصَّلاةِ ويَعُدُّها عمودَ الدّين يَأمُرُ بالزَّكاة، ويَلفِتُ الانظارَ الى اهمِّيَّةِ المادَّةِ الغِذائيّةِ لاقامةِ ذلك العمود، ويُسَوِّغُ للمُسلمِ اَن يَقْتُلَ مَن يَمنَعُه من القوتِ فيما يَحتاجُ اليه .. يَقولُ الفقهاء: «لو وَجَدَ طعامَ الغير، فإن كان صاحبُه مضطرّاً فهو اولى. ولو كان يَخافُ الاضطرارَ فالمضطرُّ اولى، فإن لم يَكن له ثَمنٌ، وَجَبَ على المالكِ بذلُه. فإن مَنَعَه غَصَبَه، فإن دَفَعَه جازَ قتلُ المالك في الدَّفع ..»[1]. فالمسلمُ يَقتُلُ مَن يَمنَعُه ممّا يَقومُ به صُلبُه ويَتوسَّلُ به الى ادامةِ الحياة. وهذه الكيفيّةُ تَنبُعُ من جامعيّةِ الاسلامِ ونظرتِه الصّحيحةِ الى واقعِ الحياةِ والقضيّةِ الاقتصاديّة. ففي هذا الضّوء، اِنَّ الاسلامَ لايدعو النّاسَ الى الصَّبرِ على الظّلمِ والمحروميّة، واحتمالِ الاحتكارِ والإجحاف، بل هو يَرفُضُ الاضطهادَ الاقتصاديَّ كما يَرفُضُ الاضطهادَ السّياسيّ، ويَحُضُّ النّاسَ على مكافَحَةِ المظالمِ كلّها. والظُّلمُ الاقتصاديُّ اهمُّ انواعِ الظّلم ـ كما سَلَفَ القول ـ لِاَنّه يُؤَدّي الى سائرِ المظالمِ حتى الظُّلمِ السّياسيّ. فالّذي يُشَجِّعُ الجماهيرَ على تحمُّلِ الاعتداءِ الاقتصاديِّ والظّلمِ الماليّ، باسمِ الموعظةِ الدّينيّة، والانقطاعِ الى الآخرةِ واَنَّ الدّنيا امرٌ زائل، واَنَّ المحتكرَ والمُجحِفَ بالسِّعرِ سيَجزيهما اللّهُ تعالى في الآخرة، فهو يَبتَعِدُ عن روحِ الاسلامِ بهذا الاتِّجاه. واِنَّ لهذا النّوعِ من الفكرِ والاتِّجاه ـ سواء اَكان ذلك من الغفلةِ ام من التّغافل ـ مفاسدَ عظيمةً نُشيرُ الى عدَّةٍ منها:

أ ـ اَنّهُ يُؤَدّي الى توسيعِ نطاقِ الظّلمِ الاقتصاديّ، لِاَن الطّاغوتَ الاقتصاديَّ اذا شاهَدَ اَنَّ النّاسَ يُدعَون الى احتمالِ مظالمِه بَدَلَ اَن يُدعَوا الى كِفاحِه، فإنَّه يَشجُعُ بذلك على تماديه في غيِّه وعدوانِه ويُصِرُّ عليهما

---

١ ـ المبسوط ٦ / ٢٨٦ (طبعة طهران)؛ شرائع الاسلام / ٢٣٨ (طبعة ١٣١١ هـ.ق)؛ القواعد ٢ / ١٦ (طبعة ١٣٢٩هـ.ق)؛ مُستَنَدُ الشّيعة ٢ / ٣٩٧ (طبعة ١٣٧١ هـ.ق)؛ وسيلة النّجاة ٢ / ١٨٩.

مستكبراً ـ كما هو واضح مجرَّب .

ب ـ اَنَّ الانقطاعَ الى الآخرةِ لا يَتَحَقَّقُ اِلّا بالمال، وَاَنَّ العملَ الاخرويَّ كالدُّنيويِّ يَحتاجُ الى القوتِ والموادِّ الحياتيّةِ والمعيشيّة، فايُّ فقرٍ او حرمانٍ او احتمالِ محروميّةٍ يُؤدّي الى عملِ الآخرة، مع اَنَّ النّبيَّ الاُسوةَ «ص» يَقولُ : «فلَولا الخُبزُ ما صَلَّينا ..».

ج ـ اَنَّ قبولَ الحُكرةِ والمغالاةِ بالاسعار، يُضادُّ القيامَ بالنَّهي عن المُنكَرِ والكِفاحَ في وجهِ الظّلمِ والظّالمين، ويكونُ مصداقاً لما يَقولُ الامامُ الصّادق «ع» : «مَن اَحَبَّ بقاءَ الظّالمين فقد اَحَبَّ اَن يُعْصَي الله»[1].

د ـ اَنَّ جزاءَ الآخرة وعذابَها لا يَسقُطُ به التَّكليفُ الدّينيُّ الاجتماعيُّ لشجبِ المُنكَرات؛ فالمحتكرُ والطّاغوتُ الاقتصاديُّ لايُخَلّىٰ سبيلُه لِاَن يَتَمادىٰ في غيِّه وعدوانِه، ولاَن يَقضِيَ على كيانِ المجتمعِ باسمِ اَنَّه يُعَذَّبُ في الآخرة . والعقوبةُ العاجلةُ والنّهيُ والرَّدعُ عن الظّلمِ هي روحُ الاسلام ايضاً، لصلاحِ حالِ الانسان، والاّ فيَجِبُ اَن لا يَكونَ في الاسلامِ قِصاصٌ ولاحدٌّ ولا تعزير، لمكانِ عذاب الآخرة. ولقد وَرَدَ في الاحاديثِ الحَضُّ على مجابَهَةِ الحُكْرَةِ والتَّنكيلِ باصحابِها .

هـ ـ واذا عَلِمْنا اَنَّ اللّهَ تعالى لا يَرضىٰ بالظّلم، فكيف نَقولُ اِنَّهُ يُحِبُّ التَّقرُّبَ اليه بقبولِه ؟ ففي هذا الضّوء، لا يَصِحُّ لمن يَتَكلَّمُ باسمِ الاسلام، اَن يَنحَرِفَ عن محضِ الحقِّ ومُرِّه، لبعضِ الملاحظاتِ الخارجةِ والبعيدةِ عن روحِ الاسلام، بل من الجديرِ اَن يَدعُوَ النّاسَ الى مكافَحَةِ هذا الظّالمِ ايضاً، فاِنَّ الدّينَ الالهيَّ له منهجٌ واحدٌ قويم، واِنَّ اللّهَ قد اَرسَلَ موسى «ع» الى فرعونَ وهامانَ وقارون،[2] واِنَّ نبيَّنا محمَّداً «ص» قد حارَبَ الأرِستُقراطيّين كما حارَبَ الحُكّامَ السّياسيّين، بل كانت محارَبَتُه ضدَّ

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٣٤.

٢ ـ سورة غافر (٤٠) : ٢٤.

الاوّلين اَحْسَمَ واَجلىٰ . فَلْيَكُن دعاةُ الاسلام ـ اَيَّدَهُمُ الله تعالى ـ على انْتباهٍ من الامر، وتَيَقُّظٍ لخُطورةِ الموقف، واجتنابٍ من غَضِّ الطَّرفِ عن المظالمِ الاقتصاديّة، وعلى حَذَرٍ من سَوقِ النّاسِ الى قبولِ هذه المظالمِ والسُّكوتِ عليها، حتى لا يَنْهارَ كيانُ الاسلامِ والمسلمين، ولا يُخدَشَ نظرُ الاسلامِ الواقعيُّ الى الانسان، وتَوَفُّرُه على تطويرِ الحياةِ البشريّةِ بدفعِ انواع الظُّلمِ عنها، وإرساء دعائمِ القسطِ فيها؛ وحتى لا تَنْثَلِمَ الاصالةُ الاقتصاديَّةُ في مذهب الاسلامِ الاقتصاديِّ الرّصين؛ فإنَّهم اذا نَهَجُوا هذا المنهَجَ المرضيَّ للّهِ والرّسول «ص»، والمأمورَ به بحسبِ التّعاليمِ الشّرعيّةِ ـ من الآياتِ والاخبارِ ـ فسوف يَصِلُ المجتمعُ الى نتائجَ هامَّةٍ بنّاءَةٍ، هذه بعضُها :

١ ـ تُقْطَعُ ايدي جبابرةِ التّكاثرِ والإتراف، عن حياةِ النّاسِ الاقتصاديّة، فالاخلاقيّةِ والدّينيّة .

٢ ـ تَفْشَلُ مساعي عُمّالِ الاَجْنِحَةِ الغربيّةِ والشّرقيّة، لِلتَّغْلغُلِ في المجتمعِ الاسلاميِّ الحريز وشؤُونِه .

٣ ـ يُشَقُّ الطّريقُ الى اقامةِ القسطِ الاسلاميّ .

٤ ـ تُمَهَّدُ السُّبُلُ لعبادِ اللّهِ وعيالِه الى الخيرِ والفضيلة، والانفتاحِ والتّقدُّمِ في دينِهم ودنياهم .

٥ ـ يُحَصَّنُ النّاشئةُ والشَّبابُ ضدَّ الوقوعِ في شَبَكاتِ المسالكِ الالحاديّة .

وبذلك كلِّه يَتَقَدَّمُ الاسلام، ويَعلُوله في العالَم مقام .

تذييـــل

عمود العمود عمـــود

اِنَّ الصّلاةَ عمودُ الدّين، فقد جاءَ عن النَّبيِّ «ص»، فيما رواه الامام الباقر «ع» : «الصّلاةُ عمودُ دينكم»[1]، وفيما رواه الامامُ الصّادق «ع» قوله : «مَثَلُ الصَّلاةِ مَثَلُ عمودِ الفُسطاط، اِذا ثَبَتَ العمودُ نَفَعَتِ الاَطنابُ والاَوتادُوالغِشاء، واِذَا انْكَسَرَ العمودُلم يَنفَعْ طُنْبٌ ولاوَتِدُولاغِشاء »[2]. وقال اميرُ المؤمنين عليُّ بنُ ابي طالب «ع» : «الله! الله! في الصَّلاة، فاِنَّها عمودُ دينِكم»[3]. فالصَّلاةُ عمودُ الدّين، والعمودُ ما يُعتَمَدُ عليه الشّيءُ ولا يَقومُ اِلّا به؛ فالدّينُ لايَقومُ الابالصَّلاة .

وقد جاءَ عن النَّبيِّ «ص» قولُه : «.. فلَولا الخُبزُ ما صَلَّيْنا ..»[4]. ولقد مَرَّ تمامُ الحديثِ في الفصلِ الخامس[5]. وهذا يُفيدُ اَنَّ الخُبزَ عمودُ الصَّلاة، الّذي لا تَقومُ اِلّابه . وهو كذلك، اِذلولاه لما تكونُ قدرةٌ على اداءِ صلاة، فلا تكونُ صلاة . فالخُبزُ عمودُ الصّلاة، والصَّلاةُ عمودُ الدّين، فالخبزُ عمودُ الدّين (بهذا المعنى)، اذ عمودُ العمودِ عمود .

هذه هي نظرةُ الاسلامِ الى الواقعيّاتِ الحياتيّة، وهذا هو تجاوُبُها مع الواقعِ البشريّ . فالحربُ ضدَّ الفقر (وضدَّ التّكاثرِ والاترافِ قبلَ ذلك لِاَنّهما سببا الفقرِ الاصليّان)، لِايصالِ النّاسِ الى المعيشةِ السّالمةِ الكافيةِ الاسلاميّة، و لمعونةِ المحتاجين والمساكين على دينِهم،[6] وتحصينِهم ضدَّ الانحلالِ العقيديِّ، او التّميُّعِ الخُلقيّ،[7] هي جوهرُ

---

١ ـ الكافي ٢ / ١٩.

٢ ـ الكافي ٣ / ٢٦٦.

٣ ـ نهج البلاغة / ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

٤ الكافي ٥ / ٧٣.

٥ ـ وجاء ايضاً قولُه «ص» : «.. وبه (اي بالخُبز) صَلَّيتُم، وبه صُمْتُم، وبه حَجَجْتُم بيتَ ربِّكم ..» ـ (الكافي ٦ / ٣٠٣). راجع : الفصل ٥، من هذا الباب، فقرَةَ «أ»، رقم ٤ ـ ٦.

٦ ـ على حدِّ تعبيرِ مولانا الامام ابي الحسنِ الرّضا «ع» ـ (علل الشّرايع / ٣٦٩)، يأتي الحديثُ في الفصلِ القادم .

٧ ـ كما قاله الامامُ الصّادق «ع» ـ (الوسائل ٦ / ١٥٩)، يأتي الحديث في الفصلِ القادم .

التّكليفِ الدّينيّ الّذي به يَقُومُ الدّين، ويُصانُ عزُّ المسلمين، واليها دَعَتْ تعاليمُ الاسلام، وبها تُقامُ فرائضُه، من الصَّلاة، والصّوم، والحجِّ، والجِهاد، والامرِ بالمعروف، والنّهي عن المُنكَر..[1]

١ ـ راجع : الفصل ٥، من هذا الباب.

الفصلُ الخامس والأربعون

الأُخوّة الاسلاميّة والاقتصاد

الكتـــاب

١ اِنَّماالمُؤمِنون اِخْوَةٌ ..[١]

٢ وَاعْتَصِمُوا بحبلِ اللّهِ جميعاً ولاتَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نعمةَ اللّهِ عليكُم اِذ كُنتُم اعداءً، فأَلَّفَ بينَ قلوبِكُم فَاَصبَحْتُم بنعمتِه اِخواناً ..[٢]

٣ وَيَسْأَلُونَك عن اليَتامى؟ قل : اصلاحٌ لهم خيرٌ، واِن تُخالِطُوهم فَاِخْوانُكُم ..[٣]

الحديـــث

نبذة من مظاهر الأُخوّة الاسلاميّة في الحقل الاقتصاديّ

---

١ ـ سورة الحجرات (٤٩) : ١٠.

٢ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٠٣.

٣ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٢٠.

أ ـ اداء حاجة المسلم

١ النبـــي «ص» : المسلمُ اخو المُسلم، لا يَظلِمُه ولا يُسَلِّمُه . من كانَ في حاجةِ اخيه، كان اللّهُ في حاجتِه .ومن فَرَّجَ عن مسلمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللّهُ بها عنه كُربَةً من كُروبِ يومِ القيامة . ومن سَتَرَ مُسلماً يَستُرُهُ اللهُ يومَ القيامة .[١]

٢ الامام علي «ع» : لا يَشبَعُ المؤمنُ واخُوه جائعٌ .[٢]

ب ـ المؤاساة لاهل الحاجة

٣ الامام الصادق «ع» : يَحقُّ على المسلمين الاجتهادُ في التّواصِل، والتّعاونُ على التَّعاطُف، والمواساةُ لاهلِ الحاجة، وتعاطفُ بعضِهم على بعضٍ حتى تَكونُوا كما اَمَرَكُمُ الله عزَّ وجلَّ : «رُحَماءُ بينَهم»[٣] ، مُتَراحمين، مُغْتَمِّين لما غابَ عنكُم من امرِهم، على ما مَضىٰ عليه معشرُ الانصار، على عهدِ رسول الله «ص».[٤]

* يُفيدُنا هذا التّعليم، اَنَّ كونَ المسلمين رُحَماءَ بينَهم، اِنَّما يَتَجَسَّدُ على اساسِ مبدإِ المواساةِ والتّعاضدِ الاقتصاديِّ المعيشيّ، والتّواصلِ والتَّعاطف، ممّا يُؤَدّى الى البذلِ والانفاقِ واِدالةِ المال بينَ النّاس، لاعلى اساسِ التّكاثرِ والفقر، وانقسامِ النّاسِ الى حفنةٍ آكلةٍ وجماهيرَ مأكولة .

---

١ ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٤.

٢ ـ غرر الحكم / ٣٤٨.

٣ ـ سورة الفتح (٤٨) : ٢٩.

٤ ـ الكافي ٢ / ١٧٥.

ج ـ الاخوّة والحقّ العظيم الاقتصاديّ والمعيشيّ

٤ الامام الصادق «ع» : المسلمُ اخو المسلم . وحقُّ المسلمِ على اخيه المسلمِ اَن لا يَشبَعَ ويَجوعَ اخوه، ولا يَرْوىٰ ويَعطَشَ اخوه، ولا يَكتَسِيَ ويَعْرىٰ اخوه؛ فما اَعظَمَ حقَّ المسلمِ على اخيه المسلم؟![1]

٥ الامام الصادق «ع» ـ ابوالمأمون الحارثيُّ قال : قلتُ لابي عبدِالله «ع» : ما حقُّ المؤمنِ على المؤمن؟ قال : .. والمؤاساة له في مالِه .[2]

د ـ الاخوّة والايثار الماليّ

٦ الامام الصادق «ع» ـ اَبانُ بنُ تَغلِب قال : .. سَأَلْتُه فقلت : اَخْبِرْني عن حقِّ المؤمنِ على المؤمن؟ فقال : «.. يا اَبان! تُقاسِمُه شَطْرَ مالِك؟»، ثم نَظَرَ اليَّ فرَأىٰ ما دَخَلَني فقال : «يا اَبان! اَما تَعلَمُ اَنَّ اللّهَ عزَّ وجلّ، قد ذَكَرَ المُؤْثِرين على انفُسِهم؟»، قلت : بَلىٰ جُعِلتُ فِداك! فقال : «اَمّا اذا انتَ قاسَمْتَهُ فلم تُؤْثِرْه بعدُ، اِنّما انت وهو سَواءٌ . اِنّما تُؤْثِرُه اذا انت اَعْطَيْتَه مِن النِّصفِ الآخر»[3].

هـ ـ الملكيّة الأخويّة

٧ الامام علي «ع» : لا يُكَلِّفُ المرءُ اَخاه الطَّلَبَ اليه، اِذا عَرَفَ حاجتَه .[4]

---

١ ـ سفينة البحار ١ / ١٣.

٢ ـ الكافي ٢ / ١٧١.

٣ ـ الكافي ٢ / ١٧٢.

٤ ـ تحف العقول / ٧٥ راجع ايضاً : الفصل ٥٠، من الباب ١٢ .

٨ الامام الصادق «ع» : المؤمنون خَدَمٌ بعضُهم لبعض . قال راوي الحديث : فقلت : كيف يكونُ خَدَمٌ بعضُهم لبعضٍ ؟ قال : «نَفَقَتُهم بعضِهم لبعض»[١] .

٩ الامام الكاظم «ع» : يا عاصم! كيف انتُم في التّواصلِ والتّواسي؟ قلت : على افضلِ ما كان عليه احدٌ . قال : اَيَأْتي احدُكم الى دُكّانِ اخيه او منزلِه عندَ الضّائقة، فيَسْتَخْرِجُ كيسَه ويَأْخُذُ ما يَحتاجُ اليه فلايُنْكِرُ عليه؟ قال : لا. قال : فلَسْتُم على ما اُحِبُّ في التّواصل .[٢]

و ـ رفض الاستئثار على الأخ الدّينيّ

١٠ الامام الصادق «ع» سُئلَ ابو عبدِالله «ع» : ما اَدْنىٰ حقِّ المؤمنِ على اخيه؟ قال : اَن لا يَسْتَأْثِرَ عليه بما هو اَحوَجُ اليه منه .[٣]

ز ـ حفظ الاخوّة بالمؤاساة

١١ الامام علي «ع» : ماحُفِظَتِ الاُخُوَّةُ بمثلِ المؤاساة .[٤]

* هذا الكلامُ العلويّ، يُعَدُّ تفسيراً لآيةِ الاُخُوَّةِ القرآنيَّة، ورسماً لمناهجِهَا التّجسيديّة، فلاحِظْه بامعان .

ح ـ نظام الدّين بمؤاساة الإخوان

---

١ ـ البحار ٧٤ / ٢٢٦.

٢ ـ البحار ٧٤ / ٢٣٢، عن كتاب «قضاء الحقوق» .

٣ ـ البحار ٧٤ / ٣٩١، عن «الخصال».

٤ ـ غرر الحكم / ٣٠٩.

١٢ الامام علي «ع» : نظامُ الدّينِ خصلتان : انصافُك النّاسَ من نفسِك، ومؤاساةُ اِخوانِك.[١]

* يُفيدُنا هذا التّعليم، اَنَّ المجتمعَ الاسلاميَّ ـ الّذي يَقومُ على النِّظامِ القرآنيّ ـ هو المجتمعُ الّذي يَسُودُه اصلُ المؤاساةِ الاقتصاديّة والمعيشيّة. والمجتمعُ بهذا يُصبِحُ مصداقاً لقولِ اللّهِ عزَّوجلّ : «اِنّما المؤمنون اِخْوَةٌ»، لابدونِه ممّا لا يَنطَبِقُ عليه، فضلاً عمّا يُضادُه.

ط ـ الإخاء الصّادق والمستوى المعيشيّ

١٣ الامام الصادق «ع» : الاِخوانُ ثلاثة : مواسٍ بنفسِه، وآخرُ مواسٍ بمالِه. وهما الصّادقان في الإخاء. وآخرُ يَأْخُذُ منك البُلْغَة ويُريدُك لبعضِ اللَّذَّة، فلا تَعُدَّه من اهلِ الثِّقَة.[٢]

ي ـ المساواة الماليّة

١٤ النبـي «ص» : يا علي! سَيِّدُ الاعمالِ ثلاثُ خِصالٍ : انصافُك النّاسَ من نفسِك، ومساواةُ الاخِ في الله، وذكرُ اللّهِ على كلِّ حالٍ.[٣]

* راجع : الفصلَ السّابقَ ايضاً.

---

١ ـ غرر الحكم / ٣٢٣.

٢ ـ تحف العقول / ٢٣٩.

٣ ـ تحف العقول / ١٤.

يا ـ لايُظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيرَه (١)

١٥ النبـــي «ص» : المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظْلِمُه ..[١]

يب ـ لا يظلم الأخ المسلم، اجيراً كان او غيره (٢)

١٦ الامام الصادق «ع» : المُسلمُ اخو المُسلم، لا يَظْلِمُه ..[٢]

يج ـ لا إعسار ولا تضييق

١٧ الامام الصادق «ع» : .. وإيّاكم وإعسارَ احدٍ من إخوانِكم المسلمين، اَن تُعْسِرُوه بالشّيءِ يَكونُ لكم قِبَلَه وهو مُعْسِرٌ؛ فإنَّ اَبانا رسولَ الله «ص» كان يَقولُ : ليس لمسلمٍ اَن يُعْسِرَ مسلماً . ومَن اَنْظَرَ مُعسِراً اَظَلَّهُ اللّهُ بظِلِّه يَومَ لاظِلَّ الاّ ظِلُّه .[٣]

يد ـ ثواب معونة المسلم وعقاب تركها

١٨ الامام الباقر «ع» : اَوحَى اللّهُ عزّ وجلّ الى موسى «ع» : اَنّ مِن عبادي مَن يَتَقَرَّبُ اليَّ بالحسنة، فأُحَكِّمَهُ في الجنّة . فقال موسى : يا ربِّ وما تلك الحسنة؟ قال : يَمشي مع اخيه المؤمنِ في قضاءِ حاجتِه، قُضِيَت او لم تُقْضَ .[٤]

---

١ ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٤.

٢ ـ الكافي ٢ / ١٧٤.

٣ ـ الكافي ٨ / ٩.

٤ ـ الكافي ٢ / ١٩٥ ـ ١٩٦.

١٩ الامام الصادق «ع» : اِنّ ابانا رسولَ الله «ص» كان يقول : «اِنّ معونةَ المسلم خيرٌ واعظمُ اجراً من صيامِ شهرٍ واعتكافِه في المسجدِ الحرام»[١].

٢٠ الامام الصادق «ع» : من سعىٰ في حاجةِ اخيه المسلم، فَاجْتَهَدَ فيها، فاَجْرَى اللّهُ على يدَيه قضاءَها، كتبَ اللّهُ عزّ وجلّ له حَجَّةً وعُمرةً واعتكافَ شهرين في المسجدِ الحرام وصيامَهما . واِنِ اجْتَهَدَولم يُجْرِ اللّهُ قضاءَها على يدَيه، كتبَ اللّهُ عزَّ وجلّ له حَجَّةً وعُمرة .[٢]

٢١ الامام الصادق «ع» : قال اللّهُ عزَّ وجلّ : الخلقُ عِيالي، فاَحَبُّهم اليّ اَلطَفُهم بهم، واَسْعاهم في حوائجِهم .[٣]

* يُفيدُنا هذا التّعليم، اَنَّ رشدَ الواقعِ الانسانيِّ للفرد، بتقرُّبِه الى المبدإِ الحقّ، اِنّما يُتاحُ له بعدَ رُشدِه الاجتماعيّ .

٢٢ الامام الصادق «ع» : ما قَضىٰ مسلمٌ لمسلمٍ حاجةً، الاّ ناداه اللّهُ ـ تبارك وتعالى ـ : «عليَّ ثوابُك، ولا اَرْضىٰ لك بدونِ الجنّة»[٤].

٢٣ الامام الصادق «ع» ـ اسماعيلُ بنُ عمّارِ الصّير فيِّ قال : قلتُ لأبي ـ عبدالله «ع» : جُعِلْتُ فداك! المؤمنُ رحمةٌ على المؤمن؟ قال : نَعَم . قلت : وكيف ذاك؟ قال : ايُّما مؤمنٍ اَتىٰ اخاه في حاجةٍ، فاِنَّما ذلك رحمةٌ من اللّهِ ساقَها اليه وسَبَّبَها له، فاِن قَضىٰ حاجتَه كال قد قَبِلَ الرَّحمةَ بقبولِها؛ واِن رَدَّه عن حاجتِه ـ وهو يَقدِرُ على قضائها ـ فاِنّما ردَّ عن نفسِه رحمةً من اللّهِ جلَّ وعزّ، ساقَها اليه وسبَّبَها له .. يا اسماعيل! مَن اَتاه اخوه في حاجةٍ يَقدِرُ

---

١ ـ الكافي ٨ / ٩.

٢ و ٣ ـ الكافي ٢ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

٤ ـ الكافي ٢ / ١٩٤.

على قضائها فلم يَقْضِها له، سَلَّطَ اللّهُ عليه شُجاعاً يَنهَشُ ابهامَه في قبرِه الى يومِ القيامة، مغفوراً له او مُعذَّباً.[1]

يه ـ مسرّة رسول الله «ص» بقضاءِ الحاجات

٢٤ الامام الصادق «ع» : تَنافَسُوا في المعروفِ لِاخوانِكم وكونوا من اهلِه، فإنَّ للجنّةِ باباً يُقالَ له : «المعروف»، لا يَدخُلُه الاّ منِ اصْطَنَعَ المعروفَ في الحياةِ الدّنيا، فإنَّ العبدَ لَيَمْشي في حاجةِ اخيه المؤمن، فيُوَكِّلُ اللّهُ عزَّو جلّ به مَلَكين ـ واحداً عن يمينه وآخَرَ عن شمالِه ـ يَستَغفِران له ربَّه ويَدعُوان بقضاءِ حاجتِه. ثم قال : والله، لَرَسولُ اللّهِ «ص» اَسَرُّ بقضاءِ حاجةِ المؤمنِ اذا وَصَلَت اليه من صاحبِ الحاجة.[2]

* هذا التّعليمُ ايضاً يُشيرُ الى رُشدِ الواقعِ الانسانيِّ من جهةٍ اُخرى، فايُّ شيءٍ يُطَوِّرُ روحَ الانسان ويَصعَدُبها اكثرَ من مَسرَّةِ الرّسول «ص»؟

---

١ ـ الكافي ٢ / ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢ ـ الكافي ٢ / ١٩٥.

نظرة الى الفصـــل

لعلَّ المسلمَ النّابهَ يُذْعِنُ بَانَّ «الاُخُوَّةَ الاسلاميّةَ» الّتي جاءَ بها القرآنُ والاحاديثُ وهَتَفَت بها، ليسَت مُجرَّدَ امرٍ لفظيٍّ ولقلقةِ لسانٍ فحَسْب ـ كما اَوعَزنا اليه في مطاوي الفصل ـ بل هو امرٌ يَعُمُّ شؤونَ حياةِ المسلمِ عامّة، فليس من الاُخُوَّةِ اَن يَكونَ هناك مسلمٌ محتاجٌ يَفقِدُ الحاجاتِ الحياتيّة،وهناك غنيٌّ لا يَفقِدُ ايَّ شيءٍ يَهواه . ومع ذلك يَكونُ كلٌّ منهما اخاً للآخر.

وممّا يَنبغي اَن نُشيرَ اليه، اَنَّ الاُخُوَّةَ الاسلاميَّةَ اذا اَصبَحَت معتَقَداً فللواقعِ الاقتصاديِّ دَورٌ هامٌّ في تعيينِ صدقِ هذا المُعتَقَدِ وعدِمه . وفي الحَقلِ الاقتصاديِّ والماليِّ ولدى دفعِ الاَدواتِ المعيشيّةِ وانفاقِ المال، تَتَحَقَّقُ الارضيّاتُ المناسبةُ لتطبيقِ الاعتقادِ وتصديقِه، او هدمِه واخْتزالِه . ولقد مرَّ في الاحاديث اَنَّ ثبوتَ الايمان بمؤاساةِ الاِخوانِ بالمال، وما حُفِظَتِ الاُخُوَّةُ بمثلِ المؤاساة . فيَجِبُ اَن يَسعَى السّاعون واَن يَعمَلَ العاملون على اِلْغاءِ الفروقِ الباهظةِ بين الافرادِ والقِطاعات، وارجاعِ المجتمعِ الى عائلةٍ أخَويّة، حتى تَتَمَثَّلَ الاُخُوَّةُ بصورةٍ واقعيّةٍ لالفظيّة، والاّ فاَيّةُ اُخُوَّةٍ ستكونُ وستَبقىٰ :

ـ بين سُكّانِ القصورِ الشّاهقة، وسَكَنةِ الاكواخِ البائسة ؟

ـ بين الآكلين الاقتصاديّين، والمأكولين ؟

ـ بين المستكبرين الماليّين، والمستضعفين ؟

ـ بين المُستغِلِّين المُمْتَصِّين (بالكسر)، والمُستَغَلِّين المُمتصِّين (بالفتح) ؟

- بين آكلي الرّبا الغاشمين، ومؤدّيه المقهورين ؟

- بين المحتكرين، والمفروضِ عليهمُ الاحتكار ؟

- بين المُسَعِّرين المعتدين (من المستوردين والمُنتجين الّذين يُضَخِّمون الأرباحَ ويُجحِفون بالأسعارِ مايَشاؤون)، والمُشترين المحتاجين إلى البضائع والأمتعة ؟

- بين الّذين يَمتَلِكُون عدّةً من الدُّورِ هنا وهناك، والّذين لا يَجِدُون ظُلَّةً لعائلتِهم ؟

- بين اصحابِ المعاملِ الّذين يُخرِجُهُمُ الفَراغُ ورَغادةُ العيشِ الى الأَشَرِ والبَطَر، والعُمّالِ المعذّبين الّذين لا يَجِدُون سبيلاً الى دقائق لِلَبْثٍ واستراحةٍ ضروريّة ؟

- بين المالكين الكبارِ المنغمسين في النّعيمِ والرّفاه هم وذَوُوهم، والفلاليحِ الّذين يَلْفَحُهُم وَهَجُ الهواجرِ ورمضاءُ الصّحاري هنا وهناك في المزارعِ والحقول ؟

- بين المُترَفين المُسرفين ونسائهم وأبنائهم وبناتِهمُ الّذين يتخيّرون الا طعمةَ الجيّدة والوانَ الفواكهِ والحَلَويات ويعيشون الأزياءَ الدّارجة ولا يَقتنِعون، والبُؤَساءِ الّذين تَسحَقُهُم الاعوازُ والحاجيّاتُ البسيطةُ كلَّ يوم وليلة ؟

- بين الّذين يُنفِقُون مقاديرَ باهظةً لألعابِ اطفالِهم، والّذين لا يَقدِرُون على شِراءِ دواءٍ رخيصٍ لطفلِهمُ المُشرفِ على الموت ؟

أفيَكونُ المجتمعُ الّذي تَسُودُه هذه الحالاتُ والصِّلات، مجتمعاً اسلاميّاً أخَويّاً؟ وهل يَدّعي الحكمُ الّذي يَحكُمُ على مجتمعٍ كهذا أنّهُ حكمٌ اسلاميٌّ يُديرُ مجتمعاً أخَويّاً؟ فالواجبُ أن نَبْدَأَ اولا بتعديلِ الصِّلاتِ الاقتصاديّة في المجتمعِ واخراجِ الاموالِ والمواهب مِن كَونِها دُولةً بين حفنة، حتى يُصبِحَ التّقاربُ الحياتيُّ بينَ النّاس سبباً لتقاربِهِمُ الأخَويِّ،

كما اَنَّ التّقاربَ الرُّوحيَّ يَجبُ اَن يُؤَدِّيَ الى التّقاربِ المعيشيّ، والاّ فهو تمويهٌ ودَجْلٌ . فالاُخُوَّةُ الاسلاميّة امرٌ يَتَعدّىٰ الى الواقع التّجسيديِّ اِن كانت موجودةً، فكما اَنَّ قراءةَ الآيةِ القرآنيّة : «الّذين يُؤمِنُون بالغيبِ ويُقيمُون الصَّلاةَ وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون» مثلاً، لا تُفيدُ ـ بنفسِ القراءة ـ ايماناً بالغيبِ واقامةً للصّلاةِ وانفاقاً ممّا رزِقُوا، بل يَحتاجُ الامرُ الى الايمانِ الموجودِ في القلب، واقامةِ الصّلاةِ بركوعِها وسجودِها في الخارج، وانفاقِ الاموالِ لمَن يَحتاجُ اليها في العالمِ الخارجيّ، كذلك قراءةُ الآيةِ القرآنيّة : «اِنّما المُؤ منون اِخْوَةٌ»، لاتُفيدُ الاّ اذا كانَت هناك حالةٌ حياتيّةٌ ومعاشيّةٌ وروحيّةٌ تَصدُقُ عليها اَنَّها اَخَويَّة .

ولقد اَكَّدَتِ الاحاديثُ على الاُخُوَّةِ الماليّة ايضاً، وعَدَّتْها من اهمِّ ابعادِ الاُخُوَّةِ الاسلاميّة، وجَعَلَتِ الاُخُوّةَ في البُعدِ الاقتصاديِّ ايضاً من الواجبات، وذَكَرَتْ حقوقاً للمؤمنِ على اخيه . واِنّ منها اَن يَبذُلَ للآخرين ما يَحتاجُون اليه من الاموالِ والاَطعِمَةِ والاَلبِسَةِ والادواتِ والاَسكانِ ووسائطِ النّقل، بل اَن يؤاسِيَ اِخوانَه في المستلزماتِ المعيشيّة . واِنّ لَحن احاديثِ حقوقِ المؤمن ـ مضافاً الى كثرتِها ـ لَحْنٌ مُؤَكِّدٌ حاسم، لا يَقِلُّ عن اللّزومِ والحَتم .[1]

تذنيب

جاءَ في الحديثِ النّبويِّ المذكورِ في الفصل ـ برقم ١٤ ـ هذه التّعبيرة : «.. مساواةُ الاَخِ في الله ..». وجاء في «الكافي» (٢ / ١٤٥) : «مؤاساةُ الأخِ في اللّهِ» بَدَلها . ولعلَّ الكلمتين تَرمِيان في المقامِ إلى غرضٍ واحدٍ أو متقارب .

---

١ ـ راجع ايضاً : الفصل ٥٠، من الباب ١٢.

قال الفيضُ الكاشانيّ: «المؤاساةُ ـ بالهمزة ـ بين الإخوان، عبارةٌ عن إعطاءِ النُّصرةِ بالنّفسِ والمالِ وغيرِهما، في كلِّ ما يَحتاجُ الى النُّصرةِ فيه؛ يُقال: آسيتُه بمالي مؤاساةً، أي: جَعَلتُه شريكي فيه على سويّةٍ. وبالواو لغةٌ. وفي القاموس في فصلِ الهمزة: آساهُ بمالِه مؤاساةً: أنالَه منه. ولا يكونُ إلّا من كَفافٍ؛ فإن كان من فَضلَةٍ فليس بمؤاساة. وجعلُها بالواو لغةٌ رديّة».[1]

---

١ ـ راجع: «الكافي» ٢ / ١٤٥، الهامش.

الفصلُ السّادس والأربعون

المؤاساة، أصل عظيم

الكتـــاب

١ وَالّذينَ في أَموالِهم حقٌّ معلوم * للسّائلِ والمحروم *[١]

* المواساة هي اشراكُ الغيرِ في المال، وجعلُه أُسْوَةً فيه.
راجع ايضاً: كلام ابن منظور، الّذي سيأتي في هذا الفصل.

الحديـــث

أ ـ المؤاســـاة والإيمان

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق: من واسى الفقيرَ من مالِه، وأَنصَفَ النّاسَ من نفسِه، فذلك المؤمن حقّاً.[٢]

١ ـ سورة المعارج (٧٠): ٢٤ ـ ٢٥.

٢ ـ الكافي ٢ / ١٤٧.

٢ الامام علي «ع» : خيرُ اِخوانِك مَن واساك بخيرِه، وخيرٌ منه من اَغْناك عن غيرِه .[١]

٣ الامام علي «ع» : خيرُ اِخوانِك من واساك، وخيرٌ منه من كَفاك .[٢]

٤ الامام علي «ع» : افضلُ المُروءَةِ مواساةُ الاِخوانِ بالاموال، ومساواتُهم في الاَحوال .[٣]

٥ الامام الصادق «ع» : اِنّا لانَأْمُرُ بظلمٍ، ولكنّا نَأْمُرُكُم بالوَرَع، الوَرَع، الوَرَع ، والمؤاساةِ، المؤاساةِ لِاخوانِكُم .[٤]

٦ الامام العسكري «ع» : قولُه عزَّ وجلّ : «وآتُوا الزَّكاة»، اي من المالِ والجاهِ وقوّةِ البدن، فمن المالِ مؤاساةُ اِخوانِك المؤمنين ..[٥]

ب ـ المؤاساة، الرّشد العقلي

٧ الامام الباقر «ع» : اَيَجيءُ احدُكم الى اخيه، فيُدْخِلُ يدَه في كيسِه فيَأْخُذُ حاجتَه فلايَدفَعُه؟ قال الرّاوي : فقلت : ما اَعرِفُ ذلك فينا . فقال : فلاشيءَ اِذاً . قلت : فالهَلاكُ اذاً؟ فقال : اِنَّ القومَ لَم يُعْطَوا احلامَهم بَعدُ؟[٦]

* يُفيدُنا هذا التّعليمُ العظيم، اَنَّ المؤاساةَ الاقتصاديّةَ والمعيشيّةَ هي من آثارِ الرُّشدِ العقليّ، وتكاملِ الانسانِ

---

١ و ٢ ـ غرر الحكم / ١٧٢.

٣ ـ غرر الحكم / ٩٨.

٤ ـ البحار ٦٨ / ١٥٤.

٥ ـ البحار ٧٤ / ٢٢٨، عن «تفسيرِ الامامِ العسكريّ ـ ع ـ».

٦ ـ الكافي ٢ / ١٧٤.

الاجتماعيِّ، وتعالي المجتمعِ الانسانيّ، وَانَّ المجتمعَ القرآنيَّ يَتوَقَّفُ تحققُّه على تجسيدِ اصلِ المؤاساة .

ج ـ المؤاساة، العمل الصّالح

٨ الامام الصادق «ع» ـ في تفسيرِ قولِه تعالى : «وعَمِلُوا الصّالحات»، من سورةِ «العصر»، قال : يعني بمؤاساةِ الإخوان .[١]

د ـ مساءلة الإخوان وزيارتهم وتعاهدهم

٩ الامام علي «ع» : تَزاوَرُوا، وتَعاطَفُوا، وتَباذَلُوا، ولاتَكونُوا بمنزلةِ المنافق، الّذي يَصِفُ ما لا يَفعَل .[٢]

* لَعلَّ ذكرَ المنافقِ في الكلامِ والنَّهيَ عن الكَونِ مثلَه، اشارةٌ الى اَنَّ الاُخُوَّةَ الدّينيَّةَ يَجِبُ اَن تَكونَ مُجَسَّدةً في الخارجِ بحَسَبِ المعامَلَةِ والسُّلوكِ في الصِّلاتِ الحياتيَّةِ والحاجاتِ المعيشيَّة، لا امراً دائراً على اللّسان، من غيرِ اَن يَظْهَرَ له اَثَرٌ في العرصاتِ الفعليّة، وكذلك التّعاهدُ والتَّعاونُ وما الى ذلك .

١٠ الامام الصادق «ع» : .. اَحِبَّ لاخيك المسلمِ ما تُحِبُّ لنفسِك، واذا احْتَجْتَ فسَلْهُ، وإن سَأَلَك فَاَعْطِه ..[٣]

---

١ ـ تفسير البرهان ٤ / ٥٠٤.

٢ ـ تحف العقول / ٧٥.

٣ ـ الكافي ٢ / ١٧٠.

هـ ـ دور الواقع الاقتصاديّ في فعليّة الإيمان واستقراره

١١ النبـــي «ص» : ليس بمؤمن من باتَ شَبْعانَ وجارُه طاوياً .[١]

١٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : قال رسولُ الله «ص» : قالَ اللّهُ ـ تبارك وتعالى ـ : «ما آمَنَ بي من باتَ شَبْعانَ واخُوه المسلمُ طاوٍ»[٢].

١٣ النبـــي «ص» : ما آمَنَ باللّهِ من شَبِعَ واخُوه جائع، ولا آمَنَ باللّهِ مَنِ اكْتَسىٰ واخُوه عُريان ..[٣]

١٤ الامام الصادق «ع» : قال رسولُ الله «ص» : مَن واسَى الفقيرَ من مالِه، وانْصَفَ النّاسَ من نفسِه، فذلك المؤمنُ حقّاً .[٤]

و ـ حبّ الإخوان واهميّته من الجهة الاقتصاديّة

١٥ الامام الصادق «ع» ـ حسينُ بنُ نعيمٍ الصَّحاف قال : قال ابو عبدِالله «ع» : اَتُحِبُّ اِخوانَك يا حسين؟ قلت : نَعَم . قال : تَنفَعُ فقراءَهم؟ قلت : نَعَم . قال : اَما اِنَّه يَحقُّ عليك اَن تُحِبَّ من يُحِبُّ الله، اَما وَاللّهِ لا تَنفَعُ احداً منهم حتى تُحِبَّه . اَتَدْعُوهم الى منزِلِك؟ قلت : نَعَم، ما آكُلُ الّا ومعي منهم الرَّجلان والثّلاثةُ والاقلُّ والاكثر . فقال ابو عبدِالله : اَما، اِنَّ فضلَهم عليك اعظمُ من فضلِك عليهم . فقلت : جُعِلْتُ فِداك، اُطْعِمُهم طعامي واُوَطِّئُهم رَحْلي، ويكونُ فضلُهم عليَّ اعظم؟ قال : نَعَم، اِنَّهم اذا دَخَلُوا منزلَكَ دَخَلُوا بمغفرتِك ومغفرةِ عِيالِك، واذا خَرَجُوا من منزِلِك خَرَجوا بذنوبِك وذنوبِ

---

١ ـ مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٢ ـ الوسائل ١٦ / ٥٦٤.

٣ ـ مكارم الاخلاق / ١٥٣.

٤ ـ الكافي ٢ / ١٤٧.

عيالِك .[1]

* يُفيدُنا هذا التّعليم مسائلَ تَربويَّة واجتماعيَّةً وانسانيَّةً ومعيشيَّةً مهمّة، منها :

١ ـ اَنَّ المسلمَ يَجبُ عليه اَن يُحِبَّ اخاه الدّينيَّ حتى يَنفَعَه .

٢ ـ اَنَّ محبَّةَ الاِخوانِ لاتَكونُ امراً مجرّداً، من غيرِ اَن يَستَتْبِعَ الانفاقَ عليهم .

٣ ـ اَنَّه يَجِبُ اَن تَظهَرَ آثارُ المحبّةِ والاخُوَّةِ الدّينيّةِ في الامورِ الاقتصاديّة والقضايا المعيشيَّة والحاجاتِ الحياتيَّة، حتى تَكونَ محبّةً صادقةً واُخُوَّةً اسلاميَّة .

ز ـ هذه هي الأخوّة..

١٦ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ اميرُ المؤمنين : .. من كَسىٰ اخاه المؤمنَ من عُرْيٍ ، كساهُ اللّهُ من سُندسِ الجنّة .. ولم يَزَلْ يَخوضُ في رضوانِ اللّهِ مادامَ على المَكْسُوِّ منه سِلْكٌ . ومن اَطْعَمَ اخاه من جوعٍ ، اَطعَمَهُ الله من طيِّباتِ الجنّة . ومن سَقاهمن ظَمَاءٍ سَقاه اللّهُ من الرحيقِ المختومِ ريَّةً .. ومن حَمَلَ اخاه المؤمنَ على راحلتِه، حَمَلَه اللّهُ على ناقةٍ من نُوقِ الجنّة .. ومن زَوَّجَ اخاه المؤمنَ امرأةً يَأنَسُ بها .. زَوَّجَهُ اللّه من الحُورِ العين .[2]

* يُفيدُنا هذا التَّعليمُ النَّبويّ، اَنَّ امرَ الاُخُوَّةِ الدّينيّةِ لَايَتِـمُّ

---

١ ـ الكافي ٢ / ٢٠١ ـ ٢٠٢.

٢ ـ البحار ٧٧ / ١٩٢.

ـ كما اشَرنا اليه ايضاً ـ باللّفظِ المُجرَّد بَل يَستَتْبِعُ المسائلَ الحياتيّة، كالكَسْوِ والإطعامِ والسَّقْيِ والحَملِ على المركوبِ والتّزويجِ وما الى ذلك. هذه هي الاُخُوّةُ الاسلاميّةُ الّتي يَرسُمُ ملامحَهَا النّبيّ «ص».

ح ـ الأخوّة الاسلاميّة والتّحذير من الخيانة الاقتصاديّة فيها

١٧ الامام الصادق «ع» : يا هارون! اِنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ آلىٰ على نفسِه اَن لا يُجاوِرَه خائن. قال : قلت : وما الخائن؟ قال : مَن ادَّخَرَ عن مؤمنٍ درهماً، او حَبَسَ عنه شيئاً من امرِ الدُّنيا. قال : قلت : اَعوذُ باللّهِ من غضبِ الله. فقال : اِنَّ اللّهَ ـ تبارك وتعالى ـ آلىٰ على نفسِه اَن لا يُسكِنَ جنَّتَه اصنافاً ثلاثة : رادٌّ على اللّهِ عزَّو جلّ، او رادٌّ على امامِ هُدًى، او من حَبَسَ حقَّ إمْرِئٍ مؤمن. قال (ابو هارون) : قلت : يُعطيه من فضلِ ما يَملِكُ؟ قال : يُعطيه من نفسِه وروحِه، فاِن بَخِلَ عليه بنفسِه فليس منه، اِنّما هو شَرَكُ شيطانٍ.[١]

ايقاظ هامّ

الاسلام العلويّ، بعض ملامحه وسماته في المجالات الاقتصاديّة والمعيشيّة ممّا يُجَسِّدُ الإسلامَ المحمّديَّ المحض

---

١ ـ البحار ٧٥ / ١٧٣، عن «الخصال».

الحديـــث

١ ـ الايثار على النّفس (الاقتصاد والمعيشة)

١ الامام الحسن «ع» ـ للرَّجلِ الّذي قال اِنّه مِن شيعةِ عليّ «ع» : يا عبدَالله، لستَ من شيعةِ عليّ! اِنَّما انت مِن مُحبِّيه؛ اِنَّما شيعةُ عليٍّ .. همُ الّذين يُؤْثِرون اِخوانَهم على انفُسِهم ولو كان بهم خَصاصَةٌ . وهمُ الّذين لا يَراهُمُ اللّهُ حيثُ نَهاهم، ولا يُفْقِدُهم حيث اَمَرَهم؛ وشيعةُ عليٍّ همُ الّذين يَقْتَدُون بعليٍّ «ع» في اِكرامِ اِخوانِهمُ المؤمنين .[١]

٢ ـ تعهّد الجيران (الاقتصاد والمعيشة)

٢ الامام الباقر «ع» : ما شيعتُنا الاّمَنِ اتَّقَى اللّهَ واطاعَه؛ وما كانوا يُعرَفُون الاّ بالتّواضعِ والتَّخشُّعِ ، واداءِ الامانة، وكثرةِ ذكرِ الله، والصّومِ والصّلاة، والبِرِّ بالوالدين، وتعهُّدِ الجيرانِ من الفقراء وذوي المسكنةِ والغارمين والايتام، وصدقِ الحديث، وتلاوةِ القرآن، وكفِّ الاَلْسُنِ عن النّاسِ اِلاّ من خيرٍ؛ وكانوا اُمَناءَ عشائرِهم في الاشياء .[٢]

٣ ـ التّواسي الماليّ (الاقتصاد والمعيشة)

٣ الامام الباقر «ع» ـ قال راوي الحديث : قلتُ لابي جعفر «ع» : جُعِلْتُ فِداك! اِنَّ الشّيعةَ عندَنا كثير، فقال : [فـ]ـهل يَعطِفُ الغنيُّ على الفقير؟ وهل

---

١ ـ البحار ٦٨ / ١٦٢ ـ ١٦٣.

٢ ـ تحف العقول / ٢١٥.

يَتجاوَزُ المحسنُ عن المسيء؟ ويَتواسَون؟ فقلت : لا. فقال : ليس هؤلاءِ شيعةً، الشّيعةُ مَن يَفعَلُ هذا.[1]

٤ ـ حبّ الانفاق على الآخرين (الاقتصاد والمعيشة)

٤ الامام الباقر «ع» ـ في خطابه «لرجلٍ فَخَرَ على آخر بأنَّه من شيعةِ آلِ محمَّدٍ الطّيِّبين» : .. اَمالُك معك تُنفِقُه على نفسِك اَحَبُّ اليك، ام تُنفِقُه على اِخوانِك المؤمنين؟ قال : بل اُنفِقُه على نفسي . قال : فلستَ من شيعتِنا، فإنَّا نحنُ ما نُنْفِقُ على المُنْتَحِلينَ من اِخوانِنا اَحَبُّ الينا، ولكن قُل : اَنَا من مُحبِّيكُم، ومن الرّاجين النَّجاةَ بمحبَّتِكم.[2]

٥ ـ العيادة والصّلة (الاقتصاد والمعيشة)

٥ الامام الصادق «ع» ـ محمدُ بنُ عَجلان قال : كنتُ عندَ ابي عبدِالله «ع»، فدَخَلَ رجلٌ فسَلَّم، فسَأَلَه : كيفَ مَن خَلَّفْتَ مِن اِخوانِك؟ .. فاَحْسَنَ الثّناءَ وزَكّىٰ واَطْرىٰ، فقال له : كيفَ عِيادةُ اغنيائِهم على فقرائِهم؟ فقال : قليلة . قال : وكيف مُشاهَدَةُ اغنيائِهم لفقرائِهم؟ قال : قليلة . قال : فكيف صلةُ اغنيائِهم لفقرائِهم في ذاتِ ايديهم؟ فقال : اِنَّك لَتَذْكُرُ اخلاقاً قلَّ ما هي فيمن عندَنا . قال : فقال : فكيف تَزْعَمُ هؤلاءِ اَنَّهم شيعة؟[3]

٦ ـ القناعة، حتى تصل المعايش الى الآخرين (الاقتصاد والمعيشة)

---

١ ـ الكافي ٢ / ١٧٣.

٢ ـ البحار ٦٨ /١٥٦.

٣ ـ الكافي ٢ / ١٧٣.

٦ الامام الباقر «ع» ـ فيما خاطَبَ به الشّيعة : .. وإنَّ اغنياءَكم لاهلُ القناعة ..[١]

٧ ـ نيل الولاية بالمؤاساة (الاقتصاد والمعيشة)

٧ الامام الصادق «ع» : .. يا ابنَ جُندَب! بَلِّغْ مَعاشرَ شيعتِنا وقُل لهم : لا تَذْهَبَنَّ بكمُ المذاهب، فواللّهِ لا تُنالُ ولا يُتْنا الّا بالورع؛ والاجتهادِ في الدُّنيا؛ ومؤاساةِ الإخوانِ في الله . وليس مِن شيعتِنا مَن يَظلِمُ النّاس .[٢]

* النّاسُ في هذا التّعليم عامٌّ، يَشمُلُ كلَّ انسان، من اهلِ ايِّ ملّةٍ او نِحْلَةٍ كان . فليس مِن شيعتِهم من يَظلِمُ احداً، كائناً مَن كان المظلوم .

٨ ـ المؤاساة ترادف الصّلاة في المواقيت (الاقتصاد والمعيشة)

٨ الامام الصادق «ع» : خَصلتان مَن كانَتا فيه، والّا فَاعْزِبْ، ثُمَّ اعْزِبْ، ثُمَّ اعْزِبْ! قيل : وما هُما؟ قال : «الصّلاةُ في مَواقيتِها والمحافَظَةُ عليها، والمؤاساة».[٣]

٩ ـ المؤاساة ممّايمتحن به (الاقتصاد والمعيشة)

٩ الامام الصادق «ع» : اِمْتَحِنُوا شيعتَنا عندَ ثلاثٍ : عندَ مَواقيتِ الصّلاة، كيف

---

١ ـ الكافي ٨ / ٢١٤.

٢ ـ تحف العقول / ٢٢٣.

٣ ـ البحار ٧٤ / ٣٩١.

محافَظَتُهم عليها؛ والى اسرارِهم، كيف حفظُهم لها عندَ عدوِّنا؛ والى اموالِهم، كيف مؤاساتُهم لاخوانِهم فيها؟[1]

* قال جمالُ الدّين ابنُ منظور : «آساه بمالِه : اَنالَهُ منه وجَعَلَه فيه اُسْوَةً . وقيل : ''لايكونُ ذلك منه الّا من كَفافٍ، فان كان من فَضْلَةٍ فليس بمؤاساة''»[2].

١٠ ـ المؤاساة ممّا أمروا به (الاقتصاد والمعيشة)

١٠ الامام العسكري «ع» ـ قال كامل ابنُ ابراهيمَ المدنيّ : .. يَأمُرُنا نحن بمؤاساةِ الإخوان.[3]

* ومن كلماتِ المجاهدِ العلويِّ الكبير، يحيي بنِ اُمِّ الطّويلِ المُطْعِمي ـ وهو من خواصِّ اصحابِ الامام عليِّ بنِ الحسينِ السّجّاد «ع» ـ فيماخاطَبَ به شيعةَ آلِ محمّد «ص»، في كُناسةِ الكوفة : «.. ومَنِ احْتاجَ الى مَسأَلَتِكُم من اِخوانِكم، فقد خُنتُموه ..»[4].

تربية عظيمة

---

١ ـ البحار ٧٤ / ٣٩١، عن «قرب الاسناد».

٢ ـ لسان العرب ١ / ذيل «اسا». وقال في معنى «الاُسْوَة» : «القومُ اُسْوَةٌ في هذا الامر، اي حالُهم فيه واحدةٌ».

٣ ـ البحار ٥٠ / ٢٥٣.

٤ ـ الكافي ٢ / ٣٨٠.

١ الامام الصادق «ع» : اِنّما المؤمنون اِخْوَةُ، بنو ابٍ وامٍّ . واذا ضَرَبَ على رجلٍ منهم عِرْقُ، سَهَرَ له الآخرون .[١]

٢ الامام الصادق «ع» ـ قال ابو بصير : سمعتُ اباعبدِالله «ع» يقول : المؤمنُ أخوالمؤمنِ كالجسدِ الواحد، اِنِ اشْتَكىٰ شيئاً منه وَجَدَ اَلَمَ ذلك في سائرِ جسدِه .[٢]

* قُل وربّك ـ ايُّها القارئ الكريم ـ : هل يُوجَدُ هناك اختلاجُ عِرْقٍ آلَمُ من اوجاعِ الفقرِ والمسكنةِ وشدائدِ العَوَزِ والعُدْم؟ فلماذا لا يَسهَرُ هؤلاء الاِخوَةُ الاغنياءُ لاولئك الاِخوَةِ الفقراء، وهم يَحسَبُون اَنفُسَهم ابناءَ الاسلامِ واَتباعَ القرآن؟

هل يكونُ من الـدّينِ المحمّديِّ اَن نَعُدَّ اَنفُسَنا مؤمنين اِخْوَةً، بني ابٍ وامٍّ، ومنّا الاغنياءُ المتكاثرون الّذين لا يُعدِمُون ايَّ شيءٍ يشاؤون ويَشاءُ ابناؤُهم وبناتُهم، ومنّا المُعدِمون الّذين لا يَجِدُون ايَّ شيءٍ يَشاؤون ويَشاءُ ابناؤُهم و بناتُهم؟

وهل يُعَدُّ من التّربيةِ الجعفريّةِ اَن يَغْمُرَ تيّاراتُ الغنى التّكاثريِّ المُطغي بلوازمِه حفنةً، ويَغْمُرَ تيّاراتُ الفقرِ المُفْقِعِ المُبيدِ بلوازمِه حَفَنات؟ ونحن مسلمون؟ قرآنيّون؟ محمّديّون؟ علويّون؟ جعفريّون؟

---

١ و ٢ ـ الكافي ٢ / ١٦٥ ـ ١٦٦.

نظرة الى الفصـــل

اِنّ المجتمعَ الانسانيَّ الاسلاميَّ الّذي عَمَدَ القرآنُ لصُنعِه، لا بدّ من اَن تكون صِلاتُه الاقتصاديّةُ ايضاً خاضعةً للنّواميسِ الانسانيّةِ ولتأشيراتِ الاسلامِ التّوجيهيّة.

ففي هذا الضّوء، هل يكونُ حملُ المسلمِ على اَن يُؤاسِيَ اخاه و اَن يَبذُلَ له بعضَ مالِه، امراً بِدْعاً من هذا الصُّنع؟ وهل من السّائغِ اَن يُبرِّرَ الاسلامُ اَن يَبنِيَ فردٌ داراً في الفِ مترٍ واكثر ـ مثلاً[1] ـ ولا يُؤاسِيَ اخاه، الّذي لا يَجِدُ ظِلَّ رأس، هو واهلُه و ذووه، باعطائه مئةَ مترٍ منه حتى يَبنيَ الأخُ فيه داراً، فيَأْمَنَ بوائقَ التّشرُّدِ والتّسكُّع، وما يَلحَقُه واهلَه ـ من بنين و بنات ـ من جرّاء الحالة؟

فيجب علينا اَن لا نُكايدُ انفُسَنا، و اَن نُمعِنَ النّظرَ في الاحاديثِ الواردة في الفصل ـ وهي نموذج ـ حتى نَقِفَ على واقعِ نظرةِ الاسلامِ الى قضايا الحياةِ والاقتصادِ والمال، وصلتِها بتبنّي الدّينِ واعتناقِه.

نعم، و اِنّ المؤاساةَ امرٌ لا يَرضى الاسلامُ الأخويُّ باقلَّ منه، مع اَنّه يدعو الى دعم مبدإ «المساواة» ـ كما يَأتي في الفصلِ التّالي.

---

١ ـ وهناك بيوتٌ لهؤلاءِ الإخوان تُناهِزُ عشرةَ آلافِ متر و اكثر سوىٰ مُتَنَزَّهاتِهمُ الأُخرىٰ .. و يا لهذه الأُخوّة!؟..

الفصلُ السّابع والأربعون

مبدأ المساواة في الاسلام

لم نَعقِدْ هذا الفصلَ لَان نَدعُوَ الى تجسيدِ المساواةِ الاسلاميّة، بجميعِ اشكالِها وشؤونِها في المجتمعات، فإنَّ ذلك لايَكونُ الاّ في زمانِ اكْتِمالِ البشرِ وتَبَلْوُرِ فطريّاتِه، وانْعِتاقِ عقلِه، وانْصِياعِه الى عمودِ القسطِ المُشِعّ، بظهورِ «المصلحِ الفاطميِّ»، الّذي يُحيي احكامَ القرآنِ الكريم، ويُجَدِّدُ معالمَ التّربيةِ الاسلاميّة ويَستَنُّ بسُنَّةِ النّبيِّ «ص» ويَسيُر بسيرتِه، ويَعمَلُ على هَدْيِه ـ كما وَرَدَ عن النّبيِّ «ص» في احاديثِ المسلمين عامّة.

بيدَ اَنّا عَقَدنا هذا الفصلَ للتّدليلِ على اَنَّ الدّينَ الّذي يَتَبَنَّى «المساواةَ» قاعدةً اصليّةً لقسمٍ عظيمٍ من صلاتِه الاقتصاديّة، وتوزيعِه الماليّ، وسلوكِه المعاشيّ، لايَعترِفُ البتّةَ بالفُروقِ النّادرة، والتّضادِّ المعيشيِّ الفاحش بين شِرْذِمةٍ وجماهير .. واليك البيان:

الكتــاب

١ يا اَيُّها النّاسُ اِنّا خَلَقناكُم من ذَكَرٍ واُنْثىٰ وجَعَلْناكُم شُعوباً وقبائلَ لِتعارَفُوا،

اِنَّ اَكرَمَكُم عندَاللّهِ اَتْقاكُم ..[1]

٢ وجَعَلَ فيها رواسيَ من فوقِها وبارَكَ فيها وقَدَّرَفيها اَقواتَها، في اربعةِ ايّامٍ، سَواءً للسّائلين *[2]

٣ واللّهُ فَضَّلَ بعضَكُم على بعضٍ في الرِّزْق، فَما الَّذين فُضِّلُوا برادِّي رزقِهم على ما مَلَكَتْ اَيمانُهم، فهم فيه سَواءٌ، اَفَبِنِعمةِ اللّهِ يَجْحَدُون *؟[3]

٤ فلِذلك فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كما اُمِرْتُ ولا تَتَّبِعْ اهواءَهم وقُل : آمَنتُ بما اَنزَلَ اللّهُ من كتابٍ، واُمِرْتُ لِاَعْدِلَ بينَكُم ..[4]

الحديـــث

أ ـ انّ الله تعالى يدعو الى المساواة

١ الامام الصادق «ع» ـ في «الحديثِ القُدسيّ» : قال اللّهُ عزَّ وجلّ : «اِفْتَرَضْتُ على عبادي عشرةَ فرائض، اذا عَرَفُوها اَمْكَنْتُهم ملكوتي واَبَحْتُهم جِناني . اوَّلُها معرفتي .. والعاشرةُ اَن يَكونَ هو واخوه في الدِّين والدّنيا شَرْعاً سَواءً» .[5]

* تَأَمَّل في عطفِ كلمةِ «الدُّنيا» على «الدّين»، في هذا

---

١ ـ سورة الحُجُرات (٤٩) : ١٣.

٢ ـ سورة فُصِّلَت (٤١) : ١٠.

٣ ـ سورة النّحل (١٦) : ٧١.

٤ ـ سورة الشّورى (٤٢) : ١٥.

٥ ـ سفينة البحار ٢ / ١٧٩.

الحديثِ القدسيّ . فالدّعوةُ الى «تبنّي مبدإ المساواة» و تركيزه بين المسلمين، دعوةٌ نابعةٌ من صميمِ دينِ اللّهِ تعالى و دعواتِه .

ب ـ إنّ أولياء الله تعالى يدعون إلى المساواة، أو واقع التّسوية في العهود الإسلاميّة

١ ـ في العهد النّبويّ

٢ النبي «ص» : اِنّ النّاسَ من عهدِ آدمَ الى يومِنا هذا مِثلُ اَسْنانِ المُشْط، لافضلَ للعربيِّ على العجميِّ، ولا للاحمرِ على الاسود، الّا بالتّقوى .[١]

٣ النبي «ص» : يا عليّ! سيّدُ الاعمالِ ثلاثُ خِصالٍ : انصافُك النّاسَ من نفسِك، ومساواةُ الأخِ في الله، وذكرُ اللّهِ على كلِّ حال .[٢]

٤ النبي «ص» : اِنّما انتُم من رجلٍ وَامْرَأَةٍ، كجُمامِ الصّاع، ليس لاحدٍ على احدٍ فضلٌ الّا بالتّقوى .[٣]

٥ الامام علي «ع» : .. اليس كان رسولُ اللّهِ «ص»، يَقسِمُ بالسَّويَّةِ بين المسلمين .[٤]

٦ الامام الصادق «ع» : أَتَتِ الموالى اميرَ المؤمنين «ع» فقالوا : نَشكُو اليك هؤلاءِ العرب، اِنَّ رسولَ اللّهِ «ص» كان يُعطينا معهمُ العطايا بالسّويَّة ..[٥]

---

١ ـ الاختصاص / ٣٣٧.

٢ ـ تحف العقول / ١٤.

٣ ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٨.

٤ ـ المناقب ٢ / ١٠٨.

٥ ـ الكافي ٥ / ٣١٨ ـ ٣١٩.

٢ ـ في العهد العلويّ

٧ النبـــي «ص» ـ في ذكرِ مُواصَفاتِ الامام عليٍّ بن ابي طالب: اِنّه اوّلُكم ايماناً معي، واَوفاكم بعهدِ الله، واَقْوَمُكم بامرِ الله، واَعدلُكم في الرّعيّة، واَقسمُكم بالسّويَّة.[١]

٨ النبـــي «ص»: يا عليّ! انت اوّلُهم ايماناً بالله، واَوفاهم بعهدِ الله، واَقْوَمُهم بامرِالله، واَقْسَمُهم بالسَّويَّة..[٢]

الفات نظـــر

نُشاهِدُ النبيَّ الهاديَ «ص» في مقامٍ كهذا ـ في مجتمعاتِ الصَّحابة ـ يُعَدِّدُ مُواصَفاتِ الامام عليٍّ «ع» ومزاياه العظيمةَ الّتي تُؤَهِّلُه للامامةِ الكبرى، وصايةً عن النبيّ «ص»، فيَعُدُّ من غُرَرِها القَسْمَ بالسّويَّة. افليس هذا من اَدَلِّ الدّلائلِ على تبنّي الاسلامِ لمبدإِ المساواةِ كاصل؟

٩ الامام علي «ع»: .. مَنِ اسْتَقْبَلَ قبلتَنا، واَكَلَ ذبيحتَنا، وآمَنَ بنبيِّنا، وشَهِدَ شهادتَنا، ودَخَلَ في دينِنا، اَجْرَيْنا عليه حكمَ القرآن، وحدودَ الاسلام؛ ليس لاحدٍ على احدٍ فضلٌ الاّ بالتّقوى .. لم يَجعَلِ الله ـ تبارك وتعالى ـ الدُّنيا للمتّقين ثواباً، وما عندَالله خيرٌ للاَبرار.[٣]

---

١ ـ الغدير ٢ /٥٧٠.

٢ ـ المراجعات / ١٦٠، الطبعةُ العشرون، القاهرة (١٣٩٩).

٣ ـ الكافي ٨ / ٣٦١.

الفات نظـــر

يَدُلُّ هذا التّعليمُ العلويُّ بالصّراحةِ على اَنَّ مِن حكمِ القرآنِ وحدودِ الاسلام، رعايةَ المساواةِ وشجبَ الميزاتِ وانكارَ ايِّ فضلٍ لاحدٍ على احدٍ، الاّ ما كان من التّقوى، وهولا يَستَتْبِعُ امراً ماديّاً واَثَرَةً دنيويَّةً، كما صَرَّحَ به الامامُ في كلامِه .

١٠ الامام علي «ع» ـ فيما جَرىٰ بينه وبين اخيه عقيلِ بنِ ابي طالب : .. ما اَنَا وانت فيه (يعني في بيتِ المال وبالنّسبة اليه)، الاّ بمنزلةِ رجلٍ من المسلمين ..[١]

١١ الامام علي «ع» ـ في بيانِ عملِه الحاسمِ بسُنَّةِ الرّسولِ «ص» و ردِّه المستحدثاتِ اليها : .. واَعْطَيْتُ كما كانَ رسولُ اللّهِ «ص» يُعطي بالسَّويَّةِ، ولم اَجْعَلْها دُولةً بين الاغنياء .[٢]

١٢ الامام علي «ع» ـ لمّا عُوتِبَ على تصييره النّاسَ اُسْوَةً في العطاء، من غيرِ تفضيل اولي السّابقاتِ والشرف : اَتَأْمُرُونّي اَن اَطلُبَ النّصرَ بالجور فيمن وُلِّيتُ عليه؟ واللّهِ ما اَطُورُ به ما سَمَرَ سميرٌ، وما اَمَّ نجمٌ في السّماءِ نجماً . ولو كان المال لي لسَوَّيْتُ بينهم، فكيف وانّما المالُ مالُ الله ..[٣]

١٣ الامام علي «ع» ـ اِنَّ قنبراً قَدَّمَ الى امير المؤمنين «ع» جاماتٍ من ذهبٍ وفضّةٍ في الرَّحْبَة، وقال : «اِنَّك لا تَترُكُ شيئاً الاّ قَسَمْتَه، فَخَبَّأْتُ لك هذا» . فَسَلَّ سيفَه وقال : «وَيْحَك! لقد اَحْبَبْتَ اَن تُدخِلَ بيتي ناراً!». ثُمَّ اسْتَعْرَضَها بسيفِه فضَرَبَها حتّى انْتَثَرَتْ من بين اِناءٍ مقطوعٍ بِضْعَةٍ وثلاثين،

---

١ ـ المناقب ٢ / ١٠٨ ـ ١٠٩.

٢ ـ الكافي ٨ / ٦٠ ـ ٦١.

٣ ـ نهج البلاغة / ٣٨٩ ـ ٣٩٠؛ عبده ٢ / ١٠.

وقال : «عَلِّي بالعُرَفاء!»؛ فجاؤُوا، فقال : «هذا بالحِصَص ..»[1]

١٤ الامام علي «ع» ـ مما قالَه لابنتِه (امِّ كُلثوم)، حينَما اَخَذَت من بيتِ المالِ عِقْدَلُؤْلُؤ ـ عاريةً مضمونةً مردودةً بعدَ ثلاثةِ ايّام ـ في ايّامِ الاضحىٰ ورآه عليها : .. يا بنتَ عليِّ بن ابي طالب! لا تَذْهَبَنَّ بنفسِكِ عن الحقّ، اَكُلُّ نساءِ المهاجرين تَتَزَيَّنُ في هذا العيدِ بمثلِ هذا؟[2]

١٥ الامام علي «ع» ـ في قومٍ من اهلِ المدينةِ لَحِقُوا بمعاويةَ بنِ ابي سفيان : اِنّما هم اهلُ دنيا، مُقبِلون عليها ومُهْطِعُون اليها، قد عَرَفُوا العدلَ ورَأَوه، وسَمِعُوه ووَعَوه، وعَلِمُوا اَنَّ النّاسَ عندَنا في الحقِّ أُسوَةٌ، فهَرَبوا الى الاَثَرَة، فبُعداً لهم وسُحْقاً ..[3]

١٦ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : لَمّاوَلِيَ عليٌّ «ع» صَعِدَ المنبرَ فحَمِدَ اللّهَ واَثْنىٰ عليه ثمّ قال : اِنّي واللّهِ لا اَزْرَأُكم من فَيْئِكم درهماً، ماقامَ لي عِذقٌ بيَثرِب، فَلْيَصْدُقْكم انفُسُكم، افتَرَوني مانعاً نفسي ومُعطيَكم؟ قال : فقامَ اليه عقيلٌ ـ كرَّمَ اللّهُ وجهَه ـ فقال له : واللّهِ لَتَجْعَلُني واسودَ بالمدينةِ سَواءً؟ فقال : اِجْلِس! اَما كان هيهنا احدٌ يَتَكَلَّمُ غيرُك؟ وما فضلُك عليه الابسابقةٍ او بتقوى .[4]

١٧ الامام علي «ع» ـ قال للصّحابيَّين، طلحةَ بنِ عُبيدِاللّهِ والزُّبيرِبنِ العوّام، لمّا طَلَبامنه الفرقَ والتّفضيل : سابقتُكما اقربُ ام سابقتي؟ قالا : سابقتُك . قال : فقرابتُكما ام قرابتي؟ قالا : قرابتُك . قال : فعَناؤكما اعظمُ ام عَناي؟ قالا : عَناؤُك . قال : فوالله، ما اَنا واَجيري هذا الا بمنزلةٍ واحدة . واومىٰ

---

١ و ٢ ـ المناقب ٢ / ١٠٨ و ١١٠ ـ ١١١.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٤ .

٤ ـ الكافي ٨ / ١٨٢.

بيدِه الى الاجير.[1]

٣ ـ خطّ ذهبيّ في جبين التّاريخ

١٨ الامام علي «ع» : اَيُّها النّاس! اِنَّ آدمَ لَم يَلِدْ عبداً ولا اَمَةً، واِنّ النّاسَ كلَّهم احرارٌ. ولكنَّ الله خَوَّلَ بعضَكم بعضاً، فمن كانَ له بَلاءٌ فصبَّر في الخير، فلا يَمُنَّ به على اللّهِ عزَّو جلّ. الا! وقد حَضَرَ شيءٌ ونحن مُسَوُّون فيه بين الاسودِ والاحمر. فقال مروانُ لطلحةَ والزّبير: ما اَرادَ بهذا غيرَ كما.. فاَعطىٰ كلَّ واحدٍ ثلاثةَ دنانير، واَعطىٰ رجلاً من الانصارِ ثلاثةَ دنانير، وجاءَ بعدُ غلامٌ اسود، فاَعطاه ثلاثةَ دنانير. فقال الانصاريّ: يا اميرَ المؤمنين! هذا غلامٌ بالامس، تَجْعَلُني واياّه سَواءً؟ فقال: اِنّي نَظَرْتُ في كتابِ الله، فلَم اَجِدْ لُولْدِ اسماعيلَ على وُلْدِ اسحاقَ فضلاً.[2]

تنبيهان هامّان

١ ـ يُستفادُ من هذا التّعليمِ بوضوحٍ، اَنّ الّذين خَدَمُوا الدّينَ بعملٍ، وجاهدوا في سبيلِه بجهادٍ، او دَفَعُوا له نفقاتٍ، او سُجِنُوا في طريقِ الدِّفاعِ عنه وما الى ذلك، ليس لهم اَن يَمُنُّوا بما فَعَلُوا على الدّينِ واهلِه، واَن يَتَوَقَّعُوا لذلك جزاءً ماديّاً، من مالٍ، او جاهٍ، او تدَخُّلٍ في الحكم، او نفوذٍ في التّقنين، او تَغَلُّبٍ على التّرشيحِ والتّصويتِ في اوانِهما، او تقدُّمٍ في تشكيلِ احزابٍ ومُنَظَّمات، او نشرِ صُحُفٍ ومجلات، او شقِّ طريقٍ الى منافعَ ودخولٍ، او حضورٍ

---

١ ـ المناقب ٢ / ١٠٨؛ ومن طبعةٍ / ١١١.

٢ ـ الكافي ٨ / ٦٩.

مُنحازٍ في البَرامجِ الاقتصاديَّةِ وما الى ذلك، حيث اِنَّ امامَنا عليَّ بنَ ابي طالب «ع» يقول: «فمَن كان له بَلاءٌ فصبرٌ في الخير، فلايَمُنَّ به على اللّهِ عزّ وجلّ». فمن كان معتقداً به فَلْيَفْعَلْ هكذا .. وسيأتي ايضاً قولُ اميرِ المؤمنين «ع» هذا: «.. اَتَمُنُّونَ على اللّهِ ورسولِه باسلامِكم؟ بل اللّهُ يَمُنُّ عليكم اَن هَداكم للايمان، ان كنتم صادقين».

٢ ـ لا يَستدِلُّ الامام «ع» في جوابِ الانصاريِّ الّذي اعترضَ عليه لتسويتِه بينه وبين غلامه .. بأنّ هذه اموالُ بيتِ المالِ تُوَزَّعُ جَرايات .. ولا فرقَ فيها بين الافراد، لا، لا يَستَدِلُّ بهذا الكلام، بل يَستَدِلُّ على التّسويةِ بـ«اصلٍ قرآنيٍّ»، يعني عدمَ الفرقِ بين انسانٍ وانسانٍ في دينِ القرآن، اسما عيليّاً كان او اسحاقيّاً؛ وما ذَكَرَ ذلك الّا مثالاً، يعني لا فرق بين الأناسيِّ من ايِّ ابٍ وامٍّ كانوا، ومن ايَّةِ جنسيَّةٍ ولونٍ وقومٍ وارض. فالملاكُ هو الانسانيّةُ العامّةُ والوحدةُ في الخلقِ والخالق ـ كما ورد في احاديثَ اخرى.

ومن هذه التّعاليم العظيمةِ البنّاءَة، يُدرَكُ اَنّ الاسلامَ الاصيل ـ الّذي لـم يَتَطَرَّقْ الـيه أيدي بُغاةِ الاَثَرَةِ والتّفضيـل ـ يَستَهْدِفُ مساواةَ ابناءِ الانسان ـ وهم من ابٍ واحدٍ وامٍّ واحدةٍ وخَلَقَهم آلهٌ واحد ـ كمبدإٍ واصل. ولقد وَرَدَت في تعاليم النبيِّ الاعظمِ «ص» والائمَّةِ الهادين «ع» ارشادات كثيرة الى تبنّي ذلك الاصل الانسانيِّ والاسلاميِّ العظيم. ولقد جاءت نبذةٌ منها في هذا الفصل، ممّا مرّ وسيأتي. فعلى المسلمين ـ وخصوصاً الفقهاءَ واصحابَ الاجتهاد والافتاء ـ ان يَعمِدُوا الى تلكم التّعـاليمِ الالهيّة، ولا يَجعَلُوها خلفَ الظَّهْر، ولا يَركَنُوا الى المستأثرين، حتى يَنجَحُوا في صُنعِ مجتمعٍ تلوحُ عليه آثارُ الاسلام، وتَنعَكِسُ فيه تعاليمُ آلِ محمد «ص».

٤ ـ شعاع الهيّ على قمّة الاعصار

١٩ الامام علي «ع» ـ أَوْرَدَ ابنُ أبي الحديدِ المدائني، في شرحِ «نهج البلاغة»، أنّه لم يَكُن (عليٌّ) يُفَضِّلُ شريفاً على مشروفٍ، ولا عربيّاً على عَجَميٍّ، ولا يُصانِعُ الرُّؤساءَ وأُمراءَ القبائل ـ كما يَصنَعُ الملوك ـ ولا يَستَميلُ أحداً إلى نفسِه . وكان معاويةُ بخلاف ذلك. فَتَرَكَ النّاسُ عليّاً وَالْتَحَقُوا بمعاوية . فشَكا على «ع» إلى الأشترِ تخاذُلَ أصحابه وفِرارَ بعضِهم إلى معاوية، فقال الأشتر : يا أميرَ المؤمنين : .. أنت تأخُذُهم بالعدل، وتَعمَلُ فيهم بالحقِّ، وتُنصِفُ الوضيعَ من الشّريف، فليس للشريفِ عندَك فضلُ منزلةٍ على الوضيع، فضَجَّت طائفةٌ ممّن معك من الحقِّ إذ عُمُّوا به، واغْتَمُّوا من العدلِ إذصارُوا فيه .. فقال :.. فقدعَلِمَ اللّهُ أنّهم لم يُفارقُونا من جور، ولا لَجَأُوا إذ فارَقُونا إلى عدل ..[١]

٢٠ الامام علي «ع» : اِنّ امْرَأَتين اَتَتا عليّاً «ع» عند القسمة، اِحداهُما من العربِ والاُخرىٰ من المَوالي، فَاعطىٰ كلَّ واحدةٍ خمسةً وعشرين درهماً وكُرّاً من الطّعام .فقالتِ العربيّة : يا اميرَ المؤمنين : اِنّي امْرَأَةٌ من العربِ وهذه امْرَأَةٌ من العجم؟ فقال عليٌّ «ع» : واللّهِ لا اَجِدُ لبني اسماعيلَ في هذا الفَيْءِ فضلاً على بني اسحاق .[٢]

٢١ الامام علي «ع» ـ قال عاصمُ بنُ ضَمْرَة : اِنّ عليّاً «ع» قَسَمَ قَسْماً، فسَوّىٰ بين النّاس .[٣]

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ ـ ١٩٨ . راجع ايضاً : «الغارات» ١ / ٥٢ ـ ٥٣.

٢ ـ الوسائل ١١ / ٨١.

٣ـ الوسائل ١١/ ٨١.

٥ ـ تعاليم و هدايات

ـ من التّعليم السّجّاديّ

٢٢ الامام السّجاد «ع» ـ قال جابرٌ الجُعفيّ : قلتُ لعليِّ بنِ الحسين «ع» : يا ابنَ رسولِ الله!ما حقُّ المؤمنِ على اخيه المؤمن؟ قال : يَفْرَحُ لفَرَحِه اذا فَرِحَ .. ولا يَغْتَمُّ لشيءٍ من حُطامِ الدّنيا الفانية الاّ واساه، حتّى يَجريان في الخير والشَّرِّ، في قَرَنٍ واحد.[١]

ـ من التّعليم الباقريّ

٢٣ الامام الباقر «ع» ـ ابو حمزة (الثُّماليّ) قال : سَأَلْتُ ابا جعفرٍ «ع» : ما حقُّ الامامِ على النّاس؟ قال : «حقُّه عليهم اَن يَسمَعُوا له ويُطيعُوا» . قلت : فما حقُّهم عليه؟[٢] قال : «يَقسِمُ بينَهم بالسّويَّة، ويَعدِلُ في الرّعيَّة ..».[٣]

* وهذا التّعليم ـ وقد وَرَدَت بصدرِه احاديثُ متعدِّدة ـ يُرشِدُنا الى تجسيدِ العدلين : الاقتصاديِّ والقضائيّ .

ـ من التّعليم الصّادقيّ

---

١ ـ المستدرك ٢ / ٦٣.

٢ ـ جاء ضبطُ هذه اللفظة في مطبوعِ «الكافي»، بصيغةِ الجمع (عليهم)؛ ولعلّه من سهو النّاسخين، او الطّابعين .

٣ ـ الكافي ١ / ٤٠٥.

٢٤ الامام الصادق «ع» : اهلُ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلام، اُسَوِّي بينهم في العطاءِ؛ وفضائلُهم بينهم و بين الله، اَحْمِلُهم كبني رجلٍ واحد، لا يَفضُلُ احدٌ منهم لفضلِه وصلاحِه، في الميراث، على الآخرِ ضعيفٍ منقوص . قال : وهذا هو فعلُ رسولِ الله «ص» فى بُدُوِّ امرِه . وقد قال غيرُنا : اُقَدِّمُهم في العطاءِ بما قد فَضَّلَهُمُ اللّهُ بسَوابقِهم في الاسلام .[١]

* وهذا التّعليم يَدُلُّ بدورِه على تبنِّي الاسلام لمبدإ المساواة، في العطاءِ الحُكوميِّ وغيره، حيث ذُكِرَ فيه الميراث . وهذا هو الاصل . وكذلك يَدُلُّ على اَنّ مُتَّبعي السّيرةِ العلويّةِ في الاسلام، لا يُثبِتُون للسّوابقِ المعنويّةِ تأثيراً في القضايا المادّيّة لاَنّ هذا خروجٌ عن مسلكِ «التّوحيد»، الّذي يَجعَلُ تلك الأُجورَ أُخرويّةً يُعطيها اللّهُ تعالى .

تنبيـــه

نُشاهِدُ الامامَ جعفراً الصّادق «ع» (المعلّمَ المعصوم، والمرشدَ الالهيّ، والحُجَّةَ الكبرى، الّذي لا يَنطِقُ الاّ عن مُرادِ اللّهِ المحض، ولا تُمَثِّلُ تعاليمُه الاّ حقائقَ القرآنِ وتعاليمَ الوحيِ السّماويِّ)، يَقُول: «اهلُ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلام ..». اَبعَدَ هذا التّعليم والتّوجيه ـ وما ورد بصددِ الموضوعِ نفسِه من احاديثَ متعدّدةٍ ذاتِ تعابيرَ موجّهة، والقرآنِ الواردِ بحقِّ الاُخُوّةِ الايمانيّة ـ كيف يُقِرُّ ايُّ مسلمٍ نابه ـ فضلاً عن علماءِ المسلمين وافاضلِهم ـ تلك الفروقَ الباهظةَ والسّاحقة، بين هؤلاءِ الابناءِ، في شتّىٰ نواحي المعيشةِ والحياة ..؟

١ ـ الوسائل ١١ / ٨١.

هذه الاموالَ الطّائلة، والاملاكَ العَقاريَّة، والقصورَ الكبيرةَ ذاتَ آلافٍ من الامتار، مع ما أُعِدَّت فيها من المُروجِ والبساتينِ والمَسابحِ والحمّاماتِ المختلفةِ والقاعاتِ وغُرَفِ النّومِ والزّينةِ والمدافئِ والمُكَيِّفاتِ والموائدِ والسُّمُطِ المُلوَّنةِ والثَّلّاجاتِ والبرّاداتِ والبُسُطِ والفُرُشِ والاَزْياءِ وسائرِ الرِّفاهياتِ الحديثةِ والخياليّةِ هنا وهناك وما اليها لحفنةٍ ..

وتلك الاكواخَ البائسةَ المليئةَ بالكُدودِ والمُعاناةِ والعَوَزِ والمرضِ والشَّقاءِ والجوعِ والاَلَمِ والدَّنَسِ وما اليها لحفنات ..

هذه الاوقاتَ الفارغة، في حياةٍ هادئة، الّتي تَملَأُها الرّاحةُ والرِّفاهُ المادّيُّ ورَحَلاتُ النُّزهَةِ في المدائنِ الفَخْمَةِ والفَنادقِ الممتازةِ والسّواحلِ النَّزِهَةِ وما اليها ..

وتلك الاوقاتَ التَّعِسةَ الّتي يَستولي عليها القَلَقُ والعُدْمُ وضَغَطاتُ العملِ المُرهِقِ، وما تَستتبعُهُ كثرةُ ساعاتِ العملِ وطوارئُه وعدمُ العُطْلَةِ الكافيةِ و ما اليها ..

ولا تَنْسَ الحياةَ الرّيفيَّةَ وما يَكتَنِفُها، من انواعِ التّعْسِ والشَّقاء والعوزِ وعدمِ الامكانيّاتِ الاوليّة و.. فضلاً عن الرّفاهيّة .. وحياةَ من يَبحَثُ عن العملِ ولايَجِد، ومن لا سبيلَ له الى ظُلَّةِ رأس ولُماظَةِ عيش، ومن اليهم ..

اهؤلاء الطّوائفُ كلُّها ابناءُ الاسلام، ويَعيشُون كابناءِ رجلٍ واحد، كما يُريدُه الامامُ الصّادق «ع»؟

اهؤلاء يكونُ كبيرُهم بمنزلةِ الوالد، وصغيرُهم بمنزلةِ الوَلد، وتِرْبُهم بمنزلةِ الاخ، كما يُريدُه الامام السّجّاد «ع»؟[1]

اهؤلاءِ اعضاءُ جَسَدٍ واحد، اذا اشْتَكىٰ تداعىٰ له سائرُ الجسد،

---

١ ـ فيما قاله لمحمّد بنِ مسلم الزُّهْريّ؛ راجع : البحار ٧١ / ٢٣٠، عن «تفسير الامامِ العسكريّ» .

كما يُريدُ الامام الباقر «ع»؟ [1]

اهؤلاء اِخْوَةٌ بَرَرَةٌ، كما تدعو اليها القرآنُ الكريم؟ وهل نحن مع هذه الحالة نُقيمُ «القرآن» ونَكونُ «اُمَّـــةً مقتصدة»، ام نَنْضَوي الى اليهود الّذين قال الله تعالى عنهم : «وكثيرٌ منهم ساءَ ما يَعمَلُون»؟ [2]

اهكذا نَغُضُّ الطّرفَ عن هذه الجناياتِ الهائلة بحقِّ الانسانِ والانسانيّةِ والاسلامِ والاسلاميّة، ونُري للنّاسِ اَنّ الاسلامَ يُقِرُّها أو لا يَجْبَهُها؟

اهكذا نَسوقُ النّابهين الى الفَشَلِ واليأس، والمُعذّبين والكادحين الى الخيبةِ والسقّوط، والشَّبابَ الحسّاسين الى الوقوعِ في شَرَكِ المدارسِ الالحاديّةِ والافكارِ المُضَلِّلَةِ او المُمَيِّعَة، ونَحسَبُ اَنّنا نُحسِنُ صُنعاً؟

او هل يُقِرُّ الاسلامُ هذه الاَثَراتِ الجهنّميّةَ والواقعيّاتِ اللاانسانيّةَ المعتديةَ باسم كذا وكذا ..؟ ان كان هذا فماذا يكونُ محلُّ تلك التّعاليم : «اهلُ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلام ..»؟ و.. و.. وماذا يكونُ محلُّ القسطِ والعدلِ القرآنيَّين؟

وهل بعدَ ذلك، يُعَدُّ من النَّصَفَةِ والانسانيّةِ والدّين، اَن يَتّهِمُوا الّذين يُدافِعون عن المحرومين وحقوقِهم وكرامتِهم - تبعاً للانبياء «ع» والاوصياء «ع» - ويَرفُضُون تلك الفروقَ النّائيةَ عن الموازينِ الالهيّة، باليساريّةِ وامثالها، حتى يَصيرَ ذلك سبباً لتشجيعِ هؤلاءِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين، الّذين هم مصيبةُ المجتمع

---

١ ـ البحار ٧٤ / ٢٣٤، من حديثِ الامامِ الباقر «ع»؛ الكافي ٢ / ١٦٦، والبحار ٧٤ / ٢٣٣، من حديثِ الامامِ الصّادق «ع».

٢ ـ سورة المائدة (٥) : ٦٦.

الاسلاميّ، على حدِّ تعبيرِ مولانا الامام عليِّ بنِ الحسينِ السّجّاد «ع»؟[1]

غُفرانَك اللّهُمَّ ربَّنا واليك المصير ..

٢٥ الامام الصادق «ع» : النّاسُ سَواءٌ كاَسْنانِ المُشْط .[2]

٢٦ الامام الصادق «ع» ـ حَمّادُبنُ عثمان قال : اصابَ اهلَ المدينةِ قَحْطٌ .. وكان عندَ ابي عبدالله «ع» طعامٌ جيِّدٌ قدِ اشْتَراهُ اوّلَ السَّنَة، فقال لبعضِ مواليه : «اِشْتَرْ لنا شعيراً، فَاخْلِطْهُ بهذا الطّعام اوبِعْهُ؛ فاِنّا نَكْرَهُ اَن نأكُلَ جيِّداً ويَأكُلَ النّاسُ رديئاً».[3]

٢٧ الامام الصادق «ع» ـ قال ابو بصير : سَأَلْتُ اباعبدالله «ع» عن رجلٍ له ثَمانُ مِئَةِ درهم، وهو رجلٌ خَفّاف، وله عِيالٌ كثير، اَلَهُ اَن يَأْخُذَ من الزَّكاة؟ فقال : «يا ابا محمّد![4] اَيَرْبَحُ في دراهِمِه ما يَقُوتُ به عِيالَه ويَفضُل؟». قال : نَعم! قال : «اِنْ كان يَفضُلُ عن القوتِ مقدارُ نصفِ القوت فلا يَأْخُذْ من الزّكاة. واِن كان اقلَّ من نصفِ القوتِ اَخَذَ الزَّكاة ..». قال : قلت : كيف يَصنَع؟ قال : «يُوَسِّعُ بها على عِيالِه في طعامِهم وكِسْوَتِهم ويُبْقي منها شيئاً يُناوِلُه غيرَهم، وما اَخَذَ منَ الزَّكاةِ فَضَّهُ على عِيالِه حتى يُلْحِقَهم بالنّاس»[5].

٢٨ الامام الصادق «ع» ـ عن معلّى بنِ خُنَيس قال : خَرَجَ ابوعبدِالله «ع» في

---

١ ـ في قوله «ع» : «ايّها المؤمنون! مصيبتكم الطّواغيت من اهل الرّغبةِ في الدُّنيا ..» ـ (امالي المفيد / ١١٧). راجع ايضاً : الفصل ٧، من هذا الباب .

٢ ـ تحف العقول / ٢٧١.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٣٢١.

٤ ـ كنيةُ ابي بصيرٍ الثّانية.

٥ ـ الوسائل ٦ / ١٥٩.

ليلةٍ قد رَشَّت ـ وهو يُريدُ ظُلَّةَ بني ساعدة ـ فَاتَّبَعْتُه فإذا هو قد سَقَطَ منه شيءٌ فقال : «بسمِ الله، اللّهُمَّ رُدَّه علينا». قال : فَاَتَيْتُه فَسَلَّمْتُ عليه فقال : «انتَ مُعَلّى؟» قلت : نَعَم، جُعِلْتُ فِداك، فقال لي : «اِلْتَمِسْ بيدِك فما وَجَدْتَ من شيءٍ فَادْفَعْهُ اليّ»، فاذا اَنَا بخُبزٍ مُنتَشِرٍ (مُنْتَثِرٍ) كثيرٍ، فجَعَلْتُ اَدْفَعُ اليه ما وَجَدْتُه؛ فإذا اَنَا بجِرابٍ اَعْجُزُ عن حملِه من خُبزٍ. فقلتُ : جُعِلتُ فِداك، اَحْمِلُه على رأسي. فقال : «لا، اَنَا اَولىٰ به منك، ولكنِ امْضِ معي». قال : فاَتَيْنا ظُلَّةَ بني ساعدة، فاذا نحنُ بقومٍ نِيامٍ، فجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغيفَ والرَّغيفَين،[1] حتى اَتىٰ على آخرِهم، ثُمَّ انْصَرَفْنا. فقلت : جعلتُ فداك، يَعرِفُ هؤلاء الحقَّ؟ فقال : «لو عَرَفُوه لَواسَيْناهم بالدُّقَّة»؛ والدُّقَّةُ هي المِلح.[2]

ـ من التّعليم الكاظميّ

٢٩ «الامام الكاظم «ع» ـ رُوِيَ اَنَّه مَرَّ برجلٍ من اهلِ السَّواد، دميمِ المَنظَر، فسَلَّمَ عليه ونَزَلَ عندَه وحادَثَهُ طويلًا، ثُمَّ عَرَضَ «ع» عليه نفسَه في القيامِ بحاجةٍ إن عَرَضَت له؛ فقيل له : يا ابنَ رسولِ الله! اَتَنْزِلُ الى هذا، ثمّ تَسْأَلُه عن حوائجِه، وهو اليك اَحوَج؟ فقال : عبدٌ من عَبيدِ الله، وَاخٌ في كتابِ الله، وجارٌ في بلادِ الله، يَجْمَعُنا وايّاه خيرُ الآباءِ آدمُ «ع» واَفضَلُ الاديانِ الاسلام، ولعلَّ الدَّهرَ يَرُدُّمِن حاجاتِنا اليه.[3]

ـ من التّعليم الرّضويّ

---

١ ـ في ثوابِ الاعمال (٧٩) هنا زيادة : «تحتَ ثوبِ كلِّ واحدٍ منهم».

٢ ـ الوسائل ٦ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩ و ٢٨٤.

٣ ـ تحف العقول / ٣٠٥.

٣٠ الامام الرضا «ع» : .. ومواساتُهم (الاخوان) ومساواتُهم، في كلِّ ما يَجوزُ فيه المُساواةُ والمُواساة ..[١]

٣١ الامام الرضا «ع» ـ عن عبدِاللّهِ بنِ الصَّلْت، عن رجلٍ من اهلِ بلخ، قال: كنتُ مع الرِّضا «ع» في سفرِه الى خراسان، فدَعا يوماً بمائدةٍ له، فجَمَعَ عليها مواليَه من السُّودانِ وغيرِهم. فقلتُ: جُعِلْتُ فِداك! لَو عَزَلْتَ لهؤلاءِ مائدةً؟ فقال: «مَهْ! اِنَّ الرَّبَّ ـ تبارك وتعالى ـ واحدٌ، والاُمَّ واحدةٌ، والابَ واحدٌ، والجزاء بالاعمال»[٢].

٣٢ الامام الرضا «ع» ـ عن محمّدِ بنِ سِنان، اَنَّ ابا الحسن عليَّ بنَ موسى الرّضا «ع» كَتَبَ اليه فيما كتَب، مِن جوابِ مسائلِه: اِنَّ عِلَّةَ الزّكاةِ من اَجْلِ قوتِ الفقراء، وتحصين اموال الاغنياء. لِاَنَّ اللّهَ تعالى كَلَّفَ اهلَ الصِّحَّةِ القيامَ بشأنِ اهلِ الزَّمانةِ من البَلوى .. والحثِّ لهم على المُساواة، وتقويةِ الفقراء، والمعونةِ لهم على امرِ الدّين.[٣]

* يُستفادُ من هذا التّعليمِ القَيِّمِ امور:

١ ـ اَنَّ قوتَ الفقراءِ ومعيشتَهم في اموالِ الاغنياء، فالفقراءُ شركاؤُهم في تلك الاموال ـ كما وَرَدَ في احاديثَ عديدةٍ اُخرى ـ فما دامَ الفقرُ موجوداً في النّاس، يُعَدُّ الاغنياءُ ظالمين غاصبين.

٢ ـ اَنَّ تَحصينَ اموالِ الاغنياء يَتَوَقَّفُ على ادائِهم ما فيها من الحقوقِ الظّاهرةِ والباطنة، حتى تُزاحَ المسكنةُ والفقرُ عن عرصاتِ المجتمع؛ فلا قداسةَ لتلك الاموالِ اذالم تُؤَدَّ حقوقُها جميعاً.

---

١ ـ البحار ٧٤ / ٢٢٧.

٢ ـ الكافي ٨ / ٢٣٠.

٣ ـ علل الشرايع / ٣٦٩.

٣ ـ اَنَّ الفقرَ الّذي يُسَدُّ بالزَّكاة، هو الفقرُ الطّبيعيّ، النّاشئُ من الامراضِ والعاهاتِ والتّصادمِ وما الى ذلك، لا الفقرُ الاجتماعيُّ المفروض .

٤ ـ اَنَّ اداءَ الزّكاةِ مقدّمةٌ لتَبَنّي مبدإِ المساواةِ والوصولِ اليه، وبُخوعِ المجتمعِ الاسلاميِّ به .

٥ ـ اَنَّ امرَ الدّينِ والقيامَ به وباحكامِه، يَتوقَّفُ على المعونةِ الماديّة، فالّذين يَمنَعُون الفقراءَ والمحرومين من حقوقِهم ليس فَسادهم منحصراً فيما يُصيبُ المستضعفين من الجهةِ الماديَّةِ فحسب، بل يَضُرُّون بهم من الجهةِ الدّينيَّةِ والرُّوحيَّةِ ايضاً، ويَضُرُّون بالدّينِ ويُضَعْضِعُون قواعدَه الاجتماعيَّة .

٦ ـ في العهد المهدويّ

٣٣ النبي «ص» : اُبَشِّرُكم بالمهديِّ، يُبْعَثُ في اُمَّتي على اختلافٍ من النّاس .. يَرضىٰ عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الارض، يَقْسِمُ المالَ صَحاحاً . فقال له رجلٌ : وما صَحاحاً؟ قال : «التّسوية بين النّاس»[١].

ج ـ مَعلَم وَضّاح (١)

٣٤ النبي «ص» ـ فيما وَصَفَ «ص» به الامامَ عليَّ بن ابي طالب «ع» : اَنتَ الامامُ لاُمّتي، وانتَ القائمُ بالقسطِ في رعيَّتي ..[٢]

---

١ ـ مُسند احمد بن حَنبل ٣ / ٣٧؛ البحار ٥١ / ٨١ و ٩٢؛ كشف الغُمَّة ٣ / ٢٦١ (من طبعة دار الكتابِ الاسلاميّ، بيروت، في ثلاث مجلّدات)؛ منتخب الاثر / ١٤٧.

٢ ـ المراجعات / ١٩٢ .

* يُستَنْبَطُ من ملاحَظَةِ ما جاءَ في هذا الكلام النّبويِّ بحقِّ الامام عليِّ بن ابي طالب «ع»، من اَنَّه القائمُ بالقسطِ في الأُمَّة، وما جاءَ في احاديثَ نَبويَّةٍ متعدِّدةٍ اُخرى، من اَنَّهُ الاَقْسَمُ بالسَّويَّة، اصلٌ اسلاميٌّ هامّ. و هو اَنَّ القيامَ بالقسطِ له وشيجُ صلةٍ بتبنِّي مبدإِ المساواة. والامرُ كذلك.

وبما اَنَّ الهدفَ الغائيَّ للدّينِ هو قيامُ النّاسِ بالقسط ـ كما صُرِّحَ به في القرآنِ الكريم ـ يَتَّضِحُ اَنَّ تَبَنِّي مبدإِ المساواةِ من الاصولِ الاصليَّةِ للدّينِ لتجسيدِ غاياتِه المختلفةِ في المجتمعِ والحياة.

د ـ مَعلَم وَضّاح (٢)

٣٥ النبـــي «ص» : يَقْسِمُ (المهديُّ) المالَ بالسّويَّة.[١]

* لقد جاءَ في احاديثَ نبويّةٍ متعدّدةٍ مشهورةٍ بين المسلمين : اَنَّ المهديَّ «ع» اذا قامَ يَمْلَأُ الارضَ قسطاً وعدلاً بعدَ ما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً؛ وجاءَ عن الامام الباقر «ع» : اَنَّهُ يَهدِمُ ما كانَ قبلَه ـ كما صَنَعَ رسولُ الله «ص» ـ ويَستأْنِفُ الاسلامَ جديداً؛[٢] وعن الامامِ الصّادق «ع» : اَنَّه يَسير في الناسِ بسيرةِ رسولِ الله «ص» ويَعْمَلُ فيهم عَمَلَه.[٣] ولقد قَرَأْتَ نَماذجَ من الاحاديثِ الّتي تَقولُ اِنَّ المهديَّ «ع» يُسَوِّي بين النّاس، ويَقْسِمُ المالَ صَحاحاً (بالسّويَّة)،

---

١ ـ كشف الغُمّة ٣ / ٢٦٤.

٢ ـ البحار ٥٢ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣، عن «الغيبة» للنُّعمانيّ.

٣ ـ كشف الغمّة ٣ / ٢٥٤.

ويُرَكِّزُ مبدأَ المساواةِ الاقتصاديّة .

وإنَّ مقتضى الجمعِ بين هذه الاخبار والاحاديث وفقهها، هو اَنَّ الواقعَ المطلوبَ للاسلامِ الاصيلِ هو المساواة .

وهذا الاصلُ هو الّذي يُهْمِلُه المسلمون ولا يَعْتَدُّون به فيُحْييهِ القائمُ المنتظَر «ع» ويَستأْنِفُ به الاسلامَ جديداً، كأَنَّ ما كان قبلَه باسمِ «الاسلام»، لم يَكُنْ من الاسلام .

هـ ـ الوضع المطلوب للنّظام الاقتصاديِّ في الاسلام

٣٦ الامام علي «ع» : لَوِ اقْتَبَسْتُمُ العلمَ من معدِنه .. وسَلَكْتُمُ الحقَّ من نَهجِه .. اَضاءَ لكُم الاسلام، فَاَكَلْتُم رَغَداً، وما عالَ فيكم عائلٌ ..[1]

٣٧ الامام الباقر «ع» : .. يُسَوِّي (المهديُّ) بين النّاس، حتى لا تَرىٰ محتاجاً الى الزّكاة .[2]

* الّذي يُستفادُ من صريحِ هذه التّعاليم، هو اَنَّ الاسلامَ يَشاءُ للمجتمعِ الانسانيِّ اَن يَأْكُلَ النّاسُ جميعاً رَغَداً، واَن لايكونَ فيهم عائلٌ، واَن لايُرى فيهم محتاج . وحيث نجدُ اَنّ التّكاثرَ والفقرَ هما الدّاهيتان العظيمتان في تاريخِ الانسان، نُشاهِدُ الاسلامَ يَسعىٰ لإزاحتِهما عن عرصات الحياةِ البشريَّة، باقامةِ القسطِ والتّوازن، ودَعْمِ مبدإِ المساواة .

---

١ ـ الكافي ٨ / ٣٢ .

٢ ـ البحار ٥٢ / ٣٩ .

و ـ ايقاظ دينيّ وتربويّ واجتماعيّ واصلاحيّ هامّ

٣٨ الامام علي «ع»: الا! وايُّما رجلٍ من المهاجرين والانصار، من اصحابِ رسولِ الله، يَرى اَنَّ الفضلَ له على مَن سِواهُ لصحبتِه، فاِنَّ له الفضلَ النَّيِّرَ غداً عندَالله، وثوابُه واجرُه على الله. وايُّما رجلٍ اسْتَجابَ للّهِ وللرَّسول، فصَدَّقَ ملَّتَنا ودَخَلَ في ديننا واسْتَقْبَلَ قِبلَتَنا، فقدِ استوجَبَ حقوقَ الاسلامِ وحدودَه.

فانتُم عبادُالله، والمالُ مالُ الله، يُقْسَمُ بينكم بالسَّويَّة، لافَضلَ فيه لاحدٍ على احد، وللمتّقين عندَالله غداً احسُن الجزاءِ وافضلُ الثَّواب. لم يَجعَلِ اللّهُ الدّنيا للمتّقين اجراً ولاثواباً، ما عندَاللّهِ خيرٌ للاَبرار. واذا كان غداً ـ اِن شاءَ الله ـ فَاغْدُوا علينا! .. فلمّا كان من الغدِ غَدا وغَدا النّاس، فقَبَضَ المالَ فقال لعُبيدِ اللّهِ بن ابي رافع ـ كاتبِه ـ: اِبْدَأْ بالمهاجرين فنادِهم، واَعْطِ كلَّ رجلٍ ممَّن حَضَرَ ثلاثةَ دنانير، ثمّ ثَنِّ بالانصار، فَافْعَلْ معهم مثلَ ذلك، ثم مَن لَم يَحْضُرْ من النّاس كلِّهم، الاحمرِ والاسود، فَاصْنَعْ به ذلك .. (ولمّا كَلَّمَه جمعٌ في تصييرِه النّاسَ اُسْوَةً في العَطاء وعدِمِ رعايتِهِ السّيرةَ السّياسيّةَ الّتي يَسير عليها السّاسةُ والمُلوك والحُكّام في اَمثالِ هذه الموارد، قال:)..

هذا كتابُ اللّهِ بينَ اَظْهُرِنا، وعهدُ رسولِ اللّهِ وسيرتُه فينا، لا يَجْهَلُ ذلك الاّ جاهلٌ عاندٌ عن الحقِّ مُنكِرٌ. قال اللّهُ تعالى: «يا اَيُّها النّاس! اِنّا خَلَقْناكُم من ذَكرٍ واُنْثى وجَعَلْناكُم شُعوباً وقبائلَ لِتَعارفُوا، اِنَّ اَكْرَمَكُم عندَالله اَتْقاكُم»، ثُمَّ صاحَ با علىٰ صوتِه: «اَطيعُوا اللّهَ واطيعُوا الرّسول! فاِنْ تَوَلَّيْتُم فاِنَّ اللّهَ لايُحِبُّ الكافرين». ثمّ قال: يا معشرَ المهاجرين والانصار! أتَمُنُّون على اللّهِ ورسولِه بإسلامِكم؟ بل اللّهُ يَمُنُّ عليكُم أن هداكُم للإيمانِ، إن كنتُم صادقين ..[1]

---

١ ـ البحار ٨ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤ (طبعة الكمباني)؛ راجع ايضاً: الكافي ٨ / ٣٦٠ ـ ٣٦٢.

الفات نظـــر

اُنظُروا الى هذه اللّـوحةِ الرّائعةِ العظيمة، واللّحظةِ العِمْلاقَةِ في التّاريخِ الانسانيّ، ممّا سَنَحَتْ في الخلافةِ الاسلاميَّةِ العَلَويّة :

قد شَرَقَتْ شمسُ الكوفة وارسَلَت انوارَها الذّهبيَّةَ على البلدةِ بنَخيلِها وانهارِها ودُورِها وسُكَكِها .. وغَدا النّاسُ وبَرَزُوا، ذاهبين الى بيتِ مالِهم، واثقين مطمئنّين، لا يَطْمَعُ قَوِيٌّ في حَيفٍ، ولا يَيْأَسُ ضعيفٌ من عدلٍ .. وعليُّ بنُ ابي طالب ـ عِمْلاقُ العدالةِ والحقِّ وحارسُ الكَرامةِ الانسانيّة وحامي التُّعساءِ الوحيد ـ قائم .. وابنُ ابي رافعٍ يَقسِمُ المالَ بين الناسِ ويُعطي كلَّ واحدٍ منهم ثلاثةَ دنانير .. الاحمرَ والاسود .. الشّريفَ والوضيع .. الحُرَّ والعبد، العالمَ والجاهل ، الرَّئيسَ والمرؤوس ..

وتُشاهِدُ هناك ـ في مُزْدَحَمِ الجماهير ـ ضمنَ صفوفِ النّاس، اَن قد حَضَرَ اولوا السّابقاتِ والشّرف والسّادةُ والكُبَراء، واعاظمُ رجالِ المسلمين، وصناديدُ قريشٍ من المهاجرين الّذين اَسْلَمُوا .. وكذلك شَجْعانُ المسلمين وامراءُ جُيوشِهم المشاهير، وعلماؤهم وفضلاؤُهم .. ما تَرىٰ في خلقِ الرّحمنِ من تفاوُت، حيثُ تبصُرُ النّاسَ جنباً الى جنبٍ حتى غلامَ سهلِ بنِ حُنَيفٍ الانصاريّ .. كلٌّ يَأْتي ويَأْخُذُ سهمَه المساويَ للآخرين : ثلاثةَ دنانير، وتَرَى النّاسَ كاَسْنانِ المُشْط، وفضائلُهم بينَهم وبينَ الله ..[1] لا مَزيَّةَ هناك ولا فرق، ولا اَثَرَةَ ولا مُحاباة، لا يُكْرَمُ الشّريفُ لشَرَفِه، ولا يُهانُ الوَضيعُ لخُمولِه .. بل الكلُّ يُنظَرُ اليهم بعينٍ واحدة، نظرةً

---

١ ـ على حدِّ تعبيرِ الامامِ الصّادق «ع»، كما مرَّ في الحديث ٢٤، من الفصل.

تخلُقُ للانسانيَّةِ قِيَماً لا يَأْتي عليها مرُّ الحِقَبِ والاَعوام ..

وشمسُ الكوفةِ تَشرُقُ على هذه القِطعةِ من الارض، الّتي تَتَقَدَّسُ فيها العدالـــة .. وتَمتَزِجُ اشعّتُها باَشِعَّةِ شمسِ العدالةِ الكلِّيَّة، فتَبقىٰ مُشرِقةً خالدةً الى اَن يَرِثَ اللّهُ الارضَ وما عليها ..

.. فَما اَجَلَّه من يوم، وما اَعْظَمَه من صَباح ..؟ فلِما ذا لا يُعيدُ التّاريخُ اَيّاماً مثلَه، اَليس يَقولون اِنَّ التّاريخَ يُعيدُ نفسَه، فلِماذا لايُعيد، لِماذا؟..

ويُستفادُ من هذه التّربيةِ العلويّةِ البَنّاءَةِ امورٌ نُشيرُ الى نبذةٍ منها :

١ ـ لا يَجوزُ لِمَن آزَرَ المبدأَ الحقَّ وقَوّاه، اَن يَطلُبَ على ذلك اجوراً ماديَّة . فهناك في النّاسِ أشخاصٌ يَتَوَقَّفُـون لاَنْ يُؤازِرُوا دعوةً صالحة، او ثورةً ناجحةً، باموالِهم واوقاتِهم وامكانيّاتِهم، ولكن ليس لهم عندَ النَّجاحِ ودخولِ النّاسِ فيهااَن يَتَطَلَّبُوا لذلك مزايا ماديَّةً، مُعْلَنَةً او غيرَ مُعْلَنَة، لانّه نقضٌ لأهدافِ الدّعوةِ وغاياتِ الثّورة (من اقامةِ العدلِ وبسطِ القسط)، واستغلالُ القيَمِ على حسابِ الجماهير .

٢ ـ اَنَّ المُؤازَرَةَ المذكورة، لا تَستَتْبِعُ اجراً ماديّاً، ولا تُوجِبُ اَثَرَةً وفرقاً، واِن كانت في صُحْبَةِ الرّسولِ «ص» وخدمتِه، فضلاً عن غيرِها .

٣ ـ اَنَّ اَجرَ الاَعمالِ بيدِاللّهِ تعالى، وما عندَه خيرٌ للاَبرار، وللمجاهدين الصّامدين الصّادقين الفضلُ النَّيِّرُ غداً عندَالله، ولم يَجعَلِ اللّهُ الدُّنيا للمتّقين اجراً ولا ثواباً .

٤ ـ اَنَّ مُؤازِري الحقِّ والدّين، لا يَطلُبُون الاُجورَالماديّة، اِن كانت مُؤارزتُهم وقَعَتْ عن تقوى وصدق .

٥ ـ لا يَجوز لِمَن يُؤْمِنُ بالحقِّ ويَتَّبِعُه ويَسعىٰ له، اَن يَمُنَّ على اللّهِ وعلى اهلِ الحقِّ وتابعيه والعاملين به، بل للّهِ المِنَّةُ عليه، حيث فَهَّمَهُ الحقَّ ويَسَّرَ له الاهتداءَ اليه والايمانَ به، والعملَ لمُؤازريه .[1]

٦ ـ اَنَّ رعايةَ المساواةِ وتبنِّيَها الحاسم، والصُّمودَ لتطبيقِها امرٌ قرآنيٌّ يَدعُو اليه كتابُ اللّهِ وسُنّةُ نبيِّه وسيرتُه .

ز ـ الفقه القديم يؤكّد على تبنِّي «مبدإ المساواة»

من المُشَجِّعِ على الدّعوةِ الى تبنِّي مبدإ المساواة وتجسيدِه في النّاس، ما نُشاهدُه في كلامِ فقهائنا القُدامى من التّنصيص عليه، اضافةً الى الكثيرِ الواردِ في التّعاليمِ الإسلاميّة . قال القاضي عبدُالعزيزِ بنِ البَرّاجِ الطّرابلسيّ :

«وينبَغي للإمام أن يُسوِّيَ بين المسلمين في القسمة، ولا يُفَضِّلَ أحداً منهم على أحد، لشرفٍ فيه، او زهدٍ، او علمٍ، على مَن هو ليس كذلك»[2].

ونَجِدُ الفقــهَ القديم، أقربَ إلى روحِ تعاليمِ الاسلام، وأشدَّ وَشْجاً بالّذي عَلَّمَهُ الأئمّةُ الطّاهرون «ع» فكان أدْعىٰ إلى النّزعاتِ الشّعبيّةِ وأقوى على تلبيةِ الجماهيرِ في مُتَطَلَّباتِها . وذلك لامور :

منها : قربُ عهدِهم بعصرِ المعصومين «ع» وانصهارُهم بتلك الأجواء .

ومنها : معنويّاتُهم الغالبةُ من الزّهدِ والتّورُّعِ والالتزام .

ومنها : بساطةُ المنظَّماتِ والمؤسَّساتِ الدّينيّةِ وحياتِها، وقلّةُ

---

١ ـ لاهميّة هذه الامورِ المذكورة قد اشرنا اليها في الكلام على الحديث ١٨، من هذا الفصل ايضاً .

٢ ـ المهذّب ١ / ١٨٦ .

النّفقاتِ اللاّزمةِ لها، فكانوا لا يَحتاجون لأن يَركَنوا إلى الّذين ظَلَموا النّاسَ من الأغنياء والمتكاثرين، فيَبتَعِدُوا عن الجماهيرِ وحاجاتِها وآلامِها ..

ح- الثّورات الدّامية تَتَبَنّى «مبدأ المساواة».

ولِما يَتَمَتّعُ «مبدأُ المساواة» به، من أصالةٍ إسلاميّة، نُشاهِدُ أنّ التّغييريّين من الثُّوّارِ المسلمين يُنَوِّهون به، في طليعةِ ثوراتِهمُ الّتي تَزْخَرُ بمياهِ الحياةِ القرآنيّة، و تَنطَلِقُ عن بذلِ الدّمِ الطّاهرِ لاستخلاصِ النّاسِ من الظّلمِ والعُدوان وتحصينِهم ضدَّ الحاجةِ والفقر، في تضحياتٍ كبيرةٍ تُشَكِّلُ سلسلةَ مآسي الطّيّبين، وتَصْبَغُ الفجرَين لأن يَبقى صُراخاً خالداً على صفحاتِ الدّهر، في سبيلِ تلكم المبادئ السّامية.

قالوا : «لمّا كانت بيعةُ الحسينِ بنِ عليٍّ، صاحبِ فخٍّ[1]، قال : "أُبايِعُكُم على :

[أ] - كتابِ الله ،

[ب] - وسُنّةِ رسولِ الله ،

[ج] - وعلى أن يُطاعَ اللّهُ ولا يُعصى ،

[د] - و أدعُوكم الى الرّضا من آل محمّد ،

[هـ] - وعلى أن نَعمَلَ فيكم بكتابِ اللّهِ وسنّةِ نبيِّه «ص» ،

[و] - والعدلِ في الرّعيّة ،

---

١ - فخّ، بالفتح فالتّشديد، بِئْرٌ قربَ مكّة المكرّمة يُسمّى الموضعُ بها؛ قاتَلَ جمعٌ من الزّيّديّين - من الثُّوّار العلويّين - الجبابرةَ العبّاسيّين هناك، وَاسْتُشْهِدُوا في سبيلِ مبادئهمُ القرآنيّة. وكانت الوقعةُ في سنةِ ١٦٩، من الهجرةِ القادسة. والمكان يُسمَّى اليوم : «الشُّهـداء».

[ز] والقَسْمِ بالسّويّة ،

[ح] ـ وعلى اَن تُقيموا معنا وتُجاهِدُوا عدوَّنا ،

[ط] ـ فإن نحن وَفينالكم وَفيتُم لنا ،

[ي] ـ وإن نحن لم نَفِ لكم فلا بيعةَ لنا عليكم".»[1].

ومن أهمِّ ما جاء في هذا الخطاب، الفِقْرَتان الأخيرتان، حيث تُقَيِّدان طاعةَ النّاسِ للثّائرِ القرآنيِّ بوفائه بجميعِ ما وَعَدَ به النّاسَ وإلاّ فلا.

والحسينُ بنُ عليٍّ الحسنيِّ هذا، من أعاظمِ المؤمنين المجاهدين ضدَّ الطّاغوتيّةِ والظُّلم. ولقد أثنى عليه النّبيُّ «ص» قبلَ أوانِه باكثرَ من ستّين ومئةِ عام؛ ولقد نوَّه بذكرِه الامامُ الصّادق «ع» وصلّى في مشهدِه قبلَ شهادتِه؛ وقال عنه الامامُ موسى بنُ جعفرٍ الكاظم «ع» بعدَ مقتلِه: «.. مضى واللّهِ مسلماً صالحاً، صَوّاماً قَوّاماً، آمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكر..»[2].

وروى ابوالفرجِ الاصفهانيِّ باسناده، بصددِ سخائه ورعايتِه المحتاجين، أنّه قـالَ عليُّ بنُ الحسينِ الحضرميّ: «سمعتُ الحسنَ بنَ هذيل يقول: "بِعتُ لحسينِ بنِ عليٍّ صاحبِ فخٍّ، حائطاً بأربعين ألفَ دينارٍ، فَنَثَرَها على بابِه، فما دَخَلَ على أهل بيته منها حبّة؛ كان يُعطيني كفّاً كفّاً فأذهَبُ به الى فقراءِ اهلِ المدينة".».

ط ـ مثال أعلى

---

١ ـ مقاتل الطّالبيّين / ٢٩٩، الطّبعة الثّانية، النّجف الأشرف (١٣٨٥ هـ. ق).

٢ ـ مقاتل الطّالبيّين / ٣٠٢؛ راجع ايضاً: «الكافي» ١ / ٣٦٦؛ «البحار» ٤٨ / ١٦٠؛ «سفينة البحار» ١ ـ ٢٧٥؛ «بَطَلُ فخّ»، للشّيخ محمّد هادي الأمينيِّ النّجفيّ.

٣٩ الامام عليّ «ع» : .. يا بنتَ عليِّ بن أبي طالب! لا تَذْهَبَنَّ بنفسِكِ عن الحقّ، أكُلُّ نساءِ المهاجرين تَتَزَيَّنُ في هذا العيدِ بمثلِ هذا؟[١]

* هذا كلامٌ قاله الإمام لإحدى بناتِه، لمّا أخَذَت عِقْدَ لؤلؤٍ من بيتِ المال، عاريةً مضمونةً مردودةً بعد ثلاثةِ أيّام - في أيّامِ الأضحي - فرآه عليها فرَفَعَه ..

وما أعظَمَه من صُمودٍ في الحقِّ والعدل، وما أرقاه من اتِّجاهٍ في جَعلِ النّاس أُسْوَة! حيث لا يَرضى بأن يُرى على إبنتِه ما لا يُرى على غيرِها، من سائرِ البناتِ والنّساء.

فيا تاريخ! أليس لك أن تُعيدَ مثلَ تلكم الأيّام؟..

ي - أصلان تربويّان عظيمان

الاصلُ الاوّل: المساواةُ في التّعليم

٤٠ الامام الصادق «ع» - عن حَسّانِ المعلِّم قال: سَأَلْتُ ابا عبدِالله «ع» عن التّعليم؟ فقال: «لا تَأْخُذْ على التّعليمِ اَجراً!»[٢] قلتُ: فالشِّعرُ والرَّسائلُ وما اَشْبَهَ ذلك أُشارِطُ عليه؟ قال: «نَعَم، بعدَ اَن يَكونَ الصِّبيانُ عندَك سَواءً في التّعليم، لا تُفَضِّلُ بعضَهم على بعضٍ»[٣].

---

١ - المناقب ٢ / ١٠٨.

٢ - يُقصَدُ بهذا النَّهي، اخذُ الأُجرةِ على تعليمِ ما هو الواجب.

٣ - الوسائل ١٢ / ١١٢.

* يُرشِدُنا المعلِّمُ الالهيّ، في هذا التّعليم، الى امرٍ تربَويٍّ عظيم، تَبتَني عليه سعادةُ المجتمعاتِ وصيانةُ قدرِ الانسانِ وكرامتِه. وهذا الامرُ يَرجِعُ الى تربيةِ النّاشئةِ من اوّلِ مراحلِ التّربيةِ والتّعليم. وذلك لِاَنَّ الفَواصلَ الماليّةَ والفُروقَ المعيشيَّةَ والمظاهرَ التَّرَفيَّة، تَتَجَلّىٰ للانسانِ اوّلَ ما تَتَجلّىٰ في المدارسِ الابتدائيَّة، من جهةِ تفاوتِ الاطفالِ في اللِّباسِ والغِذاءِ وادواتِ المكتبِ والرِّفاه المعيشيِّ وما الى ذلك. فمِن هنا يَضَعُ المعلِّمُ الالهيُّ الإِصْبَعَ على هذا المقطعِ الحسّاس بمالَه من دَورٍ بنّاء، فيَشترِطُ على حَسّانِ المعلِّمِ لجوازِ شُغلِه، اَن يَكونَ الصِّبيانُ عندَه سَواءً في التّعليم، من غيرِ اَن يُفَضِّلَ بعضَهم على بعضٍ، لاَيَّةِ جهةٍ كانت، واَن يَحطِمَ كلَّ ما هنالك من فرقٍ ماليٍّ وتَرَفيٍّ في حياتِهم و حياةِ عائلاتِهم، وما يُبدُونه من تَغَطْرُسٍ او تفاخرٍ او تَسامٍ، حتى يَتَغَلْغَلَ اصلُ المساواة والنّظرُ الى الاَناسي بعينٍ واحدةٍ في نفوس النّاشئةِ بادئَ بَدْءٍ، وحتى تَجُفَّ جُذورُ النّظرةِ الفارقةِ ـ غيرِ الانسانيَّةِ وغيرِ الاسلاميّة ـ من ارض نفوسِهم وافكارِهم، ويُصبِحَ ذلك مقياساً رئيسيّاً لحياتهم الاجتماعيَّة وسلوكِهم الاسلاميّ في المستقبل.

ويَجِبُ اَن يُتَّخَذَ هذا التّعليمُ دُستوراً حاسماً في كلِّ مراكزِ التّربيةِ والتّعليم، ولدى المدرِّسين والاساتذة، وان يَجعَلَه المُبَرمِجُون ركناً للمنهاجِ التَّربَويِّ.

وعلى هذا الاساس، يَجِبُ ان لا يكونَ في المجتمعِ الاسلاميِّ مدارس ممتازة، يَرِدُها صِبيانٌ وناشئةٌ ولايَرِدُها غيرُهم.. الّا ما اذا كان من جهةِ الاستعدادِ والطّاقةِ الزّائدةِ في التعلُّمِ والتَّدَرُّب..

الاصلُ الثّاني : المساكينُ ولزومُ تعليمهم وتثقيفهم

٤١ الامام الصادق «ع» : .. من العلماء مَن يَرىٰ ان يَضَعَ العلمَ عندَ ذوي الثروةِ والشّرف، ولا يَرىٰ له في المساكينِ وضعاً؛ فذاك في الدَّرَكِ الثّالثِ من النّار.[١]

* يُرشِدُنا هذا الحديث الى اَنّ تعليم المساكينِ وتثقيفَهم امر لازم. وهذا التّعليمُ وامثالُه ناظر الى الوضع القائمِ لا المطلوب ـ كما اشرنا اليه ايضاً ـ وهذا من عظائمِ انسانيّاتِ الاسلامِ وارشاداتِه البنّاءةِ والمنقذة، حيث اِنَّ المساكين إذا عُلِّمُوا وثُقِّفُوا يهتدُون الطّريقَ الى احقاقِ حقوقِهم واعادةِ كرامتِهم والحاقِ نفوسِهم وذويهم بمستوى الآخرين؛ اذِ التّثقيفُ يُمَكِّنُهم من الحضورِ النّشيطِ والتّعَضِّي الفعّالِ في المجتمعاتِ والاحزابِ وما الى ذلك. وكلّ ذلك من حقوقِهم.

---

١ ـ الخصال / ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

نظرة الى الفصـــل

مبـدأ المساواة في الاسلام: اذا لا حَظْنا واقعَ المساواةِ في تقسيمِ الاموالِ عندَ النّبيِّ «ص»، وعندَ اميرِ المومنين «ع»، وعندَ الامامِ المهديِّ القائم «ع» (الّذي بَشَّرَ به النَّبيُّ الاعظمُ «ص»وقال: «انَّه سَيَخْرُجُ فَيَمْلَأُ الارضَ قسطاً وعدلاً بعدَما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً»، وهو الّذي يُؤَسِّسُ الحُكمَ القرآنيَّ الفعلـــيّ)، ونَظَرْنا فيما جاءَ في تعاليمِ الائمَّةِ الطّاهرين «ع» بهذا الصّدد ببياناتٍ مُؤَكَّدة، نَعلَمُ بوضوحٍ ،أنَّ مبدأَ التّسويةِ في القضايا الماليّةِ مبدأٌ جوهريٌّ في الدّينِ وتعاليمِه. وبما اَنَّ الدّينَ الحقَّ السَّماويّ، اِنَّما يَدعُو الى دَعْمِ نظامٍ شاملٍ وحكمٍ رصين، اذاً لايَصِحُّ اَن نَقولَ اِنَّ هذا النِّظامَ يُسَوِّي في الاموالِ العامّةِ الى حدٍّ يَكسِرُ رغيفاً واحداً سبعَ كِسَرات، ولا يَعمِدُ في سائرِ الاموالِ والامتلاكات ـ الّتي تَدورُ عليها رَحىٰ حياةِ النّاس ـ الى ايِّ تجاوبٍ مع هذا المبدأ، ولا يَرى اَيَّ حدٍّ كَمِّيٍّ للملكيّة واَيَّ ميزانٍ للفروقِ الماليّةِ والمعيشيّةِ بين النّاس. اِنّ هذا الزّعم لا يُمكِنُ اَن يُصارَ اليه، لاَنَّه يُؤَدّي، بَدْأَةَ ذي بَدْءٍ، الى:

١ ـ خَوَرُ النِّظامِ الدّينيِّ في تعاليمِه وعدمُ انسجامِه وتشابكِه.

٢ ـ تَقَوُّضُ اركانِ المجتمعِ وتَوَتُّرُ الصِّلاتِ الانسانيّة فيه.

اجَل، اِنّ الدّينَ اِنَّما يَعمَلُ بالتّسويةِ ويُسَوِّي بين النّاسِ ويَحمِلُهم سَواءً، ويَدعُو الى المبدإ الالهيِّ والانسانيِّ القويم، لاَن يَقومَ القسطُ في النّاسِ ويَقومَ النّاسُ به. وهل قيامُ القسطِ يَنحَصِرُ بقسمٍ محدودٍمن الاموالِ وبحفنةٍ محدودةٍ ممّن يَمُتُّ الى الحكمِ والى بيتِ مالِه، ولا يَعدوها الى سائرِ الموارد ولو بصورةٍ اَخفّ؟ واِنَّ النّاسَ في المجتمعِ اَحْرارٌ لِاَن

يَمتلِكُواما يَشاؤون، وبمقدارِ ما يَشاؤون، وان تَهاوَوا في دركاتِ الاقتصادِ التّكاثريِّ الحُرِّوجهيمِ الاستهلاكِ التَّرفيِّ والاسراف، واحْتَرَقُوا في نيرانِ الاَثَرَة؟ لا، هذا امرٌ لا يَصير اليه ايُّ مذهبٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ ملتزم - ولو كان التزامُه ضئيلاً - فضلاً عن الاسلام، لاَنَّ ذلك يُورِثُ انهيارَ الدّين، وخذلانَ الحكم، وتهافتَ التّعاليم، وفَشَلَ الغايات، وهَدْمَ اركانِ المدنيّةِ والاجتماع، وتخلُّفَ الجماهير، وسقوطَ البلاد، وفناءَ الاسلامِ والمسلمين - كما مرّ عن الامامِ الصّادق «ع»[1].

الأصول الرّئيسيّة الّتي تدعو الى «المساواة»

وإنَّ للمساواةِ في التّصوُّرِ الاسلاميِّ جذوراً راسخةً وقواعدَ اساسيّةً واصولاً بنائيّةً، يَنبغي اَن نَلفِتَ اليهَا الانظار:

١ - اصلُ التّوحيد.

٢ - اصلُ تساوي النّاسِ في الخَلق، من ابٍ وامٍّ واحدَين.

٣ - اصلُ كَرامةِ الانسان.

٤ - اصلُ الاُخوّةِ الايمانيّة.

٥ - اصلُ محدوديَّةِ الانسانِ التّكوينيّةِ في استغلالِ المواهب.

٦ - اصلُ رفضِ التّكاثر (الاقتصادِ الحُرّ).

٧ - اصلُ البُنُوَّةِ الاسلاميّة.[2]

٨ - اصلُ شَجبِ الاَثَرَةِ والمُحاباة.

٩ - اصلُ تعميمِ المواهبِ المعيشيّة.

١٠ - اصلُ قواميّةِ المالِ وتساويها للكلِّ.

---

١ - راجع الفصل ٢، من هذا الباب.

٢ - هذا الاصلُ مُتَّخَذٌ من كلامِ الامامِ الصّادق «ع»: «اهلُ الاسلامِ هم ابناءُ الاسلام..اَحْمِلُهم كبني رجلٍ واحد» - لاحظ تمامَ الحديث برقم ٢٤.

١١ ـ اصلُ محدوديّةِ الامتلاك .

١٢ ـ اصلُ محدوديّةِ الاستهلاك .

١٣ ـ اصلُ الانفاق .

١٤ ـ اصلُ الاقتصادِ في المعيشة .

١٥ ـ اصلُ العدلِ (التّوازنِ الاقتصاديّ للجماهير)

١٦ ـ اصلُ الاحسانِ (الانسجام المعيشيّ).

١٧ ـ اصلُ اِسنادِ الفضلِ والميزةِ الى التّقوى .

١٨ ـ اصلُ رابطةِ العدلِ والتّسوية .

١٩ ـ اصلُ رفضِ الاسرافِ والتّبذيرِ والتّقتير .

٢٠ ـ اصلُ كِفاحِ الفقرِ واستئصالِه .

٢١ ـ اصلُ شجبِ الاستضعافِ والاستكبارِ .

٢٢ ـ اصلُ تمويلِ الفقيرِ لِاَن يُلْحِقَ عِيالَه بالنّاس .

واليك ايضاحاً مقتضباً لكلٍّ من هذه الاصول :

١ ـ اصلُ التّوحيد : اِنَّ قائمةَ الدّينِ وقاعدةَ تعاليمِه واحكامِه هي التّوحيد، والايمانُ بآلهٍ واحدٍ احدٍ، خَلَقَ الخلائقَ وبَرَأَ النُّفوس، فهو إلَهُ الكُلِّ وخالقُ الكلِّ ورازقُ الكلِّ، ومُقَدِّرُ الارزاقِ والمعايشِ للكلِّ، والكلُّ عَبيدُه والمرتَزِقُون من موائدِنعَمِه وفضلِه . وهو يُحِبُّ الكلَّ محبَّةَ المُؤَثِّرِ للاَثَرِ والخالقِ للمخلوقين والرَّبِّ للمربوبين .

واِنَّ هذا المُعتَقَدَ والايمان، لا يَكْتَمِلُ اِلّا بَاَن يَسرِيَ في صِلاتِ الانسانِ الاجتماعيّة ومُلتَقىٰ كُلِّ انسانٍ مع السّائرين في عرصةِ هذه الحياة . واِنَّ من اهمِّ مظاهرِ المعتَقَدِ التّوحيديِّ ومجالاتِه العمليّةِ في المجتمعِ الاسلاميّ، هو تساوي النّاسِ في المستَوَياتِ المعيشيّة، خضوعاً للّهِ واعترافاً بكبريائه؛ وطلباً لمرضاتِه، وعدمَ تفريقٍ بين خلقِه شجباً للاستكبار،

وعملاً بكتابِه ـ كما مرَّ عن الامام عليٍّ «ع». ومن هنا قال الامامُ الصّادق «ع» : «كانَ رسولُ الله «ص» يَقسِمُ لحظاتِه بين اصحابِه، فيَنظُرُ الى ذاويَنظُرُ الى ذا بالسّويّة»[1]. وقال اميرُ المؤمنين «ع» : «.. وان تكونوا عندي في الحقِّ سَواءً»[2]، و«علموا انَّ الناسَ عندَنا في الحقِّ اُسْوَةٌ»[3]. ولقد قال رجلٌ للامامِ الصّادق «ع» في كلامٍ جَرىٰ بينهما وقد سَأَلَه عن مسائل : «.. فتَقولُ اِنَّ وُلْدَ آدمَ كلَّهم سَواءٌ في الاصل، لا يَتفاضَلُون الا بالتّقوى؟»، قال : «نَعم، اِنّي وَجَدْتُ اصلَ الخلقِ التُّراب، والابَ آدم، والاُمَّ حَوّاء، خَلَقَهُم آلهٌ واحد، وهم عَبيدُه ..»[4] وقال الامام ابوالحسنِ الرّضا «ع»، في جوابِ مَن يُشيرُ عليه بأن يَعتَزِلَ مائدةَ السُّودانِ من جمعِه : «مَهْ! إنَّ الرَّبَّ ـ تبارك وتعالى ـ واحدٌ، والاُمَّ واحدةٌ، والأبَ واحدٌ ..»[5].

فُنشاهِدُ من هذين التّعليمين ـ وهما مُتَعاضِدان بتعاليمَ واحاديثَ اخرى وبالآياتِ القرآنيّة ـ اَنَّ الامامين، الصادق «ع» والرّضا «ع»، يَجعَلان وحدةَ الخالق ـ جَلَّ اسمُه ـ وتساويَ المخلوقين في الاصلِ والابِ والاُمِّ، مستنَداً لتساوي النّاس، ولتركيزِ مبدإِ المساواةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّة.

ولقد عَمَدَ الى بيانِ هذا الاصلِ وكَشَفَ عنه، احدُ النّابهين المُتَفَتِّحين من الفقهاء، حيث قال :

«.. فالتّوحيدُ هو جوهرُ العقيدةِ الاسلاميّة، وبالتّوحيدِ يُحَرِّرُ الاسلامُ الانسانَ من عبوديّةِ غيرِ الله (لا الهَ الاّ الله)، ويَرفُضُ كلَّ اشكالِ الاُلوهيَّةِ المُزَيَّفَةِ على مَرِّ التّاريخ. وهذا هو تحريرُ الانسانِ من داخلٍ، ثمّ يُقَرِّرُ

---

١ ـ الوسائل ٨ / ٤٩٩.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٨٢؛ عبده ٣ / ٨٩.

٣ ـ نهج البلاغة ١٠٧٢؛ عبده ٣ / ١٤٥.

٤ ـ الاحتجاج ٢ / ٨٣.

٥ ـ الكافي ٨ / ٢٣٠.

كنتيجةٍ طبيعيّةٍ لذلك تحريرَ الثّروةِ والكَونِ من اَيِّ مالكٍ سوى اللّهِ تعالى .[1] وهذا هو تحريرُ الانسانِ من خارج .

«وقد رَبَطَ الامامُ اميرُ المؤمنين «ع» بينَ الحقيقتَين حين قال : "العبادُ عبادُ الله، والمالُ مالُ الله"[2]. وبذلك حَطَمَ الاسلامُ كلَّ القُيودِ المُصطَنَعةِ والحواجزِ التّاريخيّةِ الّتي كانَت تَعُوقُ تَقدُّمَ الانسانِ وكَدْحَه الى ربِّه وسيرَه الحثيثَ نحوَه، سَواء تَمثَّلَت هذه القُيودُ والحواجزُ على مستوى آلِهةٍ ومَخاوِفَ واساطيرَ وتحجيمٍ للانسانيّة بين يَدَيْ قُوى اُسطوريَّة، او تَمثَّلَتْ على مستوى ملكيّاتٍ تُكَرِّسُ السّيادةَ على الارضِ لطاغوتٍ، فرداً كان او فئةً او طبقة، على حسابِ النّاس، وتَحوُلُ دون نُمُوِّهمُ الطّبيعيّ، وتَفرُضُ عليهم بالتّالي علاقاتِ التّبَعِيَّةِ والاستعباد .

«ومن هنا، كانَ الاسلام ـ الّذي كافَحَ من اجلِه الانبياء ـ ثورةً اجتماعيّةً على الظّلمِ والطُّغيان، وعلى اَلوانِ الاستغلالِ والاستعباد. ومن هنا ايضاً، كانَ الانبياءُ ـ وهم يَحمِلُون هذا المشعل ـ يَستَقْطِبُون دائماً المُعذَّبين في الارضِ والجماهيرَ البائسةَ الّتي مَزَّقَتْها اساطيرُ الآلِهَةِ المُزَيَّفَة روحيّاً، وشَتَّتَتْهَا الجاهليّةُ فكريّاً، ووَقَعَت فريسةَ اشكالٍ مختلفةٍ من الاستغلالِ والظّلمِ الاجتماعيّ .»[3].

٢ ـ اصلُ تساوي النّاسِ في الخلق : هذا الاصلُ ايضاً اصلٌ اساسيٌّ وبديهيّ، يَقولُ القرآنُ الكريم : «يا اَيُّها النّاس اِنّا خَلَقْناكُم من ذَكَرٍ واُنْثىٰ وجَعَلْناكُم شُعوباً وقبائلَ لِتعارَفُوا، اِنَّ اَكرَمَكُم عندَاللّهِ اَتقاكُم، اِنَّ اللّهَ عليمٌ خبير»[4]. وهذا دعاءٌ الى رفضِ الفروقِ والامتيازات، فالله الخالقُ

---

١ ـ راجع : الفصل ١، من هذا الباب، والفصل ١، من الباب ١٢.

٢ ـ لاحظ : الحديث ٣٨، من الفصل .

٣ ـ الاسلام يقودُ الحياة / ٢٦ ـ ٢٧.

٤ ـ سورة الحُجُرات (٤٩) : ١٣.

المتعالُ إنّما فَرَّقَ بين النّاسِ في انسابِهم وبُلْدانِهم ليَتعارَفُوا، لا لِيَتفاخَرُوا ويَجْنَحُوا إلى الاستكبار والاستعلاء، فلا فرقَ ولا امتياز..[1]

ويَقولُ النّبيّ «ص» : «أيُّها النّاس! إنَّكُم من آدمَ، و آدمُ من تُراب»[2].

ولقد أوردنا كلامَ الامام الصّادق «ع» وكلامَ الإمام أبي الحسن عليِّ بنِ موسى الرّضا «ع» بهذا الصّدد، في الاصلِ السّابق فلاحِظْهُما بامعان.

٣ ـ اصلُ كرامةِ الانسان : الانسانُ في «التّصوُّرِ الاسلاميِّ» هو خليفةُ اللّهِ في الارض، وَانَّ اللّهَ تعالى اَعْطاه الكَرامةَ وكَرَّمَهُ (ولقد كَرَّمْنا بني آدم)[3]. ومن المعلوم، اَنَّ هذه الكَرامةَ لا تَخُصُّ احداً دونَ احد، بل انَّها تَعُمُّ جميعَ ابناءِ الوالدين : آدمَ وحَوّاء. ومقتضى ذلك اَن يَكونَ النّاسُ كلُّهم متساوين في الاستمتاعِ بالمواهب الّتي خَلَقَها اللّهُ لهذا الموجودِ المُكَرَّمِ عندَه وَخَوّلَه ايّاها (كما وَرَدَ في الحديثِ المفضَّليِّ عن الصّادق «ع»)[4]، فإنَّ منشأَ ذلك التّكريمِ هو انسانيّةُ الانسانِ وكونُه ابنَ آدم «ع». وهذا في الكلِّ موجودٌ على السَّواء. وهذه الحالةُ هي الّتي سَيَتَجَسَّدُ نُموذجُها العالي والمستوعبُ في عصرِ الحكمِ القرآنيِّ الفعليِّ. لاَنَّ في ذلك العصر يُشجَبُ الاستضعافُ بصورةٍ فعليّةٍ مستوعبة، ويُصبِحُ المستضعفون اَئِمَّةً وحُكاماً واقعاً. ومن الواضح، اَنَّ الاستكبارَ والاستضعافَ الاقتصاديَّين من اهمِّ اسبابِ نفيِ كَرامةِ الانسانِ وسلبِها، فماد اما سائدَين على المجتمعِ فلاكَرامةَ للانسانِ مصونةً.

---

١ ـ كما جاءَ الاستدلالُ بالآيةِ على ذلك، في كلام امير المؤمنين «ع»، فلاحظ : الحديث ٣٨، من الفصل.

٢ ـ البحار ٢١ / ١٣٨؛ الكافي ٨ / ٢٤٦.

٣ ـ سورة الاسراء (١٧) : ٧٠.

٤ ـ البحار ٣ / ٦١.

٤ ـ اصلُ الاُخُوَّةِ الايمانيّة : اِنَّ القرآنَ الكريم يَقولُ : «اِنَّما المؤمنون اِخْوَةٌ»، فيُؤَسِّسُ بهذه الدّعوةِ والتّعليمِ اصلاً اساسيّاً لصِلاتِ الانسانِ الاجتماعيّة، وللحَضِّ على التّراحُمِ والتّبارِّ. ولقد اَكَّدَتِ التَّعاليمُ على تعزيزِ هذه الاُخُوَّة، ودَعَتِ المعتقدين الى العملِ بالمؤاساةِ والمساواةِ والايثار. ولقد تكلّمناعن هذا الاصلِ ومقتضاه في الفصلِ الخامس والأربعين.

٥ ـ اصلُ محدوديّةِ الانسانِ التّكوينيّةِ في استغلالِ المواهب : اِنَّ الانسانَ محدودٌ، بمقتضىٰ فطرتِهوطبيعتِه،بحدودٍ. ولقد فَصَّلْنا الكلامَ عنها سابقاً. وكذلك المواهبُ الطّبيعيّةُ محدودةٌ بالنّسبةِ الى كلِّ احد، لِاَنَّها وُضِعَت للكلّ. فمقتضىٰ هاتَين المحدوديَّتَين اَن يُراعِيَ كلُّ انسان جانبَ الاعتدالِ والقصد، في الاستفادةِ من المواهب. وهذا جُنوحٌ الى مبدإِ المساواة، بل سَوقٌ اليه وتعبيدٌ لُطُرقِها العمليّة، اذا الفطرةُ في الكلِّ واحدة، ولها اقتضاءٌ واحد. وحدُّ القصدِ لايَتَفاوَتُ في هذا الانسانِ وذاك بكثير.

٦ ـ اصلُ رفضِ التّكاثر (الاقتصاد الحُرّ) : اِنّ الفرقَ المعيشيَّ اِنَّما يَنْشَأُ من تكدُّسِ المالِ والثَّروةِ عندَ حفنةٍ. وهذا ما يَرفُضُه الاسلامُ بنَصِّ «سورةِ التّكاثر» و «آيةِ الحديد» الحاسمين. واذا رُفِضَ التَّكاثُر، وحُمِلَ النّاسُ على حفظِ الحدِّ الاسلاميِّ في الامتلاك، يُساقُ المجتمعُ بصورةٍ طبيعيّةٍ وموضوعيّةٍ الى مَقرُبَةٍ من الحدودِ الاسلاميّةِ والانسانيّةِ وتبنّيها.

٧ ـ اصلُ الاُمّة الاسلاميّة : اِنَّ صِلةَ الاسلامِ بالنّاس، صلةُ الاَبِ والاَبناء. وهل تَقتضي هذه الصّلةُ الا المساواةَ والتّأكيدَ الفعليَّ على تركيزِها

وارساءِ قواعدِها الاقتصاديَّةِ والمعيشيّةِ في الجماهير؟ يَقولُ المعلِّمُ المعصوم، الامام جعفر الصّادق «ع» : «اهلُ الاسلامِ هم اَبناءُ الاسلام، اُسَوِّي بينَهم في العطاء . وفضائلُهم بينَهم وبينَ الله، اَجْعَلُهم كبَني رجلٍ واحد ..»[1] . وهذه البُنُوَّةُ لا تَخُصُّ بعضاً دون بعضٍ .

٨ ـ اصلُ شجبِ الأَثَـرَة والمُحاباة : اِنَّ هدفَ الدّينِ الالهيِّ اَن يُنْقِـذَ الانسانَ منَ التَّهلُكَة؛ واِنَّ الاَثَرَةَ من اسبابِ التَّهلُكَةِ كما يُعَلِّمُنا الامامُ عليٌّ «ع» : «من يَستأْثِرْ من الاموالِ يَهْلِك»[2] . فالاسلامُ يُعارِضُ الاَثَرَةَ ويَرفُضُها . وهذا طريقٌ من طُرُقِ الوصولِ الى مبدإِ المساواةِ وسوقِ المجتمعِ اليه . وذلك لِاَنَّ المجتمعَ يَجِبُ اَن يُصانَ بقاؤُه وكيانُه الانسانيُّ والاسلاميّ . واِنّ هذا الكيانَ لايَبقىٰ الّا اِذارُوعِيَ فيه القانونُ السّائدُ على العالمِ كلِّه . وهو قانونُ التّوازنِ والقصد، فبهما يُضْمَنُ للمجتمعِ نجاتُه وخلاصُه من الاستبدالِ والسّقوط، فيَجِبُ اَن يكونَ النّاسَ واعين لاهميّةِ مبدإِ المساواة، داعين اليه، ساعين لتجسيده، مجابهين للاستئثارِ والمُحاباة . واِنَّ الحفنةَ المستكبرةَ الّتي تَطلُبُ الاَثَرَةَ وتَسعى لها، لو عَلِمَت ما فيها من خطرِ الزَّوال والاستبدال، تَرفُضُها وتَفيءُ الى مبدإِ المساواةِ الانسانيِّ والاسلاميِّ .

٩ ـ اصلُ تعميمِ المواهبِ المعيشيَّة : لقد تَكَلَّمْنا عن هذا الموضوع، في الفصلِ السّادسِ والثّلاثين، من الفصولِ العشرةِ الّتي عَقَدْناها عن كِفاحاتِ الاسلام الرَّحْبَةِ ضدَّ الفقر، وعَنْوَناه بـ «الكلُّ مُهَيَّأٌ للكلِّ، لا مُدَّخَرٌ للبعض»، فراجع .

---

١ ـ الوسائل ١١ / ٨١.

٢ ـ راجع : الفصل ٢، من هذا الباب، بندَ «ب»، الفِقْرَةَ ٣.

١٠ ـ اصلُ قواميّةِ المالِ وتساويها للكلّ : لقد بَحَثْنا عن قَواميّةِ المالِ في الاسلام، في الفصلِ الاوَّلِ من هذا الباب . وهذا الاصلُ الاسلاميُّ الاقتصاديّ (يعني قَواميّةَ المال)، يَنفي الاَثَرَةَ والامتيازَ الماليَّ الباهظ، لِاَنَّ قَواميَّةَ المالِ لحياةِ الانسانِ وما يَلزَمُه لها متساويةٌ في كلِّ احدً تقريباً (لو لم يَسُدِ المجتمعَ، الاستبكارُ المعيشيّ والاستئثار) . وهذا كما رَأينا اَنَّ اميرَ المؤمنين «ع» كان يُسَوِّي بين اجيرِه وبين نفسِه،[1] ولا يَقولُ : اَنَا اميرُ المؤمنين، ولي تكاليفُ ونَفَقات، وهو اجيرٌ بسيط، اذ التَّشَبُّثُ بهذه المعاذيرِ تمويهٌ ودَجْل؛ فقَواميّةُ المالِ لا تَخُصُّ شخصاً دونَ شخص، فكما اَنَّ الغنيَّ يَحتاجُ الى الغِذاءِ واللّبوسِ والدَّواءِ والمسكنِ والمركوب ..كذلك الفقيرُ يَحتاجُ الى كلِّ ذلك . وكما اَنَّ اولادَ الاغنياء، من بنينَ وبناتٍ، يَحتاجُون الى الصِّحَّةِ والتّربيةِ والتّعليم .. كذلك اولادُ الفقراء، من بنينَ وبناتٍ، يَحتاجُون الى كلِّ ذلك . وكما اَنَّ المالَ قَوامٌ ولازمٌ لحياةِ المهندسِ كذلك لازمٌ لحياةِ العامل . وكما اَنَّه قَوامٌ ولازمٌ لحياةِ صاحبِ المعملِ واولادِه وذويه، كذلك قَوامٌ ولازمٌ لحياةِ بوّابِ المعملِ واولادِه وذويه وهكذا، فهو لازمٌ وقَوامٌ لحياةِ العالِم والجاهل، والاميرِ والمأمور، والقاضي وبائعِ التّذكرة، والفَنّان والفلّاح، والدّكتور والسُّوقيّ، والغنيِّ والمسكين ..

اِنَّ الواقعَ هكذا . واِنَّ احتياجَ الانسانِ الى المالِ لا يَخُصُّ الابيضَ بل يَعدُوه الى الاسودِ والاحمرِ والاصفرِ ايضاً، فما الفرقُ بين انسانٍ وانسان، اذا نُشاهِدُ اَن انساناً عظيماً كعليِّ بنِ ابي طالبٍ «ع» ـ وهو اميرُ المؤمنين ورئيسُ رُقعةٍ كبيرةٍ من الارض، يَحكُمُها الاسلامُ ـ يُسَوِّي بين نفسِه وبين اجيرِه . وحينما يُسَوِّي بين رجلٍ انصاريٍّ وغلامٍ اسود، فيَعترِضَ عليه الانصاريُّ قائلاً : «يا اميرَ المؤمنين! هذا غلامٌ اَعْتَقْتُهُ بالامس، تَجعَلُني وايّاه سَواءً؟» فيَقولُ : «اِنّي نَظَرتُ في كتابِ الله، فلم اَجِدْ

---

١ ـ المناقب ٢ / ١٠٨ ـ مرّ حديثُه في الفصل، برقم ١٧.

لِوُلْدِ اسماعيلَ على وُلْدِ اسحاقَ فضلاً»[1]. ومن الواضح، اَنَّ ذكرَ «وُلْدِ اسماعيل» و«وُلْدِ اسحاق»، اِنّما جاءَ على سبيلِ المثال، فالمقصودُ اِنّي لم اَجِدْ في كتابِ الله فرقاً بين وُلْدِ آدم، من اسماعيليّين اواسحاقيّين او غيرِهم الى آخرِ الدّهر، كما سلَفَتِ الاشارةُ اليه.

وهذا الموقفُ الّذي اتَّخَذَه الامامُ اميرُ المؤمنين «ع» يَكفي بنفسِه للتّدليلِ على جوهريّةِ مبدإِ المساواةِ في الاسلامِ وَانّها من اهمِّ اصولِ هذا الدّين، التّربويّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والمعيشيّة والحقوقيّة.

فبناءً على ذلك، لو رُوعِيَ هذا الاصلُ في ايِّ مجتمع، لايُتاحُ فيه لاصحابِ المواهبِ الفكريّةِ والجسميّة المتفاوتة، اَن يُحَرِّفوا الاموالَ عن مواضعِها واَن يُجَرِّدُوها من فوائدِها القَواميّة، ولا يَتسنّى لهم اَن يُبَدِّلُوا ما هو قَوامٌ لحياةِ الكُلِّ الى دُولَةٍ بين حفنةٍ او طبقةٍ خاصّة.

١١ ـ اصلُ محدوديّةِ الامتلاكِ في التّشريعِ الاسلاميّ: سَلَفَ القولُ عن محدوديّةِ الامتلاكِ في مذهبِ الاسلام الاقتصاديّ، في الفصلين، الثّالثِ والعشرين والـرّابعِ والعشرين، من هذا الباب، وفي الفصل الثّاني ايضاً، فراجع. وإِنَّ صِلَةَ هذا الاصل بمبدإِ المساواةِ وتركيزِ هذا المبدإِ غيرُ خافية.

١٢ ـ اصلُ محدودية الاستهلاكِ في الـتشريعِ الاسلاميّ: هذا الموضوعُ الهامُّ الّذي يَتبنّاهُ الاسلامُ ويَدعُو اليه بصورةٍ حاسمة، من اهمِّ الاصولِ الّتي تَسُوقُ النّاس ـ غنيَّهم وفقيرَهم ـ الى المساواةِ في الاستهلاكِ ولو بالتّقريب. ولقد مَضَى الكلامُ عنه في الفصلِ السّادسِ والعشرين، من هذا الباب.

---

١ ـ الكافي ٨ / ٦٩.

١٣ ـ اصلُ الانفاق : اِذا كانَ الانفاقُ الّذي يَدعُو الاسلامُ النّاسَ اليه ويَحُضُّهم عليه، يَتعلَّقَ بما فَضَلَ من المال ـ على صورةٍ تفصيليّةٍ بَحَثْنا عنها في الفصولِ العشرةِ الّتي عقدناها في البابِ الثّاني عشر ـ فهو من عمدةِ ما يُعَبِّدُ طُرُقَ المساواةِ في الجماهير، اِذِ النّاسُ اذا راعَوُا الحدودَ الاسلاميّةَ الّتي بُنِيَتْ على مقدارِ القصدِ والتّوازن، واذا اَنفقُوا بعدَ ذلك ما فَضَلَ لديهم من الاموال، لاتَحصُلُ لديهمُ الفروقُ الباهظةُ الّتي تَقضي على المساواة ـ كما هو واضح .

١٤ ـ اصلُ الاقتصادِ في المعيشة : هذا اصلٌ عظيمٌ في الاقتصادِ الاسلاميِّ، وفي التَّربيةِ الاسلاميّة ايضاً. وهو شقيقُ اصلٍ آخر، وهو «التّقدير في المعيشة». وهذان الاصلان، يَعكِسان نظرةَ الاسلامِ الى المالِ وموضعِه والمعايشِ وغايةِ طلبِها . ولعلَّ الوقوفَ عندَ الحدودِ الّتي يَدْعَمُها هذان الاصلان يُرَكِّزُ اصلَ المساواة احسنَ تركيز . وممّا يَجِبُ اَن يُراعى في المجتمع الاسلاميِّ اشدَّ رعاية، تربيةُ النّاسِ على العنايةِ العمليّة بهذين الاصلين، والرّقابةِ الاجتماعيّة على العملِ بهما هنا وهناك، سواءٌ اَكان في الحكمِ واَجْهِزَتِه ومُنَظَّماتِه، ام في المُؤَسَّساتِ الدّينيّةِ وحياةِ اصحابِها، ام في سائرِ قِطاعاتِ المجتمع . والمجتمعُ يَتَّبِعُ في ذلك رجالَ الحكمِ والدّين . ولقد سَلَفَ القولُ عن «اصلِ الاقتصادِ في المعيشة»، في الفصلِ الثّامنِ والعشرين، وفي الفصلِ الرّابعِ ايضاً، فراجِعْهما اذا شِئت .

١٥ ـ اصلُ العدل (التّوازنِ الاقتصاديّ) وتقريبِ مستوى العيشِ للجميع : فَصَّلْنا الكلامَ عن «مستوى العيشِ للجماهير»، في الفصولِ الخمسةِ المعقودةِ لهذا الموضوع، في الباب الثّاني عشر، من الفصلِ السّابعِ والعشرين الى الحادي والثّلاثين . وسنَتَكَلَّمُ عنه في الفصلِ الخاصِّ

بالعدل، وهو الفصلُ السّادسُ والاربعون، من الباب الثّاني عشر.

١٦ ـ اصلُ الاحسان (الانسجامِ المعيشيّ): نَبحَثُ عن هذا الاصل، في الفصلِ السّابعِ والاربعين، من الباب الثّاني عشر، ونُوضِحُ هناك اَنَّ الاحسانَ امرٌ زائدٌ على العدل، فهو كما قيل: «اَن يَنصِفَ ولا يَنتَصِفَ». فعلى هذا يَكونُ من اَقوى العواملِ الّتي تَدفَعُ النّاسَ الى رعايةِ التَّقريبِ والتَّساوي في الانتفاعِ بالنِّعَمِ والاستفادةِ من الفُرَص.

١٧ ـ اصلُ اِسنادِ الفضلِ والميزةِ الى التّقوى: اِنَّ الّتي يُقِرُّها الاسلام لِاَن يَمتازَ بها النّاس ويَتسابَقُوا اليها هي التّقوى والاخلاقُ الصّالحةُ الانسانيّة، ولذلك يَهتِفُ القرآنُ الكريم هُتافَه الرَّنّانَ الشَّهير: «انَّ اَكْرَمَكم عندَ اللّهِ اَتْقاكُم»[1]. وكذلك يُصِرُّ الاسلامُ اصراراً حاسماً على اَن لا تُجعلَ تلك الميزةُ سبباً للاستئثارِ الاقتصاديّ، فاِنَّ ذلك نقضٌ لغايةِ التّقوى والاخلاق. ومن هنا يَتَوَفَّقُ الاسلامُ لتركيزِ اصلِ المساواةِ برفضِ تَدَخُّلِ القِيَمِ المعنويَّةِ في الحَقْلِ المادّيّ. و لقد أشَرنا إلى هذا الموضوعِ البالغِ الاهميّة، هنا وهناك، خلالَ الفصول.

١٨ ـ اصلُ رابطةِ العدلِ والتّسوية: لَعَلَّ اَقربَ العواملِ الرّئيسيَّةِ لتركيزِ مبدإِ المساواةِ في النّاس، تربيةً وتنفيذاً، اِنّما هو العدل. نَعم، اِنّ العدلَ لا يُساوي «المساواةَ» مفهوماً ومصداقاً، بيدَ اَنَّهُ يَسُوقُ العاملين به والمُجَسِّدين له، اليها والى اِرساءِ قواعدِها. وذلك لِاَنَّ الفُروقَ الباهظةَ الّتي مُنِيَت بها الجماهير اِنَّما نَشَأَ اكثرُها الغالبُ من الظُّلمِ والحيفِ والاعتداء، فاِذا شُجِبَ كُلُّ ذلك، يَصيرُ سبباً لاَن يُصبِحَ النّاسُ على مَقربةٍ

---

١ ـ سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

من المساواة .

على اَنَّ رسالةَ القسطِ الاسلاميِّ اِنّما هي ايجادُ التّوازنِ الاقتصاديِّ بين النّاس، بازاحةِ الاستكبارِ والاستضعاف . وهذه الرّسالةُ لا تُجَسَّدُ بصورةٍ مطلوبةٍ الاّ بالعملِ بمبدإ المساواة .وهومرحلةُ كمالِ الاقتصادِ الاسلاميّ .

١٩ ـ اصلُ رفضِ الاسرافِ والتّبذيرِ والتّقتير : اِنَّ كثيراً من مظاهرِ اللّامساواة ومصاديقها يَمُتُّ الى وجودِ «الاسرافِ» و«التّبذيرِ» او «التّقتيرِ» في الاستهلاكات، فاِذا رُفِضَ ذلك كلُّه يَقتَربُ النّاس في معايشِهم الى مبدإ المساواة وتَبَنِّيه . فالقرآنُ الكريمُ حينما يَقولُ : «كُلُوا وَاشْرَبُوا ولاتُسرِفُوا»، فاِنَّه يَدعُو النّاسَ الى الاَكلِ والشّربِ المقتصدَين . وحينما يَدعُو الموسرين واهلَ المُكنةِ الى تَأديةِ حقوقِ المحرومين وتَأمينِ معايشِهم، فاِنّما يَدعُوهم الى تأمينِ معايشِ المحرومين في حدٍّ مقتصد (لا الى طرحِ لقمةٍ في اَفواهِم لئلّايَمُوتوا)، فالغنيُّ لا يَأْكُلُ الاّ مقتصداً، والفقيرُ هكذا، وهذا هو المساواة . ولقد مَرَّتْ احاديثُ تَنهَى الغنيَّ عن الاَكلِ الزّائد واِن كان المالُ مالَه . فراجع : الفصلين، السّادسَ والعشرين والسّابعَ والعشرين، من هذا الباب .

٢٠ ـ اصلُ كفاح الفقرِ واستئصاله : اِنَّ الفقرَ من اهمِّ العواملِ الهدّامةِ لِاُسُسِ المساواة ـ كما اَنَّ الغنى التّكاثريَّ ايضاً كذلك ـ والاسلامُ بكِفاحِه ضدَّ الفقرِ وشجبِه، والدَّعوةِ الى تموينِ المحتاجين بما تَقومُ به حياتُهم من المعايش، بصورةٍ تُمَكِّنُهُم من اشتراءِ الدّارِ ومن الزّواجِ ومن الحجِّ و.. يَقومُ بحملِ النّاسِ على دعْمِ مبدإ المساواة بشكلٍ جذريٍّ ـ وهذا واضح .

ولقد وَضَّحْنا موقفَ الاسلامِ تِجاهَ الفقر، ورفضَه الحاسمَ له، وسحقَه بوصفِه ظاهرةً اجتماعيّةً، واِشْعالَه الحربَ ضدَّه بشتّى الصُّوَرِ والاشكالِ لِإزاحتِه عن ساحةِ الحياةِ الانسانيّة، ولا سيَّما بعدِّه سبباً من اسبابِ ضعفِ العقلِ ووَهْنِ الدّينِ والكفرِ والمُروق، فراجع : الفصولَ العَشَرَةَ المعقودةَ لِكِفاحِ الاسلامِ ضدَّ الفقر . وإنّ كثيراً من فصولِ هذين البابين إنَّما يَدُلُّ على رفضِ الاسلامِ للفقرِ وتَفَشّيه في النّاس، خصوصاً فصولَ الكِفاحِ ضدَّ التّكاثر، لِأنَّه علّةُ الفقرِ الاصليّة، كما اَوضَحْناه .

٢١ ـ اصلُ شجبِ الاستضعاف : لقد مَرَّ الكلامُ عن هذا الموضوع، في النّظرةِ الى الفصلِ الأسبق، ولَعلَّ عمدةَ ما يُستَفادُ ممّا جاءَ في فصولِ هذين البابَين من الآياتِ والاحاديث، هي محاربةُ الاسلامِ للاستضعاف، لقلعِ جُذورِه عن كلِّ عرصاتِ الحياةِ الانسانيّة .

والاستضعافُ لا يُشجَبُ الّا اذا شُجِبَ الاستكبار .إذاً فالاسلام بتوفُّرِه على شَجْبِ الاستضعافِ ودعوتِه النّاسَ للقتالِ في هذه السّبيل،[1] فقد تَوَفَّرَ على شجبِ الاستكبارِ ايضاً . وكم وكم آيةٍ جاءَت في القرآنِ تُنَدِّدُ بالمستكبرين وحياتِهم وتَحُضُّ الاُمَّةَ المسلمةَ على كِفاحِهم، سواءٌ اكانوا من المسلمين انفُسِهم ام من غيرِهم . ومن اللّاحبِ اَنَّ اهمَّ مصاديقِ المستكبر هو الاقتصاديُّ منه، فلاحظ . واذا شُجِبَتِ الدّاهيتان : الاستكبارُ والاستضعاف، تَقْتَرِبُ حياةُ النّاسِ الى المساواةِ والتّوَفُّرِ عليها ـ كما لا يَخفى .

٢٢ ـ اصلُ تمويلِ الفقيرِ لَان يُلحِقَ عِيالَه بالنّاس : وهذا ما دَعَتْ اليه التَّعاليمُ الاسلاميّة، كالاحاديثِ الواردةِ بشأنِ الزّكاةِ ومستحقِّيها وكيفيّةِ

---

١ ـ سورة النساء (٤) : ٧٥.

ومقدارِ استفادتِهم منها . ولَعلَّك لم تَنْسَ كلامَ الامامِ الصّادق «ع»، الّذي قاله لابي بصير : «.. وما اَخَذَ من الزّكاةِ فَضَّه على عِيالِه حتى يُلحِقَهم بالنّاس»[1]. ولقد نَقَلْناه بتمامِه في الفصلِ السّابعِ والعشرين، من الباب الثّاني عشر . وهناك احاديثُ اُخرى تَرمي الى الهدفِ المذكور، فراجع .

تنبيه

بعدَ اَن وَصَلْنا، اِثْرَ مطالعاتِنا في التّعاليمِ القرآنيَّةِ والحديثيَّةِ وملاحظاتِنـــا، الى اَنَّ الاسلامَ اِنَّما يَدعُو النّاسَ لِتَبَنِّي مبـــدإِ المساواة، ولتَركيزِ مستوًى معيشيٍّ «متساوٍ» او «متقارِبٍ» للكلِّ، وحَملِ النّاسِ على قبولِ هذا المبدإِ والجريِ عليه، بعدَ ذلك كلِّه، وَقَفْنا على كلامِ الفقيهِ المُتَفَتِّحِ الذِّهن، والعالمِ المُفَكِّرِ الشّهيد، السيّد محمد باقر الصّدر، فرَأَيْنا اَن نَنقُلَه هنا ايقافاً للقُرّاءِ عليه . يَقُولُ الشّهيدُ الصّدر ـ اَعلَى الله درجتَه في الشُّهداء ـ :

«اِنَّ نُصوصَ الزّكاةِ صَرَّحَتْ بِاَنَّ الزَّكاةَ ليست لِسدِّ حاجةِ الفقيرِ الضّروريَّةِ فحَسْب، بل لِاعطائِه المالَ بالقدرِ الّذي يُلحِقُه بالنّاسِ في مستواه المعيشيّ، اي لابُدَّ من توفيرِ مستوًى من المعيشةِ للفقيرِ يُلحِقُه بالمستوى العامِّ للمعيشة، الّذي يَتَمتَّعُ به غيرُ الفقراءِ في المجتمع . وهذا معنى اَنّ توفيرَ مستوًى معيشيٍّ «مُوَحَّدٍ» او «متقارِبٍ» لكُلِّ افرادِ المجتمعِ هدفٌ اسلاميٌّ، لابُدَّ للحاكمِ الشّرعيِّ من السَّعيِ في سبيلِ تحقيقِه»[2].

ولعلّ الفصلَ التّالي، الّذي يَبحَثُ عن «الاُخُوَّةِ الاسلاميَّةِ والاقتصاد»، يَدْعَمُ مبدأَ «المساواةِ الاسلاميَّةِ» دَعْماً، فاَيَّةُ اُخُوَّةٍ اَصحُّ واوثقُ

---

١ ـ الوسائل ٦ / ١٥٩.

٢ ـ الاسلامُ يَقودُ الحياة / ٤٥.

من مساواةِ الاخِ للاخ؟ إن لم نُرَدَّ «الأُخُوَّةَ القرآنيّةَ»، الّتي نَزَلَت به آيةُ السّماء، ودَعَمَتْها الاحاديثُ الكثيرةُ في ابعادٍ مختلفةٍ مستوعبة، الى قولةٍ لفظيَّةٍ فحسب؟!

تذكير

الظّاهر أنّ المساواةَ الّتي يدعو الإسلامُ إلى تبنِّيها كمبدإٍ، إنّما هي في «الاستهلاك»، لا في «الامتلاك»، إذا كان الثّاني كَفافيّاً، أو غيرَ تكاثريٍّ ـ على الأقلّ ـ بأن يكون غيرَ مُجاوزٍ حدودَ الاقتصاد والاعتدال، غير مقترِبٍ من الكثرةِ المرفوضةِ بوجه.

الفصلُ الثّامن والأربعون

القسط الاسلاميّ

الكتـــاب

١ يا اَيُّها الّذين آمَنُوا، كُونُوا قَوّامين بالقسطِ، شُهَداءَ لِلّه ..[١]

* قال الطَبرسيّ : «يا اَيُّها الّذين آمَنوا كُونُوا قوّامين بالقسط، اي دائمين على القيامِ بالعدل. ومعناه وَلْتَكُنْ عادتُكم القيامَ بالعدلِ في القولِ والفعل»[٢].

٢ يا اَيُّها الّذين آمَنُوا، كُونُوا قوّامين لِلّهِ، شُهَداءَ بالقسط ..[٣]

٣ قُل : اَمَرَ ربِّي بالقسطِ ..[٤]

٤ وَاَقيمُوا الوَزْنَ بالقسطِ ولا تُخْسِرُوا الميزان *[٥]

---

١ ـ سورة النّساء (٤) : ١٣٥.

٢ ـ مجمع البيان ٣ / ١٢٣.

٣ ـ سورة المائدة (٥) : ٨.

٤ ـ سورة الاعراف (٧) : ٢٩.

٥ ـ سورة الرّحمن (٥٥) : ٩.

٥ ويا قَومِ اَوفُوا المِكيالَ والميزانَ بالقسط ..[١]

٦ واَوفُوا الكيلَ والميزانَ بالقِسط ..[٢]

٧ .. واَن تَقوُمُوا لِليَتامىٰ بالقِسط ..[٣]

٨ وَاَنْزَلْنا معهُمُ الكتابَ والميزانَ، لِيَقُومَ النّاسُ بالقسط ..[٤]

٩ .. وَاَقْسِطوا، اِنَّ اللّهَ يُحبُّ المُقسطين *[٥]

١٠ اِنَّ الّذينَ يَكفُرُون بآياتِ اللّه، ويَقتُلُونَ النَّبيِّين بغيرِ حقٍّ، ويَقْتُلُونَ الّذينَ يَأْمُرُونَ بالقسطِ منَ النّاسِ، فَبَشِّرْهُم بعذابٍ اليم *[٦]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الكاظم، عن آبائِه: .. بِئْسَ القومُ قومٌ لايَقُومُون لِلّهِ تعالى بالقِسط. بِئْسَ القومُ قومٌ يَقْتُلُون الّذين يَأْمُرُون بالقسطِ في النّاس ..[٧]

* اِنَّ الجملةَ الاخيرةَ في قولِ النبيِّ «ص»، اشارةٌ الى الآيةِ الاخيرة. وهذه الآيةُ السّماويَّةُ تَرسُمُ اَمامَنا اتِّجاهين لطائفتين من

---

١ ـ سورة هود (١١): ٨٥.

٢ ـ سورة الانعام (٦): ١٥٢.

٣ ـ سورة النساء (٤): ١٢٧.

٤ ـ سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٥ ـ سورة الحجرات (٤٩): ٩.

٦ ـ سورة آل عمران (٣): ٢١.

٧ ـ البحار ٧٢ / ٩٨، عن «نوادر الراوندي».

النّاس :

١ ـ الآمرون بالقسطِ، المُقاتلون في سبيلِ اللّهِ لتجسيدِ العدالةِ والقسط ..

٢ ـ الكافرون بآياتِ الله، قاتلُوا النّبيّين ودعاةِ القسطِ المصلحين ..

فَلْتَكنِ الأُمَّةُ الاسلاميَّة، وخصوصاً علماءَها ودعاتِها ونابهيها وشبابَها وثُوّارَها ورجالَ حكمِها، ملتحمين مع الصَّـــفِ الاوّل، في كلِّ وِرْدٍ وصَدَرٍ، قائمين للّهِ تعالى بالقسط، شهداءَ على النّاس .

٢ الامام علي «ع» : .. اِن للذّكرِ لَأَهلاً اَخَذُوه من الدّنيا بَدَلاً .. يَأْمُرُون بالقسطِ ويَأْتَمِرُون به ..[١]

٣ الامام علي «ع» : .. لِيَكُن احبُّ الامور اليك، اَوسَطَها في الحق، و اعمَّها في العدل .[٢]

٤ الامام علي «ع» : .. فاذا اَخَذَها امينُك فَاَوعِزْ اليه اَن لايَحولَ بينَ ناقةٍ وبينَ فصيلِها، ولا يُمَصِّرَ لَبَنَها فيَضُرَّ ذلك بولدِها، ولايَجْهَدَنَّها ركوباً؛ وَلْيَعْدِل بين صواحِباتِها في ذلك وبينَها، وَلْيُرَفِّهْ على اللّاغب، وَلْيَسْتَأْنِ بالنَّقِبِ والظّالِع، وَلْيُوِرِدْها ما تمُرُّ به من الغُدُر، ولا يَعْدِلْ بها عن نَبتِ الارضِ الى جَوادِّ الطُّرُق، وَلْيُرَوِّحْها في السّاعات، وَلْيُمْهِلْها عندَ النِّطافِ والاعشاب ..[٣]

٥ الامام الصادق «ع» ـ في بيانِ قولِه تعالى : «والله فَضَّلَ بعضَكُم على بعضٍ في الرِّزق، فما الّذين فُضِّلُوا برادِّي رزقِهم على ما مَلَكَت اَيمانُهم، فهم فيه

---

١ ـ نهج البلاغة / ٧٠٤؛ عبده ٢ / ٢٣٨.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥.

٣ ـ نهج البلاغة / ٨٨١؛ عبده ٣ / ٢٩.

سَواء ..» : لا يَجوزُ للرَّجلِ اَن يَخُصَّ نفسَه بشيءٍ من المأكولِ دون عِيالِه .[1]

* اِنَّ كثيراً من الآياتِ والاحاديثِ الواردةِ في هذين البابين يَدعُو الى دَعْمِ اُسُسِ القسطِ وتركيزِها في المجتمعِ الاسلاميّ، فلاحاجةَ الى مزيدٍ من التّكرير .

القسط القرآنيّ، تجسيد و تجسيد

١ـ النبيّ الأعظم «ص» والقسط

الكتـــاب

١ آمَنَ الرّسولُ بما أُنْـزِلَ إلَيهِ مِن رَبِّـــه ..[2]

٢ فلِذلكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ، ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُم، وقُل : آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِن كتابٍ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بينَكُم ..[3]

٣ .. عَزيـــزٌ علَيـــهِ ما عَنِـــتُّم ..[4]

---

١ ـ تفسير القمي ١ / ٣٨٧.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٨٥ .

٣ ـ سورة الشّورى (٤٢) : ١٥ .

٤ ـ سورة التّوبة (٩) : ١٢٩ .

* لا نَحتاجُ هنا إلى إيرادِ كثيرٍ من الآيات، فإنّ القرآنَ هو كتابُ الله تعالى، النّازلُ على نبيِّه، وهو قد آمَنَ بما أُنزِلَ إليه من ربِّه، بشأنِ العدلِ والقسطِ وقيامِ الجماهيرِ بهما، فقام بتجسيدِه الفعليِّ، فقاطَعَ الأغنياءَ والمستكبرين ـ أضدادَ العدالةِ الاقتصاديّةِ والقسط ـ وخالَطَ المعذَّبين والمضطَهَدين والمحقورين والمحرومين والْتَحَمَ معَهم ودافَعَ عنهم؛ وهذه أُمورٌ لاريبَ فيها، والسّيرةُ المُثلىٰ شاهدةٌ عليها.

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : أوصاني ربّي بتسعٍ: .. والعدلِ في الرِّضا والغضب ..[١]

* إنّ الدّعوةَ إلى «العدلِ» في الرّضا والغضب، دعوةٌ إلى مطلقِ العدلِ والعدلِ المطلق، حيث لا يَبقى معها مجالٌ لأيِّ ظلمٍ او اعتداء، في أيّةِ حالةٍ من الحالات.

٢ الامام علي «ع» : إنّ يهوديّاً كان له على رسولِ الله «ص» دنانير، فتَقاضاه فقال له : «يا يهوديُّ ما عندي ما أُعْطيك!» فقال : فإنّي لا أُفارِقُك يا محمّد حتى تَقضِيَني، فقال : «إذاً أجْلِسُ معَك»، فجَلَسَ معه حتّى صلّى في ذلك الموضعِ الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ الآخرةَ والغَداة، وكان أصحابُ رسولِ الله «ص» يَتَهَدَّدُونه ويَتَواعَدُونه، فنَظَرَ رسولُ اللّهِ «ص»

---

١ ـ تحف العقول / ٣١.

إليهم فقال : «ما الّذي تَصْنَعُون به؟» فقالوا : يا رسولَ الله يهوديٌّ يَحْبِسُك؟ فقال «ص» : «لَم يَبْعَثْني رَبّي عزَّ وجلَّ بأَن أَظْلِمَ مُعاهَداً ولاغيرَه» ..[1]

٣ الامام عليّ «ع» : وأَعْطَيْتُ كما كان رسولُ اللّهِ «ص» يُعطي بالسَّويَّة ..[2]

* ولقد أوردنا تعاليمَ النّبيِّ «ص» وأقوالَه في الكتاب . وإنَّ الانحيازَ إلى مبدإ المساواة، يَندَمِجُ على أَفضَلِ شكلٍ من أشكالِ القسط .[3]

ولقد جاءت هذه الجملةُ في زيارةِ الرّسولِ «ص» من بعيد : «السّلامُ عليك يا قائماً بالقسط» .[4] فيَصِفُ المسلمُ الزّائرُ نبيَّه وهاديَه إلى دينِ اللّهِ تعالى بهذه المواصَفة، حتى يَعتَقِدَ قلبُه بالقسط، وتَنطَبِعَ عليه أحاسيسُه، وتَصطَبِغَ به أعمالُه واتّجاهاتُه .

ولعلّ السِّرَّ في ذكرِ هذه الجملةِ في زيارةِ البعيد، أن يَنفُذَ هذا الواقعُ الدّينيُّ في أرواحِ آحادِ المسلمين كلِّهم هنا و هناك، في أرجاءِ العالَمِ وأصقاعِ البسيطة، وخصوصاً في حالةٍ يَتَوَجَّهُ المسلمُ إلى أبيهِ الرّوحيِّ ومُنقِذِه الإلهيّ ومُنعِمِه المعنويِّ ومربّيه الإنسانيّ، بقلبٍ شاهدٍ وإحساسٍ صادق، فيَصنَعُ ذلك الوضعُ كلَّ مسلمٍ محمّديٍّ صُنعاً لا يَدَعُه إلّا معتقداً بالقسط، صامداً في تجسيدِه، طالباً من علماءِ الاسلام وحُكّامِ المسلمين أن يكونوا قائمين بالقسط، اتّباعاً لسيرةِ الرّسول «ص» (ولكم في رسولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسنَة) .

---

١ ـ البحار ١٦ / ٢١٦، عن «أمالي الصّدوق».

٢ ـ الكافي ٨ / ٦٠ ـ ٦١ .

٣ ـ راجع : الفصل ٤٧، من هذا الباب .

٤ ـ البحار ٩٤ / ١٨٣ .

وواضحٌ أنّ هذا المسلمَ النّابهَ لا يَعترِفُ لغيرِ القائمين بالقسط، المُجَسِّدين للعدل، بأيّةِ حرمةٍ أو كرامةٍ، كائنين من كانوا، من علماء أو أُمراء؛ ولقد صدق رسولُ اللّهِ «ص» حيث قال : «صِنفان من أُمّتي إذا صَلَحا صَلَحَت أُمّتي، وإذا فَسَدا فَسَدَت أُمّتي». قيل : يا رسولَ الله ومَن هما؟ قال : «الفقهاءُ والأُمراء».[1]

وأيُّ فسادٍ أعظمُ من إهمال جانبِ العدلِ وخَذْلِ دُعاةِ القسطِ وقيامِ الجماهير به، والسّكوتِ أمامَ طواغيتِ الثّروةِ والمالِ وفراعنةِ التّكاثرِ والإترافِ والإسراف، وإطلاقِ سَراحِهم هنا وهناك، في الإنتاجِ والاستيرادِ والتّسعيرِ والتّوزيع، حتى يَمتَصُّوا النّاسَ ويَرُضُّوا العِظام؟

والوضعُ المذكورُ يُشيعُ الأَثَرَةَ الممقوتةَ والتّبعيضَ الفاحشَ والفُروقَ النّادرةَ في النّاس . وكلُّ ذلك يَبُثُّ الظّلمَ ويَدعَمُ قواعدَه . ولا حياةَ موضوعيّةً للدّينِ واحكامِه في مجتمعاتٍ يسُودُها الظُّلم، فإنَّ «العدلَ حياةُ الأحكام» ـ على حدِّ تعبيرِ مولانا أميرِ المؤمنين «ع» . وعند ذلك تَتَقَوَّضُ أركانُ الدّينِ في القِطاعات، ولا سيَّما النّاشئةِ والبُعداءِ عن فهمِ صورةِ الدّينِ الواقعيّة، ويُؤَدِّي إلى عجزِ المحرومين عن التّديّنِ المُثمِرِ والقيامِ بما هو واجبٌ عليهم وعلى ذويهم ..

وهذه الأمور كلُّها معلومةٌ مجرّبة، لو عَقَلَها المتأمِّلون، ولو أعارَ المسؤولون من العلماءِ وغيرِهم لها سمعاً؟ ولَوِ انْتَبَه لها الرَّجعيُّون والمتخلِّفون؟

وليس لتغلغلِ الأفكارِ الإلحاديّة، أوا لتّميُّعيّة، في الأوساط الدّينيّة (في أبناءِ البُيوتِ المبتنيةِ على التّوحيدِ والآهلةِ بالسُّننِ الإسلاميّة و

---

١ ـ الخصال ١ / ٣٧، من طبعة الغفّاريّ .

بناتِها)، سببٌ رئيسيٌّ في الأغلبِ إلاّ التّبعيضَ والحرمانَ والظّلم، فكاد الفقرُو الحرمانُ والاضطهادُ أن يكون كلَّ شيءٍ غيرَ السّلامةِ الخُلقيّةِ والدّين. ولولا ذلك فأيّةُ فكرةٍ تَقدِرُ أن تَصولَ في جوِّ القرآن ـ لو كان الجَوُّ قرآنيّاً ـ وتُبْدِيَ صفحتَها لحقائقِ المعارفِ الإسلاميّة، النّيِّرةِ المشرقةِ الهاديةِ المُنقِذة؟ وتُضَلِّلَ أبناءَ القرآنِ وأعضاءَ الإسلام؟

٢ـ الإمام عليّ بن أبي طالب «ع» والقسط

لقدقــامَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ «ع» بتجسيدِ القرآنِ النّازلِ في القسطِ وقيامِ النّاسِ به، تأسّياً بالنّبيِّ «ص» واتّباعاً له حَذْوَ النّعلِ بالنّعل والقُذَّةِ بالقُذَّة، حتّى صارت سيرتُه سيرةَ العدل.

ولقد أصبَحَ أُمثُولةَ الأماثيلِ في عدالةِ العادلين، وصار «صوتَ العدالةِ الإنسانيّةِ» في الآفاق، وصُراخَ القسطِ القرآنيِّ في التّاريخ.

الحديــث

١ النبــي «ص» : إنّه .. أعدَلُكم في الرَّعيّة، وأقْسَمُكم بالسَّويَّة ..[١]

٢ الامام عليّ «ع» ـ في العهدِ الأشتريّ : .. ولْيَكُن أحَبُّ الأُمورِ إليك، أوسطَها في الحقِّ، وأعَمَّها في العدل ..[٢]

---

١ ـ المراجعات / ١٦٠.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥.

٣ الامام عليّ «ع» : العدلُ حياةُ الأحكام .[١]

٤ الامام عليّ «ع» : الرّعيّةُ لا يُصلِحُها إلّا العدل .[٢]

٥ الامام عليّ «ع» : ما أَصبَحَ أحدٌ بالكوفة إلّا ناعماً؛ إنّ أدناهم منزلةً يأكُلُ البُرّ، ويَجلِسُ في الظِّل، ويَشرَبُ من ماءِ الفُرات .[٣]

* وإنّ من القسط، أن لا يُغفِلَ رئيسُ «المدينةِ القرآنيّة» أحداً من النّاس، ولا يُغَطّيَ على أفكارِهم بالمَواعِدِ الأُخرويّة، ويَجعَلَ كلَّهم ناعمين مُستَرغِدين، بحيث يُصبِحُ أدْناهم منزلةً يَأْكُلُ البُرّ، ويَجلِسُ في الظِّل، ويَشرَبُ من ماءِ الفرات .

وهذا بدورِه يَدُلُّ على أنَّ «المدينةَ القرآنيّةَ»، قابلةُ التّجسيد بصورةٍ فعليّة .

ولقد بَثَثْنا تعاليمَ الإمام عليِّ بنِ أبي طالب «ع» في فصولِ كتابِ «الحيـــاة»، ويَجِدُ القارئُ جوامعَها في «نهجِ البـلاغة»، ولا- سيَّما في خُطَبِه وكُتُبِه الّتي يُؤَشِّرُ بها المنهجَ لعُمّالِه، ويُخَطِّطُ لهم أُصولَ صُنعِ المجتمعِ القرآنيِّ ومنهاجَ معاملةِ النّاس، السّالمَ الرّاقي .

نَعَم، «وفي نهجِ ابنِ أبي طالب هذا، من الخيرِ للقوميّةِ مقدارُ ما فيه من الخيرِ للنّاس بوصفِهم ناساً، وللمجتمعِ الّذي يَضُمُّ على وحدةِ العملِ والغاية، بشراً متفاهِمين متعاوِنين مخلِصين . ذلك لأنّ الصّدقَ لا يَتَجَزَّأ، وكذلك المنهج».

«فالّذي لا يُفَضِّلُ في المجتمعِ الواحدِ عربيّاً على أعجميٍّ إلّا

---

١ و ٢ ـ غرر الحكم / ٢٩ ـ ٣٠ .

٣ـ البحار ٤٠ / ٣٢٧، عن «المناقب» .

بالعملِ النّافع، هو نفسُه الّذي لا يُفَضِّلُ شريفاً من قومِه على مشروف. وهو نفسُه الّذي لا يَخُصُّ أخاه بمنفعةٍ يَمنَعُها عن غريب. وهو نفسُه الّذي يَحُولُ دونَ اسْتغلالِ عربيٍّ لعربيٍّ او لأيِّ انسانٍ آخر. وهو نفسُه الّذي يَسعى في أن يَجعَلَ النّاسَ أحراراً متساوين. وهو نفسُه الّذي يَعمَلُ جاهداً، بما تَسمَحُ به طاقةُ الزّمانِ والمكان، في أن يَرفَعَ الفقرَ والحاجةَ عن جميعِ النّاس، لَعلَّهم يَعيشُون سُعَداءَ مطمئنّين. وهو نفسُه الّذي يَكرَهُ الحربَ والقتالَ والعُدوانَ، ويَدعُو إلى الأمنِ والسّلامِ والتّآخي في ظلِّ عدالةٍ اجتماعيّةٍ صريحةٍ لا تَتْرُكُ النّاسَ بين آكلٍ ومأكول. وهو نفسُه الّذي يُريدُ من الإنسانِ أن يكونَ عادلاً حتّى مع البهيمةِ، فلا تُسلَبُ نَملَةٌ لُبَّ شعيرةٍ ولا يُعتَدى على طير. و هو نفسُه الّذي يَقِفُ حياتَه على خدمةِ هذه المبادئِ حتّى الموت».[1]

ويَصِفُ أحدُ الشّعراءِ المسيحيّين[2] الإمامَ عليّاً «ع» وكتابَه «نهجَ البلاغة»، ويَقولُ فيما يَقول:

هُوَ للظّالمِ رَعدٌ قاصِفٌ
وَهْوَ للمظلومِ فينا مُعتَصَم

وَهْوَ للعدلِ حِمًى قدصانَه
خُلُقٌ فَذٌّ، وسيفٌ، وقلَم

---

١ ـ الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ٥ / ١٠٩١.

٢ ـ وهو فؤاد جرداق اللّبنانيّ.

مَن لِأوطانٍ بها العَسْفُ طَغىٰ
ولأرضٍ فوقَها الفقرُ جَثَم

غيرُ «نهجٍ» عادلٍ في حُكمِه
يَرفَعُ الحيفَ إذا الحيفُ حَكَم .

* لاحظ أيضاً : النّظرةَ إلى الفصل .

٣ـ ثورة عاشـــوراء والقسط

* لقد كُتِبَت كلُّ آياتِ السّماءِ مرّةً أُخرىٰ ـ بعدَ ما كَتَبَها كُتّابُ الوَحيِ والقرآنِ في الصّدرِ الأوّل ـ بالدَّمِ الطّاهر، الدَّمِ النَّبَويِّ العَلَويِّ الفاطمّي، دمِ الحُسينِ «ع» وأطفالِه وأصحابِه، في يومِ عاشوراء، على ساحلِ الفراتِ الجاري .. في رَمْضاءِ الطَّفِّ الدّامي ..

لقد كُتِبَتْ تلكمُ الآياتُ الحَيّةُ الدّاعيةُ إلى الحياةِ والقسطِ والقسطِ والحياة، بذلك الدّمِ الزَّكيِّ الطّاهر، على ألواحِ الفجرِ والشَّفَق، وعلى قُللِ الأجبالِ وأجواءِ الصَّحاري، لأن «تُناقِلَها الفَيافِيُ هنا و هناك، وتَرويها الجَلامِدُ للجَلامِد»، ولأن تَنفُذَ في اللّحظات فتبقىٰ خالدةً على صفحاتِ الدّهر، فَتُطِلَّ على الحياةِ البشريّةِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، من الآفاقِ الّتي تَحْمَرُّ وتَحْمَرُّ في بَدأَةِ كلِّ ليلٍ وكلِّ نهار .

فالقرآنُ الكريم ليس حَيّاً باقياً من خلافةِ يزيد وأمثالِ يزيد، بل هو حيٌّ باقٍ من شهادةِ الحسين «ع» . ولقد صدقَ رسولُ الله «ص»

حيث قال: «حسينٌ منّي وأنَا مِن حسين».[1]

وإنَّ شجبَ الظّلمِ والحيفِ وإقامةَ العدلِ والقسط، هو الهدفُ الّذي قد تَبنّاه رَكْبُ عاشوراء، في سلوكِهم ذلك النَّجْدَ الأبيضَ المَلحُوب ..

الحديـــث

١ الامام الحسين «ع» ـ في بيانِ حكمةِ «الأمرِ بالمعروف» و«النّهيِ عن المنكَر» وأهميّتِهمَا البَنّاءة: ..أنّ الأمرَ بالمعروفِ والنّهيَ عن المنكَر، دُعاءٌ إلى الإسلام، مع ردِّ المظالمِ ومخالفةِ الظّالم، وقسمةِ الفيء والغنائم، وأخذِ الصّدقاتِ من مواضعِها ووضعِها في حقِّها ..[2]

٢ الامام الحسين «ع» ـ في تقريعِ العلماءِ الّذين لا تَستَثيرُهم آلامُ النّاسِ المضطهدين، فيَسكُتُون على الظّلم، ولا يَقُومُون لإقامةِ القسط، ولا يُفَكِّرُون بثورةٍ وتغيير، ولا يَلتَحِمُون مع صفوفِ المحرومين والمحقورين بصورةٍ فعليّة: .. فأمّا حقَّ الضُّعفاءِ فضَيَّعْتُم .. والعُمْيُ والبُكْمُ والزَّمْنىٰ في المدائنِ مُهمَلَةٌ لا تَرحَمُون ..[3] مَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ من منزلتِكم .. فأسْلَمْتُمُ الضّعفاءَ في أيديهم .. والنّاسُ لهم خَوَلٌ، لا يَدفَعُون يدَ لامسٍ ..[4]

---

١ ـ راجع لاسناد هذا الحديث وفقهِه ومحتواه الهامّ: «يادنامهٔ علّامـهٔ أميني»، مقالةَ البّحاثةِ المتتبِّع، الشّيخ محمدباقر البهبوديِّ الخراسانيّ.

٢ ـ تحف العقول / ١٧١.

٣ ـ والمفعول محذوف، أي: لا تَرحَمُونَهم.

٤ ـ راجع لجميعِ هذا الخطابِ الموقظِ المثير: «تحفَ العقول» / ١٧٢ ـ ١٧٣؛ و ٢٧٢ ـ ٢٧٥، من طبعةِ الغفّاريّ.

٣ الامام الحسين «ع» ـ في إعلامِ الخطر بزوالِ الاسلام، إذا كان الحاكمُ خائرَ النّفس، غيرَ عادلٍ ولا قائمٍ بالقسط : إنّا لِلّهِ وإنّا إليه راجعُــون، وعلى الإسلامِ السَّلام، إذ قد بُلِيَتِ الأُمّةُ براعٍ مثلِ يزيد ..[١]

٤ الامام الحسين «ع» : ... وإنّي لم اَخْرُجْ أَشِراً ولا بَطِراً ولا مُفسداً ولاظالماً، وإنّما خَرَجْتُ لطلبِ الإصلاحِ في أُمّةِ جدّي «ص»، اُريدُ أن آمُرَ بالمعروفِ وأنْهىٰ عن المنكَر، وأسيرَ بسيرةِ جدّي وأبي عليِّ بنِ أبي طالب «ع» ..[٢]

٥ الامام الحسين «ع» ـ في التّعريفِ الحاسمِ بالحاكمِ الإسلاميّ، حتى يَعرِفَ النّاسُ نظرةَ الإسلامِ إلى موضوعِ الإدارةِ والسّياسة، ويَقِفُوا على المقياسِ الّذي يَجِبُ على الحاكمِ أن يَسيرَ عليه في معامَلَةِ الجماهير، فيُطيعُوا التّابعَ ويَثُورُوا في وجهِ العاصي : .. لَعَمْري ما الإمامُ إلّا الحاكمُ بالكتاب، القائمُ بالقسط، الدّائنُ بدينِ الحقّ، الحابسُ نفسَه على ذلك ..[٣]

٦ الامام الحسين «ع» : .. أمّا بعد، فقد عَلِمتُم أنَّ رسولَ الله «ص» قد قال في حياتِه : «مَن رَأىٰ سلطاناً جائراً مُستحِلّاً لحُرَمِ الله، ناكثاً لعهدِ الله، مخالفاً لسُنّةِ رسولِ الله، يَعمَلُ في عبادِ الله بالإثْمِ والعُدوان، ثمّ لَم يُغَيِّرْ بقولٍ ولافعل، كان حقيقاً على اللّهِ أن يُدخِلَه مُدْخَلَه».[٤]

* وهذا التّأشيرُ النّبويُّ الحسينيّ، إعلانُ الجهادِ العامّ، كلّما سادَ المجتمعَ أضدادُ العدلِ وأعداءُ القسط، ودعوةٌ إلى دَعْمِ القسطِ الإسلاميّ، وإشعالٌ لنيرانِ الثّوراتِ التغييريةِ ضدَّ الجبابرةِ والطّواغيت، الّذين يُفْشُون الظّلم، ويَتَّخِذُون الظّالمين والمُستَأثِرين

---

١ ـ البحار ٤٤ / ٣٢٦ ؛ عن كتاب «المَلهوف».

٢ و ٣ ـ البحار ٤٤ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠، و ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

٤ ـ البحار ٤٤ / ٣٨٢، عن المصادر القديمة.

عَضُداً، فتَجِدَ الطُّغاةُ الاقتصاديّون ومستكبروا الثّروةِ والامتلاكِ في حُكمِهم كلَّ مَسرَحٍ ومجال.

٧ الامام الحسين «ع» ـ في الدّفاعِ عن المحرومين والالتحامِ الفعليِّ مع صفوفِهم: اللّهمّ! إنّك تَعلَمُ أنّه لم يكُنِ الّذي كان مِنّا تنافُساً في سلطان، ولا الْتماساً من فضولِ الحُطام، ولكن لِنُرِيَ المَعالِمَ من دينِك، ونُظهِرَ الإصلاحَ في بلادِك، ويَأْمَنَ المظلومون من عبادِك، ويُعمَلَ بفرائضِك وسُنَنِك وأحكامِك..[١]

٨ الامام الحسين «ع» ـ في بيانِ مُواصَفاتِ الحُكمِ الطّاغوتيِّ الأمويِّ اليزيديّ، وإلقاءِ الضّوء على أنّه لماذا يُتابِعُ الثّورةَ ضدَّ ذلك الحُكم، ولو مع قلّةِ النّاصرِ وركوبِ المَخاطر: .. بغيرِ عدلٍ أفشَوه فيكم .. فسُحقاً وبُعداً لطواغيتِ الأُمَّة، و شُذّاذِ الأحزاب، ونَبَذَةِ الكتاب، ونَفْثَةِ الشّيطان، ومُحَرِّفي الكلام، ومُطفِئي السُّنَن..[٢]

٩ الامام الحسين «ع» ـ في فجرِ الحركةِ القرآنيّة، الثّوريةِ التغييريّة: ..مَن كان فينا باذلاً مُهجَتَه، مُوَطِّناً على لقاءِ اللّهِ نفسَه، فَلْيَرْحَلْ معَنا، فإنّي راحلٌ مُصبِحاً، إن شاءَ الله.[٣]

١٠ الامام الحسين «ع» ـ في تعيير الحياةِ تحتَ نيرِ الظّلمِ والاستسلام، وتشجيعِ النّفوسِ على بذلِ الدّمِ لخلاصِ الجماهير: .. ألا تَرَونَ أنَّ الحقّ لا يُعمَلُ به، وأنَّ الباطلَ لا يُنْتَهىٰ عنه، لِيَرْغَبِ المؤمنُ في لقاءِ اللّهِ مُحِقّاً، فإنّي لا أَرَى

---

١ ـ تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٩، من طبعةِ الغفّاريّ.

٢ ـ تحف العقول / ١٧٣.

٣ ـ البحار ٤٤ / ٣٦٧.

الموتَ إلاّ سعادةً، ولا الحياةَ مَعَ الظّالمين إلاّ بَرَماً ..[1]

* هذا هو الحسين «ع»، «حسينُ السُّؤْدَدِ والشّرف، حسينُ الإباءِ والشّهامة، حسينُ المجدِ والامامة، حسينُ الدّينِ واليقين، حسينُ الفضلِ والعظمة، حسينُ الحقِّ والحقيقة»، حسينُ القسطِ والعدالة.

وهذا هو الدّرسُ الّذي ألْقَتْ ثورتُه على الأُمّة، و «هو وجوبُ النُّهوضِ في وجهِ كلِّ باطل، ومُناصَرَةِ كلِّ حقٍّ، لإبقاءِ هيكلِ الدّين، ونشرِ تعاليمِه، وبَثِّ أخلاقِه؛ نَعم، يُعَلِّمُنا هذا التّاريخُ المجيدُ النُّزُوعَ الى إيثارِ الخلودِ في البقاء ـ ولو باعتناقِ المَنيّة ـ على الحياةِ المُخْدَجَةِ تحت نيرِ الاستعباد، والمبادرةِ إلى الانتهالِ من مَناهِلِ الموت لتخليصِ الأُمَّةِ من مَخالِبِ الجورِ والفجور، ويُلْزِمُنا بسُلوكِ سَنَنِ المُفاداة دونَ الحنيفيّةِ البيضاء، والنُّزولِ على حكمِ الإباءِ دونَ مَهاوي الذُّلّ».[2]

فالغاياتُ الّتي قد دعا إليها ثائرُ الإسلامِ الكبير، هي :

أ ـ إحياءُ العِمادين : الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المنكَر و

ب ـ ردُّ المظالم و

ج ـ مخالفةُ الظّالم و

د ـ قسمةُ الفيء والغنائم و

هـ ـ أخذُ الحقوقِ ووضعُها في مواضعِها و

و ـ حضُّ العلماءِ على الثّورةِ والتّغيير و

ز ـ تخليصُ المضطَهَدين من أيدي الظّالمين و

---

١ ـ تحف العقول / ١٧٦.

٢ ـ الغدير ٣ / ٢٥٩ و ٢٦٤.

ح ـ التّحذيرُ الحاسمُ من الحكمِ الفاسدِ الغاشم و

ط ـ طلبُ الإصلاحِ في الأُمّةِ الاسلاميّة و

ي ـ السّيرُبسيرةِ الرّسولِ «ص» والوصيّ «ع» و

يا ـ التّعريفُ بالحاكمِ الإسلاميّ، وهو القائمُ بالقسط و

يب ـ الدّعوةُ إلى مجابهةِ المُستَحِلِّ لحُرَمِ الله تعالى، و العامل بالإثْمِ والعُدوان و

يج ـ إزائةُ المعالمِ الإلهيّةِ، بعدَ ما غَطّاها المُعتدون و

يد ـ إسعافُ المظلومين وإعادةُ كرامتهم الإنسانيّة و

يه ـ العملُ بالحقِّ وإفشاء العدل ..

وإذا كانت هذه القيمُ الخالدة، هي الحقائقُ الثّابتةُ من غاياتِ عاشوراء، فما أحْرىٰ بالمسلمين، الّذين يُؤمِنون بالقرآن، ويُحِبُّون أعدالَ القرآن ـ يعني أئمّةَ أهلِ البيت «ع» ـ ويُكرِمُون القبلة ـ قبلةَ ابراهيم «ع» ـ أن يَهتَمُّوا بتجسيدِها البات، بإزاحةِ الظّلمِ وإقامةِ القسط، ومقاطعةِ المستكبرين الاقتصاديّين وشجبِهم، و إنعاشِ المحرومين وردِّ حقوقِهم، ورفعِ مكانتِهمُ الاجتماعيّةِ على مختلِفِ المستويات .

وعلى الّذين يَنتَمُون الى الإمام السِّبط، أبي عبداللّهِ الحسين الشّهيد «ع»، بصورةٍ خاصّة، ويُقيمُون مَآتِمَه، أن يكونوا مُهتَمِّين بالغاياتِ المذكورةِ أكثرَ وأشدَّ من غيرِهم، اهتماماً تَحْتِمُهُ عليهم دِماءُ عاشوراء ..

٤ ـ الإمام الصّادق «ع» والقسط

لقد قـامَ الإمامُ ابو عبدِالله جعفرٌ الصّادق «ع» بالإمامةِ

التّعليميّة (بعدَ ما حالَ الجبابرةُ بينَه وبين الإمامةِ التّجسيديّة) أكثرَ من ثلاثين سنة،[1] فنَشَرَ المعارفَ القرآنيّة، وألْقى أضواءَ الآياتِ السّماويّةِ على الأجواءِ هنا وهناك، فكان هو ومدرستُه تَجَسُّماً حياً للقرآنِ الكريم بتعاليمِه وأصولِه، أمامَ التّيّاراتِ الفكريّةِ المختلفةِ والمدارسِ المدسوسة والسّياسةِ الغاشمةِ والإدارةِ الجائرة، وبذلك عَلَّمَ ورَبّىٰ أربعةَ آلافِ رجل، قدحَمَلُوا على أكتافِهم مشاعلَ العلمِ والهدايةِ القرآنيّين.

وكان في قِمَّةِ تعاليمِه دعوةُ النّاسِ إلى رعايةِ الحقِّ والعدل، والمؤاساةِ في الأموالِ والمعايش، وأداءِ الحقوقِ إلى الضّعيفِ والقويّ، والرّدعُ عن أيِّ ظلمٍ أوحَيفٍ، ولو كان حقيراً، والتّأكيدُ على تصحيحِ الصِّلاتِ التّبادليّة، وإيفاءِ الكيلِ والميزان، وتخفيفِ الرّبحِ والسِّعر، وما إلى ذلك، ممّا جاء في تعاليمِه، وقد أوردنا شُذوراً منها في فصولِ الكتاب.

وممّا يَتَجَلّى في غُرّةِ تعاليمِه القرآنيّةِ القادسة، دعوةُ النّاسِ إلى إقامةِ أفضلِ أشكالِ القسط، وهو تبنّي «مبدإ المساواة» و تجسيدُه، والحَسْمُ على تربيةِ النّاشئةِ على ذلك السَّنَنِ الإنسانيِّ اللاّحب، في مراحلِ التّعليمِ والتّربيةِ الابتدائيّة.[2]

الحديـــث

---

١ ـ من سنةِ ١١٤ هـ. ق، إلى سنةِ ١٤٨ هـ. ق.

٢ ـ راجع: الفصول ٤٦ و ٤٧، من هذا الباب، و ٤٧، من الباب ١٢.

١ الامام الصادق «ع» : النّاسُ سَواءٌ كأسنانِ المُشْط .[١]

٢ الامام الصادق «ع» : أهلُ الإسلامِ هم أبناءُ الإسلام، أُسَوِّي بينَهم في العَطاء ..[٢]

٣ الامام الصادق «ع» : .. وما أخَذَ من الزّكاةِ فَضَّه على عِيالِه، حتى يُلْحِقَهُم بالنّاس .[٣]

٥ـ الحكم المنتظَر والقسط

الكتـــاب

١ ونُريدُ أَن نَمُنَّ على الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا في الأرض، ونَجعَلَهُم أَئـمَّـةً، وَنَجعَلَهُمُ الوارِثين *[٤]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : أُبَشِّرُكم بالمهديِّ، يُبْعَثُ في أُمّتي، علَى اخْتلافٍ من النّاس

---

١ ـ تحف العقول / ٢٧١؛ راجع أيضاً : النّظرةَ إلى الفصل ٢١، من هذا الباب .

٢ ـ الوسائل ١١ / ٨١؛ راجع لتمامِ الحديث : الفصلَ السّابق .

٣ ـ الوسائل ٦ / ١٥٩؛ راجع : الفصلَ السّابق .

٤ ـ سورة القَصَص (٢٨) : ٥ .

وزَلازل، فيَمْلَأُ الأرضَ عدلاً و قسطاً، كما مُلِئَت ظلماً وجوراً.[1]

* هذا مضمونٌ متواترٌ إجمالاً، منقولٌ عن النّبيِّ الاعظم «ص»، في صِحاحِ الفريقين ومَسانيدِهم.

٢ النبـي «ص» ـ ابو سعيد الخِدْريّ قال : قال رسولُ الله «ص» : «أُبَشِّرُكُم بالمهديِّ .. يَمْلَأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً ..[2]

٣ الامام الصادق «ع» : .. أَما والله! لَيُدْخِلَنَّ عليهم عدلَه، جوفَ بُيوتِهم، كما يَدخُلُ الحَرُّ والقُرّ.[3]

* فالإسلامُ دينُ القسطِ والعدل، العدلِ في جميعِ الشُّؤونِ والأمور. فهذا كتابُه القرآنُ يأمُرُ بالعدلِ ويَدعُو إلى القسط.

وهذا نبيُّهُ الهادي يَقومُ بالقسطِ ويُجَسِّدُه حتى في نَظْرتِه إلى أصحابِه، حيث «كان يَقسِمُ لحظاتِه بين أصحابِه، فيَنْظُرُ إلى ذا ويَنظُرُ إلى ذا بالسّويّة».[4]

وهؤلاءِ أوصياءُ نبيِّه يَقُومُون بالقسطِ تجسيداً أو تعليماً، وقد وُصِفُوا بأنَّهُم «القَوّامُون بالقسط» ـ كما سيأتي.

وهذا مهديُّه المنتَظَر «ع» ـ وهو مسيحُ المسَايح ونتيجةُ النّتائج ـ يأتي لِيَمْلَأَ الأرضَ قسطاً وعدلاً،[5] ويَقسِمَ الأموالَ

---

١ ـ البحار ٥١ / ٨١، عن «كشف الغُمّة»، عن أحاديثِ الحافظِ الثِّقة، أبي نُعَيْمِ الإصفهانيّ (م ـ ٤٣٠ هـ. ق)، صاحبِ «حِليةِ الأولياء».

٢ ـ المُسنَد ٣ / ٣٧، لأحمدبن حَنبَل (م ـ ٢٤١ هـ. ق)؛ منتخَبُ الأثر / ١٤٧.

٣ ـ البحار ٥٢ / ٣٦٢، عن «الغيبة»، للنُّعمانيّ.

٤ ـ الوسائل ٨ / ٤٩٩؛ راجع : النظرةَ الى الفصلِ السّابق.

٥ ـ راجع : النّظرةَ الى الفصل ٣٩، من هذا الباب.

والإمكانيّاتِ بشكلٍ لا يُرى معه محتاجٌ إلى الزّكاة ..

ففي هذا الضّوء ـ النّيِّر الرّاهن ـ فأيُّ فقهٍ، او حكمٍ، او مجتمعٍ لا يَخضَعُ فعليّاً لمبدإ القسط، ولا يُجَسِّدُه في جميعِ الأجواءِ والقِطاعات، فليس له أن يَنْتَمِيَ إلى الإسلام، صوناً لِسُمْعَةِ دينِ اللّهِ الخالدِ عن التّشويه .

و مَن زَعَمَ أنّ تجسيدَ الآيةِ (آيةِ المستضعفين وحكومتِهم)، إنّما يَقَعُ بإسقاطِ نظام، بدون تغيير للوضعِ الحياتيِّ والمعيشيِّ، وبدون أن يُصبِحَ المحرومون والمستضعفون حُكّاماً سائدين، مردودةً إليهم حقوقهم، فهو غارقٌ في الأوهام، مبتعدٌ عن فهمِ واقعِ الإسلام .

ومن زَعَمَ أنَّ القسطَ يُجَسَّد، وأنَّ النّاسَ يَقُومُون به، بدون إبادةِ التّكاثر (واللّيبراليّة الإقتصاديّة) وإزاحةِ الفقرِ من عرصاتِ الحياة، فيَحْلُمُ أحلامَ نائم، أو يُمَوِّهُ الأمرَ على الجماهير، أو يَنخَرِطُ مع المتكاثرين والمترَفين في سِلْك، او يَجْبُنُ من الصُّمودِ في وجهِ الظّالمين .

إلمـــاح إلى سرٍّ كبـــير

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : العَدلُ حياةُ الأحكام .[١]

---

١ ـ غرر الحكم / ٣٠ .

* لقد فَصَّلنا الكلامَ عن العدل وأهميّتِه في إصلاحِ المجتمع وبقاءِ الدّينِ فيه، في الفصولِ السّادسِ والأربعين إلى الثّامنِ والأربعين، من البابِ الثّاني عشر، في الجزءِ السّادس، فليُراجِعْهَا القارئُ الكريم.

وهذا - لَعمرِ الحقِّ والعدل - من عظائمِ تعاليمِ أميرِ المؤمنين «ع». نَعم، لاحياةَ واقعيّةً لأحكامِ الدّين، ولبُخوعِ الجماهيرِ الفعليِّ بها في جميعِ قِطاعاتِهم، إلّا في أوساطٍ لا يَسُودُها إلّا القسط، ولا يَصنَعُها إلّا العدل.

وهذا المطلبُ واضحٌ لمن عَرَفَ شيئاً من المجتمعِ والحياةِ والإنسانِ والغرائز. وأمّا الضَّغْطُ على النّاسِ بحملِهم على رعايةِ ظواهرِ بعضِ الأحكامِ الشّرعيّة - في المعابرِ والشّوارع - مع التّساهلِ في قيامِ المجتمعِ بالقسطِ في جميعِ صلاتِه، والتسامحِ في إحياءِ كرامةِ المحقورين وردِّ حقوقِ المحرومين المختلفةِ إليهم ورفعِهم الى مستواهمُ الإنسانيِّ اللائق، فأمـــرٌ لا يَجْنَحُ إليه أيُّ مُصلحٍ حَصيفِ الرّأي، يَتَطَلَّبُ الإصلاحَ في واقعِ حياةِ النّاس.

ولولا ذلك لم يَجعَلِ الله تعالى غايةَ بعثةِ الأنبياء «ع» وإنزالِ الكتبِ والحديد قيامَ النّاسِ بالقسط، فإنَّ اللّهَ سبحانه، شاءَ أن يَعمَلَ الجماهيرُ بأحكامِ دينِه، وعَلِمَ أنّ الطّريقَ الموصِلَ الى ذلك المقصدِ هو فُشُوُّ القسطِ والعدلِ فيهم وسيادتُهما عليهم، ففَرَضَهما على النّاس. وبذلك يُصَرِّحُ وليُّ اللّهِ الكامل، الواقفُ على أسرارِ دينِ اللّهِ وطبائعِ خلق اللّهِ وموضوعيّاتِ الحياةِ وحقائقِ المجتمعات، فيقول بِملْءِ فمِه الطّاهر: «العدلُ حياةُ الأحكام»، لا «الضّغطُ حياةُ الأحكام».

وهذا سرٌّ عظيمٌ، أباحَه كلامُ إمامِ الإنسانيّةِ العظيم، في سبيلِ

صُنعِ المجتمعات البشريّةِ وإسعادِ الجماهير.

وبما أنّ إحياءَ الأحكامِ الإلهيّةِ واجب، فالقيامُ بالقسطِ والعدلِ واجب، لتوقُّفِه عليه، وفَشَلِه بدونه. ومن هنا يُصبِحُ السّعيُ والمجاهدةُ لإقامةِ العدلِ أوّلَ واجبٍ على أيِّ حكم او فقهٍ إسلاميّين، قبلَ كلِّ شيء. ولذلك نَجِدُ أميرَ المؤمنين «ع» قد أقدَمَ على إرساءِ قواعدِ العدل ـ ولا سيَّما الاقتصاديِّ منه ـ وإقامةِ الأمْتِ والعِوجِ في توزيع الأموالِ وامتلاكِها، في أوّلِ أيّامِ خلافتِه ـ كما هو معروف.

الحيف يدعـــو إلى السّيف

الحديـــث

١ الامام علي «ع» ـ فيما قاله لأحدِ عُمّاله، وقد نَهاه عن تقديمِ الخَراج : اِسْتَعمِلِ العَدل، وَاحْذَرِ العَسْفَ والحَيْف؛ فإنَّ العَسْفَ يَعُودُ بالجَلاء، والحيفَ يَدعُو إلى السّيف.[١]

* قال الشّيخ محمّد عبده المصريّ : «الحيفُ الميلُ عن العدلِ إلى الظّلم، وهو يَنزَعُ بالمظلومين إلى القِتالِ لإنقاذِ أنفُسِهم».

وما أعظَمَ الكلامَ من تعليمٍ، حيث يُشَجِّعُ المظلومين

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٣٠٤؛ عبده ٣ / ٢٦٦.

والمقهورين على أخذِ حقوقِهم بالقهر؛ ويُريهم طريقَ الخلاص، وما هو إلاّ الثّورةُ والتّغيير.

المقياس الفاصل بلاريب

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : إنّ النّاسَ يَستَغْنَونَ إذا عُدِل بينَهم.[١]

٢ الامام الكاظم «ع» : لو عُدِلَ في النّاسِ لَاسْتَغْنَوا..[٢]

* قد عَرَّفُوا العدلَ تعاريفَ مختلفةً، توسيعاً وتضييقاً، بحسبِ فلسفاتٍ نظريّةٍ متفاوتة. وفي النّاسِ مَن يَجْنَحُ إلى جانبٍ ويَدَعُ الجانبَ الآخر، لعدمِ الإحاطةِ بحقيقةِ الموضوع، أو لأغراضٍ وغاياتٍ أشَرنا إليها في مواضعَ أُخرى.

والصّحيحُ أن نَقسِمَ العدلَ أوّلاً إلى أقسامِه، كالاقتصاديِّ والقضائيِّ والأخلاقيِّ والإداريِّ والسّياسيِّ و.. ثمّ نأتيَ لكلٍّ واحدٍ منها بتعريفٍ جامعٍ مانع.[٣]

---

١ ـ الكافي ٢ / ٥٦٨؛ راجع أيضاً : النّظرةَ إلى الفصل ٣٩، من هذا الباب، والفصولَ ٤٦ الى ٤٨، من الباب ١٢.

٢ ـ الكافي ١ / ٥٤٢.

٣ ـ والواجبُ الثّاني أن نَعمِدَ إلى التّرتيب، و نوضِحَ أنّ الأهمَّ والأقدمَ من أقسامِ العدلِ ما هو؟ ولعلّ العدلَ الاقتصاديَّ هو الأوّلُ والأهمُّ، الّذي يُوَطِّئُ لسائرِ الأقسام. ولذلك نَجِدُ الأنبياءَ «ع» يَدعُون النّاس ـ بعدَ الدّعوةِ إلى معرفةِ اللّهِ تعالى و عبادتِه ـ إلى إيفاء الكيلِ والميزانِ وعدمِ بَخْسِ النّاسِ أشياءَهم (كما في القرآنِ الكريم). وما ذلك إلاّ الدّعوةُ إلى العدلِ الاقتصاديِّ وتقديمُه.

والحقُّ في تعريفِ «العدلِ الاقتصاديِّ» أن نقول ـ اقتباساً من المعصوم «ع» و تعلُّماً من ذي علم ـ : «العدلُ ما تُزاحُ به حاجاتُ الجماهيرِ بأَسْرِها».

ولقد أَبدَعَ الإمامان، أبوعبدِالله جعفرٌ الصّادق «ع» وأبو-إبراهيم موسى الكاظم «ع»، في إرشادٍ آلهيٍّ قيِّمٍ، انْعكَسَ فيه نَفَسُ الأنبياء «ع»، حيث جَعَلا في بيانِهما للعدلِ ملاكاً محسوساً ملموساً لا يَعدُوه، و به يُتاحُ لكلِّ أحدٍ تشخيصَ العدلِ وحضورِه في النّاسِ أوغيابِه وفقدِه. والملاكُ هو استغناءُ النّاسِ كلِّهم أجمعين (لعمومِ «النّاس»). وهذا أمرٌ لا يَتَسَنّىٰ لأحدٍ أن يَجهَلَه، أو يَتَجاهَلَ عنه، أو يُمَوِّهَ أويُداهِنَ فيه. فالعدلُ إذا تَجَسَّدَ لا يُوجَدُ في النّاسِ ذوحاجةٍ أبداً، بل يُصبِحُ الكلُّ مُستَغنين.[٢]

فالإسلامُ يقول: اِذهَب إلى النّاس، وتَصَفّحِ الجماهيرَ وحياتَهم هنا و هناك، في الطُّرُقِ والشّوارع، في المحلّاتِ والسِّكَك، في المنازلِ والبُيوت، في الأمصارِ والرّساتيق، فإن وَجَدتَ فيهم فقيراً واحداً، فهناك الظّلمُ قائمٌ ولا عدل.

وإذا كان الأمرُ على هذا الشّكلِ في الإسلام، فما ظنُّك بمجتمعاتٍ يُكابِدُ قطاعاتُه الكثيرةُ والكثيرةُ آلامَ صُوَرِ الفقرِ والحاجةِ والحرمان ـ مُعلَنةً وغيرَ مُعلَنة ـ فهل هناك يُوجَدُ أثَرٌ من عدل، أو رائحةٌ من قسط؟ وهل يَسُوغُ لأحدٍ أن يُسَمِّيَ تلك المجتمعاتِ وحكوماتِهم أسلاميّة؟

---

١ ـ ولعلّ السِّرَّ في الإتيانِ بالفعلِ المجهول (عُدِلَ)، هو أنّ الأمرَ لايَتِمُّ على أيدي النّاس، لو لم يكنِ العلماءُ عارفين بالعدلِ قائمين به، والحُكّامُ والأمراءُ مُجَسِّدين له.

٢ ـ وهذا معنى كلامِ أميرِ المؤمنين «ع»، الّذي جاء في المصادر (الكافي / ٨ / ٣٢، و راجع: الفصلَ ٥، من الباب ١٠، فِقرَةَ «د»، في الجزءِ الثّاني). و حاصلُه «أنّ المجتمعَ الإسلاميَّ لا يُوجَدُ فيه عائل أو محتاجٌ أو مظلوم، مُسلِماً كان أو غيرَه». وذلك أنّ الحاكمَ الإسلاميَّ الحقّ يَعدِلُ ويَعدِل، ولا يُوجَدُ ـ مع العدل ـ عائلٌ او محتاجٌ او مظلوم. فماذا تَدَّعُون، وأنّىٰ تُؤْفَكُون، وأين تَذْهَبُون؟ ..

نظرة الى الفصـــل

سنُفَصِّلُ الكلامَ عن القسطِ الاسلاميِّ والعدالةِ الاجتماعيّةِ في الاسلام، في الفصولِ الّتي نَتَناوَلُ فيها العدلَ والاحسانَ والتّوازنَ الاقتصاديَّ والتَّعادلَ المعيشيَّ، يعني الفصلَ السّادسَ والاربعين الى الثّامـــنِ والاربعين، من الباب الثّاني عشر، غيرَ اَنَّنا نُشيرُ هنا الى امرٍ هامٍّ في البشريّةِ والتّاريخ، فنَقولُ : اِنَّ مشكلةَ البشريّة، عَبْرَ تاريخِها الطَّويلِ المرير، هو الظّلمُ الاقتصاديُّ والماليُّ والمعيشيّ،[1] واستيلاءُ الطّواغيتِ الاقتصاديّين على النّاسِ المضطهدين والمعذّبين والمظلومين (مصيبتُكُمُ الطّواغيتُ من اهلِ الرَّغبةِ في الدّنيا ..)[2]. نَعَم، اِنَّ من اكبرِ انواعِ الظُّلمِ واَشكالِه ـ بل اهمُّها واكبرُها ـ هو الظُّلمُ الاقتصاديُّ السّائدُ في النّاس، وهو يُضادُّ القسطَ ويَمحَقُه . واِنَّ الظُّلمَ المذكورَ هو الّذي يَجُرُّ الى البشريَّةِ كلَّ اقسامِ الفِتَنِ والوَيلاتِ والاضطهادِ والمُيوعةِ والسُّقوطِ والتَّخلُّفِ والالحاد . ولاَجْل ذلك نُشاهِدُ اَنَّ الانبياء «ع» قَدِ اسْتَهْدَفُوا، بادِئَ ذي بَدْءٍ، شجبَ هذا الظّلمِ وسحقَه، باقامةِ القسطِ وبسطِه في الجماهير، فكانوا يَدْحَرُون الاغنياءَ والمستكبرين الاقتصاديين، ويَلتَحِمُون مع صفوفِ المحرومين والمُعذَّبين.وقد عَدَّ القرآنُ الكريم، قيامَ النّاسِ بالقسط، غايةَ

---

١ ـ كما اَوعَزنا اليه في المقدّمة ايضاً : الفِقرة ٢، وفي مواضع اُخرى . وذلك لاهميّة توعية المجتمعِ بالنسبة الى هذا الموضوع . فعلى الجماهيرِ ان يَعرِفوا المستكبرين وحياتَهم واضرارَهم وظلمَهم حقَّ المعرفة، حتى تُمَهِّدَ هذه المعرفةُ للاطاحةِ بقواعدِهم وانقاذِ النّاسِ من مخالبِهم .

٢ ـ امالي المفيد / ١١٧، من حديثِ الامام عليّ بنِ الحسين السّجّاد «ع»، راجع : الفصل ٧، من هذا الباب.

الغاياتِ الاجتماعيَّةِ لبعثةِ الانبياء «ع»[1].

وممّا يَجِبُ اَن يَنْتَبِهَ له الضَّمائر ـ وخصوصاً ضمائرَ المسلمين ـ اَنَّ الاحاديثَ النَّبويَّةَ الّتي تُبَشِّرُ بَاَنَّ المهديَّ المنتظَرَ «ع» اذا ظَهَرَ يَمْلَأُ الارضَ قسطاً وعدلاً .. تُرشِدُنا الى امرين عظمين :

١ ـ اَنّ مشكلةَ الانسانِ الاصليَّة، هي الظُّلمُ والجور . والاصلُ فيها الإقتصاديّةُ منها .

٢ ـ اَنّ اصلَ الاصلاحِ الدّينيِّ الاجتماعيِّ واساسَه، هو تطبيقُ القسطِ وتجسيدُه، لاغير .

اذاً، فالجهلُ بهذين الامرين الرَّئيسيَّين او الغفلةُ عنهما واهمالُهما، يُؤَدّي الى فَشَلِ الثَّورات، وفتورِ الهِمَم، وخَيبةِ الآمال، وضِياعِ الجُهود، ووَهْنِ المُعتَقَدات، وهَدْرِ الدِّماء، واستيلاءِ المُتَخَلِّفين، وخَنْقِ اصواتِ التّغييريّين .

ومن هنا، تُصبحُ تأكيداتُ الاسلامِ الحاسمة ـ بشتّى الاساليبِ والصُّوَر ـ على اهميّةِ القسطِ ووجوبِ دَعْمِه وتوسيعِ نِطاقِه في حياةِ النّاس، وعدُّه العدلَ السّببَ الوحيدَ لاصلاحِ المجتمعِ الانسانيِّ،[2] من اهمِّ ميزاتِ هذا الدّينِ الهامّةِ والعميقة . فعليه يَجِبُ اَن يكونَ اوّلُ الاهدافِ واهمُّها لاَيَّةِ ثورةٍ من الثّوراتِ الاسلاميّة، هو شجبَ الظُّلمِ الاقتصاديِّ والعدوانِ الماليِّ، ودَعْمَ نظامِ العدلِ وإرساءَ قواعدِ القسطِ القرآنيّ ..[3]

---

١ ـ سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٢ ـ راجع : الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

٣ ـ ولاجل ذلك نُشاهِدُ اَنَّ الامامَ عليَّ بنَ ابي طالبٍ «ع» حينما يَأْخُذُ بزمامِ الحكومةِ الاسلاميَّة ـ بعد حركةٍ ثوريَّة ـ يَنطَلِقُ من اوّلِ الامرِ الى إرساءِ هذه الدِّعامة، فيَصرُخُ صُراخَه التّاريخيَّ المعروف، الّذي لا يَخرُجُ صَداه من سمعِ التّاريخ، ولا تَنمَحي صِبغَتُه من لوحاتِ الشَّفقِ والفجر : «واللّهُ لو وَجَدْتُه قد تُزُوِّجَ به النِّساءُ ومُلِكَ به الإماءُ لَرَدَدْتُه، فإنَّ في العدلِ سَعَةً . ومن ضاقَ عليه العدلُ فالجورُ عليه اَضْيَق» ـ (نهج البلاغة / ٦٦؛ عبده ١ / ٤٢). وقالوا : إنَّ الامامَ خَطَبَ بهذه الخطبةِ في ثاني يومٍ من بيعته في المدينة .

وإنَّ القسطَ والجِهادَ في سبيلِ تجسيدِه في حياةِ النّاس، هو السِّمَةُ الاصليَّةُ لكلِّ ثورةٍ اسلاميَّة، او حكمٍ اسلاميٍّ، او فَقاهةٍ قرآنيَّة،[1] ولا يَسُدُّ فَراغَهما ايُّ شيء.

والعجبُ من الّذين يَعُدُّونَ الكِفاحَ ضدَّ التّكاثرِ والفقر ـ الّذي به تُضْمَنُ اقامةُ القسط ـ من الامورِ الاخلاقيّةِ الّتي لاضَمانَ لتطبيقِها. فاذا كانت هذه الامورُ اخلاقيّةً ـ إن شاءَ قومٌ عَمِلُوا بها وإن لم يَشاؤُوا لم يَعمَلُوا ـ فماذا تكونُ ميزةُ ايِّ حكمٍ اسلاميٍّ قرآنيٍّ من غيرِه؟..

اَيَقْنَعُ الانسانيّون، والنّابهون، والمصلحون الصّامدون، وطُلّابُ العدالةِ والحقِّ الصّادقون، والشّبابُ الثّائرون، من الحكمِ الاسلاميِّ بأن يَغُضَّ الطَرْفَ عن التّكاثرِ ويُخَلِّي سبيلَه (فضلاً عن اَن يُواكِبَه و يُطلِقَ سَراحَه، ويَكونَ في رجالِه من يَجنَحُ الى المتكاثرين والمُترَفين)، واَن يُهمِلَ جانبَ مكافحةِ الفقرِ وازاحتِه، واَن لا يَجِدَّ كلَّ الجِدِّ لقيامِ النّاسِ بالقسطِ في عرصاتِ الواقعِ القائم؟ مع اَنَّه من اللّاحبِ الواضحِ اَنَّ النّاسَ إن لم يَقُومُوا بالقسط، واَنّ العدالةَ الاجتماعيَّة إن لم تُجَسَّد، واَنَّ الطّاغوتَ الاقتصاديَّ ان لم يُشْجَب، فلا فائدةَ اساسيَّةً في مكافحةِ المفاسدِ والسّلبيّاتِ الاجتماعيَّةِ الاُخرى، لاَنَّها اذا لم يَكُنِ المجتمعُ مجتمعَ عدلٍ وقسطٍ تَكْمُنُ وتَبْطُن، او تَظهَرُ في الوانٍ اُخرى، وتَعْمَلُ عملَها وتَخلُقُ سلبيّاتِها السّاحقة، في تمييعِ ارواحِ النّاسِ وأخلاقِهم هنا وهناك .. ولاجلِ هذه الحقيقةِ الرّاهنةِ في حياةِ المجتمعاتِ والبُخوعِ بها بصمودٍ واخلاص، يُنادي امامُ الانسانِ والانسانيّة وتِمثالُ الحقِّ والعدالة، الامام عليُّ بنُ ابي طالبٍ «ع» بهذا النّداء: «الرَّعيّةُ لا يُصلِحُها الاّ العدل»[2].

---

١ ـ راجع: الإيقاظ ٧، من هذه النّظرة.

٢ ـ غرر الحكم / ٢٩.

إيقاظ هامّ (١)

الحكم الاسلاميّ والقسط

لقد جاءَت في الاسلامِ تعاليمُ كثيرة ـ في القرآنِ والحديث ـ وتأكيداتٌ حاسمةٌ على موضوعِ الولايةِ والحكومة. ودَرَسُوا مواصفات مَن يَصلَحُ لها ومُؤَهِّلاتِه ومَن لا يَصلَح، بصورةٍ واعية، لاهميّةِ هذا الامرِ الحياتيّةِ في الاسلام. وقد عَدُّوها من اركانِ الاسلامِ الخمسة (الصّلاة، الزّكاة، الصّوم، الحجّ، الولاية)، بل جَعَلُوها اهمَّها الّذي به تُقامُ الاربعةُ الأُخرىٰ. قال الامام ابو جعفرٍ الباقر «ع»: «بُنِيَ الاسلامُ على خمسٍ، على الصّلاةِ والزّكاةِ والصّومِ والحجِّ والولاية. ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودِيَ بالولاية»[١].

والمرادُ بالولايةِ هنا، هو الحكومةُ القرآنيةُ[٢] واقامتُها بين النّاسِ نيابةً عن النبيِّ «ص». ومن الادلّةِ الواضحةِ عليه ما جاءَ في حديثٍ آخر، عن زُرارَةِ بنِ اَعْيَن، عن الامام الباقر «ع» ايضاً: «بُنِيَ الاسلامُ على خمسةِ اشياء، على الصّلاةِ والزّكاةِ والحجِّ والصّومِ والولاية. قال زرارة: فقُلت: وايُّ شيءٍ من ذلك افضل؟ فقال: الولايةُ افضل، لانَّها مفتاحُهُنّ، والوالي هو الدّليلُ عليهنّ ..»[٣]

فالتّعبير بـ«الوالي»[٤]، وعدُّه الدّليلَ على الاركانِ الاربعةِ الباقية، يَدُلُّ بوضوحٍ على اَنَّ المراد به هو الحاكمُ والسّائسُ[٥] والقائدُ والمديرُ

---

١ ـ الكافي ٢ / ١٨.

٢ ـ وهذا المعنى للولايةِ لا تُنافي الولايةَ الباطنيّة، بل تَنشَأُ منها وتُواكِبُها.

٣ ـ الكافي ٢ / ١٨.

٤ ـ والوصفُ من الولاية، بمعناها الجامع، يَجيءُ على صيغةِ «الوليّ»، كما في الآية ٥٥، من سورةِ المائدة.

٥ ـ ولقد وُصِفَ اوصياء النّبيِّ «ص» بانّهم «ساسةُ العباد». وجاء فيما شَرَحَهُ الامام ابوالحسن عليُّ بنُ ←

الاجتماعيُّ والمُربِّي الانسانيّ، حيث يَدُلُّ النّاسَ بالطُّرُقِ المناسبة ـ تعليماً وتربيةً وارشاداً وتمهيداً ـ على اقامةِ الصَّلاةِ واخواتِها .

وانّما اَشَرْنا الى هذا الموضوع، اشارةً مقتضَبةً بهذا الايقاظ، لَان نقولَ اِنّ الهدفَ الغائيَّ (من الجهةِ الاجتماعيّة والاقتصاديّةِ والمعيشيّة) لهذه الحكومةِ والولاية، الّتي دعا الاسلامُ اليها بهذه الصّورةِ المُؤَكَّدةِ وعَدَّها من اهمِّ الاركانِ الخمسة ومُقيمَها، اِنّما هو تجسيدُ القسطِ والقيامُ به . لَاَنَّنا نُشاهِدُ اَنَّ القرآنَ الكريم يَقولُ : «يا اَيُّها الّذين آمَنوا كُونُوا قَوّامين بالقسط ..»[1]. ومن هنا نَعْلَمُ بيقينٍ اَنَّ اوصياءَ النّبيِّ «ص» ـ وهم اَعدالُ القرآن ـ يكونون في الرَّتْل المُقدَّم ممّن يُلَبُّون هذاالنّداء، بل هم المخاطَبُون الاصليُّون به، فهم قَوّامُون بالقسط؛ ولقد وُصِفُوا في بعضِ التّعاليمِ ايضاً بهذه المُواصفة : «القَوّامُون بالقسط». ويَصِفُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع»، الحكمَ الاسلاميَّ بَانَّه حكمٌ لا يُوجَدُ فيه عائلٌ ولامحتاجٌ ولا يُظَلَم فيه مسلمٌ ولا مُعاهَدٌ .[2] ولايَكونُ ذلك الّا باقامةِ القسط . ويَصِفُ الامامُ الصّادق «ع» الامامَ (الواليَ الاسلاميَّ) بَانَّه يَقُومُ بالعدل .[3] ويَقولُ في خطبةٍ له، يَذكُرُ فيها حالَ الائمّة «ع» : «.. جَعَلَهُمُ اللّهُ حياةً للاَنام ..»[4]. وكونُهم حياةً للانامِ لايَخُصُّ البعضَ دونَ الآخرين، فهم اذا كانواحاكمين يَكونُون حياةً للقِطاعاتِ والجماهير (ويَدُلّ عليه التّعبيرُ بالانام، سوى العمومات الاسلاميّةِ والواقعِ الّذي نَعقِلُه من الدّين الالهيّ) . ولاتكونُ حياةٌ الّا باقامةِ العدلِ والقسط، كما يقولُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع» :

موسى الرّضا «ع»، من مواصفاتِ الامام : «.. عالمٌ بالسّياسة» ـ (الكافي ١ / ٢٠٢).

١ ـ سورة النساء (٤) : ١٣٥.

٢ ـ الكافي ٨ / ٣٢.

٣ ـ الكافي ١ / ٢٠٤.

٤ ـ الكافي ١ / ٢٠٤.

«العدلُ حياةٌ»[1].

ويقولُ الامام ابوالحسن عليُّ بنُ موسى الرّضا «ع» ـ فيما وَصَفَ به الامامَ (من مقالٍ اَلْقاهُ بمدينةِ مَرْو، في يومِ جمعةٍ، على بعضِ اصحابِه، اِشعاعاً على طريقِ الحقِّ الخالد، وتبييناً للوصايةِ وآفاقِها واَغوارِها) : «.. وأمرُ الامامةِ من تمامِ الدّين .. اِنَّ الامامةَ اُسُّ الاسلامِ النّامي، وفرعُه السّامي؛ بالامامِ تمامُ الصَّلاةِ والزّكاةِ والصِّيامِ والحجِّ والجِهاد، وتوفيرُ الفيءِ والصّدقات، وامضاءُ الحدودِ والاحكام، ومنعُ الثُّغورِ والاطراف. الامامُ يُحِلُّ حلالَ الله، ويُحَرِّمُ حرامَ الله، ويُقيمُ حدودَ الله، ويَذُبُّ عن دينِ الله .. الامامُ الماءُ العَذْبُ على الظَّمَإِ .. والدالُّ الشَّفيق .. والاُمُّ البَرَّةُ بالولدِ الصَّغير ..»[2].

ومن الواضح، أنَّ مِن تمامِ الدّين، اِقامةَ القسطِ في النّاس، لَانّها غايةُ الغاياتِ الاجتماعيّة لبعثةِ الانبياء «ع» ـ كما صَرَّحَ به القرآن ـ ولَانَّ اقامةَ الصّلاةِ وتمامَها واداءَ الزّكاةِ والصّيامِ والحجِّ والجِهاد، وتوفيرَ الفيءِ والصَّدَقات .. لا تَتَجَسَّدُ الّا في مجتمعٍ اسلاميٍّ صالح. وهذا المجتمعُ لا يُصْنَعُ الّا باقامةِ القسط.[3] وكذلك تحليلُ حلالِ اللّهِ وتحريمُ حرامِه، لا يُواكِبُ الحياةَ التّكاثريَّةَ والتَّرَفِيَّةَ وحضورَهما في المجتمع، لَانَّهما تُضادّان القسطَ والعدلَ الاقتصاديّ. فالامامُ هو الحاكمُ المُزيحُ لكلِّ ذلك باقامةِ القسط، ويَذُبُّ بذلك عن دينِ اللّهِ ويَكْلَأُ عبادَه، ويَمنَعُ من تَطَرُّقِ الانحلالِ العقيديِّ او العمليِّ الى الجماهير.

وكذلك من الواضح، اَنَّ كَونَ الامامِ الماءَ العَذْب، يَعُمُّ جميعَ النّاسِ وابناءَهم وبناتِهم واطفالَهم؛ وكذلك بِرُّه ورحمتُه يَسَعُ الجميع .. فهو لا يُقارُّ

---

١ ـ غرر الحكم / ١٥.

٢ ـ الكافي ١ / ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٣ ـ راجع: الفصل ٤٧، من الباب ١٢.

على حرمانِ السّاغبين وكِظّاتِ الظّالمين .. ويكونُ القويُّ (اي الطّاغوتُ الاقتصاديُّ، المستكبرُ المُترَف، والمُسرفُ الّذي يَأكُلُ ويَشرَبُ ويَلبَسُ ويَركَبُ ويَسكُنُ ماللآخرين)، عندَه ضعيفاً حتى يَأخُذَ الحقَّ منه، ويكونُ الضّعيفُ (المسكين، الفقير، المُعذَّب، العامل، الكادح، الزّارع، الاجير، اليتيم ومن اليهم)، عنده قويّاً حتى يَأخذَ الحقَّ له ..

ففي هذا الضّوء، اِنّ الحكوماتِ الّتي تُؤَسَّسُ استناداً الى الولايةِ الالهيّةِ الاسلاميّة، يَجِبُ عليها ـ اوّلَ ما يَجِب ـ ان تَعمِدَ الى اقامةِ القسطِ في النّاسِ وتطبيعِ حياتِهم به وسوقِهم الى تبَنّيهِ بصورةٍ فعليّةٍ واسعةٍ وعميقة، من غيرِ ايِّ عذر، او فتور، او مداهنة، او دَجْلٍ، او خوفٍ، او تأجيل، حتى تَظهَرَ سِماتُ الاسلاميّة على عرصاتِ المجتمع .

وهذا اصلٌ رئيسيٌّ تَحتاجُ البشريَّةُ المعاصرةُ الى تجسيدِها اشدَّ احتياج، فيكونُ القيامُ به سبباً قويّاً للتّعريفِ بالاسلامِ على المستوى العالَميّ، كما اَنَّ اهمالَه يُصبِحُ سبباً قويّاً لذَهابِ ريحِ الاسلام ودَحْضِ مراميه في اِسعادِ الانسانِ واعلاءِ كلمةِ اللّهِ في مشارقِ الارضِ ومغاربِها . بل الحقيقةُ الّتي يَجبُ اَن لا نَغفُلَ عنها، هي اَنَّ الاهمالَ المذكور، يُؤَدّي الى ضعفِ معتَقَداتِ النّاسِ وتركِهِمُ التّعبُّدَ والاعمالَ الدّينيَّةَ احياناً، ولو في قطاعات .

وذلك لاَنّهم اذا شاهدوا من الحكمَ الّذي اُقيمَ باسمِ الاسلام واتّباعِه (واُريقَتِ الدِّماءُ لتعبيد الطُّرُقِ لـه، وَاسْتُهلِكَت في سبيلِ اِرسائه اعمارٌ ثمينَة واموالٌ للافرادِ او الشّعبِ طائلة)، امثالَ هذه الامور:

ـ لايهتمُّ بالمسائلِ الرّئيسيّةِ في الحياةِ الاقتصاديّة؛

ـ لا يَخضَعُ لناموسِ القسط الّذي دعا اليه القرآن الكريمُ ولا يَجِدُّ لتجسيدِه؛

ـ لا يَجنَحُ الى اقدامٍ تغييريٍّ وحركةٍ جذريَّةٍ تَتَجاوَزُ حدَّ الهُتاف، لازاحةِ الوان الحرمان والمسكنةِ والجور المعيشيِّ في الجماهير؛

ـ لا يَقطَعُ ايدي اولئك المتكاثرين الّذين تَتَضَخَّمُ لديهُم الثّرواتُ يوماً فيوماً، من امتصاص النّاسِ بالوانٍ وصور؛

ـ لا يُكافِحُ المستكبرين ولا يُنافِحُ حياتَهم، حتى يُتاحَ له انقاذُ المستضعفين واسعادُهم .

ـ ولا يَمنَعُ من نفوذِهم في اَجْهِزَتِه وفي البَرْمَجَةِ والتّقنين ..

نعم، اِنّ النّاس اذا وَقَفُوا على تلكمُ الفوادحِ والفواقِر وعَرَفُوها وقاسُوا تلكمُ المصائبَ والمَصاعب، يَحسَبُونَ اَنّ الاسلام يُقِرُّ الظّلمَ ولا يُؤَكِّدُ على العدل، بل يُبَرِّرُ هذه الامور وما اليها، فيَضعُفَ عندَئذٍ معتَقَدُهُمُ الدّينيّ .. اذالجماهيرُ تَلمسُ ـ اوّلَ ما تَلمِس ـ القضايا الحياتيّةَ والاقتصاديّة وتُحِسُّ بآثارِ التّضَخُّمِ والعدوانِ الاقتصاديِّ، وتُرَضُّ عِظامُه تحت نيرِ الغلاء .. وليست لكلِّ النّاس مُنَّةُ الرّجوعِ الى القرآنِ والحديث وما هناك من تعاليم،حتى يَعرِفوا واقعَ الاسلامِ واحكامِه في العدالةِ والقسطِ ورفضِ المظالمِ الاقتصاديّةِ والمعيشيَّةِ والفروقِ السّاحقة، فَيَقَعُوا عندَ ذلك في شَبَكاتِ الانحلالِ العقيديِّ او الاخلاقيِّ او العمليِّ، ولا سيّما الشّبابِ الّذين لم تَتَرَسَّخِ الاصولُ الاعتقاديَّةُ في قلوبِهم كلَّ الرُّسوخ، ولا يَقدِرُون على ان يَفصِلوا الدّينَ عن عملِ المدّعين، او قصورِ الواعين، او تخلُّفِ الرَّجعيّين، او ضعفِ ومداهنةِ العاملين، او حِيَلِ المُنتمين اليه من طواغيتِ اهل الدّنيا المستكبرين ..

وفي هذه الاحوال، يُصبِحُ من الواجبِ على كل عالمٍ ضليعٍ في معرفةِ الاسلامِ بابعاده، واقفٍ على مصدرَيه الاصليّين (القرآن والحديث) بصورةٍ مستوعبة، ولاسيّما ماجاءَ في تعاليمِ العترةِ الهاديةِ «ع» لتفسير القرآنِ وتبيينِ الاسلام، اَن يَبُثَّ علمَه في النّاس، حتى يُحَصَّنُوا ضدَّ

الانحلالين، العقيديِّ والعمليّ، ويُحَصَّنَ الشّبابُ ضدَّ الارتباقِ في شُرُكِ المدارسِ والاتِّجاهاتِ الالحاديَّةِ، او المُضَلِّلَةِ، او المُمَيِّعة، من الشّرقيَّةِ او الغربيَّة؛ وحتى تَعلَمُ الجماهيرُ اَنَّ الاسلامَ «دينُ الحيـــاة»[1]، واَنّ هذا الدّينَ هو الّذي دعا اليه اللّهُ والرّسُول «ص» لاَن يُحيِيَ البشريَّةَ كافّة، واَنَّ كلَّ وضعٍ يُشاهَدُ مخالفاً لتأشيراتِ الاسلامِ الاصليَّة، انّما وَقَعَ لضعفٍ في الوَعْيِ او التّجسيد، لافي التّشريعِ او التّأشير، ولعقباتٍ تُثارُ في سبيل التّطبيق، لا في اصلِ المنهاجِ المُخَطَّط ..

وانما قصدنا بهذا التّذكير ايقاظَ الضَّمائرِ وصيانةَ المعتقدات وانقاذَ الشّباب .. ولا نَبُوحُ هنا بخَبيئَةِ اسرارِنا اكثرَ من هذا الالماح .. ولاحولَ ولاقوّةَ الاّ بالله ..

إيقاظ هامّ (٢)

التّقنين الاسلاميّ والقسط

يَتّضِحُ من الامعانِ في البحثِ السّالف وما يَمُتُّ اليه في كلِّ فصولِ هذين البابين، اَنَّ القسطَ واقامتَه بين النّاس، هو قِمَّةُ الهَرَمِ في تعاليمِ الدّينِ الالهي . ومن اللاّحب اَنَّ القسطَ انّما يُطَبَّقُ اذا صارَ اصلاً ومقياساً للتّقنين الاسلامي، بل للفقاهةِ الاسلاميّةِ والاِفتاء، وجَرَتِ الاحكامُ عليه واُصدِرَتِ الفتاوى لتطبيقِه . فالقسطُ هو المقياسُ الوحيدُ في كلِّ حكمٍ من الاحكامِ الاسلاميَّة، به يُقاسُ ومنه يُستَلْهَم . والامر في الواقعِ ايضاً كذلك، حيث اَمَرنا القرآنُ بأَن نكونَ قوّامين بالقسط . والقوّاميَّةُ بالقسطِ ليست اَمراً هيِّناً . وكذلك اَمَرَنا بان نكونَ شُهداءَ بالقسط . وكلُّ ذلك لا

---

١ ـ وسيأتي الكلام عن اهميَّةِ توعيةِ الناسِ بواقعِ الدّين في الايقاظ «٥»، فلاحظ .

يَتَجَسَّدُ الاّ بأن يُتَّخَذَ القسطُ مقياساً باتّاً في عامَّةِ ابوابِ الفقهِ والتّقنين، ويُخضِعَها بشكلٍ لا مَحيدَ عنه ولا بَدَلَ منه؛ والاّ فلانكونَ البتّة من القَوّامين بالقسط، شهداءَ على النّاس،بل نُصبحُ من الّذين لا يَقومون للّهِ تعالى بالقسط؛ وهم بِئسَ القومُ ـ على حدّ قولِ النّبيِّ الاعظم «ص»، كما مَرَّ في المتن .

إيقاظٌ هامّ (٣)

العدل والتّوحيـــد علويّان

اِنّ وجوبَ اتِّخاذِ القسطِ مقياساً رئيسيّاً لا مَحيدَعنه ولابدلَ منه، في الامورِ والاتِّجاهاتِ والاحكامِ والادارةِ والسّياسةِ والاقتصادِ عامّة، امرٌ يَتَأَكَّدُ في الفقهِ العَلَويِّ الجعفريّ، بصورةٍ جذريَّةٍ وحاسمة، لانَّ هذا المذهبَ مذهبُ العدل، ومن هنا قالوا من قديم : «التوحيدُ والعدلُ علويّان ..». ولقد جاءَ في الادبِ العلويِّ ايضاً :

فلا واللّهِ لا تزكُو صلاةٌ
بغيرِ ولايةِ العدلِ الامام .

إيقاظ هامّ (٤)

الايمان بالبعض والكفر بالبعض الآخر

الكتـــاب

١ .. أفتُؤمنُونَ ببعضِ الكتابِ و تَكْفُرُون ببعضٍ[١]..؟

* نَدَّدتِ الآيةُ السّماويَّةُ بالتّبعيضِ في المعتَقَدِ والعمل (اذ الايمان المذكورُ فيها يَشمُلُ العملَ ايضاً)، وجَعَلَت جزاءَ ذلك خِزْياً في الحياةِ الدُّنيا واشدَّ العذابِ في الحياةِ الأُخرىٰ ..[٢] وذلك لَانَّ هذا التّبعيض، يعني الايمانَ ببعضِ الكتابِ والدّينِ والشّريعةِ والاحكامِ والقيامَ به، والكفرَ بالبعضِ الآخرِ واهمالَه، يُساوِقُ الكفرَ بالجميع (كماصُرِّحَ به في سورةِ النِّساء)[٣]، خصوصاً اذا كان ذلك البعضُ جزءاً رئيسيّاً اساسيّاً . وايُّ شيءٍ اهمُّ واشدُّ اساسيَّةً في المجتمعِ الاسلاميِّ المدّعي لاتِّباعِ القرآنِ ـ بعدَ التّوحيدِ والصّلاة والولاية ـ من قيامِ النّاسِ فيه بالقسط، وادارتِه بموازين العدل؟

نَعم، اِنّ التّعاليمَ الاسلاميَّة ـ من القرآنيَّةِ والحديثيَّة ـ تُرشِدُنا، في صراحةٍ وحَسمٍ، الى اَنّ التّوحيدَ الصّادق والصّلاة الصّحيحة، لا يَتَجَسّدان إلّابإقامة القسط، فما آمَن بالله ولا بمحمّدٍ «ص»، مَن بات شَبعانَ وجارُه جائع، ولا صلاةَ لمَن لا يُؤَدِّي حقوقَ مالِه ..

إيقاظ هامّ (٥)

اهميّة توعية النّاس بواقع الدّين

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٨٥.

٢ ـ نَزَلَتِ الآيةُ في اليهود، غيرَاَنَّ المغزى عام.

٣ ـ لاحظ : الآيتين، ١٥٠ و ١٥١.

إنّ ممّا يُسبِّبُ تَغلْغُلَ الدّينِ في النّفوس، وحضورَه في الاوساط، وبقاءَ النّاسِ على معتَقداتِهمُ الحقّة، هو ايقافُ النّاسِ على واقعِ ما جاءَ في الدّين، حولَ دقيقِ الحقِّ وصريحِ العدل، والدّعوةُ الصّامدةُ الى اقامةِ العدالةِ الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ ورفضِ العُدوانِ الماليِّ والاستكبارِ المعيشيّ، سَواءٌ انَجَحَ العاملون على تطبيقِه في الواقعِ القائم ام لا.

وهذا من اهمِّ ما يجب على ايِّ عالمٍ نابه، او داعيةٍ مخلصٍ في الاتِّجاهِ والعمل، او مسلمٍ ملتزم.[1] وذلك لان النّاسَ اذا عَرَفُوا حقائقَ تعاليم الدّينِ واحكامِه، وعَلِمُوا انَّ تجسيدَ العدلِ بأدَقِّ صُوَرِه، وشجبَ الظّلمِ في جميعِ الوانِه، والدّفاعَ عن المحرومين والمُعَذَّبين واستردادَ حقوقِهم، ورفضَ الاستئثارِ والاستكبارِ المعيشيّ، هي من اهمِّ اجزاءِ الدّينِ الاصليّة وغاياتِه الانسانيَّةِ والاجتماعيّة، فعندَ ذلك لا يَرتَبِقُون في اَشراكِ الضّلالِ ولايَتَدَهْوَرُون في هُوّاتِ التّسيُّبِ والفتور، بل يَصُونُون ايمانَهم ولا يَتَمَلَّصُونَ عن اعمالِهم الدّينيَّة، حيث عَرَفُوا كفايةَ المناهجِ والمُخَطَّطاتِ الاسلاميّةِ لصُنعِ «الحياةِ» السّالمةِ العادلة، الزّاخرةِ بالمُثُلِ والقِيَم، الطّافحةِ بالعدلِ والاحسان، القائمةِ بالحقِّ والقسط .. ويَرَون انَّ زَيْغَ صلاتِ المجتمعِ الاقتصاديّةِ وعدمَ اسلاميّةِ الجوِّ الحياتي وما يوجَدُ فيه مُنتَئياً عن الاسلامِ واحكامِه، انّما جاءَ ونَشَأَ كلُّ ذلك من هنا وهناك .. لامن اصلِ الاسلامِ وتعاليمِه.

وممّا يَجبُ أن نَحتَرِزَ منه أشدَّ الاحتراز، في إعلامِ الدّينِ وترويجِه، هو البيانُ المعسولُ لواقعٍ فارغ، فإنّ ذلك يَهدِمُ أساسَ الدّينِ هَدْماً.

---

١ ـ لقد عقد شيخُنا الحرُّ العامليّ، باباً في كتابه «الفصول المهمّة في اصول الائمّة ـ ع ـ»، بالعنوانِ التّالي: «باب استحباب هدايةِ النّاسِ الى احكامِ الدّينِ ودفعِ الشُّكوكِ والشّبهاتِ عن المؤمنين» / ٧٨، من الطّبعة الحجريّة. ولعلّ الموضوعَ الّذي نَبحَثُ عنه يَعدُو حكمُه حدَّ الاستحباب، لوجوبِ حفظِ الدّين ـ كما هو واضح.

ايقاظ هامّ (٦)

القوّاميّة بالقسط واجب من؟

اذا كان القرآنُ يَدعُو الّذين آمَنوا، بصورةٍ عامّة، الى اَن يكونوا قوّامين بالقسط، شهداءَ لله .. ويَجعَلُ هذه الدّعوةَ تَعُمُّ الجميعَ و تَستَوعِبُ الحالاتِ كلَّها، فماذا يكونُ عندئذٍ واجبُ اهل الخاصّة والنّابهين؟ الجوابُ على هذا السّؤال معلوم، اِنَّ كونَهم قوّامين بالقسطِ يَجِبُ عليهم بشكلٍ آكَدُ واَحْسم ..

ففي هذا الضّوء، يَجِبُ على علماء الدّينِ ورجال الحكمِ الاسلاميِّ الملتزمين، اَن يَقوموا بهذا الواجبِ بصورة جذريَّةٍ وجدِّيَّةٍ لاتَقبَلُ البدلَ ولا تَرضىٰ بالفتور؛ نعم، عليهم اَن يكونوا قوّامين بالقسط، غيرَ مُقارّين على كِظّاتِ الظّالمين وسُغوبِ المظلومين، حتى يَتَأَسّىٰ بهم سائر النّاس، فيُصبحَ المجتمعُ مجتمعاً قوّاماً بالقسط، شاهداً للّه ـ تعالى شأنُه .

ايقاظ هامّ (٧)

القرآن، كلّه لابعضه

لقد مَرَّت في اُولَياتِ هذه النّظرةِ هذه التّعبيرة : «فَقاهةٍ قرآنيّة»، فجئنا للفَقاهةِ الاسلاميَّة بتلك المواصَفَة . والآن نوضِحُ مرادَنا منها، لالفاتِ الانظارِ الى امرٍ هامٍّ ـ ربما صارَ مغفولاً ـ تَندَمِجُ هي عليه . وما هو الاّ التّأكيدُ على أنَّ «الفَقاهةَ الاسلاميّة»، اذا شاءَت اَن تَتَجاوَزَ الاُطُرَ الفرديّةَ وما يُضاهيها ويَقتَرِبُ منها، وتَصنَعَ المجتمعَ الانسانيَّ العامَّ بجميع ابعادِه ـ

بصورةٍ لائقةٍ مُتَجاوِبَة ـ وتَتَغَلْغَلَ في الاوساطِ المختلفةِ والجماهيرِ البشريَّةِ المتنوّعةِ في مختلفِ المناطقِ والبلاد والجنسيّات، فعليها اَن تَستَنِدَ الى كلِّ آياتِ القرآن (او الاكثريّةِ الغالبةِ منها، بما فيها ما يُحيي النّاسَ من شتّى المَناحي البنّاءَة للحياةِ الانسانيّة) وتَجعَلَها ملحوظةً فيما تَستَنبِطُه منها وتُفتي به، تأشيراً، او تأكيداً، او فتحَ افقٍ، او رَسمَ خُطّةٍ، او تأسيسَ اصلٍ وقاعدة، وما الى ذلك؛ اذ الكتابُ السّماويُّ بكلِّه (وبجميعِ اشاراتِه وقِصَصِه و اتِّجاهاتِه، وما فيها من الحكمةِ التّجسيديّةِ والتّوجيهِ الفرديِّ والاجتماعيّ، والاخلاقيِّ والاقتصاديّ، والتّنظيميِّ والدِّفاعيّ و ..) هدًى للنّاس، ويَهدي للّتي هي أقوَم، لا ببعضِه المُستَلِّ منه، المفصولِ من كلِّه ـ في مواضَعَةٍ اصطلاحيَّة ـ كالآياتِ الاحكاميّةِ المصطلحة، الّتي لا تَعدُو خمسَ مِئةِ (٥٠٠) آيةٍ، من بين ما يَزيدُ على ستّةِ آلاف (٦٠٠٠) آية، اي بنسبةِ الجزءِ الى اثني عشرَ جزءاً بل ثلاثة عشرَ جزءاً.[١]

وهذا الاتّجاهُ لتوسيعِ دائرةِ الفقهِ الإسلاميّ، ولبسطِه على جميعِ المسائلِ المستحدَثةِ والقضايا الحديثةِ والمتطوِّرة[٢]، دليلٌ على اعتقادٍ عظيمٍ بحقِّ هذا الفقهِ ومصادرِه الغنيّةِ الغزيرة، وعقليّةِ الفقهاء المسلمين النّاضجةِ وانتباهِهِمُ الواعي.

ومن اللّاحبِ لدى النّابهين، هو أنّ الفقهَ الإسلاميَّ يجبُ عليه، أن لا تَبقى هناك مسألةٌ واحدةٌ (في آفاقِ الحياةِ البشريّة، وأواصِرِها المستجِدّة، وصلاتِها المتشابكةِ والوسيعة، في كلِّ ما تَنطَوي عليه تلك الحياة)، إلّا وله عليها إجابةٌ حاضرةٌ راقية، تَلتَحِمُ مع أحوالِ الإنسانِ الحديث، وتَخضَعُ لناموسِ التّجسيدِهنا و هناك، من غيرِ أيِّ تخلُّفٍ أو إهمال؛ فإلى الملتقى القرآنيّ :

---

١ ـ كما اشرنا اليه في النّظرةِ الى الباب ٨، الفقرة ٤، فلاحظ الجزءَ الثّاني.

٢ ـ يعني : «الحوادثَ الواقعة»، في لسانِ «الأخبار».

اِنّنا نُشاهِدُ اَنَّ القرآنَ الكريم يُؤَكِّدُ على قيامِ النّاسِ بالقسط، بشكلٍ يَسترعي الانظار، حيثُ يَجعَلُه غايةَ وضعِ الدّينِ وتشريعِه وارسالِ النّبيّين وانزالِ الكتب السّماويَّة.

وكذلك نُشاهِدُه يُنافِحُ التَّكاثرَ ويُكافِحُ التَّرَف، اشدَّ مُنافَحَةٍ وكِفاح، ويَعُدُّهما سبباً للفسقِ والفجورِ والدَّمار والسُّقوط .. : «واِذا اَرَدْنا اَن نُهْلِكَ قريةً، اَمَرْنا مُتْرَفيها، فَفَسَقُوا فيها، فحَقَّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تدميراً»[1].

وكذلك يُجابِهُ الإسرافَ ويُحارِبُ البَذَخَ الاستهلاكيَّ، ويَرى المسرفين من اصحابِ النّار،[2] ويَجعَلُ فرعونَ من عِدادِهم،[3] ويَعُدُّهم من الّذين اَهْلَكَهُمُ اللّهُ في الدُّنيا،[4] فسَقَطَ مجتمعُهم وحكمُهم وعزُّهم، ويُحَذِّرُ من قبولِهم واتِّباعِ خُطَّتِهم، ويَقولُ بصددِهم: «ولا تُطيعُوا امرَ المُسرفين * الّذين يُفسِدُون في الارضِ ولا يُصلِحُون»[5]. فيُعَرِّف بهم بوصفِهم «مفسدين في الارض»، لا يَجْنَحُون الى صلاحٍ او التزام.

ابعدَ هذا الموقفِ القرآنيِّ الحاسمِ والمُوَجِّه، في المسائلِ الهامّةِ المصيريّةِ المذكورة، وما وَرَدَ بشأنِها من الاحاديثِ والاخبار، من النّبيِّ «ص» والاوصياء «ع»، يكونُ عكسَ التّوقُّعِ او عكسَ الاَنظِمَةِ والقواعدِ، اَن نُطالِبَ الفقاهةَ الاسلاميّة ـ العزيزة، الحكيمة، الملتزمة ـ بأَن لا تُهْمِلَ الدّاهيتين (التّكاثرَ والفقرَ وما يَستَتبِعانه من التَّرَفِ و **العُدْم**)، في كتبها وابوابها، تخليصاً للاُمّةِ من اضرارِهما السّاحقة، واَن تَزيدَ على كُتُبِها:

ـ كتاباً خاصّاً بالعدلِ والقسط (العدالةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ

---

١ ـ سورة الإسراء (١٧) : ١٦.

٢ ـ سورة غافر (٤٠) : ٤٣.

٣ ـ سورة يونس (١٠) : ٨٣؛ سورة الدُّخان (٤٤) : ٣١.

٤ ـ سورة الانبياء (٢١) : ٩.

٥ ـ سورة الشّعراء (٢٦) : ١٥١ ـ ١٥٢.

والمعيشيّة) واحكامِهما وطُرُقِ اقامتِهما، اذِ «العدلُ حياة»[1]، فلاحياةَ فعليّةً للدّينِ والمجتمعِ بدونِ العدل؛ وهو «رأسُ الايمان»[2]، و«قَوامٌ للانام»[3]، و «الرّعيّةُ لا يُصلِحُها الاّ العدل»[4]. و

ـ كتاباً خاصّاً بالتّكاثرِ والاتراف، لا ستفراغِ الوُسْعِ واستيفاءِ البحثِ عنهما فيه، ورفضِهما بصورةٍ قاطعةٍ قرآنيّة، وحُكميَّةٍ لا اخلاقيَّة، اذ لا يُصنَعُ المجتمعُ ـ بما فيه من النّفوسِ الكثيرةِ والمختلفةِ في الطّبائعِ والنّزَعاتِ ـ بمجرّدِ الحكمِ الاخلاقيّ، فإنَّ هناك افراداً كثيرين وخصوصاً في الاغنياء المُترَفين والمُسرفين، من لا يَخضَعُ للوعظ ولا يَركَنُ الى العملِ الخُلُقيِّ؛ ولذلك اَنزَلَ اللّهُ الحديد، وجاءَت في الشّريعةِ الحدودُ والقصاص، وقالوا: «لا يُقيمُ النّاسَ الاّ السّيف»[5]، نعَم، لايُتاحُ كَبْحُ جِماحِ النُّفوسِ المُترَفةِ الطّاغيةِ ورَدِّها الى حدِّها وحقِّها الاّ بالقوَّةِ والقانونِ والتّجسيد. و

ـ كتاباً خاصّاً باستيفاءِ حقوقِ الجماهيرِ المُعذَّبة، و المُمتَصَّة، والمُستغَلَّة، والمضطَهَدة، والمسلوبةِ الحقوق، والمسروقةِ الارزاق، والمرضوضةِ العِظام، و المهدورةِ الكَرامات.. واخراجِها من حلقومِ الاثرياءِ المستكبرين، المُنغَمِسين في الوانِ التّرَفِ والسَّرَفِ والبَذَخِ والرِّفاهِ والنَّعيم، كأَنَّ الدُّنيا خُلِقَت لهم ولا لغيرِهم؛ حتى يَتَسنّىٰ بذلك تجسيدُ القسطِ القرآنيِّ في واقعِ حياةِ النّاس. ولا سبيلَ الى ذلك الاّ بالاِفتاءِ والحكمِ والقوّةِ والحديد. ولقد سَلَكَتِ الفَقاهةُ هذه السّبيل في كتابِ الحدودِ والقصاص (ولكم في القصاصِ حَياةٌ)[6]، فَلْتَسْلُكْها في سبيلِ احقاقِ حقوقِ المظلومين والمحرومين، اذ في احقاقِ الحقِّ ايضاً

---

١ و ٢ و ٣ و ٤ ـ راجع: الفصل ٤٦ و ٤٧، من الباب ١٢.

٥ ـ الوسائل ١١ / ٥، من حديثِ النّبيّ «ص».

٦ ـ سورة البقرة (٢): ١٧٩.

حياة، كما يَقولُ مولانا اميرُ المؤمنين «ع» : «العدلُ حياة».

ففي هذا الضّوء، فلْتَكُنِ الموضوعاتُ الحياتيَّةُ الهامّةُ المذكورةُ مُتَمَتِّعةً ايضاً، من الحَسْمِ الفقهيِّ الّذي نَعهَدُه في الحدودِ والقصاص، حتى تُطَبَّقَ غاياةُ الدّينِ السّماويِّ الحنيف.

اجَلْ، فنحن كلّما جئنا بهذه المواصَفَة (القرآنيّة، القرآنيّ)، انّما نَقصُدُ بها ايقاظَ البصائر وحملَها على الاستلهامِ من آياتِ القرآن كلِّها ـ ما تَيَسَّرَ الاستلهام ـ والاستيحاءِ التّامِّ ممّا جاء فيه من بيِّناتٍ من الهُدى والفرقان.

ونحن على يقين، من اَنَّ القيامَ بهذا العِبْءِ، يعني زيادةَ كتبٍ كالمذكوراتِ على الكتبِ الفقهيَّةِ الموجودة، امرٌ صعبٌ باهظ، حيث يَتَطَلَّبُ عملاً دَؤُوباً واِكباباً مستمرّاً ومثابَرَةً جبّارة، من الرّجوعِ الى الآياتِ والاحاديثِ وجمعِها واستيعابِها،[1] ثم تدوينِها وتنسيقِها على نَضَدٍ فقهيٍّ رصين، واِعمال القواعدِ الاجتهاديّةِ فيها، من الفقهيّةِ والاصوليّةِ اللّفظيَّةِ والعمليَّة والرّجاليّةِ واللّغويّةِ وما اليها من الدّراسةِ والفحصِ والتّحقيقِ والعرض، غيرَ أنَّ هـذا واجبٌ هامٌّ باقٍ على الارض، لم تُمَدَّ اليه يدُ الفقهاء لحدِّ الآن ـ على صورةٍ جديرة ـ ولا يَسُدُّ فَراغَه ايُّ شيءٍ، ولا يَخفىٰ ضررُ خلوِّ فقهِنا من الاجتهادِ في هذه الموضوعاتِ وما يَتَّصِلُ بها على النّابهين. ويَشتَدُّ وضوحُ هذا الضّررِ العظيمِ ويَشتَدُّ، لكلِّ حكمٍ او مجتمعٍ او تقنينٍ يَتَبَنَّى الاسلاميّةَ ويَرىٰ نفسَه مُنتَمِياً الى الاسلام.[2]

فعلى هذا، هل يَسَعُ الفقهاءَ النّابهين ان يَدَعوا هذا الجانب فارغاً،

---

١ ـ ولعلّ هذين البابين، من كتاب «الحيـاة»، قد خَطَيا خطوةً في هذا السّبيل، فيكونـا عوناً للقاصدين.

٢ ـ وهناك كلام عن هذا الموضوع، وابواب وكتب اخرى اشرنا اليها، في النّظرةِ الى الفصل ٢٥، من هذا الباب، فراجعها ايضاً، حتى تَكتَمِلَ الدّراسةُ نسبيّاً

ويشتغلوا بتأليف دوراتٍ في الفقه، بصورةٍ مكرّرة ـ من نقلِ الآراءِ والاستدلالات ـ وبشكلِ تقليدٍ مصبوبٍ في قالبِ الاجتهاد، مع وجود عشرات من الكتب الفقهيَّةِ المطوّلةِ والمتوسّطةِ والمختصرة، التّحقيقيَّةِ او التّتبُعيَّة .. من الّتي أُلِّفَت بيدِ اكابرِ الفقهاء ولم تَدَعْ حاجةً الى تأليف دورة جديدةٍ على الاسلوبِ المعهود .

واذا كان هناك فقيهٌ ضليع، يَرىٰ اَنّ له بعضَ آراءٍ او تحقيقاً له اهميّةُ التّسجيلِ والانتشار، فعليه اَن يَكتُبَها في كرّاسٍ او رسالة، لتُطبَعَ وتَصِلَ الى ايدي الطّالبين، ويَتَحَفَّظَ باوقاتِه واوقاتِ المشتغلين واموالِ المسلمين عن البسطِ الزّائدِ والعملِ المكرّر .

وعلى امثالِ هذا الفقيه، اَن يَتَوَفَّرَ بدورِه على سدِّ هذا الفراغ، بكتابةِ فصولٍ ومقالاتٍ ورسائل، في تلكم الموضوعاتِ الحيّةِ الحياتيّةِ الّتي تَحتاجُ اليها الاُمّةُ الاسلاميّةُ، احتياجَها الى امسّ شيءٍ ببقائها وعزِّها وسلامةِ صلاتِها ونجاةِ شبابها ..

وانَّ العاملَ على تجسيدِ هذه الغايةِ الاسلامية، لا يَرجِعُ الّا ناجحاً، بفضلِ غنى الفقهِ الاسلاميِّ و غزارةِ مصادرِه، وما يُمَدُّ به العاملون الصّادقون من التّوفيق .

ولنا اَملٌ وطيد، في اَن يَقومَ بهذه المهمّةِ المصيريَّةِ وانجازِها، ذوو الهمَّةِ القعساءِ، والعقلِ الواعي، والغيرةِ الدّينيَّة، والحَنانِ الانسانيّ، والافقِ المُتَفَتِّح، والرّساليَّةِ النّابهة، من شبابِ علماءِ الحوزاتِ العلميّةِ وطلّابِ الفقهِ الاسلاميِّ النّاشطين، ان شاءاللّهُ تعالى .

ايقاظ هامّ (٨)

النّضال ضدَّ الجوع

الكتـــاب

١ .. فكُلُوا مِنها، واَطْعِمُوا البائسَ الفقير *[١]

٢ .. فكُلُوا مِنها، واَطْعِمُوا القانعَ والمُعْتَرّ .. *[٢]

٣ او اِطعامٌ في يومٍ ذي مَسْغَبَة * يتيماً ذا مَقْرَبَة * او مسكيناً ذا مَتربَة *[٣]

٤ .. وعلى الَّذينَ يُطيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مسكين ..[٤]

٥ لا يُؤاخِذُكُم اللّهُ باللَّغوِ في اَيمانِكُم، ولكن يُؤاخِذُكُم بما عَقَّدْتُمُ الأيْمانَ، فكفّارتُه اطعامُ عَشَرَةِ مساكين، مِن اَوسطِ ما تُطعِمُون اَهليكُم ..[٥]

٦ .. فمَن لم يَستَطِعْ فاِطعامُ ستِّينَ مسكيناً ..[٦]

٧ ويُطعِمُونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مسكيناً ويتيماً واسيراً *[٧]

٨ ولا يَحُضُّ على طعامِ المسكين *[٨]

٩ ولا تَحاضُّون على طعامِ المسكين *[٩]

١٠ ما سَلَكَكُم في سَقَر؟ * قالوا : لم نَكُ من المصلِّين * ولم نَكُ نُطْعِمُ المسكين *[١٠]

هذه عدّةٌ من الآياتِ السّماويَّة، ذاتِ ألوانٍ من التّعبير، تَستَحِثُّ النّاسَ على مكافَحَةِ الجوعِ بالنّسبةِ الى الوضعِ القائم البتَّة، لا الوضعِ

---

١ و ٢ ـ سورة الحج (٢٢) : ٢٨ و ٣٦.

٣ ـ سورة البلد (٩٠) : ١٤ ـ ١٦.

٤ ـ سورة البقرة (٢) : ١٨٤.

٥ ـ سورة المائدة (٥) : ٨٩.

٦ ـ سورة المجادلة (٥٨) : ٤.

٧ ـ سورة الانسان (٧٦) : ٨.

٨ ـ سورة الحاقّة (٦٩) : ٣٦؛ سورة الماعون (١٠٧) : ٣.

٩ ـ سورة الفجر (٨٩) : ١٨.

١٠ ـ سورة المُدَّثِّر (٧٤) : ٤٢ ـ ٤٤.

المطلوب .[1] اَضِف اليها آياتٍ جاءت بصددِ الزّكاةِ والانفاق، من الوافرِ الكثير .

والّذي يُهِمُّ الباحثَ هنا، هو اَن يَعِيَ اَنَّ القرآنَ كيف يَهتَمُّ بمشكلةِ الجوعِ الانسانيّة، ويَدعُو الى كِفاحِها في صُلبِ بلاغِه المبينِ و اتّجاهِهِ المُحْيي، ويَجْعَلُها غرضاً من اغراضِه التّغييريَّةِ البنّاءَة .

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : ليس بمؤمنٍ مَن باتَ شبعانَ وجارُه جائعاً .[2]

٢ النبـــي «ص» : مِن افضلِ الاعمالِ عندَاللّهِ، اِبْرادُ الاكبادِ[3] الحارّة، واِشباعُ الاكبادِ[4] الجائعة . والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِه، لا يُؤمِنُ بي عبدٌ يَبيتُ شَبْعانَ واخوه (او قال : جارُه) المسلمُ جائع .[5]

٣ النبـــي «ص» : اِنَّ اَهْوَنَ اهلِ النّارِ عذاباً، ابنُ جَدْعان . فقيل : يا رسولَ الله! وما بالُ ابنِ جَدعانَ اَهْوَنَ ا هلِ النّارِ عذاباً؟ قال : اِنَّه كانَ يُطْعِمُ الطّعام .[6]

٤ النبـــي «ص» ـ اَخَذَ رجلٌ بلجامِ دابَّةِ رسولِ الله «ص» فقال : يا رسولَ الله! ايُّ الاعمالِ افضل؟ فقال : اِطعامُ الطّعام، واِطْيابُ الكلام .[7]

---

١ ـ لانّ في الوضعِ المطلوب، الّذي يَهدِفُ اليه الإسلام، لا يُوجَدُ جائع .

٢ ـ مكارم الاخلاق / ١٥٧.

٣ و ٤ ـ جاء في المصدر «الكباد» في الموضعين، وهو من سهوِ النّاسخين .

٥ ـ سفينة البحار ١ / ١٩٦.

٦ و ٧ ـ سفينة البحار ٢ / ٨٣ ـ ٨٤.

٥ الامام علي «ع» ـ فيما كَتَبَه الى قُثَمِ بنِ العبّاس، وهو عاملُه على مكّة : .. وانْظُرْ الى مَا اجْتَمَعَ عندَك من مالِ اللّهِ فَاصْرِفْهُ الى مَن قِبَلَك، من ذوي العِيالِ والمَجاعة، مصيباً به مواضعَ الفاقةِ والخَلّات . وما فَضَلَ عن ذلك فَاحْمِلْه الينا لِنَقْسِمَه فيمن قِبَلَنا .[١]

٦ الامام الحسين «ع» : .. تكونُ الصَّنيعةُ مثلَ وابلِ المطر، تُصيبُ البَرَّ والفاجر .[٢]

٧ الامام السجاد «ع» : من اَطعَمَ مؤمناً من جوعٍ ، اَطعَمَه اللّهُ من ثِمارِ الجنّة ..[٣]

٨ الامام الصادق «ع» : اَكْلَةٌ يَأكُلُها اخي المسلمُ عندي، احبُّ اليَّ من اَن اَعتِقَ رقبة .[٤]

٩ الامام الصادق «ع» ـ من وصاياه للثِّقةِ الجليل، عبداللّهِ بنِ جُنْدَبِ الكوفي : يا ابنَ جُندَب! قالَ اللّهُ جلَّ وعزّ في بعضِ ما اوحىٰ : «اِنَّما اَقبَلُ الصّلاةَ ممّن يَتواضَعُ لعظمتي، ويَكُفُّ نفسَه عن الشّهواتِ من اَجْلي، ويَقطَعُ نهارَه بذِكْري، ولا يَتَعَظَّمُ على خلقي، ويُطْعِمُ الجائع، ويَكسُو العاري، ويَرحَمُ المُصاب، ويُؤْوي الغريب؛ فذلك يَشرُقُ نورُه مثلَ الشّمس، اَجعَلُ له في الظّلمةِ نوراً».[٥]

جَعَلَ اللّهُ ـ تبارك وتعالى ـ في هذا الكلامِ الّذي نَقَلَهُ الامامُ الصّادق «ع»، «اِطعامَ الجائعِ» من شروطِ قبولِ الصّلاة، فلاحِظْ الاهميّة.

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠٦٢ ـ ١٠٦٣؛ عبده ٣ / ١٤٠.

٢ ـ تحف العقول / ١٧٦ . ومن اللّاحب اَنَّ اطعامَ الجائع من افضل مصاديق «الصّنيعة».

٣ و ٤ ـ الكافي ٣ / ٢٨٨ و ٢٩٠.

٥ ـ تحف العقول / ٢٢٦ .

١٠ الامام الصادق «ع» : من اَطْعَمَ ثلاثةً من المسلمين، غَفَرَ اللّهُ له .[١]

اِنَّ مشكلةَ الجوعِ والنِّضال ضدَّها، موضوعٌ مهمٌّ جدّاً، في تاريخِ الانسانِ المحروم، غيرَ اَنّه من المُؤسِفِ اَنَّ المفكِّرين والمصلحين لم يَهتَمُّوا بها في مستوًى مناسب .[٢] امّا الاسلام، فقد عَمَدَ اليها وَاسْتَهْدَفَ اجْتِثاثَ جُذورِها من اَقدَمِ ايّامِه؛ يومَ سَلَبَ الايمانَ عمّن باتَ شَبْعانَ وجارُه جائعاً،[٣] ووَسَّعَ حدَّ الجوارِ الى «اربعين داراً» من «اربعةِ جوانب»، وقال عن اهلِ قريةٍ يَبيتُ فيهم جائع : «لا يَنظُرُ اللّهُ اليهم يومَ القيامة»[٤].

وكان اولياءُ الاسلام يَحمِلُون الارزاقَ بشخصِهم الى بيوتِ الجائعين، فيُطعِمُونهم ويُشبِعُونهم . ولعلَّنا لا نَحتاجُ هنا الى ذكر نَماذِجَ لهذا الموضوع، حيث اِنَّ كثيراً من التّعاليمِ الاسلاميّة ـ القرآنيّة والحديثيّة ـ في المؤاساةِ والانفاقِ وما الى ذلك، يَستَهدِفُ ـ فيما يَستَهدِف ـ سدَّ خَلّاتِ المعدِمين واِشباعِ بطونِ الجائعين . وفصولُ هذين البابين مشحونةٌ بذكرِها .

والفقهُ الاسلاميُّ ايضاً قدِ اتَّخَذَ بالنسّبةِ الى المسألةِ موقفاً حاسماً، حيث اَفْتَى الفقهاءُ هكذا : «لو وَجَدَ طعامَ الغير، فاِن كان صاحبُه مضطرّاً فهو اولىٰ . ولو كان يَخافُ الاضطرارَ فالمضطرُّ اولىٰ . فاِن لم يكُن له ثَمنٌ وَجَبَ على المالكِ بذلُه . فاِن مَنَعَه، غَصَبَه . فان دَفَعَه جازَ قتلُ المالكِ في الدّفع ..»[٥]

---

١ ـ سفينة البحار ٢ / ٨٣؛ راجع ايضاً : الاحاديثَ الّتي مَرَّت في الفصلِ ٤٧، وفصولٍ اُخرىٰ تُناسِبُ الموضوع .

٢ ـ لقد اقدم احدُ الانسانيّين النّابهين على طرح المسألة بالتّحقيقِ والكتابةِ، في الخمسين سنة الاخيرة تقريباً . وهو مشكورٌ على اقدامه .

٣ ـ راجع : الفصل ٤٧، من هذا الباب .

٤ ـ الكافي ٢ / ٦٦٨.

٥ ـ المبسوط ٦ / ٢٨٦؛ راجع لعدّةٍ اخرى من المصادر : الفصل ٤٤، من هذا الباب، النّظرةَ اليه .

ولقدِ انْعَكَسَ موضوعُنا على الادبِ الاسلاميِّ الشّيعيِّ ايضاً؛ بصورةٍ لائقة، فلقد قال شاعرُ الها شميّات، الكُمَيتُ بنُ زيدٍ الاسديّ (-م: ١٢٦ هـ.ق)، في العينيَّةِ منها، هذه القولةَ الرَّنّانة:

فقُلْ لبني اُميَّةَ حيثُ حَلُّوا
وإن خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطيعا :

اَجاعَ اللّهُ مَن اَشْبَعْتُموهُ
واَشْبَعَ مَن بجورِكُمُ اُجيعا[1]

فهو بهذا الاسلوبِ الجسورِ المُغري، يَطرَحُ مسألةَ الجوع، ويَضَعُ الاصبعَ على المسؤولين الاصليّين في زمانِه،ويُومي الى اَنَّ جوعَ الجائعين تابعٌ لشِبَعِ المُشبَعين والمتخومين . ويُوقِظُ الافكارَ حتى تكونَ المسألةُ عالقةً بذاكرةِ المجتمع لطلبِ التّغييرِ لَها وازاحتِها عن حياةِ المُضطَهَدين .

ويقولُ ايضاً في القصيدة:

بمرضيِّ السياسةِ هاشميٍّ
يكون حَياً لأُمّتِه ربيعاً

ولَيثاً في المَشاهدِ غير نِكْسٍ
لتقويمِ البَريّةِ مستطيعاً

يُقيم أُمورَها ويَذُبُّ عنها
ويَترُكُ جَدْبَها أبَداً مَريعاً

---

١ ـ الغدير ٢ / ١٨٠ ـ ١٨١.

فيَرَى الحاكمَ الإسلاميَّ الحقّ، حياً للأمّةِ ومطراً يُحيي الأرضَ والنّاس، ورَبيعاً يَغدَودِقُ أمطارُه فتُوَفِّرَ الخِصبَ والأرزاق، ومقتدراً يَستَطيعُ تقويمَ البَريّةِ عامّة، واقامةَ أُمورِها والذّبَّ عنها، ولا يَدَعُها محتاجةً جائعةً مُجدِبَة، بل يَجعَلُ جَدْبَها مَريعاً خَصيبا أبَداً، حتى لا يَبقى أثرٌ من الجوعِ والحاجةِ والإملاق.

ونَجِدُ دِعْبِلَ الخُزاعيَّ (ـ م: ٢٤٦ هـ . ق)، يَقولُ في «التّائيّـــة» :

هُمُ أهلُ ميراثِ النّبيِّ إذَا اعْتَزَوا
وهُم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ

مَطاعيمُ في الأعسارِ في كلِّ مَشهدٍ
لقد شُرِّفُوا بالفضلِ والبركاتِ[1]

وقبلَهما نَجِدُ الفَرَزْدَقَ[2] يقول في «الميميّـــةِ الخالدة» (الّتي مَدَحَ بها الإمامَ زينَ العابدين عليَّ بنَ الحسينِ السّجّاد «ع»، إشادةً بذكرِ الحقِّ وأهلِه، ودَعْماً لأُسُسِ الفضيلةِ والعدل، تِجاهَ جبابرةِ الشّام وطواغيتِ الأُمويّين) :

حَمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحُوا
حُلْوُ الشّمائلِ تَحْلُو عندَه نِعَمُ

عَمَّ البَريَّةَ بالإحسانِ فَانْقَشَعَتْ
عنها العَمايَةُ والإملاقُ والعُدُمُ

---

١ ـ الغدير ٢ / ٣٥٧؛ البحار ٤٩ / ٢٤٤ ـ ٢٥١ .

٢ ـ وهو أبو فِراس هَمّامُ بنُ غالبِ بنِ صَعْصَعَةِ التّميميّ (م ـ ١١٠ هـ.ق) .

فيَرى أنّ إمامَ المسلمين وزعيمَهم، هو الّذي يَحمِلُ أثقالَ المفدوحين ويَتَحَمَّلُها، ويُمِدُّهم بما يَحتاجون اليه لكَيلا تَجِدَ الحاجةُ في حياتِهم مسلكاً؛ ويَعُمُّ الجماهيرَ بالإحسانِ لكيلا يَبْهَظُهُمُ الإملاقُ والعُدْم، ولا تَمُدَّ إليهمُ العَمايةُ والضّلالُ أيَّةَ يد.

ولا يَبتَعِدُ عن الشّاعرِ القديم، من عاشَ في هذا القرن الاخير، فيقول عبدُ المهديّ مَطرُ الخَفاجيُّ:

ما سَرَّه أن يَرَى الدّنيا له ذَهَبُ
وفي البلادِ قلوبٌ شَفَّهَا السَّغَبُ

ولا تَضَجَّرُ أكبادٌ مُفَتَّتَةً
حتّى يَذُوبَ عليها قلبُه الحَدِبُ

إن يَسقُطِ الدَّمعُ من عَيْنَيْ مُوَلَّهَةٍ
أجابَهَا الدّمعُ من عَيْنَيْهِ يَنْسَكِبُ

تَهفُو حَشاهُ لأَنّاتِ اليتيم بلا
أُمٍّ تُناغي، ولا يَحنُو عليه أبُ

لا تَكْتَسي وفَتاةُ الحَيِّ عاريةٌ
ولا تَعُبُّ ومهضومُ الحَشا سَغِبُ

ولعلّ الفقاهةَ الاسلاميّةَ المعاصرةَ ايضاً، تُحِسُّ مسؤوليّةً عميقةً بالنّسبةِ الى مشكلةِ الجوعِ والنِّضالِ ضدَّها، لكيلا تَتَخلَّفَ عما قام به الاسلامُ في قرآنِه وحديثِه، وادبِه وفقهِه.

تنبيـــهات هامّة

١ ـ اِشباعُ الجائعين، اصلٌ وتعميم (١): يُرشدُنادلائلُ هامّة على حملِ الاخبارِ الواردةِ بصددِ اشباعِ الجائعين على العموم، وان ذُكِرَ في كثيرٍ منها المؤمنُ او المسلمُ والمسلمون. وإليك الاشارةَ الى عدّةٍ من الدّلائل:

ـ العمومات القرآنيَّةِ الواردةِ بصددِ العدلِ والاحسانِ والقسطِ والقيامِ به.

ـ العمومات الواردةِ بصددِ النّهيِ عن الظُّلمِ والاعتداء.

ـ ما وَرَدَ عن النبيِّ «ص» في الحَثِّ على الاحسانِ الى النّاسِ عامّة.

ـ قولِ النبيِّ «ص»: «ما من مسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً او يَزرَعُ زرعاً، فيأكُلَ منه انسانٌ اوطيرٌ او بهيمةٌ، الّا كانت له به صدقة».[١]

ـ ما وَرَدَ عن اميرِ المؤمنين «ع» في تعميمِ البرِّ والاحسان.

ـ كلامِه في اَنّ «لكلّ ذي رمقٍ قوت».[٢]

ـ كلامِه في العهدِ الاَشتَريِّ في لزومِ حبِّ النّاسِ عامّة واِشعارِ القلبِ الرّحمةَ لهم؛ وتعليلِه ذلك بقولِه: «اِمّا اَخٌ لك في الدّين، او نظيرٌ لك في الخلق».[٣]

ـ حديثِه بصددِ الرّجل النّصرانيّ وتموينِه.[٤]

ـ كلامِ الامام ابي عبدِاللّهِ الحسين «ع»: «تكون الصّنيعةُ مثلَ وابلِ المطر، تُصيبُ البَرَّ والفاجر»[٥].

---

١ ـ المستدرك ٢ / ٥٠١.

٢ ـ الكافي ٨ / ٢٣.

٣ ـ نهج البلاغة / ٩٩٣؛ عبده ٣ / ٩٣.

٤ ـ الوسائل ١١ / ٤٩.

٥ ـ تحف العقول / ١٧٦.

ـ اطلاقِ الحديثِ القدسيِّ، المنقولِ عن الامامِ الصّادق «ع».

ـ كلامِ الامامِ الصّادق «ع» «النّاسُ سَواءٌ كَاَسْنانِ المُشْط»[1].

ـ كلامِه في احتياج الناس طُرّاً الى الامنِ والعدلِ والخِصْب.[2]

ـ كلامِه في تعميم الاحسانِ والانصاف.[3]

ـ حديثِه مع المُعَلّى بنِ خُنَيْس.[4]

ـ الملاكِ المذكورِ في كلامِ الامام ابي الحسن عليِّ بن موسى الرّضا «ع» : «مه! اِنَّ الرّبَّ ـ تبارك وتعالى ـ واحد، والاَبَ واحد، والاُمَّ واحدة ..»[5]

٢ ـ اشباعُ الجائعين، اصلٌ وتعميم (٢) :لقد ورد في الدّعاء : «اللّهُمّ! اَشْبِعْ كلَّ جائع» . ومن الواضح اَنّ اشباع الجائعين لا يَقَعُ من اللّهِ بانزالِ الموائدِ من السّماء، لاَنّ الدّارَ دارُ الاسباب . فهو يَقَعُ بايدي المطعمين، بتوفيرِ اللّهِ وبركتِه في النّعم . وعمومُ «كلِّ جائع» واضح . فالغايةُ التي تَستَهدِفُها الاسلام للمجتمعِ الانسانيُّ، هو اشباعُ كلِّ جائعٍ يَعيشُ في الارض، بحيث لا يُصبِحُ ولا يُمسي فيها بطنٌ جائع .

٣ ـ اشباعُ الجائعين، صورٌ فاضلة :قد يَكتسِبُ هذا العملُ البارُّ فضيلةً رابيةً لجهاتٍ تُوجَدُ هناك، كاِطعامِ المؤمنِ الجائع، او العالم، او الطّالب، او المرابطِ ومن اليهم، ممَّن يَنفَعُون المجتمع بامكانيّاتِهمُ الرّوحيّةِ او المادِّيَّة، او يكونُ اِطعامُهم وتخليصُهم من مخالبِ الجوعِ وآلامِه وذُلِّه سبباً لتعزيزِ الحقِّ واهلِه ـ كما سنُشير اليه .

---

١ و ٢ و ٣ ـ تحف العقول / ٢٧١ و ٢٣٦ و ٢٣٥.

٤ ـ الوسائل ٦ / ٢٧٨.

٥ ـ الكافي ٨ / ٢٣٠.

٤ ـ اشباعُ الجائعين ودورُه في تحكيمِ الصّلاتِ الاجتماعيّة : إنَّ دعوةَ الجائعين الى موائدِ الطّعامِ وإجلاسَهم على السُّمُطِ لاَن يَأكُلُوا ويَشبَعوا، يَستَتبِعُ تَأَكُّدَ الصِّلاتِ بين افرادِ المجتمع، وتَوَفُّرَهم على اللِّقاءِ الاَخَويِّ، والاطلاعَ على احوالِ الآخرين، والاقترابَ منهم والتَّأَنُّسَ بهم، ممّا تَتَوَشَّجُ به الصِّلات، وتَتَهَذَّبُ به النُّفوس، و تَتَأَلَّفُ به القلوب، وتُقْلَعُ عنها جُذورُ التّسامي والكبر . ولذلك وَرَدَ في التّعاليم :

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : الطّعامُ اذا جَمَعَ اربعَ خِصالٍ فقد تَمَّ . اذا كان من حلالٍ ؛ وكَثُرَتِ الأيدي عليه؛ وسُمِّيَ اللّهُ ـ تبارك وتعالى ـ في اوّلِه؛ وحُمِدَ في آخرِه .[١]

٢ النبـــي «ص» : كُلُوا جميعاً ولا تَفَرَّقُوا، فإنّ البركةَ مع الجماعة .[٢]

٣ النبـــي «ص» ـ في بيانِ المقصودِ من «الكَنُود» في «سورةِ العاديات» : اتَدرُون مَنِ الكنود؟ قالوا : اللّهُ ورسولُه اعلم . قال : الكَنُود، الّذي يَأكُلُ وحدَه، ويَمنَعُ رِفْدَه، ويَضرِبُ عبدَه .[٣]

٤ الامام علي «ع» : اكثرُ الطّعامِ بركةً، ما كَثُرَت عليه الأيدي .[٤]

٥ الامام علي «ع» : اذا وُضِعَ الطَّعامُ وجاءَ السّائل، فلا تَرُدُّوه .[٥]

---

١ و ٢ ـ سفينة البحار ٢ / ٨٣.

٣ ـ مجمع البيان ١٠ / ٥٣٠.

٤ و ٥ ـ سفينة البحار ١ / ٢٥.

٥ ـ اِشباعُ الجائعين ودورُه في صيانةِ الكيانِ السّياسي :من اللّاحبِ اَنَّ الكيانَ السِّياسيَّ لايِّ بلدٍ او مدرسةٍ او دينٍ او نظام، لا يُتاحُ بقاؤُه وصيانتُه، الّا اذا كان اصحابُه مستولين على الامرِ بشكلٍ مُعترَفٍ به، قادرين على ادارةِ النّاسِ بصورةٍ صالحة؛ وذلك لا يُمكِنُ الّا اذا كانَ النّاسُ كلُّهم مُلْتَفِّين حولَ القاعدةِ الرّئيسيَّةِ لذلك الكِيان، غيرَ محرومين من حقوقِهم، غيرَ محتاجين الى اللُّجُوءِ الى غيرِها في امورِهم وحياتِهم .

ففي هذا الضّوء، اِنَّ حضورَ الجوعِ في افراد، هو الّذي يُشَتِّتُ النّاسَ ويَغْرِسُ في نفوسِهم روحَ اليأس، ويُلْجِئُ الجائعين الى الالتحاقِ الى هنا وهناك سدّاً لحاجةٍ ضروريَّةٍ كالجوع . وكفىٰ بذلك زَعْزَعَةً لتلك القاعدةِ الرّئيسيَّة، وسقوطاً للجائعين .

وهنا تعليمٌ عظيمٌ هامٌّ ورد عن الامامِ الصّادق «ع»، نَضَعُه تِجاهَ باصرةِ القارئ :

الحديــث

١ الامام الصادق «ع» : لَاِطْعامُ مؤمنٍ احبُّ اليّ من عتقِ عَشْرِ رِقابٍ وعَشْرِ حِجَجٍ . قال (نصرُ بنُ قابوس، راوي الحديث) : قلت : عَشرِ رقابٍ وعشرِ حِجَج؟ قال : فقال : يا نصر! اِن لم تُطْعِمُوه مات، او تُدْلُونَه فيَجيءَ الى ناصبٍ فيَسأَلَه . والموتُ خيرٌ له من مسألةِ ناصب . يا نصر! مَن اَحْيا مؤمناً فكانَّما اَحْيَا النّاسَ جميعاً ..[١]

---

١ ـ الكافي ٢ / ٢٠٤.

٦ ـ اشباعُ الجائعين، الواجبُ الكبير .. : تتجلّى من التّعاليمِ الاسلاميّةِ المذكورِ بعضُها، اَنّ ايصالَ الغِذاءِ الى الشُّعوبِ الّتي يَسحَقُها الجوعُ يُصبِحُ من اهمّ التّكاليفِ الّتي تقعُ على عاتقِ المسلمين . وذلك لاَنّ عاديةَ الجوع ربما تَجتَرُّ تلك الشّعوبَ الى الرّكونِ الى اَرضاخِ المُعَسكَرَين الغاشمين، الغربيّ والشرقيّ .

وذلك الرّكونُ يُؤدّي بالمسلمةِ منها الى الوَهْنِ في المعتَقَدِ والعمل، وبغيرِ المسلمةِ الى الاقترابِ الساحقِ منهما ـ كما هو واضح . فالمسلمون وعلماؤُهم واغنياؤُهم يجب ان لا يكونوا غافلين او متغافلين عن هذا الواجبِ العظيم .

٧ ـ اِشباعُ الجائعين ودورُه في بناءِ الانسانِ الخُلقيّ :لا يستريبُ ايُّ عاقلٍ في اَنَّ اهتمامَ الانسانِ بامورِ الآخرين وعدمَ صبرِه على معاناتِهمُ الأذىٰ والحاجةَ ولا سيّما الجوع، يَحكي عن انسانيّةٍ قويَّةٍ وحسٍّ مُرهَف والتزامٍ دينيّ . واذا اَرْدَفَ الانسانُ ذلك الحسَّ الانسانيِّ والالتزامَ الدّينيَّ بالاقدامِ والعملِ على سدِّ حاجةِ المحتاجِ وجوعةِ الجائع، فقد اعان على :

ـ تشحيذِ مَلَكات نفسِه الانسانيّة ؛

ـ بَلْوَرَةِ اخلاقِه الفاضلة ؛

ـ تحكيمِ مُعتَقَدِه التّوحيديّ؛ حيث لا يَخافُ الاقلالَ حينما يَأكُلُ الآخرون طعامَه، اتّكالاً على اللّهِ رازقِ الكلِّ وربِّ العالمين ؛

ـ اسداءِ خدمةٍ اقتصاديّة و .. الى المجتمعِ فيما امكنه من اشباعِ جائعٍ او جائعين ؛

ـ صيانةِ الجِياعِ المُطعَمين عن السّقوطِ والتّميُّع .

ولذلك قد حَثَّتِ التّعاليمُ على الأكلِ مع الجائعين وعلى اَن لا يأكلَ الانسانُ وحدَه، بل يُؤاكِلَ السّائرين :

الحديـــث

١ الامام علي «ع» ـ من وصاياه لكُميلِ بنِ زيادٍ النّخعيّ : يا كُميل!.. آكِلِ الطّعامَ ولا تَبخَلْ عليه، فإنَّكَ لَن تَرزُقَ النّاسَ شيئاً، واللّهُ يُجْزِلُ لك الثّوابَ بذلك .[١]

٨ ـ اِشباعُ الجائعين ودورُه في الكيانِ الدّينيّ :لقد اوردنا عن النّبيِّ الهادي «ص» قولَه : «.. فلولا الخُبزُ ما صَلَّينا ولا صُمْنا ولا اَدَّيْنا فرائضَ رَبِّنا».[٢] وقولَه : «.. إنّ الخبزَ مبارك، أرسَلَ اللّهُ عزَّوجلّ له السّماءَ مِدْراراً، وله أنبَتَ اللّهُ المَرعىٰ، وبه صَلَّيتُم، وبه صُمْتُم، وبه حَجَجْتُم بيتَ رَبِّكم».[٣]

وكلّ ذلك يَدُلُّ ـ سوى العقلِ والتّجربةِ الموضوعيّة ـ على اَنّ اقامةَ عمودِ الدّين ـ الصّلاة ـ وباقي الفرائضِ والشّرائع، انّما تَتَوَقَّفُ على عدم الجوعِ باصابة المادّةِ الغِذائيّة . فلاكيان للدّين في الجائعين، كما اَنّه لا كيانَ له في المتخومين والشِّباعِ الّذين يَبيت حولَهم وفي جوارِهم ـ بل وفي مصرِهم ـ جِياعٌ .

٩ ـ اشباعُ الجائعين واطعام الآخرين، مكارمُ وآداب :هناك آدابٌ كريمةٌ يجبُ اَن يراعيَها كلُّ من يَرومُ اَن يُنفِقَ على الجائعين ويُطعِمُ الآخرين :

الحديـــث

١ ـ تحف العقول / ١١٩ .

٢ ـ الكافي ٥ / ٧٣ و ٦ / ٢٨٧.

٣ ـ الكافي ٦ / ٣٠٣.

١ الامام علي «ع» : اَحْسِنْ عليه خُلْقَك، وابْسُطْ جليسَك، ولا تَتَّهِمْ خادمَك .[١]

٢ الامام علي «ع» : يا كُميل ! اذا اَكَلْتَ فطَوِّلْ اَكْلَك، لِيَسْتَوفِيَ مَن مَعَك، ويُرزَقَ منه غيرُك .[٢]

٣ الامام علي «ع» : يا كُميل ! اِذا اسْتَوفَيتَ طعامَك، فَاحْمَدِاللّهَ على ما رَزَقَك، وَارْفَع بذلك صوتَك يَحْمَدْهُ سِواك فيَعْظُمَ اجرُك .

يا كُميل ! لا تُوقِرَنَّ مِعدَتَك طعاماً، وَدَعْ فيها للماءِ موضعاً وللرّيحِ مجالاً . ولا تَرفَعْ يدَك من الطّعامِ الاّ وانت تَشتَهيه؛ فاِن فَعَلتَ ذلك فانت تَسْتَمْرِئُه، فاِنَّ صحَّةَ الجسمِ من قِلَّةِ الطّعامِ وقلَّةِ الماء .[٣]

١٠ ـ اشباع الجائعين، تجسيدٌ مستوعب : من اللاّزم اَن نَلفِتَ الانظارَ في ختامِ هذه التّنبيهاتِ الى امرٍ هامٍّ ـ دينيٍّ واخلاقيٍّ واجتماعيٍّ وتربويٍّ واقتصاديٍّ ـ وهو اَنّ اطعامَ الجائعين لا يُرادُ به الى الغايةِ ان يكونَ باشكالٍ فرديّةٍ او مرحليّةٍ محدودة، كاِطعامِ هذا الجائعِ او ذاك، او في هذا اليومِ او ذاك، او الاكتفاءِ باعطائه خبزَه اليوميّ، وما الى ذلك .. بل يجب اَن يُوجِدوا لذلك المقصدِ المجتمعيِّ الكبير، مواردَ رئيسيّةً ومستوعبةً وبرامجَ تجسيديّةً ذاتَ موادَّ مختلفةٍ وشاملة، ومواكبةٍ للموازين الاقتصاديّة العامّة، حتى تُزاحَ ظاهرةُ «الجوع»، من عرصاتِ الحياة .

---

١ ـ تحف العقول / ١١٩؛ و ١٧٢، من طبعة الغفّاري . وفي بعض النُّسخ : «ولا تَنْهَرَنَّ خادمَك» ـ وهو الانسب .

٢ و ٣ ـ تحف العقول / ١٢٠؛ و ١٧٢، من طبعةِ الغفّاري .

الفصلُ التّاسع والأربعون

مضاداة التّكاثر والفقر للقسط الاسلاميّ

الكتـــاب

١ لقد اَرْسَلْنا رُسُلَنا بالبَيِّناتِ واَنزَلْنا معهمُ الكتابَ والميزانَ، لِيَقُومَ النّاسُ بالقسط، واَنزَلْنا الحديدَ فيه بَأْسٌ شَديدٌ..[١]

الحديـــث

١ الامام علي «ع»: وما اَخَذَ اللّهُ على العلماء، اَن لا يُقارُّوا على كِظَّةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلوم..[٢]

٢ الامام الكاظم «ع»: اِنَّ اللّهَ لم يَتْرُكْ شيئاً من صنوفِ الاموالِ الّا وقد قَسَمه واَعطىٰ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، الخاصّةَ والعامّةَ والفقراءَ والمساكين،

---

١ ـ سورة الحديد (٥٧): ٢٥.

٢ ـ نهج البلاغة / ٥٢؛ عبده ١ / ٣٢.

وكلَّ صنفٍ من صنوفِ النّاس . فقال : لو عُدِلَ في النّاسِ لَاسْتَغْنَوا .
ثم قال : اِنَّ العدلَ اَحْلىٰ من العسل، ولا يَعدِلُ الاّ مَن يُحسِنُ العدل .[1]

---

١ ـ الكافي ١ / ٥٤٢ .

نظرة الى الفصـــل

لا حاجةَ بنا الى ان نُكْثِرَ في هذا الفصل من ايرادِ الآياتِ والاحاديث، بصورةٍ مبسوطة، بعدَما مَضىٰ ويأتي في غُضونِ الفصول. ومن الجليِّ انَّ القسطَ امرٌ لايَقُومُ النّاسُ به عفواً، من غيرِ حركةٍ تغييريَّةٍ وايجادِ تربةٍ صالحةٍ له، فلايَجِدُ في مجتمعٍ يَسُودُه التّكاثرُ ويَفْشُو في اَجوائِه الفقرُ سبيلاً الى التّجسيد. ولا فرقَ في الفقرِ بين ما يَكونُ منه مُعْلَناً وما يَكونُ غيرَ مُعْلَنٍ ـ وكلٌّ ذلك واضح. فالخُطوةُ الاولى لاقامةِ القسطِ في النّاس، هي ازاحةُ ما نَعَيه الكبيرين، وهما التّكاثرُ والفقر. ففي ضوءِ هذا الموضوع ـ وما اَوضحناه في فصولِ هذين البابين ـ يَتَبَلْوَرُ اَنَّ مضاداةَ التّكاثرِ والفقرِ للقسطِ الاسلاميِّ امرٌ جوهريٌّ جذريٌّ، لا امرٌ عرضيٌّ سطحيٌّ.

اِنّ الدّينَ الّذي يَدعُو الى:

١ ـ اَنَّ المالَ مالُ الله.

٢ ـ اَنَّ الاموالَ ودائعُ وعوارٍ.

٣ ـ اَنَّ الاموالَ قَوامٌ وقِيامٌ.

٤ ـ اَنَّ التّصرُّفاتِ في الاموالِ محدودةٌ (امتلاكاً واستهلاكاً).

٥ ـ اَنَّ بقاءَ المجتمعِ بالمال، اذا كان بيدِ المُختصِّين والمُلتزمين.

٦ ـ اَنَّ فناءَ المجتمعِ من المال، اذا كان بيد غيرِ المُختصِّين والمُلتزمين.

٧ ـ أنّ الدّراهمَ والدّنانيرَ مِصَحَّةٌ لشؤون الخلق.

٨ ـ أنّ الفقرَ سبيلُه سبيلُ التّسيُّب فالكفر.

٩ ـ اَنَّ السُّلُطاتِ الماليّةَ والاسترقاقَ الاقتصاديَّ مرفوضةٌ.

١٠ ـ اَنَّ الاموالَ يَجِبُ اَن لا تَكونَ دُولَةً بينَ الاغنياء..

١١ ـ اَنَّ المُؤَنَ المادِّيَّةَ لَها دَورٌ اساسيٌّ في اقامةِ الدّين، بِاغناءِ اهلِ الحاجةِ والمحرومين.

١٢ ـ اَنَّ الصّلاةَ والصومَ والحجَّ والجِهادَ والفرائضَ كلَّها، لاتُقامُ ولا تُؤَدّىٰ الابالخُبز (الغذاء).

١٣ ـ اَنّ الجوعَ يَجِبُ ان يُناضَلَ ضدَّه فيُزاح.

١٤ ـ اَنَّ الطّاغوتَ الاقتصاديَّ يُشجَب، واَنَّ قارونَ القومِ يَجِبُ اَن يُحارَبَ كما يُحارَبُ فرعونُهم.

١٥ ـ اَنَّ انفاقَ المالِ الفاضلِ اصلٌ.

١٦ ـ اَنَّ الإتْرافَ والاسرافَ مرفوضان.

١٧ ـ اَنَّ الرِّبا والاكتنازَ مردودان.

١٨ ـ اَنَّ التّقديرَ في المعيشةِ اصلٌ.

١٩ ـ اَنَّ الكُلَّ مُهَيَّأٌ للكلِّ.

٢٠ ـ اَنَّ المؤاساةَ اصل.

٢١ ـ أنّ المساواةَ مبدأ.

٢٢ ـ اَنَّ مستوى عيشِ الجماهير، مستَوًى مُوَحَّدٌ او متقارِبٌ.

٢٣ ـ اَنَّ الفقراءَ شُرَكاءُ في طيِّبِ اموالِ الاغنياء.

٢٤ ـ اَنَّ الاُخُوَّةَ الدّينيّةَ لها واقعٌ اقتصاديٌّ، واَنَّها لاتَتَحَقَّقُ الاّ بتجسيدِها في الصِّلاتِ المعيشيّةِ والاقتصاديّة.

٢٥ ـ اَنَّ المجتمعَ لا يُصلِحُهُ الاّ العدلُ.[1]

وما الى ذلك.. نَعم، اِنَّ هذا الدّينَ لايُمكِنُ اَن تكونَ اَيَّةُ ملائَمَةٍ بين نظامِه الماليِّ (القسط)، وبين فُشُوِّ التّكاثرِ في فئةٍ والمسكنةِ والفقرِ في

---

١ ـ لقد مَرَّت عدّةٌ صالحةٌ من آياتِ واحاديثِ هذه المواضيع، في الفصولِ الماضية، وتأتي عدّةٌ صالحةٌ اُخرى منها، في الفصلِ الباقي من هذا الباب، وفصولِ الباب الثّاني عشر.

فِئات . وقِسْ على ما اشَرنا اليه، تلك التّعاليمَ الّتي جاءَت فيه بصددِ شجبِ التّكاثر، في الفصولِ الّتي عَقَدْناها لذلك (من الفصلِ الثّامنِ الى الثّاني والعشرين، من هذا الباب)، والّتي جاءَت بصددِ رفضِ الفقر، في الفصولِ الّتي عَقَدْناها لذلك المقصد (من الفصل الثّلاثين الى التّاسعِ والثلاثين، من هذا الباب).

تنبيـــه

من الواجبِ على اَيِّ باحثٍ نابهٍ، اَن لا يَذهَبَ عليه اصلانِ هامّان جاءا في التّعليمِ الكاظميِّ (الحديث ٢)، اَلا وهما :

١ ـ مضاداةُ العدلِ للفقر، حيثُ قال : «لو عُدِلَ في النّاسِ لَاسْتَغْنَوا». وهذا ما مرّت الاشارةُ اليه سابقاً .

٢ ـ صلةُ العدلِ بتجسيدِه الصّحيحِ الحاسم، حيث قال : «ولا يَعدِلُ الّا مَن يُحسِنُ العدلَ» .

توضيحان

١ ـ جاءَت في عدَّةٍ من الآياتِ والاحاديثِ كلمتا «الفقراءِ» و«المساكين»، وربما يَظُنُّ الظّانُّون اَنَّ هذا تبريرٌ لوجودِ الفقرِ والمسكنةِ في المجتمعِ الاسلاميِّ، مع اَنَّ الواقعَ ليس كذلك ـ كما اشرنا اليه فيما مرّ ـ لَانَّ هذه الكلماتِ وامثالَها ترمي الى الواقعِ القائم، بما فيه الفقراءُ والمساكين، لا الواقعِ الاسلاميِّ المطلوب، فلاحظ . ولذلك يَصِفُ الامام عليٌّ «ع» الحكمَ الاسلاميَّ الصّحيح، بانَّه لا يُوجَدُ فيه فقيرٌ ولاعائلٌ[1] ـ

---

١ ـ الكافي ٨ / ٣٢؛ مستدرك نهج البلاغة / ٣١.

كما اشَرنا اليه فيما سلَف ايضاً .

٢ ـ اَنَّ ما جاءَ في التّعليمِ الكاظميّ، من اَنَّه : «لا يَعدِلُ الّا من يُحسِنُ العدلَ»، يُشيرُ الى اهميّةِ المتصدّين لِاجراءِ العدالةِ الاجتماعيّة وكيفيّةِ معرفتِهم بالعدلِ وتلقّيهم عنه وحَسْمِهم في تجسيدِه، فاِنَّ كلَّ ذلك من الاسبابِ الرّئيسيّةِ لقيامِ العدلِ في النّاسِ وقيامِ النّاسِ بالعدل . نَعم، لايَعْدِلُ الّا مَن يُحسِنُ العدل، ولا يُجَسِّدُ العدالةَ الّا من يَعرِفُها جيّداً ويُقيمُها حاسماً معتقداً، من غيرِ ايِّ تزلزلٍ او انحياز .

تذييـــل هامّ

تفسير الطّبقات بمقياس التّعاليم الاسلاميّة، وفي الانظمة التّكاثريّة .

اِنّ معنى الطَّبقيَّةِ والطّبقاتِ يَختلِفُ في المجتمعِ الانسانيِّ السّالم، والمجتمعِ التّكاثريِّ الزّائف . وبصورةٍ كلّيَّةٍ يُوجَدُ نوعان من الطَّبقيَّةِ في المجتمعاتِ الانسانيّة :

١ ـ الطَّبقيَّةُ الاقتصاديّة، حيثُ يُقسَمُ النّاسُ بها الى طبقاتٍ، على اساسِ الامتلاكِ وعدمِه، وبمقدارِ المالِ الّذي يَتَكَدَّسُ لديهم، فيَنْقَسِمُون، بصورةٍ عامّةٍ، الى طَبَقتَين :

(١) ـ مستكبرٌ ومتكاثر .

(٢) ـ مستضعفٌ وفقير .

وهذا القسمُ من الطَّبقيَّةِ يَختَصُّ النُّظُمَ التّكاثريَّةَ والرَّأسماليَّة .

٢ ـ الطَّبقيَّةُ المِهنيّة (الصِّنفيَّة)، حيث يُقسَمُ النّاسُ بها الى صنوفٍ . والاختلافُ بين النّاسِ في هذا القسمِ اِنَّما يَنشَأُ من اختلافِ المِهَنِ

والاَشغالِ ولونِ العمل الّذي يَتصدّى له الانسان، لامن الثَّروَةِ والمال.

وهذا القسمُ الاخيرُ من الطَّبقيَّةِ يَقومُ على ثلاثة اصول:

(١) ـ اختلافُ مواهبِ النّاسِ واستعدادتُهم واختيارُهُمُ المِهَنَ المختلفَة، الّذي يُوجِبُ ان تَتَنَوَّعَ الحِرَفُ والمِهَنُ والاشَغالُ الاجتماعيّة، الّتي يَتصدُّون لها، بصورةٍ طبيعيَّة.

(٢) ـ الحوائجُ والضَّروراتُ المتنوِّعة، اذ المجتمعُ الانسانيُّ يَحتاجُ الى اَلوانٍ من الحِرَفِ والمِهَنِ والصّناعاتِ المختلفَة، من الّتي لايَمضى امرُ المجتمعِ بدونِها ولا يَقُومُ الاّ بها.

(٣) ـ رعايةُ اصل «التّقارب» في الاستهلاكِ المعيشيِّ، لجميعِ اصحابِ المِهَنِ والاشغالِ المختلفة وعائلاتهم، من غيرِ اَن يكونَ المقياسُ مقدارَ دُخولِهم.

١ ـ تفسير الطّبقيّة في مفهومها الاسلاميّ

اِنَّ الواقعَ الّذي اَشَرنا اليه، يعني انقسامَ المجتمعِ الى طبقاتٍ بحسبِ المِهَنِ والاَشغال، هو المفهومُ الصّحيحُ للطّبقيّة. وهو الّذي يَقصُدُه الامام عليٌّ «ع» في كلامِه: «وَاعْلَم! أنَّ الرّعيّـةَ طبقات، لايَصلَحُ بعضُها الاّ ببعضٍ، ولاغنًى ببعضِها عن بعضٍ: فمنها جُنودُ الله، ومنها كُتّابُ العـامَّـةِ والخاصّة، ومنها قضاةُ العدل، ومنها عُمّالُ الانصافِ والرِّفق، ومنها اهل الجزيةِ والخَراج من اهلِ الذِّمَّةِ ومُسلِمةِ النّاس، ومنها التُّجار واهلُ الصّناعات، ومنها الطَّبَقَةُ السُّفلىٰ من ذوي الحاجة ..»[١]

وهذا التَّعبيرُ الّذي جاء في كلامِه «ع»: «لا يَصلَحُ بعضُها الاّ ببعضٍ»، يُؤكِّد على ضرورةِ وجودِ الطَّبقاتِ المختلفةِ الشُّغليَّةِ في

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٢ ـ ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ٩٩ ـ ١٠٠.

المجتمع، كما أُشير الى هذا الموضوعِ في احاديثَ أُخرى، منها قولُ الامامِ الصّادق «ع» : «النّاسُ لابُدَّ لبعضِهم من بعض»[1]. ولقد اَوضَحَ الامامُ عليٌّ «ع»، تلك الصِّلةَ الضَّروريَّةَ بين الاصنافِ والطَّبقاتِ الاجتماعيَّةِ ـ بالمعنى الّذي قُلناه ـ في مقاطعَ أُخرى من كلامِه حيثُ يَقولُ : «فالجنودُ ـ باذنِ اللّهِ ـ حُصُونُ الرَّعيَّة، وزينُ الوُلاة، وعزُّ الدِّين، وسُبُلُ الاَمن، وليس تَقومُ الرَّعيَّةُ الاّ بهم»[2]. فيُبَيِّنُ بذلك، الصِّلةَ الضَّروريَّةَ والحاجةَ القواميَّةَ الّتي تُوجَدُ بين المجتمعِ والقُوّاةِ الدِّفاعية . وانّ هذه التَّعابير : «حصونُ الرَّعيّة»، «زينُ الولاة»، «عزُّ الدّين» و «سُبُلُ الامن»، يُومي كلُّ واحدٍ منها الى فلسفةِ تلك الصِّلةِ وقواميَّتِها وضرورةِ تلك الحاجةِ واهميَّتِها . ثم يقـــولُ «ع» : «لا قوامَ للجُنودِ الاّ بما يُخرِجُ اللّهُ لهم من الخَراج ..»[3]، فيُشيرُ الى حاجةِ الجُندِ الاقتصاديَّةِ الى النّاس، اذا الجندُ واهلُه يَحتاجُون في معيشتِهم الى «الخَراجِ الّذي يَقْوَون به على جِهادِ عَدُوِّهم ، ويَعتَمِدُون عليه فيما يُصلِحُهُم ويَكونُ من وراءِ حاجتِهم»[4]. وبعدَ ذلك يَقولُ «ع» : «ثُمَ لاقوامَ لهذين الصّنفين الاّ بالصّنفِ الثّالث، من القُضاةِ والعُمّال والكُتّاب»[5]. وفي هذا المقطعِ من كلامِه يُعَبِّرُ بالصِّنفِ والصِّنفين، ممّا يُوضِحُ بجلاءٍ اَنَّ المقصودَ بالطَّبَقات، هي الطَّبَقاتُ الصّنفيّةُ والشُّغليَّة واصحابُ المِهَنِ المختلفة، وما يَجري فيهم من الحاجاتِ والصِّلاتِ المُتَشابِكة . فهذا التَّعليمُ العَلَويُّ يُفَسِّرُ الآيةَ القرآنيّةَ الّتي تَقولُ : «ورَفَعْنا بعضَهم فوقَ بعض درجاتٍ، لِيَتَّخِذَ بعضُهم بعضاً سُخْرِيّاً ..»[6]، حيث يَتَّضِـــحُ بذلك اَنَّ «رفعَ بعضِهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ»، و«اتّخاذَ بعضِهم بعضاً

---

١ ـ الوسائل ٨ / ٣٩٩.

٢ و ٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٤ و ٥ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٦ ـ سورة الزخرف (٤٣) : ٣٢.

سُخريّاً»، لا يَكونُ الاّ بحَسَبِ الأَشغالِ والمِهَنِ الاجتماعيَّةِ والحوائجِ الانسانيّة، الّتي هي من الضرَّوريِّ لتشكيلِ المجتمعِ وبنائِه وقوامِه وتنظيمِ اموره، ويَجِبُ اَن يَكونَ ذلك على اساسِ حدودٍ مشروعةٍ جدّاً، لا على اساسٍ استغلاليٍّ وطبقيٍّ بمعنا هما الزّائف.

والصِّنفان المذكوران (يعني الجندَ واهلَ الخَراج)، يَحتاجان الى صنفٍ ثالثٍ «من القُضاةِ والعُمّالِ والكُتّاب»، لماذا؟ «لما يُحكِمُون (يعني القُضاة) من المَعاقد، ويَجمَعُون (يعني العُمّال) من المنافع، ويُؤْتَمَنُون عليه (يعني الكُتّاب) من خواصِّ الامورِوعوامِّها».[1] ثم يَقولُ: «ولا قِوامَ لهم جميعاً الاّ بالتُّجّارِ و ذوي الصّناعاتِ فيما يَجتَمِعُون عليه من مَرافِقِهم، ويُقيمُونَه من اسواقِهم، ويَكْفُونَهم من التَّرَفُّقِ بايديهم ممّا لا يَبلُغُهُ رِفقُ غيرِهم»[2].

اِنَّ هذا التّعبير: « لاقِوامُ لهُم»، يُؤَكِّدُ اصلَ الحاجةِ المتشابكةِ بين الصُّنوفِ الاجتماعيّة وطبقاتِها المِهنِيَّة ـ كما مرّ. واِنَّ قولَه: «لاقِوامَ لهم جميعاً الاّ بالتُّجارِ وذوي الصِّناعات»، يُبَيِّنُ الحاجةَ الاجتماعيّةَ الهامّةَ في حياةِ كلِّ صنفٍ وفرد، الى نظامَي الانتاجِ والتّوزيع. وهذا الموضوع يَرمي الى دَعْمِ امرين:

(١) ـ اصالةُ الاقتصادِ واهميَّتُه.[3]

(٢) ـ ضرورةُ تأسيسِ نظامٍ اقتصاديٍّ سالم.

والنِّظامُ الاقتصاديُّ السّالم ـ في حَقْلَيِ الانتاجِ والتّوزيعِ ـ هو الّذي يَعمَلُ لقِوامِ المجتمعِ وحياتِه الاقتصاديّة، لا الّذي يَسحَقُ قِوامَه ويُدَمِّرُ حياتَه الاقتصاديَّة. وبعدَ ذلك كلِّه يُشيرُ الامامُ عليٌّ «ع» الى عَجَزَةِ المجتمعِ وضُعفائِه، فيَقولُ: «ثُمَّ الطَّبقةُ السُّفلىٰ من اهلِ الحاجةِ

---

١ و ٢ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

٣ ـ راجع: الفصل ٤٤، من هذا الباب.

والمسكنة، الّذين يَحِقُّ رِفْدُهم ومَعونَتُهم ..».[1] وليس المقصودُ بهذه الطّبقةِ طبقةً مستضعفةً محرومةً محكومةً كثيرةَ العدد، قد اَوجَدَها النِّظامُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ الزّائف، وفَرَضَ عليها الفقرَ والحرمانَ بالامتصاصِ والتّكاثر، لا، اِذ الطَّبقةُ بهذا المعنى لا يَعرِفُها الاسلامُ ولايَعتَرِفُ بها . ولِاَنْ نُسَلِّطَ الضَّوءَ على هذا الموضوعِ اكثرَ من ذي قبل، نُشيرُ الى مطلبين :

١ ـ اَنَّ الامام «ع» في هذا العهد ـ ولا سيَّما في اُولَياتِه ـ يَتَصدّى للتّعريفِ بطبيعةِ المجتمعِ الانسانيِّ ورسم واقعِه الطّبيعيّ . ويُبَيِّنُ بهذا الصّددِ الصُّنوفَ والطَّبقاتِ الّتي تُوجَدُ في المجتمعِ بصورةٍ طبيعيَّة، قبلَ اَن يَتَصَبَّغ بلـونٍ اقتصاديٍّ او تنظيميٍّ خاص .

٢ ـ اَنَّ التّقسيمَ الّذي يَتَصدَّى الامامُ لبيانِه، ناظرٌ الى الاَشغالِ المختلفةِ والى اصلِ التَّنوُّعِ في الاقسامِ الاجتماعيّة، ممّا يَنبَعُ بالضَّرورةِ من القُدَرِ والمواهبِ الانسانيَّةِ المختلفة . ومن الواضح اَنَّ المجتمعَ من هذه الجهةِ يَنقَسِمُ الى قسمين :

(١) ـ قسمٌ ذو استعدادٍ وقدرةٍ على العملِ والاستفادةِ من الادوات، مع ما فيه من الاختلافِ في درجاتِ هذه القدرةِ والاستفادة .

(٢) ـ قسمٌ فاقدٌ للاستعدادِ المذكورِ او القدرةِ المذكورة، لما فيه من نقصٍ بدنيٍّ او روحيٍّ، او عجزٍ او مرضٍ او عاهةٍ او احتمالِ صَدمةٍ وامثالِ ذلك . و من الواضح اَنَّ هذه الطَّبقَةَ قليلةُ العددِ جدّاً، واَنَّ حرمانَها مُسبَّبٌ عمّا ذُكِرَ لاعن فرضِ الفقرِ والحرمانِ عليها بسبب اقتصادٍ استغلاليٍّ تَفرضُهُ الظُّروف غيرُ الانسانيَّة وغيرُ الاسلاميَّة . وهذا القسمُ قد اشارَ اليه الامامُ ابوالحسن عليُّ بنُ موسى الرّضا «ع» في كلامِه في تعليلِ الزّكاة : «.. لِاَنَّ اللّهَ كَلَّفَ اهلَ الصِّحَّةِ القيامَ بشأنِ اهلِ الزَّمانةِ

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠.

والبَلوىٰ ..»[1].

فهذه التّعاليمُ تُفيدُ اَنّ في المجتمعِ افراداً كثيرين سالمين بُرَآءَ من النّقصِ والعاهات، قادرين على العملِ والمِهْنَةِ في اَلوانِها .. وافراداً قليلين معلولين ومصدومين من الّذين فَقَدُوا السَّلامةَ البدنيَّةَ او الرُّوحيَّة. فاَيْنَ هذه الطّبقيَّةُ المشار اليها في كلامِ الامامين، عليِّ بنِ ابي طالب «ع» و عليِّ بنِ موسى الرّضا «ع»، من الطَّبقاتِ البائسةِ والفقيرةِ الكثيرةِ والجماهيرِ المحرومةِ الّتي يَخلُقُها التَّكاثرُ والاستغلالُ ويَفرُضُ حضورَها في المجتمعات، باغتصابِ حقوقِها وارزاقِها.

ولقد تَصدَّى الامام عليٌّ «ع» لبيانِ مقصودِه من «الطّبقةِ السُّفلىٰ» بقولِه: «ثم الله! الله! في الطَّبقةِ السُّفلىٰ، من الّذين لا حيلةَ لهم، من المساكينِ والمحتاجين واهلِ البُؤْسى والزَّمْنىٰ ..»[2]. ومن البَيِّن اَن الطَّبقةَ بهذا المعنى والعدد، تُوجَدُ في جميعِ المجتمعاتِ بصورةٍ طبيعيّة ـ الغابرةِ منها والحاضرة ـ وسببُ وجود هذا النّوعِ من الافرادِ قد ذُكِرَ في كلامِ الامام في قولِه: «لا حيلةَ لهم»، يعني اهلَ العاهةِ اَو المرضِ او النّقصِ الطّبيعيِّ ممّا جَعَلَهُم غيرَ قادرين على التَّصدِّى للامور، وامتهانِ الحِرَف، وكسبِ المال.[3] وفي منطقِ الاسلامِ يَجِبُ اَن تُعاضَدَ تلك الطّبقةُ باداءِ

---

١ ـ عيون اخبار الرضا ٢ / ٨٩.

٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١١.

٣ ـ وللإمام علي «ع» كلامٌ آخر يُبيِّنُ مقصودَه من «الطّبقةِ السُّفلىٰ» بوضوح، ويَدُلُّ على اَنَّه اِلمامٌ بالموضوعيّةِ في المجتمعات، بقدرِها وحدودِها، لا اقرارٌ لتلك الطّبقيَّةِ المشؤومةِ الّتي اَوجَدَها ظلمُ الظّالمين وذنوبُ الموسرين. واليك كلامَ الامام عليٍّ «ع»، في بيانِ اسبابِ معايشِ الخلق: «واَمّا وجهُ الصّدقاتِ فإنّماهي لأقوامٍ ليس لهم في الإمارة نصيبٌ، ولا في العِمارةِ حظٌّ، ولا في التّجارةِ مالٌ، ولا في الإجارةِ معرفةٌ وقدرة، فَفَرَضَ اللّهُ في أموالِ الأغنياء ما يَقُوتُهُم ويَقُومُ به أَودُهم» ـ (الوسائل ٦ / ١٤٦).

وكذلك يُفهَمُ معنى الطّبقيَّةِ في مفهومِها الاسلاميّ، من تعاليمَ اخرى، منها ما اوردناه عن الامام ابي الحسنِ الرضا «ع»، في تعليلِ «الزّكاة»، حيث يُقصَدُ بالطّبقةِ السّفلى هؤلاءِ وامثالُهم، ←

مالَها من الحقوقِ المعيَّنة المختلفة، ثم بتطبيقِ اصلِ المؤاساةِ والاُخُوَّةِ الاسلاميّة، والقيامِ بالتّعاهدِ الاسلاميِّ العامِّ والتَّعاونِ والتَّوازنِ والعدلِ والاحسان، وأن يُعَدَّ لها جميعُ ما تَحتاجُ اليه، حتى تَخرُجَ من كونِها سُفلىٰ الى مستَوًى معيشيٍّ يَقتَرِبُ من سائرِ المستَوَياتِ المعيشيّة، كما جاءَ في كلامِ الامامين، ابي عبداللّهِ جعفرٍ الصّادق «ع»[1]، و ابي الحسن عليِّ بنِ موسى الرّضا «ع»[2]. وبهذا المنهاجِ تَرتَقي هذه الطَّبقةُ ايضاً الى مستَوَياتٍ تَقرُبُ من سائرِ القِطاعات. ولقد اَشَرنا الى اَنَّ الفقرَ النّاتجَ من الجهاتِ المذكورة، في العَجَزَةِ واهلِ العاهات، ممّا يُستَنَدُ الى العواملِ الطّبيعيَّة، امرٌ محدودٌ بالضَّرورة، ولاربطَ له بالفقرِ الوسيعِ المفروضِ المُنْتَجِ من النِّظامِ التَّكاثريِّ والرَّأسماليّ، الّذي يَعُمُّ الجماهير.

ولِاَن نُؤَكِّدَ المفهومَ الاسلاميَّ عن الطّبقيَّةِ ونَزيدَ الموضوعَ المبحوثَ عنه ايضاحاً نَقولُ: اِنَّ صِلاتِ الطَّبقاتِ في المجتمعِ السّالمِ صِلاتٌ حياتيَّةٌ وقواميّة، لا يَصلَحُ بعضُها الاّ ببعض، ولا غِنى ببعضِها عن بعض، كما مرَّ في كلامِ الامام عليٍّ «ع». وفي ذلك المجتمع قد شَغَلَ كُلُّ طبقةٍ موضعَها اللّائقَ بها، لتمريرِ امرِ النّاسِ وحياتِهم، وكُلُّ طبقةٍ تُكَمِّلُ الطَّبقاتِ الاُخرى. فهذه الطّبقيَّةُ غيرُها في المصطلحِ الحديث، الّذي يَقومُ على الامتلاكِ ومقدارِه، او المسكنة والحرمان. والخلاصةُ اَنَّ الطَّبقاتِ (الصُّنوف) في المجتمعِ السّالمِ الطَّبيعيِّ تكون على هذه الخِصال:

١ ـ لايَصلَحُ بعضُها الاّ ببعضٍ.

وهذا يُضادُّ الطَّبقيَّة في المجتمعِ التّكاثريِّ، حيث يُفسِدُ بعضُها

لا جماهيرُ وجماهيرُ من النّاسِ يُفرَضُ عليها الفقرُ والحرمان، بسببِ المظالمِ الاقتصاديَّةِ والسّياسيَّةِ والاجتماعيّة ـ كما مرّ.

١ ـ راجع: الفصل ٢٧، من الباب ١٢، فقرة «ج».

٢ ـ راجع: الفصل ٤٠، من الباب ١٢، فقرة «و».

البعضَ . ولقد مَرَّ تفصيلُ الكلام في الفصولِ السّالفةِ ذاتِ الارتباطِ بالموضوع .

٢ ـ لاغنىً ببعضِها عن بعض .

وهذا ايضاً يُضادُّ الطَّبقيَّةَ التّكاثريّة، لِاَنَّ الطَّبقةَ المتكاثرةَ لاحاجةَ بالمجتمعِ اليها، بل هي تَضُرُّ بالمجتمعِ وتَهدِمُ سعادتَه ورُشدَه .

٣ ـ لاقوامَ لها جميعاً الاّ بها .

وهذا ايضاً يُضادُّ الطَّبقيَّةَ التكاثريَّة، اذ الطَّبقةُ المتكاثرةُ سببٌ لشجبِ القوامِ الاجتماعيِّ لا لِدَعْمِه .

وجاءَ في كلامِ الامام عليٍّ «ع» قولُه : «وفي اللّهِ لكُلٍّ سَعَةٌ»[1] . وهذا يُفهِمُ اَنَّ كلَّ فردٍ من افرادِ المجتمعِ له سَعَةٌ معيشيَّة . وقال «ع» : «ولكلٍّ على الوالي حقٌّ بقدرِ ما يُصلِحُه» . وهذا التّأشيرُ يَنفي الطَّبقيَّةَ الّتي تُقِرُّ حضورَ المحرومين في المجتمعِ ويَرفُضُها، ويَدُلُّ على واجبِ الحكمِ تِجاهَ المحرومين والمساكين، من تَأمينِ عيشٍ كَفافيٍّ قواميٍّ لهم بقدرِ ما يُصلِحُهُم لابصورةٍ زهيدة . فواجبُ الحكمِ الاسلاميِّ اَن يُنَظِّمَ الصِّلاتِ الاقتصاديَّةَ ويَدعَمَها على اصولٍ اساسيّةٍ تَستَتبِعُ لكُلِّ النّاسِ حياةً سالمةً كافية، على حَسَبِ ما يُصلِحُهُم كمّاً وكيفاً . وقبل ذلك يَجِبُ على الفقاهةِ الاسلاميّة اَن تَهتَمَّ بحياةِ النّاسِ الاقتصاديَّةِ بصورةٍ حاسمة، واَن تَصُبَّ فتاواها مَصَبَّ اِحياءِ النّاسِ جميعاً، حتى يَقومَ بتجسيدِها الحكم .

٢ ـ تفسير الطّبقيّة في مفهومها التّكاثريّ

لقد مرَّتِ الاشارةُ الى مفهومِ الطّبقيَّة، في المصطلحِ التّكاثريِّ والرَّأسماليِّ، ممّا يَقومُ على اساسِ الامتلاكِ وعدمِه والاكثارِ من المالِ

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠١.

والإقلالِ منه . وكما أنّ الطّبقيَّةَ بمفهومِها الإسلاميِّ، ما هي إلاّ أمرٌ طبيعيٌّ وعاملٌ لقوامِ المجتمع وسببٌ لتفتُّحِه ورُشدِه ـ إذا تَجسَّدَت بصورة بريئَةً من اَيِّ لونٍ من اَلوانِ الامتصاصِ والاستغلال ـ فإنَّ الطَّبقيَّةَ بالمفهومِ التّكاثريِّ ليست الاّ ظاهرةً تُهَدِّدُ كيانَ المجتمعِ الانسانيِّ وتَعمَلُ على تلاشي ابعاضِه وقِطاعاتِه وتضعيفِ الصِّلاتِ الانسانيَّةِ فيه، وتَدُورُ حولَ محورِ الفرضِ والاستغلالِ والاخافةِ والسُّلطةِ والجورِ وايجادِ الحاجةِ والحرمانِ في النّاس .

ولعلَّ الامامَ المُعلِّم، عليَّ بنَ الحسينِ السَّجّاد «ع»، قد اشارَ الى هذا النَّوعِ من الطَّبقيَّة وابعاضِها في حديثٍ رواه زُرارة بنُ اَوفى . وهذا الحديثُ اَوردْناه قبلَ ذلك، غيرَ انّا نُوردُه هنا تَجليةً للموقفِ ولِاَن نَقومَ بشرحِهِ ايضاً :

الحديـــث

١ الامام السجاد «ع» : يا زُرارة! النّاسُ في زمانِنا على سِتِّ طبقاتٍ : اَسَدٍ وذِئْبٍ وثَعْلَبٍ وكَلْبٍ وخنزيرٍ وشاةٍ . فاَمّا الاسدُ فمُلوكُ الدُّنيا، يُحِبُّ كُلُّ واحدٍ منهم اَن يَغلِبَ ولا يُغلَب . واَمَّا الذِّئْبُ فتُجّارُكُم، يَذُمُّـــون اِذَا اشْتَرَوا ويَمدَحُـــون اذا باعُوا . واَمَّا الثّعلَب، فهؤلاءِ الّذين يَأْكُلُون بَاديانِهم، ولا يَكونُ في قلوبِهم ما يَصِفُون بالسِنَتِهم . واَمَّا الكلبُ، (ف) يَهِرُّ على النّاسِ بلسانِه، ويُكْرِمُهُ النّاسُ من شرِّ لسانِه . واَمّا الخنزير، فهؤلاءِ المُخَنَّثُون واشباهُهم، لا يُدْعَون الى فاحشةٍ الاّ اَجابوا . واَمّا الشّاة، فالّذين تُجَزُّ شُعورُهم ويُؤْكَلُ لُحومُهم ويُكْسَرُ عَظْمُهم، فكيف تَصنَعُ الشّاةُ بين اسدٍ

وذئبٍ وثعلبٍ وكلبٍ وخنزير؟»[1].

هذا التّعليمُ الانسانيُّ السّامي، يُصَوِّرُ اَمامَنا ـ بصورةٍ رمزيّة ـ مجتمعَ التّكاثريّ الرّأسماليّ الآكلَ للضُّعفاء، الّذي تُسَيْطِرُ عليه صِلاتُ الآكلِ والمأكول الاقتصاديّة. وإنّ تعبيرَه «ع»: «في زمانِنا»، يُشيرُ الى عصرِه الّذي قد غَمَرَه تَيّارُ الظُّلمِ والجورِ والفجورِ والتّزويرِ والاضطهاد. وهذا يَشمُلُ كُلَّ المجتمعاتِ والازمنةِ الّتي تَسُودُها الصِّلاتُ الفاسدةُ والعلاقاتُ الجائرةُ الاستغلاليّة، وتَدُورُ على محورِ طلبِ المالِ الكثيرِ والتّكالبِ عليه، حينما يَتَّبِعُ متكاثِرُوها المال (المالُ يعسوبُ الفُجّار)[2]، ويَصدِفُون عنِ اتِّباعِ دُعاةِ الحقِّ والانسانيّةِ والعدل (اَنا يَعسوبُ المؤمنين)[3]. فعلى هذا، تَكونُ خصائصُ المجمعاتِ الفاسدةِ والصّالحةِ، في العُصورِ المختلفة، متشابهةً ومتقاربةً، وإن كانت صُوَرُها وازمنتُها متفاوتة. فـ«زمانُنا» في كلامِه «ع» يَشمُلُ كلَّ زمانٍ تَكونُ سِماتُه سِماتَ زمانِه. واليك شرحاً وجيزاً بصددِ الحديث:

قد قُسِمَ المجتمعُ في هذا الحديثِ الى حاكمٍ ومحكومٍ اقتصاديّين (آكلٍ ومأكول). القسمُ الاوّل له خُمس شُعَب، والقسمُ الثّاني له شعبةٌ واحدة (الشّاة في التّعبير الرّمزيّ). والاستغلالُ يَقَعُ في صِلاتِ هاتين الطّائفتين، كما جاءَ في حديثٍ آخر: «يَأْكُلُ عزيزُها ذليلَها، وكبيرُها صغيرَها»[4]. والمظهرُ الاصليُّ للمجتمعِ على مفهومِ هذا الحديث، هو الذِّئبُ والشّاة، اللّذان يُعبَّرُ عنهما في المصطَلَحاتِ الحديثة بـ:

ـ الرّأسماليّين (١) ـ الكادحين (٢).

---

١ ـ البحار ٦٧ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦؛ راجع أيضاً: «الخصال» ١ / ٣٣٩، من طبعةِ الغفّاريّ.

٢ و ٣ ـ نهج البلاغة / ١٢٣٦؛ عبده ٣ / ٢٢٩.

٤ ـ تحف العقول / ٥٧، من حديثِ الامام عليٍّ «ع».

وفي التَّعابيرِ الاسلاميّة بـ:

ـ المستكبرين (١)	ـ المستضعفين (٢).
ـ المتكاثرين (١)	ـ المقتصدين (٢).
ـ المُترَفين (١)	ـ المحرومين (٢).
ـ المياسير (١)	ـ المَحاويج (٢).
ـ اولي النِّعمة (١)	ـ اهلِ الحاجةِ والمسكنة (٢).
ـ الاغنياء (١)	ـ الفقراء (٢).
ـ المَلَأ (١)	ـ النّاس (٢).
ـ القويّ (١)	ـ الضّعيف (٢).
ـ الآكل (١)	ـ المأكول (٢).
ـ الطّواغيت (١)	ـ المؤمنين (٢).
ـ الذِّئب (١)	ـ الشّاة (٢).
ـ السّادةِ والكُبَراء (١)	ـ الأَتْباعِ والضُّعفاء (٢).

ومن الواضح، اَنَّ استمرارَ الحياةِ الآكليَّةِ والمأكوليَّةِ في الطّبَقتَين، يَحتاجُ الى دَعْمِ نظامٍ سياسيٍّ مُستغِلٍّ ومُستبِدٍّ. ولِتَحقُّقِ هذا النِّظامِ وتَشييدِ اركانِه تَمُسُّ الحاجةُ الى الاقسامِ الاربعةِ الاُخرى المذكورة، الّتي يَعمَلُ كلٌّ منها عَمَله، فيَحتاجُ استقرارُ الامرِ واستمرارُه الى:

١ ـ النِّظامُ الطّاغوتيُّ السّياسيِّ، بمالَه من القوّةِ والسُّلطَة (اَمَّا الاَسَدُ فمُلوكُ الدّنيا). وهذا النِّظامُ هو الدِّعامةُ الاصليَّةُ للاستغلالِ والاستكبار (يُحِبُّ كُلُّ واحدٍ اَن يَغْلِبَ ولا يُغْلَب).

٢ ـ اَجْهِزَةُ التَّزويرِ وتخديرُ الضَّمائرِ والاِعلامُ المُمَوَّه، الّتي تَلعَبُ اهمَّ الادوارِ لِابقاءِ نظامِ الاستغلالِ والصِّلاتِ الآكليَّةِ والمأكوليَّة، حيث تَعمَلُ على تعميةِ الجماهير بتحريفِ الثَّقافةِ والدِّينِ ونشرِ الباطلِ واِظهارِ ما لا تَعتَقِدُ (اَمَّا الثَّعلبُ فهؤلاءِ الّذين يَأكُلُون باديانِهم، ولا يَكونُ في

قلوبِهم ما يَصِفُون بالسِنَتِهم).

٣ ـ السُّلطةُ التَّنظيميَّةُ والقوّاتُ المسلّحة، اي الّتي تُمَهِّدُ للنِّظامِ التّكاثريِّ الرَّأسماليِّ، فتَدمَغُ الحَقَّ وتُهَدِّدُ اهلَه وتَنصُرُ الباطلَ وتُشَجِّعُ اهلَه، لكي يَبقىٰ ويَستَمِرَّ الكيانُ الطّاغوتيّ في النّاس. ولَعلَّ ذكرَ الكلبِ في الحديثِ رمزٌ لهذا القسم، وله دَوران في هذا المجال:

أ ـ اِحْياءُ الأُبَّهَةِ الطّاغوتيَّةِ وهيمنتِها الاستكباريَّةِ الظّاهرة، وتغطيةُ واقعِها الفارغِ الواهي (يَهِرُّ على النّاس بلسانِه).

ب ـ ارعابُ النّاسِ وتخويفُهم لقبولِ الفُروضِ الّتي تُفرَضُ عليهم (يُكْرِمُهُ النّاسُ من شرِّ لسانِه).

٤ ـ عناصرُ الفَسادِ والفحشاء، من الّذين يُشيعُون المفاسدَ الخُلقيَّة في النّاسِ ويَجُرُّونَهم الي التَّسيُّبِ والانحلالِ الخُلقيِّ والاستسلامِ واحتمالِ الظُّلم. ولعلَّ الخنزيرَ رمزٌ لهؤ لاء (الّذين لا يُدعَون الى فاحشةٍ الّا اَجابوا). وهذه الطّائفةُ وجودُها ضروريٌّ للنِّظامِ الرَّأسماليِّ ولادامةِ حياتِه التَّطفُليَّة. ولقد فَصَّلْنا الكلامَ عن هذا الموضوعِ في الفصلِ السّادس عشر، من هذا الباب، فقرةِ «هـ»، فراجع.

وهذه الطَّبقاتُ كلُّها تَتَّحِدُ حولَ محورِ المالِ والمالُ يَعسوبُها. واَمَّا الشّاةُ فهي الجماهيرُ المظلومةُ المضطَهَدةُ الّتي لاحيلةَ لها، فتَصيرَ ضَحِيَّةَ مُيولِ الطَّبقاتِ المذكورة ونَزَعاتِها بما فيها الذِّئب ـ ولاتَنْسَه ـ (واَمّا الشّاةُ فالّذين تُجَزُّ شُعورُهم ويُؤْكَلُ لُحومُهم ويُكْسَرُ عَظْمُهم). وهذا هو الواقعُ الّذي تُشاهِدُه في المجتمعاتِ الرَّأسماليَّةِ اليوم، وفي الاَنظِمَةِ التّكاثريَّةِ الّتي تَسُودُ البُلْدانَ الاسلاميّة، ممّا يُعانيه النّاسُ ويَعيشونه بالمٍ ومرارةٍ (.. فكيف تَصنَعُ الشّاةُ بين اسدٍ وذئبٍ وثعلبٍ وكلبٍ وخنزير؟).

الفصلُ الخمسون

الإصلاح الاجتماعيّ، مقاطعة ودفاع

«.. لايَحْمِلُ النّاسَ على الحقِّ، اِلّا مَن وَرَّعَهُم عنِ الباطل».[1]

ـ الامام علي «ع»

هذا دعوةٌ صريحةٌ الى اَنَّ الاصلاحَ الاجتماعيَّ ليس الّا المقاطعةَ فالدِّفاع، واَنَّ الجمعَ بين اِبقاءِ النّاسِ على الباطلِ (ولو في المجالاتِ الاقتصاديّةِ والحُقُولِ المعيشيّة) وحملِهم على الحقِّ (في سائرِ المجالاتِ والحُقول)، امرٌ مُحال.

واِنَّ من أَجلَى الواضحات، أَنّ الباطلَ في قضايا الاقتصادِ والأموال، هو التّكاثرُ والفقر، بما لهما من التَّبِعاتِ المُدَمِّرةِ والسّاحقة ـ كما مرَّت آياتُها واحاديثُها ـ فالّذين لا يُوَرِّعُون المجتمعَ عنهما بصمودٍ وتجسيد، ولا يَشْجُبُون أسبابَهما ضمنَ حركاتٍ تغييريّة، ولا يُدَمِّرُون قواعدَهما بمقاطعةِ المستكبرين*

---

١ ـ الوسائل ١٨ / ١٥٥.

* تنـبيه: لا فرقَ في أضرارِ تركِ المقاطعةِ، وتدميرِه للمجتمعِ واركانِه، وللدّينِ وبقائِهِ وبسطِه، وللاخلاقِ وقوامِها، وتشويهِه سُمعَةَ الاسلام، بين اَن يَقَعَ بهذا الدّاعي او ذاك. ومن اَضَرِّ انواعِه مايكونُ عن سوءِ التّشخيصِ الزَّمَنيّ وضعفِ البصيرةِ المجتمعيّة، وقلّةِ الإطّلاعِ على ما هنالك من القضايا الموضوعيّةِ والامورِ الجذريّة، والمصالحِ العامّةِ والعالَميّة، وما يُمُتُّ الى التّنميةِ الاقتصاديّةِ والعدلِ المعيشيِّ واهميّتِهما من شتّى الجِهاتِ الدّينيّةِ والدُّنيويّة. ←

المُعتدين من الاغنياءِ والمتكاثرين ومدافعيهم ولا يَسْعَون لدفعِ عاديَتِهم عن الجماهير، ليس لهم اَن يَدَّعُوا اَنَّهم يَحمِلُون النّاسَ على دينِ اللّهِ الحقّ، وأَنَّهم يُدافِعُون عن الفقراءِ المظلومين والمستضعفين المحرومين ..

فمَنِ الّذينَ اسْتَضْعَفُوا المستضعفين وحَرَمُوا المحرومين ؟

ومَنِ الّذين ما جاعَ فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعُوا به ؟[1]

ومَنِ الّذين يَجُزُّون شُعورَ النّاسِ ويَأْكُلُون لُحُومَهم كالذِّئاب ؟[2]

ومَنِ الّذين مَا افْتَقَرَ النّاسُ ولاَ احْتاجُوا ولا جاعُوا ولا عَرُوا اِلاّ بذُنوبِهم ؟[3]

ومن الّذين سَرَقُوا زادَ الفقراء ؟[4] غيرُ اولئك المستكبرين الظّالمين والطّواغيتِ الإقتصاديّين ؟ فكُلّما لم يُقاطَعُوا أولئك ولم يُطارَدُوا، لا يَسَعُ اَيَّةَ فئةٍ اَن تَعُدَّ نفسَها مُدافِعةً عن المستضعفين والمحرومين، داعمةً لدينِ اللّهِ واحكامِه، مع اَنَّ العدلِ حياةُ الاحكام ، واَنَّ اِحياءَ عِدَّةٍ من الاحكامِ بالضَّغط، ليس الاّ ظاهرةً

فهذا ايضاً يَضُرُّ بالدّينِ والدّنيا، وإن لم يكُن هناك انحيازٌ خاصٌّ، اوكان المباشرُمن الوُجَهاء، اذِ الامرُ لا يَنُوطُ بالنّيّةِ بل بالتّفَتُّحِ والوَعْي . وإنّ بقاءَ المجتمعِ وعِزَّه وكيانَه بالاموالِ والاستفادةِ الصّحيحةِ والعادلةِ منها، وكذلك فناؤُه وزوالُه وزوالُ قِيَمِهِ يَنُوطُ بما يُضادُّها ـ كما عَلَّمَنا الامام جعفرُ بنُ محمّدٍ الصّادق «ع»؛ فراجع : الفصل ٢، من هذا الباب.

١ ـ على حدِّ تعبير مولانا امير المؤمنين عليٍّ «ع»، في كلامِه المعروف ـ (نهج البلاغة / ١٢٤٢؛ عبده ٣ / ٢٣١) .

٢ ـ على حدِّ تعبير مولانا الامام عليِّ بن الحسينِ السّجّاد «ع»، راجع : ما مَرَّ في اُخْرَياتِ الفصلِ السّابق .

٣ ـ على حدِّ تعبير النّبيِّ الاعظم «ص» و مولانا الامام الصّادق «ع»، راجع : التّصدير، والفصل ٨، من هذا الباب .

٤ ـ على حدِّ تعبير مولانا الامام الحسن العسكريّ «ع»، راجع : الفصل ٨ .

جافَّةً سطحيّةً لا تُؤَدِّي اِلاّ الى رُسوبِ انواعِ الفسادِ في النُّفوس، وتَغلْغُلِ المُمَيِّعاتِ النّفسيّةِ والخُلقيّةِ والدّينيّةِ والاجتماعيّةِ في القِطاعات، في أشكالٍ خفيّة، كما هو لاحبٌ لمَن يَطَّلِعُ على المجتمعِ باَغوارِه والحياةِ باَشكالِها.

ولا جل ذلك كان الانبياءُ «ع» يَبْدَأُون حركاتِهمُ التّغييريّةَ ـ في القضايا المجتمعيّةِ والمعاشيّة ـ بتصحيحِ الصِّلاتِ الاقتصاديّةِ والتّبادليّة، شجباً للظّلمِ المُنصَبِّ على الجماهيرِ في هذا المجالِ الحياتيِّ الهامّ.

ولعلّه باقٍ على ذُكْرِ القارئ ما اشَرنا اليه في مُستَهَلِّ الفصلِ الرّابعِ والاربعين، بصددِ الإلماحِ الى سيرةِ الانبياء «ع» ودعواتِهمُ الثّلاثةِ الرّئيسيّة.

فهم كانوا يَدعُون النّاسَ الى عبادةِ اللّهِتعالى، فَيَشجَبُـوا بذلكَ الطّاغوتَ السّياسيَّ (الفراعنة، كبيرَهم وصغيرَهم). ويَدعُون الى تصحيحِ الصِّلاتِالاقتصاديّةِوالتّبادليّةِ وازاحةِ المظالمِ الماليّةِ عن الجماهير، فَيَشجَبُـوا بذلكَ الطّاغوتَ الاقتصاديَّ (القَوارِنَة،كبيرَهم وصغيرَهم). وعند ذلك يَنْجَحُون بشَجْبِ الطّاغوتِ الثَّقافيِّ والفكريِّ (الهَوامِنَة، كبيرَهم وصغيرَهم)، لأنّه يَعتمِدُعليهما، ويَسعىٰ لهما، ويَتَقَلَّبُ على موائدِهما.

وكان المستكبرون الاقتصاديّون والاغنياء والمُترَفون، يُحِسُّون ـ من اوّلِ الامر ـ بالخطرِ الّذي يَحْدِقُ بهم، حيث يَرَون من كَثَب، اَنَّ أيديَهم ستُقْطَعُ عن استعبادِ النّاسِ واستغلالِهم، واَنّ قواعدَهم ستُضَعْضَعُ فلا اَثَرَةَ بعدَها ولا امْتِصاص، فلذك كانوا يَسعَون لإبقائها فيَبتَدِرُون الى تقديمِ مالٍ دفعاً لهَجَماتِ الثّورةِ والتّغيير، ولكن هيهات اَن تَنطَلِيَ هذه الحِيَلُ لدى الدُّعاةِ الالهيّين،

فنُشاهِدُهُم قد رَدَعُوا المُستَغِلِّين والفراعنةَ الاقتصاديّين، بهذه الصَّرخَةِ الثوريّة : «.. لا اَسْأَلُكُم عليه مالاً»[1].

ومن هنا كانتِ «المقاطعةُ» تَتَجلّى و تَتَرَسَّخُ في حياةِ اولئك الثّائرين الصّامدين، وترسُمُ خُطوطَ الأَملِ والنّورِ في حياةِ المستضعَفين.

والى القارئ نبذةً من آياتِ «المقاطعةِ» واحاديثِها :

الكتـــاب

١ ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ اَهواءَهُم لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والارضُ ومَن فيهِنّ، بل آتَيناهُم بِذِكرِهم، فهُم عن ذِكْرِهم مُعرِضُون * اَم تَسْأَلُهُم خَرجاً؟ فخَراجُ ربِّك خَيرٌ، وهو خَيرُ الرّازِقين *[2]

٢ (نوح) اِذ قالَ لهُم اَخُوهم نوح : اَلا تَتَّقُون؟ * اِنّي لكُم رَسولٌ اَمين * فَاتَّقُوا اللّهَ وَاَطيعون * وما اَسْأَلُكُم عليه من اَجرٍ، اِنْ اَجرِيَ الاّ على ربِّ العالَمين * فَاتَّقُوا اللّهَ واَطيعُون * قالوا : اَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الاَرذَلُون؟ * قالَ : وما عِلْمي بما كانُوا يَعمَلون * اِنْ حسابُهم اِلاّ على رَبّي لو تَشْعُرُون * وما اَنَا بطاردِ المؤمنين * اِنْ اَنَا الاّ نذيرٌ مُبين *[3]

* تَدُلُّنا هذه الآياتُ النّوحيَّة ـ في بلاغةٍ وحَسْم ـ على اصولٍ

---

١ ـ سورة هود (١١) : ٢٩.

٢ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ٧١ ـ ٧٢.

٣ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٠٦ ـ ١١٥.

رئيسيّةٍ تُرَكِّزُ المبدأين الهامَّين، اللَّذينِ عَقَدْنا لهما هذا الفصل . وهما :

(١) ـ المقاطعة،

(٢) ـ الدِّفاع .

امّا المقاطعة، فالمقصودُ بها مقاطعةُ الظّالمين الاقتصاديّين والطّواغيتِ والمستكبرين؛ وبعبارةٍ اُخرى : مقاطعةُ الطّاغوت، فرعونَ كان او قارون .

وامّا الدّفاع، فالمقصودُ به الدّفاعُ عن المظلومين والمُعَذَّبين والمحرومين والمستضعفين . وهما (المقاطعة، الدّفاع)، رُكْنا الاصلاحِ الاجتماعيِّ وجَناحاه، ممّا لا يَتَجَسَّدُ اصلاحٌ او تَغييرٌ بدونهما معاً . فالآياتُ تُرشِدُنا الى اَنَّ المصلحين والمُغَيِّرين يجبُ اَن يَكونُوا :

أ ـ اُمَناءَ .. والامينُ لا يُصانِعُ سالبي حقوقِ النّاسِ وسارقي ارزاقِهم، ولا يُعَلِّقُ عليهم وعلى اموالِهم الآمال، ولو دَفَعُوانفقات؛ ولا يُبَرْمِجُ بشكلٍ يُحوِجُ الى اخذِ اموالٍ منهم .

ب ـ داعين النّاسَ الى التّقوى .. وأَيْنَ حياةُ التّكاثرِ والاِتراف، الّتي يَعيشُها المُترَفون، من حياةِ التّقوى المقتصدة؟

ج ـ صامدين في الاتِّجاه، غيرَ طاردين للّذين يُلَبُّون دعوةَ الاصلاح، ولو كانوا من الضُّعَفاء .

د ـ متَّخذين موقفَ الانذارِ المُبين دَوْماً، حتى لا يَطمَعَ القَويُّ في حيفِهم، ولا يَيْأَسَ الضَّعيفُ من عدلِهم .

هـ ـ غيرَ مُكتَفين في الدِّفاع عن المعذَّبين والكادحين المحرومين والمستضعفين بالشّعارِ او الوعظ او الخطبة، ممّا لا يَخرُجُ عن حدِّ اللّفظ الى الواقعِ الموضوعيّ .

٣ (نوح) و يا قومِ ! لا اَسْأَلُكُم عليه مالاً، اِنْ اَجرِيَ الاّ على الله، وما اَنَا بطاردِ الّذين آمَنوا، اِنَّهُم مُلاقُوا ربِّهم، ولكن اَراكُم قوماً تَجهَلُون *[1]

* تَدُلُّ الآيةُ على ثلاثةٍ من اهمِّ الاصولِ الّتي يَتَوَقَّفُ عليها تجسيدُ الاصلاحِ الاجتماعيّ .

أ ـ قطعِ الصِّلةِ الماليَّةِ والاقتصاديَّةِ بالاغنياء والمترفين والاعراضِ عنهم بصورةٍ حاسمة .

ب ـ تحكيمِ الصِّلاتِ بالجماهيرِ بشكل موضوعيٍّ، والوقوفِ الفعليِّ الصّامدِ بجانبِهم .

ج ـ اِزْدِراءِ ثَقافةِ الاغنياءِ المُترَفين واَعرافِهم، وعدِّهم جاهلين، تزييفاً لقِيَمِهِمُ التّافهةِ الّتي يَتَوَهَّمُون اَنَّهم لاجلِها ساداتٌ وكُبَراء .

٤ (هود) اِذ قالَ لَهُم اَخُوهم هودٌ : اَلا تَتَّقُون؟ * اِنّي لَكُم رسولٌ امين * فَاتَّقُوا اللّهَ واَطيعُون * وما اَسْأَلُكم عليه من اَجر، اِنْ اَجرِيَ الاّ على رَبِّ العالمين * اَتَبْنُون بكلِّ رِيعٍ آيةً تَعْبَثُون؟ * وتَتَّخِذُون مصانعَ لَعَلَّكُم تَخْلُدُون * واِذا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبّارين * فَاتَّقُوا اللّهَ واَطيعُون * وَاتَّقُوا الَّذي اَمَدَّكُم بما تَعلَمون * اَمَدَّكُم بانعامٍ وبَنين * وجنّاتٍ وعُيون * اِنّي اَخافُ عَليكُم عذابَ يومٍ عظيم *[2]

* تَدُلُّنا هذه الآياتُ الهُوديَّة ـ وهي لوحاتٌ تَنْبُضُ بدمِ «الحيـــاة»، وتَشرُقَ شُروقَ الشَّمس، وتُجَلْجِلُ جَلْجَلَةَ الرَّعد ـ على

---

١ ـ سورة هود (١١) : ٢٩ .

٢ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٢٤ ـ ١٣٥.

اصولِ الاصلاحِ الاجتماعيِّ الرّئيسيّة :

أ ـ الدَّعوةِ الى التّقوى وتَركِ زائدِ الحياةِ الباذخةِ الّتي تَسْحَقُ حقوقَ الآخرين ومعايشَهم .

ب ـ التّأكيدِ على امانةِ المُصلح .

ج ـ تكريرِ الدَّعوةِ الى التّقوى، لاهميَّتِها في الاصلاح، وهي تَنُوطُ باطاعة المصلح الالهيّ (فَاتَّقُوا اللّهَ واطيعون).

د ـ قطعِ الصِّلةِ الاقتصاديَّةِ والطَّمعِ الماليِّ من الاغنياء، حتى يَيْأَسُوا من كلِّ شكلٍ من اشكالِ التَّذَرُّعِ بالمالِ لوضعِ العَقَباتِ في سبيلِ الثَّورةِ والتّغيير .

هـ ـ التَّنديدِ بحياتِهِمُ الباذخةِ العابثة، باتِّخاذِ القصورِ وتشييدِها .

و ـ تخطئةِ خيالِهِمُ الفارغِ وامَلِهِمُ الخائبِ في الخُلود .

ز ـ القاءِ النَّظرِ الشَّزْرِ الى بطشِهِمُ الجبّارِ واعتدائِهم على الضُّعفاء .

ح ـ تكريرِ الدَّعوةِ الى التّقوى وتغييرِ ما بانفُسِهم من الفسادِ والميوعةِ والانكارِ والظّلم .

ط ـ التّذكيرِ بانَّ النِّعَمَ والمواهب، والبَنين والانعام، والجَنّاتِ والعُيون، كلَّها من امدادِ اللّهِ تعالى، فهي بطبيعتِها لايُمكنُ اَن تَكونَ مختصّةً بطائفةٍ ودُولَةً بين حفنة، بل هي لجميعِ عبادِ اللّهِ وعِيالِه، فلِماذَا اغْتَصَبَها المغتصبون وطَغَوا فيها؟

ي ـ الانذارِ بعذابِ اليومِ العظيم، ومقاطعتِهم من حيث انَّهم بعداءُ من رضا اللّهِ ورحمتِه ومُعذَّبون بعذابِه، لظلمِهِمُ النّاس .

٥ (صالح) اِذ قالَ لَهُم اَخُوهم صالحٌ : الا تَتَّقُون * اِنّي لكُم رسولٌ اَمين * فَاتَّقُوا

اللّهَ واَطيعون * وما اَسْأَلُكُم عليه من اجرٍ، اَن اَجرِيَ الاّ على رَبِّ العالمين * اَتُتْرَكُون في ما هيهنا آمِنين * في جنّاتٍ وعُيون * وزُروعٍ و نَخلٍ طَلْعُها هَضيم * وتَنْحِتُون من الجِبالِ بيوتاً فارِهين *[1]

* يُقاطِعُ نبيُّ اللّهِ صالحٌ «ع»، اغنياءَ قومِه، هذه المقاطَعَةَ الحاسمة، ويُعَيِّرُهم بزعمِهِمُ الفاسدِ من الاَمن والبَقاء، والتَّرَفُّهِ في الجنّاتِ والعُيون وسُكنى القُصورِ ونَحْتِ البُيوتِ من الجِبالِ للفَرَهِ والبَطَر، ثُمّ يدعوالقومَ الى اَن لا يُطيعُوا امرَ المُسرفين .

٦ (لوط) اِذ قالَ لَهُم اَخُوهُم لوطٌ : اَلا تَتَّقون؟ * اِنّي لَكُم رسولٌ اَمين * فَاتَّقُوا اللّهَ واَطيعُون * وما اَسْأَلُكم عليه من اَجرٍ، اِنْ اَجريَ الاّ على رَبِّ العالمين *[2]

٧ (شعيب) اِذ قالَ لَهُم شعيبٌ : اَلا تَتَّقون؟ * اِنّي لَكُم رسولٌ اَمين * فَاتَّقُوا اللّهَ واَطيعُون * وما اَسْأَلُكم عليه من اجرٍ، اِن اَجْرِيَ الاّ على رَبِّ العالمين * اَوفُوا الكيلَ ولا تَكُونُوا من المُخْسِرين * وزِنُوا بالقِسطاسِ المُستقيم * ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم، ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسِدين *[3]

* تَعْمِدُ هذه الآياتُ الشُعَيبيَّة ـ مضافاً الى الاصولِ المذكورةِ فيما مضىٰ من اوّلِ الفصل ـ لتأكيدِ مقاطَعَةِ الاغنياء، واَنَّ قطعَ الصِّلَةِ الاقتصاديَّةِ بهِم شرطٌ واجبٌ ومقدَّمةٌ ضروريَّةٌ للكِفاحِ ضدَّ العُدوانِ الاقتصاديّ والدّفاعِ عن المستضعفين . ومن هنا تَرى نبيَّ اللّهِ

---

١ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٤٢ ـ ١٤٩.

٢ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٦١ ـ ١٦٤.

٣ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٧٧ ـ ١٨٣.

شعيباً «ع» يُوَجِّهُ خطابَه الحاسمَ الى اصحابِ الكيلِ والميزان،[1] ممّن تَكُون معايشُ النّاسِ في ايديهم، ويَأمُرُهم بايفاءِ الكيلِ واستقامةِ الوزن، ويَنْهاهُم عن بَخْسِ النّاسِ اشياءَهم، وعن الفسادِ الكبيرِ الّذي يَنبَعُ من المظالمِ الاقتصاديَّةِ والماليّة. وبذلك يُشْعِرُ بَانَّ اصلاحَ الصِّلاتِ الاقتصاديَّةِ بين النّاسِ ورفضَ الظُّلمِ المعيشيِّ، هو اُولَى الخُطا على طريقِ الاصلاحِ الاجتماعيِّ والحركاتِ التّغييريَّة.

٨ (حبيبٌ النّجّار) .. يا قومِ اتّبِعُوا المُرسلين * اِتَّبِعُوا مَن لا يَسْأَلُكُم اجراً وهم مهتدون *[2]

* كان حبيبُ النّجّار قد آمَن برسلِ عيسى «ع»، عندَ ورودِهمُ القرية .. وكان منزلُه عند اقصىٰ بابٍ من ابوابِ المدينة .. قالوا: وانّما عَلِمَ هو بنبوَّتِهم، لَانّهم لمّا دَعَوه قال: اَتأخُذُون على ذلك اجراً؟ قالوا: لا ..[3]

٩ (محمد) .. قُل: لا اَسْأَلُكُم عليه اَجراً، اِنْ هُوَ الّا ذِكْرٌ للعالَمين *[4]

١٠ (محمد) .. وما تَسْأَلُهُم عليه من اَجرٍ، اِن هُوَ اِلّا ذِكْرٌ للعالَمين *[5]

---

١ ـ ولعلَّ المرادَ بهم رؤساءُ الاسواق، واكابرُ مجرميها، ممّن تكونُ بايديهمُ الارزاقُ والاوزان و الاسعار.

٢ ـ سورة يس (٣٦): ٢٠ ـ ٢١.

٣ ـ مجمع البيان ٨ / ٤١٩.

٤ ـ سورة الانعام (٦): ٩٠.

٥ ـ سورة يوسف (١٢): ١٠٤.

* تَدُلُّ الآيتان على امرين هامَّين :

أ ـ مقاطعةِ الموسرين واصحابِ الاموالِ والاغنياء، ونفيِ طَلَبِ شيءٍ منهم .

ب ـ اعطاءِ الاصالةِ والاهميَّةِ للمبدإِ والايديولوجيَّة، والتّأكيد على اَنَّ تركيزَها على المستوى العالميِّ هو الهدفُ الاقصى للدّاعي .

١١ (محمد) وما اَرْسَلْناك الاّ مُبشِّراً ونذيراً * قل : ما اَسْأَلُكُم عليه من اجرٍ، الاّ مَن شآءَ اَن يَتَّخِذَ الى رَبِّه سبيلاً * وتَوَكَّلْ على الحَيِّ الّذي لايَمُوتُ وسَبِّحْ بحمدِه، وكفىٰ به بذُنوبِ عِبادِه خبيراً *[1]

* تُرشِدُ الآياتِ الى :

أ ـ تبيينِ موقفِ المصلح، وانَّه ليس الاّ موقفَ البشارةِ والاِنذار، من غيرِ اَيِّ جُنوحٍ الى امرٍ آخر .

ب ـ قطعِ الاَمَلِ بالموسرين وما بأيديهم، من الزَّخارفِ والاموال، قطعاً باتّاً .

ج ـ اَنَّ اجرَ المصلحِ الصّادقِ في الحقيقة، هو صنعُ الانسانِ الرِّساليِّ، المُتَّخِذِ سبيلاً الى رَبِّه .

د ـ اَنَّ على المصلحِ الصّادقِ اَن يَتوكَّلَ على اللّهِ بالانفصالِ عن الخلق، مستغرِقاً في الانقطاعِ اليه بالتّسبيحِ والتّحميد، مُنافِحاً للطَّواغيتِ الاقتصاديّين والمُستكبرين الّذي يَظلِمُون النّاسَ، ممَّن لا يُحِبُّونَ الحركاتِ التّغييريَّة، ويَضَعُون في سبيلِها العَقَبات، فاللّهُ تعالى خبيرٌ بهم، ويَكفي المصلحَ شُرورَهم ويَرُدُّها

---

١ ـ سورة الفرقان (٢٥) : ٥٦ ـ ٥٨.

اليهم .

١٢ (محمد) قُل : اِنَّما اَعِظُكُم بواحدةٍ اَن تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنىٰ وفُرادىٰ، ثُمّ تَتَفَكَّرُوا ما بصاحِبِكُم من جِنَّةٍ، اِن هُو اِلّا نذيرٌ لكُم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديد * قُل : ما سَأَلْتُكُم من اجرٍ فهو لَكُم، اِنْ اَجرِيَ الّا على اللّهِ، وهو على كلِّ شيءٍ شهيد * قُل : اِنَّ رَبّي يَقْذِفُ بالحقِّ علّامُ الغُيوب *[1]

* تَدُلُّ الآياتُ على مسائلَ هامّةٍ في مجالِنا هذا، فَلنَعْمِدْ الى شيءٍ من توضيحِها :

أ ـ اَنَّ القيامَ لِلّهِ تعالى، في سبيلِ الحركاتِ التّغييريّة، يَجِبُ اَن يكونَ باستمدادٍ من الله، من غيرِ اَن يَنتَظِرَ القائمُ اَن يُساعِدَه حُشود؛ فعلى الّذين يَتَبَنَّون القيامَ للّهِ ويَقِفُون بجانبِ المصلحِ الالهيّ، اَن يَقُومُوا مَثْنىٰ وفُرادىٰ، اي سواءٌ اَوافَقَهُم ورافَقَهُم فردٌ آخرُ اَم لا . وهذا كما يَقولُ الامام عليُّ بنُ ابي طالب «ع» : «اَيُّها النّاس، لا تَستَوحِشُوا في طريقِ الهُدى لِقِلَّةِ اهلِه»[2].

ب ـ اَنَّ طواغيتَ المجتمعِ والظّالمين يَتَّهِمُون المصلحَ المُغَيِّرَ ويَزْدَرُونه «ويَقُولُون اِنَّه لَمجنونٌ»[3]. فتَفَكَّرُوا في الامرِ وَامْعِنُوا النَّظَرَ فيه، حتى تَعلَمُوا اَنَّ صاحبَكم على عقلٍ كبير، وخُلُقٍ عظيم، ونيَّةٍ صالحة، وهدًى راشد، يُريدُ تخليصَ المحرومين والمضطَهَدين من يدِ الظّالمين الغاصبين، واَنَّ ما يَقولُونه تمويهٌ ودَجْلٌ، قام بهما الكُبَراءُ والارستُقراطيّون، الّذين رَأَوا اَنَّ قواعدَهُم الاجتماعيَّةَ

---

١ ـ سورة سَبَأ (٣٤) : ٤٦ ـ ٤٨.

٢ ـ نهج البلاغة / ٦٤٩؛ عبده ٢ / ٢٠٧.

٣ ـ سورة القلم (٦٨) : ٥١.

والاقتصاديَّةَ تَزَعْزَعَتْ وَاَشْرَفَت على الانهيار، فبَثُّوا الدّعاياتِ المموَّهةَ ضدَّ المصلحِ القائمِ تثبيطاً له و خَنَفاً لصوتِه؛ فما بصاحبِكم من جنون، بل هو الدّاعي المنذرُ يُنذِرُ الظّالمين والمستكبرين من العذابِ الشّديدِ الّذي سيُصيبُهم من جَرّاءِ ظُلمِهم واستكبارِهم.

وهنا في بلاغةِالآيةِ نكتةٌ دقيقة ـ اجتماعيَّةٌ وتَربَويَّةٌ وسياسيَّةٌ واقتصاديَّة ـ وهي في هذا التّعبير: «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ..»؛ وذلك لِاَنَّ الوقوفَ على اَنّ صاحبَهم ليس مجنوناً، لايَحتاجُ الى التّفكُّر، بل هوامرٌ يُدرَكُ بالنَّظرِ العاديِّ البسيط. فالمرادُ بهذا التَّفكُّرِ هو الحَضُّ على اِمعانِ النَّظرِ والتَّروِّي في اَنَّ هذا الاتِّهام لماذا يَبُثُّه اعداءُ النّبيّ «ص» (وهمُ الاغنياءُ المستكبرون والجبابرةُ المُترَفون واياديهم وعُمَلاؤُهم) في النّاسِ ولماذا يُقدِمُون عليه، حتى يُتاحَ للمُمْعِنين تجليةُ الموقف، والوصولُ الى كُنهِ ما هناك من تدبيرٍ وتوطئة، لخذلِ الحركةِ التّغييريَّةِ الدّاعيةِ الى تَبنّي العدلِ وشجبِ الارستُقراطيّةِ والظُّلم.

ج ـ نفيِ طلبِ الاَجرِ المادّيِّ من النّاس، واعطاءِ اجرِ الرِّسالةِ المعنويِّ ايضاً لهم (وهو اتِّخاذُهُمُ السَّبيلَ الى رَبِّهم)، والتّوغُـلِ في الاخلاصِ للّهِ تعالى وطلبِ الاجرِ منه فحَسْب، اذ هو الشّاهدُ على ما يُريُده كلُّ مريد، ويَعمَلُه كلُّ عامل، ويَنويه كلُّ ناوٍ.

د ـ اَنَّ القَذْفَ بالحقِّ وشَقَّ الطّريقِ لِتَغلْغُلِهِ في النُّفوسِ والاوساطِ امرٌ بيدِ الله، فلايَنبَغي لِاَيِّ داعٍ الهيٍّ اَن يُعَلِّقَ الاَمَلَ على غيرِ الله، واَن يَعتَقِدَ اَنَّ اموالَ هولاء الاغنياء وطواغيتِ العرصاتِ الاقتصاديّة، يُؤَيِّدُ بها الحقُّ، ويَنتَصِرُ بها دينُ اللّهِ الّذي يَدعُو الى

اِقامةِ القسطِ .

١٣ (محمد) قُل : ما اَسْأَلُكُم عليه من اجرٍ وما اَنَا من المُتَكَلِّفين * اِنْ هُوَ اِلّا ذِكْرٌ للعالَمين *[١]

* جاءَ هذا البَلاغ (اِنْ هُوَ الّا ذِكْرٌ للعالَمين)، في آياتِ سورةِ الاَنعامِ وسورةِ يوسفَ المذكورةِ ايضاً . وهذا بدَورِه سَحْقٌ حاسمٌ لِعَجْرَفاتِ المستكبرين الاقتصاديّين والمُترَفين الفاسدةِ الفارغةِ حيث يُنادي : هذا القرآنُ وهذه الرِّسالةُ والدَّعوة، امرٌ عامٌّ لجميعِ أناسيِّ التّاريخ، في كلِّ الادوار، وفي كلِّ آفاقِ الارض من مشارقِها الى مغاربِها . فماذا تَزعَمُون وتُسَوِّلُه لكُم نفوسُكُمُ الخائرةُ واحلامُكُمُ السَّفيهة، من اَنَّكُم تَقدِرُون باموالِكم واِعطائِكُمُ الاجرَ للدّاعي الالهيّ، اَن تَخنُقُوا صوتَه وتَقطَعُوا عليه دعوتَه، هيهاتَ الامر، واِن هُم الّا يَظُنُّون .

١٤ (محمد) قُل : لا اَسْأَلُكُم عليه اجراً الّا المَوَدَّةَ في القُربى ..[٢]

* تُنادي الآيةُ بامرٍ هامٍّ و«نَبَأٍ عظيم» . وهو اَنَّ المصلحَ الالهيَّ لايَسأَلُ احداً على اصلاحِه ورسالتِه اجراً الّا ما يَعودُ الى النّاسِ انفسِهم ويُفيدُهم كاصلِ الدّين . وما هو اِلّا تركيزُ قواعدِه بتداومِ رسالاتِه، وتثبيتِ القيادةِ الدّينيَّةِ واستمرارِها باتِّباعِ مَن يَنُوبُ الدّاعيَ الاوّل «ص»، ويُديمُ سيرتَه، ويُقيمُ شريعتَه، ويكونُ امتدادَ

---

١ ـ سورة ص (٣٨) : ٨٦ ـ ٨٧.

٢ ـ سورة الشّورى (٤٢) : ٢٢.

وجودِه وعُصارةَ تعاليمِه ووارثَ علومِه وتربيتِه، وهم اوصياؤُه الّذين يُعَبِّرُ عنهمُ القرآنُ الكريم بـ«القُربىٰ».

١٥ (محمد) اَم تَسْأَلُهُم اجراً فَهُم من مَغْرَمٍ مُثْقَلُون *[١]

* لا، لايَسْأَلُهُمُ النَّبيُّ «ص» اجراً ولاهم يُثْقَلُون من مَغْرَمٍ، بل هم مُكَذِّبُوا الحقِّ، واعداءُ القسطِ والعدل، فَلْتَكُنْ مقاطَعَةُ هؤلاء، في ايِّ زمنٍ، في مُقَدَّمِ اعمالِ من يَقُومُ باصلاحٍ او تغيير، ولا سيَّما في الاسلام، لاَنّ النّبيَّ الهادي «ص» نَصَّ على اَنّهم شِرارُ الاُمّة.[٢] ولا يُرجىٰ خيرٌ فعليٌّ غيرُ مشوبٍ من الشِّرار.

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : لو وُضِعَتِ الشَّمسُ في يَميني والقمرُ في شِمالي، ما تَرَكْتُ هذا القولَ حتى اُنْفِذَه ، او اُقْتَلَ دونَه ..[٣]

٢ النبـــي «ص» ـ عبدُالله بنُ عباس قال : اِنَّ النبيَّ «ص» لما قَدِمَ المدينةَ كانت تَنُوبُه نوائبُ وحقوق، وليس في يدِه سَعَةٌ. فقال الانصار، اِنَّ هذا الرّجلَ قد هَداكُمُ اللّهُ تعالى على يدِه، وهو ابنُ اُختِكم وجارُكم في بلدِكم، فَاجْمَعُوا له طائفةً من اموالِكم. ففَعَلُوا ثم اَتَوه به، فرَدَّهُ عليهم ونَزَلَ قولُه

---

١ ـ سورة الطّور (٥٢) : ٤٠، سورة القلم (٦٨) : ٤٦.

٢ ـ مكارم الاخلاق / ٥٥٥، راجع ايضاً : الفصل ٨.

٣ ـ المناقب ١ / ٥٨.

تعالى : «قُل : لا اَسْأَلُكُم عليه اجراً»، اي : على الايمان ..[1] وقد نَزَلَ رسولُ الله «ص» ـ حين قَدِمَ المدينة ـ على ابي ايّوب الانصاريّ، ولم يَكُن بالمدينةِ افقرَ منه .[2]

* واين هذه السّيرةُ الالهيّة، من تلكمُ الاموالِ الطّائلةِ الّتي تُقبَلُ سهلاً من اولئك المتسلِّطين على ثَرَواتِ الجماهير، الّذين يَتَّخِذُون دفعَ تلك النَّفقاتِ ذُرْعَةً لِامتصاصِ النّاسِ واستغلالهم؟

و قد جاء من احدِ الائمّةِ «ع» بصدد بعضِ الاموال : «.. وامّا ما وَصَلْتَنابه، فلا قبولَ عندنا الّا لما طابَ وطَهُر»[3].

وهل كان نزولُ النّبيِّ «ص» على اَفقرِ اهل المدينة يوم ذاك، الّا مقاطعةً للاغنياء؟

٣ الامام علي «ع» : يا اهلَ البصرة! ما تَنقِمُون منّي؟ اِنّ هذا لَمِن غَزْلِ اهلي ـ واشارَ الى قَميصِه ـ وقال لعَقَبَةِ بنِ عَلْقَمَة : اَدْرَكْتُ رسولَ اللّهِ يَأْكُلُ اَيْبَسَ من هذا، ويَلبَسُ اَخْشَنَ من هذا ..[4]

٤ الامام علي «ع» : لا يُقيمُ امرَ اللّهِ سبحانه، الّا مَن لا يُصانِعُ، ولا يُضارِع، ولا يَتَّبِعُ المَطامِع .[5]

٥ الامام علي «ع» : كيف يَنفَصِلُ عن الباطل، من لم يَتَّصِلْ بالحقّ؟[6]

---

١ و ٢ ـ سفينة البحار ١ / ٢٠١ و ٥١.

٣ ـ الاحتجاج ٢ / ٢٨٣، عن «الكافي».

٤ ـ المناقب ٢ / ٩٩.

٥ ـ نهج البلاغة / ١١٣٧؛ عبده ٣ / ١٧٦.

٦ ـ غرر الحكم / ٢٤٢.

٦ الامام علي «ع» : .. لا تُداهِنوا فيَهجُمَ بكُمُ الإدْهانُ على المعصية ..[١]

٧ الامام علي «ع» : .. لكنّي اَضرِبُ بالمُقبلِ الى الحقّ، المُدبرَ عنه، وبالسّامعِ المُطيع، العاصيَ المُريب ..[٢]

٨ الامام علي «ع» : اَكثَرُ مَصارِعِ العقول، تحت بُروقِ المَطامِع .[٣]

٩ الامام علي «ع» ـ في ذمِّ علماءِ السُّوء : .. يَتواضَعُ للاغنياءِ من دونِهم، فهو لحلوائِهم هاضم، ولدينِه حاطِم .[٤]

١٠ الامام الحسين «ع» : .. العُمْىُ والبُكْمُ والزَّمْنىٰ في المدائنِ مهملةٌ لا تَرحَمون، ولا في مَنزِلتِكُم تَعمَلُون، ولا مَن عَمِلَ فيها تُعينُون، وبالاِدهانِ والمصانعةِ عندَ الظَّلَمَةِ تأمَنُون ..[٥]

١١ الامام السجاد «ع» ـ فيما كَتَبَه الى فقيهِ المدينة، محمَّدِ بنِ مسلمِ الزُّهْري : .. فما اَخْوَفَني اَن تَكونَ تَبُوءَ باِثْمِك غداً مع الخَوَنَة، واَن تُسْأَلَ عمّا اَخَذْتَ باعانتِك على ظلمِ الظَّلمة . اِنَّك اَخَذْتَ ما ليس لَكَ ممَّن اَعطاك، ودَنَوتَ ممَّن لَم يَرُدَّ على احدٍ حقّاً، ولم تَرُدَّ باطلاً حين اَدْناك ..[٦]

١٢ الامام الصادق «ع» : .. من العلماءِ مَن يَرى اَن يَضَعَ العلمَ عندَ ذوي الثَّروةِ والشَّرف، ولا يَرىٰ له في المساكينِ وضعاً، فذاك في الدَّرَكِ الثّالثِ من النّار.[٧]

---

١ ـ نهج البلاغة / ٢٠٦؛ عبده ١ / ١٤٨ .

٢ ـ نهج البلاغة / ٥٩؛ عبده ١ / ٣٧ .

٣ ـ نهج البلاغة / ١١٨٤؛ عبده ٢ / ٢٢ .

٤ ـ روضة الواعظين / ٩.

٥ ـ تحف العقول / ١٧٢؛ و ٢٣٨، من طبعةِ الغفّاري .

٦ ـ تحف العقول / ١٩٨.

٧ ـ الخصال / ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

نظرة الى الفصـــل

الاصلاحُ الاجتماعيُّ، مقاطَعَةٌ ودِفاع: رُمْنا بهذا الفصل، اَن نُشيرَ الى اِحْدَى المُواصَفاتِ الّتي كان الانبياءُ الالهيُّون متَّصِفين بها. وهي ـ بعدَ التّوَكُّل على اللّهِ القادرِ الغالب وايمانِهم برسالتهم ـ كانت اهمَّ صفاتِهم وبواعثِ ظفرِهم في نهضاتِهمُ التّغييريّة. وما هي الاّ مقاطَعَةُ كلِّ طاغوتٍ سياسيٍّ او اقتصاديٍّ اولا، ثُمّ الوقوفُ الى جانبِ المحرومين والدِّفاعُ عن حقوقِهم. والّذي نُحِبُّ اَن نُؤَكِّدَ عليه، بصورةٍ باتَّة، هو اَنَّ هذين الامرين، يَعني مقاطَعَةَ المستكبرين والمُترَفين والدِّفاعَ عن المستضعفين والمحرومين، بينهما ملازَمَةٌ تامّةٌ لا يُمكِنُ غضُّ البصرِ عنها بوجه، والعدولُ عنها في حال، فاِن لم يُقاطِعْ نبيٌّ او مصلحٌ او ثائرٌ اجتماعيٌّ او مرجعٌ دينيٌّ اولئك، لاينْجَحُ أبداً في الدِّفاع عن هؤلاء. وهذا واضح ومجرَّب، لاَنَّ الرُّكونَ الى الّذين يَخلُقُون الحرمانَ والاَزَمات والاقترابَ منهم والطَّمعَ فيما بأيديهم ـ وان كان عن نيَّةٍ صالحة ـ لا يَجتَمِعُ معَ الدِّفاعِ عن المحرومين، الّذين ليسوا الاّ حصائدَ مطامعِ اولئك ومنافعِهم؟ لاَجْلِ هذه الواقعيَّةِ الجليَّة، نُشاهِدُ أنَّ الأنبياءَ «ع» يَبدَأُون دعوتَهم بمقاطعةِ اولئك المذكورين ويَصرُخُون في وجهِهم: «لا اَسْأَلُكُم عليه اجراً»، «لا اَسْأَلُكُم عليه مالاً».

ومن البَيِّن اَنَّ الّذين يَطمَعُون في المصلِحين، ويُدَبِّرون الامرَ لِاَن يُعطُوهم اجراً فيُسكِتُوهم،[1] او يَميلوا بهم عن مقاصدِهم، أو يُثَبِّطُوهم عن

١ ـ وربما يكون ما يَدفَعُه الطّامعون مبذولاً لمقاصدَ خيريّةٍ واجتماعيّة، لالأشخاص الدُّعاةِ أنفُسِهم، فإنّ فيهم من يَتَفَرَّسُ أنّ الرّجلَ لا يَقبَلُ لنفسِه شيئاً، فيَدفَعَ نفقاتٍ اليه بأسامٍ أُخرى صالحة، ويَتَذَرَّع بها ←

نصرةِ المحرومين والمضطهدين، ليسوا الاّ اولي النِّعمةِ والاغنياءَ واصحابَ الثَّرواتِ الطّائلةِ والمستكبرين الاقتصاديّين، القادرين على الاِعطاء، من الّذين يُحِسُّون ـ عندَ قيامِ كلِّ مصلحٍ وطالبِ عدلٍ ـ بأنَّ دُخولَهم ومنافعَهم قد اَشرَفَت على الفناءِ والزَّوال. ولذلك كان جوابُ الانبياء لهم: «لا اَسْأَلُكم عليه اجراً»، «لا اَسْأَلُكم عليه مالاً»، لكي يَيْأَسُوا من التّذرُّعِ بالمال.

اَجَل، اِنّ قوماً يَدعُون النّاسِ الى اقامةِ القسط، كيف يَتَسنّىٰ لهم اَن يَركَنُوا الى الّذين ظَلَموا النّاسَ وَاغْتَصَبُوا حقوقَهم وسَرَقُوا ارزاقَهم، وسَحَقُوا القسطَ وارضيّاتِه باموالِهم واعمالِهم؟ فكانوا لا يُصانِعُون هؤلاء بل يُضادُّونَهم ويكافِحُونهم، ويَقِفُون في صُفوفِ الضُّعفاءِ والمحرومين واوساطِ النّاس بل عَجَزَتِهم، ويَقولُون: «وما اَنَا بطاردِ المُؤمنين»، وان كان هؤلاء المؤمنون ـ في منطقِ الاغنياءِ المستكبرين ـ اراذِلَهُم بادِيَ الرَّأي.

كان الاغنياءُ والمتكاثرون اَلَدَّ اعداءِ العدلِ والحقِّ، عَبْرَ التّاريخ (كما يَكُونُون كذلك في العصرِ الحاضرِ ايضاً)، مثلاً اِنَّ الّذين آمَنوا بداودَ النَّبيِّ «ع» و نَصَرُوا طالوتَ كانوا اوساطَ النّاس، اَمّا الاغنياءُ فلم يَنصُرُوه ولم يَنضَمُّوا اليه وقالُوا: «لَم يُؤْتَ سَعَةً من المال»، اي ليس مِنّا، لِاَنَّهم كانوا اصحابَ الاموال، وكان المقياسُ عندَهم هو المال. وبهذا الصَّددِ يقولُ الشّيخ ابو عليٍّ الطّبرسيّ: «كانَ اَتباعُ الانبياء فيما مضىٰ، الفقراءَ واوساطَ النّاس، دونَ الاغنياء»[1].

نعم، اِنّ الاغنياءَ كانوا يُقَلِّبُون الامورَ للانبياء والمصلحين، والضّعفاءَ كانوا يَنصُرُونهم بدمائهم، وبقِلَّةٍ قليلةٍ كانت بايديهم. والآن ايضاً يَمضي

ـ في الأغلب ـ إلى ما يُريد. فليَكُنِ المصلحون والمغيِّرون والعلماءُ الملتزمون وخدمةُ الدّينِ الصّادقون على انتباه.

١ ـ مجمع البيان ٨/٣٩٢. لاحظ ايضاً: كلامَ شيخِنا ابن فهد الحِلّي، في الفصل ٣٩، من هذا الباب.

الامرُ كذلك .[1]

وهذه الحالةُ تُواكِبُ الـواقعيّـةَ بنفسِها . وذلك لأنَّ طواغيتَ الغِنى والتّكاثر يَستَغِلُّون بدَورِهمُ النّاس ويَمتَصُّونهم بالوان . وهم لا يُريدون طبعاً اَن تُنفىٰ ارضيّاتُ ذلك الاستغلالِ والامتصاص، فلذلك يُقدِمُون على مكافحةِ المصلحين وخذلِ دُعاةِ الحقِّ وشيعةِ الفضيلة .

والمحرومون يكونون على العكسِ من هذا، حيث اِنّهم يُعانُون آلامَ الفقرِ وشدائدَ الحرمان، فيَتَرَصَّـدُون لاستخلاصِ انفسِهم ـ ولنصرةِ الحقِّ والعدلِ وقِيَمِها ـ فيَلْتَفُّوا حولَ كلِّ مَن يَدعُو الى عدالةٍ او حقٍّ .[2]

ولقد تكلَّمنا في الفصلِ الحادي والعشرين، عن اَنَّ الاغنياء كانوا اعداءَ الانبياء«ع»؛ وفي الفصلِ الثّاني والعشرين، عن اَنَّ مجانَبَةِ الاغنياء والمترفين اصلٌ عظيم، وعن العلماءِ وتحضيضِهم على تركِ مصاحبةِ الاغنياء ومخالطَتِهم والتّواضعِ لهم . وكان كلّ ذلك على اساسِ ما دَعَت اليه تعاليمُ الكتابِ والحديث، واقوالُ السّلفِ الصّالحِ من علمائنا العاملين .

اصل و تنبيـــه

كان في قِمَّةِ الهَرَمِ من غاياتِ الانبياء «ع» ومقاصِدِهم، هو شجبُ

---

١ ـ وما كان هنامن استثناءٍ، فليس في المتكاثرين المُترفين، بل في الّذين يكون غناهم مقتصداً شرعيّاً، وهذا الغنى ليس بذاك التّكاثريّ، فان كان فصاحبُه ذلك المتكاثرُ المُترَف وليس ما يَدفَعُه من النّفقات الاذريعةً الى ادامةِ استغلالِه وامتصاصِه، كلٌّ على حَسبَ مَقدُرتِه وظروفِه المُؤاتيةِ له .

٢ ـ ولا نَنسى هنا تعبيرةَ الأُستاذ عبّاس محمود العَقّاد المصريّ : «.. فقد أصبَحَ إسمُ عليٍّ عَلَماً يَلتَفُّ به كلُّ مغصوب» ـ (عبقريّةُ الإمام / ٩، طبعة بيروت، دارالكتاب العربيّ، ١٣٨٦ هـ. ق).

وتعبيرةَ الكاتبِ الكبير، جرج جرداق اللّبنانيّ : «و كان إسمُ عليٍّ بن أبي طالبٍ هو العَلَمُ الّذي الْتَفَّ حولَه الثّائرون . وكان دُستورُ عليٍّ أبداً مع الثّائرين» ـ (صوت العدالةِ الإنسانيّة ٥ / ١١٨٥، طبعة بيروت، دار الرّوائع) .

المستكبرين والاستكبار، روماً لتجسيدِ القسط.[1] وهذا واضحٌ من القرآنِ الكريم، بصورةٍ خالدة؛ ومن التّعاليمِ الحديثيَّةِ ايضاً كذلك. فليَكُن اتِّخاذُ هذا الموقفِ التّغييريِّ الصّامد اصلاً لا يَقبَلُ البدلَ عندَ مَن يَرىٰ نفسَه، مُتَّبِعاً لسيرةِ المرسلين.

ومن اهمِّ صورِ الاستكبارِ واَسْوَإِها تأثيراً، واشدِّها سَحْقاً للجماهير، واِهْداراً للقِيَمِ الانسانيَّةِ و الغاياتِ الدّينيّة، هو الاستكبارُ الاقتصاديّ. والاستكبارُ السّياسيُّ اِمّا ناشئٌ منه، اومُمَهِّدٌ له، او مواكبٌ معه ـ كما اشرنا اليه في موضعٍ آخر.

ففي هذا الضّوء، اِنّ على العلماء ـ سوى المجتمعِ الاسلاميِّ ورجالِ حكمِه ـ اَن:

ـ يَتَأَسَّوا بالانبياءِ والاوصياءِ «ع»، في مجانبة المتكاثرين ومقاطعةِ المُترَفين؛

ـ ويَقطَعُوا الاملَ بهم وباموالِهم اتِّكالاً على الله؛

ـ ويَلْتَحِمُوا فعليّاً مع المحرومين، استرداداً لحقوقِهم وكرامتِهم؛

ـ ويُقبِلُوا على عيشٍ بسيط، من كلِّ جهة، هم وذَووهم؛[2]

ـ ويَسعَوا لتقليلِ النّفقاتِ الدّينيّةِ اللاّزمة، في مختلفِ المَناحي، لاَنَّ تلك النّفقاتِ اذا لم تكُن كثيرةً وباهظة، لا تَمُسُّ الحاجةُ لتأمينِها الى المتكاثرين؛[3]

ـ ويَركَنُوا الى المؤمنين الصّالحين، في انطلاقٍ وصمود؛

ـ ويَتَّصِلُوا الى العدلِ ودَعْمِه، حتى يَتَوَفّقُوا للانفصالِ عن الظّلمِ واهلِه؛[4]

ـ ويتجنّبُوا المداهنةَ بالوانِها والخوف؛

---

١ ـ راجع: الفصل ٧ و الفصولَ ٨ الى ٢٢، من هذا الباب ايضاً.

٢ و ٣ و ٤ ـ راجع لما مَرَّ بصدد الموضوع: تنبيهاتِ النّظرة الى الفصل ٢٢.

ـ ويَهتَمُّوا بشجب الطّاغوتِ الاقتصاديِّ ايضاً، لَانَّ شجبَ الطّاغوت السّياسيِّ، بدون شجب هذا الطّاغوت، لا يكون الّا بمنزلةِ قطعِ الاغصانِ وإبقاءِ الاصول. وهذا ربما يُسَبِّبُ لِأن تَنبُتَ الاغصانُ بشكلٍ اَصلَبُ واَدوَم.

اَجَل، إنّ على العاملين النّابهين من العلماء والفقهاء، اَن لا يُقارّوا على كِظّاتِ[1] الظّالمين وسُغوبِ المظلومين (على حدّ قولِ الامام عليّ بنِ ابي طالب «ع»)[2]، وان لا يكونَ العُمْيُ والبُكْمُ والزَّمْنى (وسائرُ المعذّبين والمحرومين) مهملةً في المدائنِ واطرافِها لا يُرْحَمُون، وهم باللّهِ في عبادِه يُكْرَمُون (على حدّ قول الامام ابي عبدالله الحسين «ع»)[3]، واَن يُقدِمُوا بجميع القدرةِ والامكانيّاتِ على تجسيدِ العدلِ وبسطِه في القويِّ والضّعيف، اذ النّاسُ لو عُدِلَ فيهم لَاسْتَغْنَوا (على حدّ قولِ الامام موسى الكاظم «ع»).[4]

واذَا اسْتَغْنى النّاسُ، لَيُعطي كلُّ واحدٍ منهم حقوقَه الشّرعيّة. وهذا يكفي لاقامةِ امرِالدّين (اِن كانت بصورةٍ سالمةٍ مقتصدةٍ يَرضى عنها اللّهُ والرّسول «ص»)، وهو حلالٌ طيِّبٌ، بلااحتياجٍ الى اموالِ اولئك الّذين تَكَدَّست الاموالُ لديهم من طرقٍ مشبوهة، من حلالٍ وغير حلال، بل من طرقٍ مغصوبةٍ ومعتدية، كما يَدُلُّ عليه تعاليمُ الدّين، اذ الكثيرُ الوافر ـ بل الكثير ـ لا يجتمعُ من حلال.[5]

---

١ ـ الكِظَّةُ بمعنى البِطنة، وما يَعتَري الانسانَ عندَ الامتلاءِ من الطّعام، والسَّغَب، الجوع. ولعلَّك لا تَشُكُّ بعدَ الامعانِ في المعنى، اَنّ كلامَ الامام عليِّ بنِ ابي طالب «ع» هذا، انّما يرمي الى كِفاحِ طواغيت الاقتصاد والمال، سياسيّين كانوا هم ايضاً اَولا.

٢ ـ نهج البلاغة /٥٢؛ عبده ١ / ٣٢.

٣ ـ تحف العقول / ١٧٢.

٤ ـ الكافي ١ / ٥٤٢.

٥ ـ راجع : الفصل ٣، من هذا الباب، فِقرَةَ «يا».

وإنّ عمودَ الحقِّ لا يَقومُ الّا بان يَسيرُوا بالسّيرة الّتي سارَ عليها الانبياءُ «ع»، ثمّ الاوصياء «ع»، حيث لم يَسْأَلوا المتكاثرين والاغنياءَ بل رَدُّوا ما جاؤوا به اليهم .وقدرَوَوا انّ شيعةَ نيسابور بَعَثوا اموالاً الى الامام موسى بن جعفرٍ الكاظم «ع»، وبَعَثَت شَطيطة ـ امرأة مؤمنة كانت بنيسابور ـ معهم اليه درهماً وشِقَّةَ خامٍ من غَزْلِ يدِها تُساوي اربعةَ دراهم، فقَبِلَ الامامُ «ع» ما بَعَثَتْه ..[1]

وفي غيرِ الصّورة لايَسلَمُون من المداهنة، ومعاونةِ الظّلم، وتشجيعِ الطّواغيت، وغَضِّ البصرِ عمّا يَقَعُ من العدوانِ المعيشيِّ والاقتصاديِّ هنا وهناك، واهمالِ جانبِ المحرومين وحقوقِهم، والاكتفاءِ بالشّعارِ في الدّعوةِ الى الحقِّ والعدل، وسحقِ قواعدِ القسطِ الاسلامي، وتشويهِ سُمْعَةِ الاسلامِ المقدّس، واخفاقِ نشاطِ الشّبابِ والنّابهين، وإِكْداءِ آمالِ الثّوريّين والتّغييريّين، الصّامدين الصّادقين، الّذين لا يَرُومُون الّا اقامةَ دينِ اللّهِ الحنيف، بدَعْمِ العدلِ وبسطِ القسط ..

ونحن نسأل التّوفيقَ للجميع، ولا نُريدُ الّا الاصلاح، ولا حولَ ولاقوّةَ الّا باللّهِ العليِّ العظيم .

إخطـــار

السيّدة خديجة في الجاهليّة وفي الإسلام

زَعَمَ بعضٌ اَنَّ الاسلامَ يُقِرُّ امتلاكَ الاموالِ الكثيرةِ الباهظة، كما كانت للسِّيِّدة خديجة، زوجِ النّبيِّ «ص». وقد ذَهَبَت عليهم امور :

١ ـ اَنَّ تلك الاموالَ والثَّرواتِ قدِ امْتَلَكَتْها خديجةُ المكرّمةُ في

---

١ ـ سفينة البحار ١ / ٦٩٨.

الجاهليّة، وعلى اَعرافِها ومقاييسِها، لا في الاسلام.

٢ ـ اَنّها وَهَبَتْ جميعَ اموالِها لمحمَّدٍ «ص» قبلَ البِعثة، على ما جاءَ في التّاريخ.[١]

٣ ـ اَنَّ تلك الاموال لم تَبْـقَ على حالِها بعدَ البعثةِ النّبويَّة، بلِ اسْتُهْلِكَت في سبيلِ المبدإِ الحقِّ،[٢] حتى قالوا، اِنّهم لمّا حُوصِرُوا في شِعْبِ ابي طالبٍ، لم يَبقَ لهم مال. وقالوا: «لَقِيَ رسولُ الله «ص» وبنوهاشم، في ايّام الشِّعْبِ، من الجوعِ والعُرْي، ما اللّهُ اعلمُ به»[٣]. واِنَّ دورَ تلك الثّروةِ المبذولةِ في تعبيد الطُّرُقِ لتركيزِ الاسلام ودَعْمِ اُسُسِه وقواعدِه، وسدِّ خَلّاتِ المُعوزين، للغاياتِ المذكورة، امرٌ مشهورٌ في التّاريخ، لاغبارَ عليه.

٤ ـ اَنّ السّيِّدة خديجـــة، لم تَمْتَنَّ بانفاقِ ذلك المال على الله وعلى رسولِه وعلى المؤمنين.

٥ ـ اَنّها لم تَطلُبْ شيئاً، بعدَ استقرارِ الاسلام، جزاءً على ما اَنفَقَتْ، ولم تُطالِبِ النّبيَّ «ص» بأَن يُراعِيَ جانبَ الاغنياءِ او النِّساء، في التّشريعاتِ الاسلاميَّة او في التّجسيدِ و ما اليها.

فَلْيَكُن وَعْيُنا لتاريخ السّلفِ الصّالح، وَعْياً صحيحاً ملتزماً، حتى لا نَحيدَ عن مَهيَعِ السّبيلِ اللّاحب. والى اللّهِ تُرجَعُ الامور.

---

١ ـ البحار ١٦ / ٧١.

٢ ـ راجع: المناقب ٢ / ٧١، من طبعة قم.

٣ ـ سفينة البحار ١ / ١٩٥.

البابُ الثّاني عشر

البابُ الثّاني عشر : المدخل الى دراسة الاقتصاد الاسلاميّ (اصولٌ عامّـــة)؛ وفيه فصـــول :

الفصلُ الأوّل

صور المالكيّة

أ ـ مالكيّة الله تعالى

الكتـــاب

١ وللّهِ ملكُ السّماواتِ والاَرض ..[١]

٢ وللّهِ ما في السّماواتِ وما في الاَرض ..[٢]

٣ اَلا اِنَّ لِلّهِ ما في السّماواتِ والاَرض ..[٣]

٤ لِلّهِ ملكُ السّماواتِ والاَرض ..[٤]

٥ وَتَبارَكَ اللّهُ الّذي له ملكُ السّماواتِ والاَرض وما بينَهما ..[٥]

٦ قُل : لِمَنِ الاَرضُ ومَن فيها اِن كُنتُم تَعلَمُون؟*[٦]

---

١ و ٢ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٨٩ و ١٠٩.

٣ ـ سورة يونس (١٠) : ٥٥.

٤ ـ سورة الشُّورى (٤٢) : ٤٩.

٥ ـ سورة الزُّخرُف (٤٣) : ٨٥.

٦ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ٨٤.

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : .. و(اللّهُ) المالِكُ لِما مَلَّكَهُم ايّاه ..[١]

٢ الامام الباقر «ع» : الدُّنيا وما فيها لِلّه ..[٢]

٣ الامام الصادق «ع» : المالُ مالُ الله ..[٣]

٤ الامام الكاظم «ع» : اِنَّ الارضَ لِلّهِ تعالى، جَعَلَها وقفاً على عبادِه ..[٤]

٥ الامام الرضا «ع» : .. اِذ كانَ (اللّهُ) المالكَ للنُّفوسِ والاموالِ وسائرِ الاشياء، المِلْكَ الحقيقيَّ، وكان ما في ايدي النّاسِ عواري ..[٥]

* راجع بهذا الصّدد : الفصلَ الاوّل، من البابِ الحادي عشر ايضاً، فلقد فَصَّلْنا الكلامَ هناك تفصيلاً، لا حاجةَ معه الى التّكرير .

ب ـ مالكيّة الحكم الاسلاميّ

الكتـــاب

---

١ ـ تحف العقول / ٣٢.

٢ ـ الكافي ١ / ٤٠٨.

٣ ـ المستدرك ٢ / ٤٢٣.

٤ ـ الوسائل ١٧ / ٣٤٥.

٥ ـ المستدرك ١ / ٥٥٢.

١ النّبيُّ اَولى بالمؤمنينَ من اَنفُسِهم ..[١]

٢ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ، فاِنَّ لِلّهِ خُمُسَه وللرَّسول ..[٢]

٣ يَسأَلُونَكَ عن الاَنْفالِ ؟ قُل : الاَنفالُ لِلّهِ والرَّسول ..[٣]

٤ خُذْ مِن اَموالِهم صَدَقَةً، تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهم ..[٤]

الحديــث

١ النبــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الباقر : خَلَقَ اللّهُ آدمَ واَقْطَعَهُ الدُّنيا قطيعةً، فما كان لآدمَ «ع» فلِرَسولِ الله «ص» . وما كان لرسولِ اللّهِ فهو للائمَّةِ من آلِ محمّد «ع»[٥].

٢ الامام الصادق «ع» : اِنَّ اللّهَ تعالى لم يَسْأَلْ خَلقَه ممّافي اَيديهم قرضاً، من حاجةٍ به الى ذلك . وما كانَ لِلّهِ من حقٍّ، فاِنَّما هو لوَلِيِّه[٦].

* هذه الاموالُ تَرجِعُ اليهم لمنصبِهُم الحُكوميّ، وما يحتاجون اليه للاستهلاكِ في مصالحِ المجتمع المختلفة .

ج ـ مالكيّة النّاس عامّة

١ ـ سورة الاحزاب (٣٣) : ٦.

٢ ـ سورة الانفال (٨) : ٤١.

٣ ـ سورة الانفال (٨) : ١.

٤ ـ سورة التوبة (٩) : ١٠٣.

٥ ـ الكافي ١ / ٤٠٩.

٦ ـ الوافي ٢ (م ٦) / ٣٧.

الكتـــاب

١ هُو الّذي خَلَقَ لكُم ما في الارضِ جميعاً ..[١]

٢ اللّهُ الّذي خَلَقَ السّماواتِ والارضَ، وَانْزَلَ من السَّماءِ ماءً فَاَخْرَجَ به منَ الثَّمَراتِ رزقاً لكُم، وسَخَّرَ لكُمُ الفُلْكَ لِتَجرِيَ في البَحرِ بأمرِه، وسَخَّرَ لكُمُ الاَنهار ..[٢]

٣ .. والاَنعام خَلَقَها، لكُم فيها دِفْءٌ ومنافعُ، ومنها تَأْكُلُون*[٣]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : فَكِّرْ يا مُفضَّل! في هذه المعادنِ وما يَخرُجُ منها من الجواهرِ المختلِفة، مثلَ الجَصِّ والكِلْسِ والجِبْسِ .. والزّيبقِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ والفضَّةِ والذَّهبِ والزَّبَرْجَدِ والياقوت، والزُّمُرُّد وضروبِ الحِجارة؛ وكذلك ما يَخرُجُ منها من القارِ والموميا والكبريتِ والنّفطِ وغيرِ ذلك ممّا يَستَعمِلُهُ النّاسُ في مَآربهم؛ فهل يَخفىٰ على ذي عقلٍ اَنَّ هذه كلَّها ذخائرُ ذُخِرَت للانسانِ في هذه الارض، لِيَستَخْرِجَها فيَستَعْمِلَها عندَ الحاجةِ اليها ..[٤]

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٩.

٢ ـ سورة ابراهيم (١٤) : ٣٢.

٣ ـ سورة النّحل (١٦) : ٥.

٤ ـ البحار ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضّل».

* راجع بهذا الصّدد : الفصلَ الثّالثَ من هذا الباب . وراجع للوقوفِ على رأيِ ثقة الاسلام، الشّيخ ابي جعفرٍ محمّدِ بنِ يعقوبِ الكليني في الاموال : النّظرةَ الي الفصلِ الخامسِ والعشرين، من البابِ الحادي عشر، الفقرة ١٢.

د ـ مالكيّة النّاس خاصّة

الكتـــاب

١ فِاذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا في الارضِ وَابْتَغُوا من فضلِ الله ..[١]

٢ .. لِلرِّجالِ نصيبٌ ممَّا اكْتَسَبُوا، وللنِّساءِ نصيبٌ ممَّا اكْتَسَبْنَ ..[٢]

* قال الطّبرسيُّ في «التّفسير» : «.. وثانيها اَنَّ لكُلِّ فريقٍ من الرّجالِ والنّساءِ نصيباً ممّا اكْتَسَبَ من نَعيمِ الدُّنيا، بالتّجاراتِ والزّراعاتِ وغيرِ ذلك من انواعِ المكاسب ..»[٣]

الحديـــث

---

١ ـ سورة الجمعة (٦٢) : ١٠.

٢ ـ سورة النّساء (٤) : ٣٢.

٣ ـ مجمع البيان ٣ / ٤٠.

١ النبـــي «ص» : لا يَحِلُّ لمؤمنٍ مالُ اخيه اِلّا عن طيبِ نفسٍ منه .[١]

٢ النبـــي «ص» : حرمةُ مالِه (المؤمن) كحرمةِ دمِه .[٢]

٣ النبـــي «ص» : المؤمنُ حرامٌ كلُّه، عِرضُه ومالُه ودمُه .[٣]

---

١ ـ تحف العقول / ٣٠.

٢ ـ الاختصاص / ٣٣٩.

٣ ـ تحف العقول / ٤٦.

نظرة الى الفصـــل

١ ـ مالكيّةُ الله تعالى : لقد اَورَدنا الآياتِ والاحاديثَ المتعلِّقةَ بهذا الموضوع ودَرَسْناهُ وفصَّلنا الكلام فيه، في الفصلِ الاوّل، من البابِ الحادي عشر، ففيه تفصيلٌ يُغني عن اعادةِ الكلامِ هنا، فراجع .

٢ ـ مالكيَّةُ الحُكمِ الاسلاميّ : اُنظُر بهذا الصّدد، مضافاً الى ما اَورَدْناه هنا : الفصولَ الثّامنَ والثّلاثين والتّاسعَ والثّلاثين والاربعين، من هذا الباب ايضاً .

٣ ـ مالكيّةُ النّاسِ عامّة : راجع بهذا الصّدد، بالاضافةِ الى ما في هذا الفصل : الفصولَ الاوّلَ والثّانيَ والثّالث، من الباب الحادي عشر، والفصلين الثّانيَ والثّالثَ من هذا الباب، وما يَرتبِطُ بهذا الموضوعِ من سائرِ الفصول .

٤ ـ مالكيّةُ النّاسِ خاصّة : اِنّ مِلكيّةَ النّاس لاموالِهم مقدَّسةٌ في الاسلامِ مصونةٌ، غيرَ انّها محدودةٌ كمّاً وكيفاً، امتلاكاً واستهلاكاً. واِنّ محدوديّةَ الامتلاكِ كيفاً من المسلَّماتِ في الفقهِ الاسلاميّ ـ وقد بَحَثُوا عنها في المكاسبِ المُحرَّمة ـ وهي تَستَلْزِمُ المحدوديّةَ الكمِّيّةَ بالضّرورة، كما لا يَخفى. اَضِف الى ذلك سائرَ التّعاليمِ الدّالةِ على هذه المحدوديّة؛ فراجع بهذا الصّدد : الفصلين الثّالثَ والعشرين والرّابعَ والعشرين، من الباب الحادي عشر .

الفصلُ الثّاني

الأرض .. موضوعة للأنام

الكتـــاب

١ وَالاَرضَ وضَعَها للاَنام *[١]

٢ اَللّهُ الّذي جَعَلَ لَكُمُ الارضَ قراراً ..[٢]

٣ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الارضَ مَهْداً ..[٣]

٤ وَاللّهُ جَعَلَ لكُمُ الارضَ بِساطاً *[٤]

٥ اَلَمْ نَجعَلِ الارضَ كِفاتاً * اَحياءً واَمواتاً؟ *[٥]

٦ اَلَمْ نَجعَلِ الارضَ مِهاداً؟ *[٦]

٧ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الارضَ فِراشاً *[٧]

---

١ ـ سورة الرّحمن (٥٥) : ١٠.

٢ ـ سورة غافر (٤٠) : ٦٤.

٣ ـ سورة الزُّخرُف (٤٣) : ١٠.

٤ ـ سورة نوح (٧١) : ١٩.

٥ ـ سورة المُرسَلات (٧٧) : ٢٥.

٦ ـ سورة النَّبَأ (٧٨) : ٦.

٧ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٢.

٨ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الارضَ مَهْداً ..[١]

٩ هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الارضَ ذَلولاً ..[٢]

١٠ ولقد مَكَّناكُم في الارضِ وجَعَلْنا لَكُم فيها مَعايِش ..[٣]

١١ اُسْكُنُوا الارض ..[٤]

١٢ ولكم في الارضِ مُستَقَرٌّ ..[٥]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : مَوَتانُ الارضِ للّهِ ورسولِه، فمَن اَحْيا منها شيئاً فهي له .[٦]

٢ الامام علي «ع» : .. اَمّا وجهُ العِمارة فقولُه تعالى : «هو اَنشَاَكُم من الارضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فيها»[٧]، فَاَعْلَمَنا سبحانه، اَنّه قد اَمَرَهُم بالعمارةِ لِيَكونَ ذلك سبباً لمعايشِهم، بما يَخرُجُ من الارضِ من الحَبِّ والثّمَرات وماشاكَلَ ذلك، ممّا جَعَلَهُ اللّهُ معايشَ للخَلق .[٨]

٣ الامام الباقر «ع» : اَيُّما قومٍ اَحْيَوا شيئاً من الارض، او عَمَرُوها، فهُم اَحَقُّ

---

١ ـ سورة طه (٢٠) : ٥٣.

٢ ـ سورة المُلك (٦٧) : ١٥.

٣ ـ سورة الاعراف (٧) : ١٠.

٤ ـ سورة الاسراء (١٧) : ١٠٤.

٥ ـ سورة البقرة (٢) : ٣٦.

٦ ـ المستدرك ٣ / ١٤٩.

٧ ـ سورة هود (١١) : ٦١.

٨ ـ الوسائل ١٣ / ١٩٥.

بها، وهي لهُم.[1]

٤ الامام الباقر «ع» ـ فيما رواه ابو خالدٍ الكابليّ : وَجَدنا في كتابِ عليٍّ «ع» : .. فمَن اَحْيا ارضاً من المسلمين فَلْيَعْمُرْها وَلْيُؤَدِّ خَراجَها الى الامامِ من اهلِ بيتي، وله ما اَكَلَ منها، فإن تَرَكَها واَخْرَبَها فاَخَذَها رجلٌ من المسلمين من بعدِه، فعَمَرَها واَحْياها، فهو احقُّ بها من الّذي تَرَكَها؛ فَلْيُؤَدِّ خَراجَها الى الامامِ من اهلِ بيتي، وله ما اَكَلَ منها ..[2]

* والحديثُ صحيحٌ، رُواتُه كلُّهم عالٍ :

أ ـ محمّدُ بنُ يحيي العطّار.

ب ـ احمدُ بنُ محمّد بنِ عيسى.

ج ـ الحسنُ بنُ محبوب.

د ـ هِشامُ بنُ سالم.

هـ ـ ابو خالدٍ الكابليّ.

و اسْتَنَدَ الى هذا الحديثِ وامثالِه، من اَفتىٰ بعدمِ الملكيّةِ بل الاَحَقِّيّة في الاراضي، كشيخِ الطّائفةِ الطّوسيّ، كما سيأتي.

٥ الامام الصّادق «ع» ـ معاويةُ بنُ وهب قال : سمعتُ ابا عبدِالله «ع» يقول : ايُّما رجلٍ اَتىٰ خَربةً بائرةً فَاسْتَخْرَجَها وكَرىٰ اَنهارَها وعَمَرَها، فإنّ عليه فيها الصّدقة ـ وان كانت ارضاً لرجلٍ قبله، فغاب عنها وتَرَكَها فاَخْرَبَها ثم جاء بعدُ يَطلُبُها ـ فإنّ الاَرضَ للّهِ ولمَن عَمَرَها.[3]

---

١ ـ الكافي ٥ / ٢٧٩.

٢ ـ الكافي ٥ / ٢٧٩؛ الوسائل ١٧ / ٣٢٩.

٣ ـ الكافي ٥ / ٢٧٩.

قال الفيضُ الكاشاني، في ذيلِ هـذا الـحديث: «.. في "الاستبصار" حَمَلَ هذا الحديثَ وما في معناه على الاَحَقِّيّةِ دونَ المِلكيَّة، جمعاً بين الاخبار، قال: لاَنّ هذه الارضَ من جملةِ الاَنفال، الّتي هي خاصَّةُ الامام، الاّ اَنّ مَن اَحْياها فهو اولى بالتّصرُّفِ فيها، اِذا اَدّىٰ واجبَها الى الامام. ثُمَّ اسْتَدَلَّ عليه بحديثِ ابي خالدٍ الكابلى».[1]

وحديثُ ابي خالدٍ الكابليِّ اَورَدْناه قبلَ هذا الحديث.[2] ومَحْكِيُّ «الاستبصارِ» يُصَرِّحُ بالاَحَقِّيّةِ في التّصرُّفِ لا المِلكيّة ـ كما هو صريح. وهذا رأيُ الشّيخِ الطوسيِّ المشهور، الّذي جاء في «المبسوط» ايضاً حيث قال: «.. فاَمَّا المَوات فاِنَّها لا تُغْنَم، وهي للامامِ خاصَّةً، فاِن اَحْياها احدٌ من المسلمين كان اولى بالتّصرُّفِ فيها، ويكونُ للامامِ طَسْقُها»[3].

٦ الامام الصادق «ع»: من اُخِذَت منه ارضٌ ثم مَكَثَ ثلاثَ سنينَ لا يَطْلُبُها، لم يَحِلَّ له بعدَ ثلاثِ سِنينَ اَن يَطْلُبَها.[4]

٧ الامام الصادق «ع» ـ عمر بنُ يزيد قال: سمِعتُ رجلاً من اهلِ الجبلِ يَسأَلُ ابا عبدِالله «ع» عن رجلٍ اخذ ارضاً مَواتاً تركها اهلُها، فعَمَرَها وكَرىٰ اَنهارَها و بَنىٰ فيها بيوتاً وغَرَسَ فيها نخلاً وشجراً؟ فقال ابو عبدِالله «ع»: كان اميرُ المؤمنين «ع» يَقولُ: من اَحْيا ارضاً من المؤمنين فهي له، وعليه طَسْقُها يُؤَدِّيه الى الامامِ في حالِ الهُدْنَة، فاذا ظَهَرَ القائمُ فَلْيُوطِّنْ نفسَه على اَن

---

١ ـ الوافي ٣ (م ١٠) / ١٣١.

٢ ـ راجع ايضاً: الفصل ٣٥ و ٣٦، من الباب ١١.

٣ ـ المبسوط ٢ / ٢٩.

٤ ـ الوسائل ١٧ / ٣٤٥.

تُؤْخَذَ منه .[1]

* هذا الحديثُ وامثالُه يَدُلُّ على اَنَّ اخذَ الاراضي ممَّن يَدَّعُون الملكيّة، من الاصولِ الاصلاحيّةِ الرّئيسيّةِ الّتي يَقُومُ بتجسيدِها الحكمُ المهدويُّ العادل، المؤَسَّسُ على اساس القرآن .

٨ الامام الصادق «ع» ـ محمّدُ بن مسلم قال : سألتُ أبا عبـدِالله عن الشِّراءِ من ارضِ اليهودِ والنّصارى؟ فقال : ليس بِـه بأسٌ، قد ظَهَرَ رسولُ الله «ص» على اهلِ خيبر، فخارَجَهُم على اَن يَترُكَ الارضَ في ايديهم يَعمَلُونها ويَعمُرُونها؛ فلا أَرىٰ بها بأساً لو اَنَّك اشْتَرَيْتَ منها شيئاً . وايُّما قومٍ اَحْيَوا شيئاً من الارضِ وعَمَلُوها، فهم اَحَقُّ بها، وهي لهم .[2]

٩ الامام الكاظم «ع» : اِنّ الارضَ للّهِ تعالى، جَعَلَها وقفاً على عبادِه ..[3]

* يقولُ الامامُ المعصوم «ع» : «جَعَلَ اللّهُ خالقُ الارض، الارضَ وقفاً على عبادِه»، لا على الاغنياءِ والمُترَفين والاقطاعيّين والمالكين الكِبار واصحابِ الرُّيوعِ العَقاريّةِ النّادرةِ ومن اليهم . فَلْتَكُنِ النّظرةُ الى الاراضي وامتلاكِها نظرةً تُوافِقُ جعلَ اللّهِ ورضاه و رضا الرّسول «ص» .

ومن المُلَحَّب، أنّ هذه التّعبيرة : «جَعَلَها وقفاً على عِبادِه»، تَعْدُو قضيّةَ خلقِ الأرضِ وتمهيدِها العامِّ لعيش الإنسان فيها .

---

١ ـ الوسائل ٦ / ٣٨٣.

٢ ـ الوسائل ١١ / ١١٨.

٣ ـ الوسائل ١٧ / ٣٤٥.

نظرة الى الفصـــل

لقد صَرَّحَ القرآنُ الكريم بَانّ الارضَ وَضَعَها اللّهُ الحكيمُ العادلُ للانام، وجَعَلَها محلَّ قرارٍ للنّاس، ومهداً وبساطاً لهم، فتَعُمُّ النّاسَ كافَّة. يقولُ الله تعالى: «اُسْكُنُوا الارض ..»، ويقولُ: «ولكُم في الارضِ مُستَقَرٌّ ..». ويُعَبِّرُ الكتابُ السّمايُّ في خطاباتِه الشّائعةِ في هذه المسألة بـ«كُم» الخطابيّةِ العامّة (جَعَلَ لكُم، استَعْمَرَكُم، متاعاً لكُم ..)؛ ويقولُ وارثُ علمِ القرآنِ ومفسِّرُه: «جَعَلَها (الارضَ) وقفاً على عبادِه»، لا: «على بعضِ عبادِه».

وكلُّ هذه التّعاليمِ المُوَجِّهة، تَدُلُّ بالصّراحةِ على اَنّ هذه الظّواهرَ الطبيعيّةَ موضوعةٌ لكلِّ النّاسِ لا لبعضِهم. والاصلُ في «المعيشةِ» و«الرّزقِ» و«المتاعِ» ان تكونَ للكلِّ عامّة، لا للبعضِ خاصّة، لانّها اذا خَرَجَت من كونِها للعموم لاتَصدُقُ عليها هذه العناوين ـ كما هو واضح ـ وسنُشيرُ اليه في الفصلِ القادمِ ايضاً.

ويقولُ الشّيخُ الطّبرسيّ، في تفسيرِ «الكِفاتِ»، من آيةِ «المُرسَلات» (اَلَم نَجعَلِ الارضَ كِفاتاً؟): «للعِبادِ تَكْفِتُهُم،[1] "اَحياءً" على ظهرِها، في دُورِهم ومنازِلِهم ..»[2].

وهل تكونُ هذه كلُّها وامثالُها، بمعنى اَن تُصبحَ الارضُ مِلكاً خالصاً لشِرْذِمَةٍ من الموسرين، ويُصبحَ الآخرون فاقدين لشِبْرٍ منها، لسَكَنٍ او زراعةٍ او قرار؟

---

١ ـ اي: تَحُوزُهم و تَضُمُّهُم

٢ ـ مجمع البيان ١٠ / ٤١٧.

وهل يَصِحُّ اَن تُصبحَ الارضُ الكذائيّة، ذُرْعَةً في ايدي فئةٍ، من الطّواغيتِ الاقتصاديّين، لاستغلالِ النّاسِ وامتصاصِ الزُّرّاعِ والفلّاحين، حتى تَصِلَ بذلك الى حياةٍ تَرَفِيَّةٍ سَرَفيَّةٍ واَشَرٍ و بَطَر، وتَتَرَسَّخَ في روحِها الاوصافُ الرّذيلة؟[1]

لا، ليس الامرُ كذلك، في واقعِ النّظرةِ الاسلاميّة، ليس كذلك حتى تَفسُدَ بذلك نفوسُ كثيرين من الفقرِ والسَّغَب، ونفوسُ عدّةٍ قليلةٍ من التّكاثُرِ والكِظَّة.

ليس الامرُ كذلك، حتى يَرُضَّ العملُ المُرهِقُ الكثيرُ والكَدْحُ الشّاق، في الاَرياف وفي المَزارعِ والحُقولِ والبساتين، اضلاعَ كثيرين من النّاسِ ويَجتَرَّ اليهم اقسامَ المرض، ويُعيقَهم عن ايِّ طلبِ علمٍ او كمالٍ او دين، فيُفسِدَ عليهم الحياةَ الّتي هي اَغلىٰ هديّةٍ وَهَبَهَا اللّهُ لكلِّ انسان، ويَعيشَ الى جانبِ هؤلاء المذكورين افرادٌ قليلون يَنغَمِسُون هم وابناؤُهم وبناتُهم ـ هنا وهناك ـ في الوانِ النّعيم، وليس لهم ايُّ همٍّ او شغلٍ او عمل، الا الفَراغَ والتَّنَزُّهَ و الأكل و..

ليس الامرُ كذلك، حتى يَستأْثِرَ المتكاثرون والمترَفون و من اليهم بدُورٍ متعدِّدة، و بمساحاتٍ شاسعةٍ منها في دُورِهم، ذاتِ مُروجٍ وجنّاتٍ ومَسابِحَ وقاعاتٍ وغُرَف، في حين اَنّ قِطاعاتٍ من النّاسِ لا يَجِدُون اشباراً منها لاَن يَأْوُوا اليها ويَدفَعُوا عن انفُسِهم وذَويهم فيها عاديةَ الحَرِّ والبَرد؟

ليس الامرُ كذلك، حتى يُصيبَ النّاسَ من جهةِ السُّكنى، تلكمُ المصائبُ والمصاعب ـ الّتي لا يَعلَمُها الاّ اللّهُ تعالى ـ وتَلُمَّ بهم وبابنائهم وبناتِهم، لفقدِ السَّكَنِ او لضيقِه، تلكمُ الفَواقرُ الّتي تَهدِرُ كَرامتَهم وتُزعِجُهم وتُقْلِقُهم، وتَدفَعُهم الى التَّميُّعِ والسّقوط، ممّا لا يَسَعُ ايَّ انسانٍ شريفٍ او

---

١ ـ راجع: الفصولَ الّتي دَرَسْنا فيها هذه الموضوعات، من الباب ١١.

مسلمٍ ملتزمٍ اَن لا يُهِمَّه، اولا يَهتمَّ به؛ مع اَنّ الجهاتِ الملحوظةَ في خلقِ الارضِ وجعلِها للانامِ ووقفِها على العباد، هي جهةُ السُّكنى فيها للانسانِ مادام حيّاً يَعيشُ في الارض ـ في الامصارِ والمُدُنِ وغيرِها ـ كما نَزَلَ به القرآنُ الكريم، وصَرَّحَ به الشّيخُ المُفسِّر الطّبرسيّ. والتّعاملُ والسّلوكُ المذكوران، كيف يُوافقان «الاُخُوّةَ الاسلاميّة» و «الاَنظِمَةَ الشّرعيّة» و«المقاييسَ الانسانيّة»؟

ففي هذا الضّوء، اِنّ حكمةَ التّكوين ـ ولا بدَّ من اَن تَنسَجِمَ معها حكمةُ التّشريعِ ايضاً ـ تُرشِدُنا الى اَن نَعتَقِدَ بَاَنّ اللّهَ تعالى لم يَجعَلِ الارضَ للانامِ ولم يَقِفْها على العباد، لَاَنْ تَصيرَ الى هذا المآلِ العَسُوف؛ تعالى اللّهُ العادلُ الحكيمُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً، بل خلقها و جعلها وقفاً على العباد، لَاَن يَتَمَتَّعُوا منها ويَقْضُوا مآرِبَهم وحاجاتِهمُ المختلفةَ بها، ويَستَفيدُوا من مِياهِها واَكْلائها ومناجِمِها وجبالِها واَوديَتِها و.. فيَصِلُوا بذلك الى رُشدِهمُ المادّيِّ والرّوحيّ، ويُبرِزُوا ما جُعِلَ فيهم من مواهبَ واستعدادات، ويَتَوَسَّلُوا بذلك كلِّه الى تأمينِ حياةٍ انسانيّةٍ سليمةٍ تَحدُوهم الى الفضيلةِ والحق، وتَأخُذُ بايديهم إلى سلوكِ سبيلِ اللّهِ وتحصيلِ رضاه تعالى.

هذه هي حكمةُ خلقةِ الارضِ بساطاً وكِفاتاً، وجَعْلِها للانام، ووقفِها على العباد. ولااقلَّ من اَن يَصِلَ افرادُ الانسانِ بسببِ الارض، وما فيها وما عليها، الى معيشةٍ كَفافيَّةٍ وظُلَّةٍ وَاقية.

تنبيـــه

اِنَّ صلةَ الانسانِ بالارضِ لها صُوَرٌ واشكال. اِحْداها صورةُ الهيّةٌ تُوافِقُ الجعلَ الالهيَّ والفطرةَ السّليمة. وهي اِبقاؤُها على ما جَعَلَها اللّهُ له،

من كونِها للانامِ كافّة، واختصاصِ كلِّ قطعةٍ منها ـ بمقدارٍ لا يُوافي حدَّ التّكاثر[1] ـ بمن عَمِلَ في الارضِ وعَمَرَها، ماداوَمَ على عمارتِها وأدّىٰ حقوقَها . وكلُّ ذلك على اساسِ «الاَحَقّيّة» المشروطةِ لا الامتلاكِ الدّائم .

هذا ما تقضيه الفطرةُ الانسانيّة ـ غيرُ المُحَرَّفة ـ ويُؤَيِّدُه العقلُ السّليم، والضّميرُ النَّقيّ . فعلى هذا، اذا تَحَوَّلَت صلةُ الانسانِ بالارضِ الى صورةٍ اُخرى، تُصبِحُ صورةً شيطانيّةً و طاغوتيّة، تَنبَعُ من الاَثَرَةِ والاعتداء .

ومن اللاّحب، اَنّ التّعاليمَ الحديثيَّةَ لا تَشُذُّ ايضاً عمّا يَقتَضيه الجَعلُ الالهيُّ والعقلُ والفطرة ، كما صُرِّحَ به في الاخبار .[2] وهذا هو الّذي يُطابِقُ فتوى عدّةٍ من اكابرِ علماءِ الاسلام، كالشّيخ ابي جعفرٍ محمّدِ بنِ يعقوبِ الكلينيّ، فانّه لايَرى الارضَ ولا غيرَ الارضِ ملكاً لاَحد؛[3] وكشيخِ الطّائفةِ ابي جعفرٍ محمّدِ بنِ الحسنِ الطّوسيّ، وقد نَقَلنا رأيَه الشّريف . وكالفقيهِ المحقّقِ السّيدّ محمّد بحرِ العلومِ الطّباطبائيّ، صاحبِ «بُلغَةِ الفقيه»، حيث مالَ الى «منعِ افادةِ الاِحياءِ التَّمَلُّكَ المجّاني، من دونِ اَن يكونَ فيه حقّ، فيكون للامامِ فيه بحسب ما يُقاطِعُ المجبى عليها في زمانِ حضورِه وبسطِ يدِه، ومع عدمِه فله اجرةُ المثل . ولا يُنافي ذلك نسبةَ الملكيّةِ الى المُحيي في اخبارِ الاِحياء ـ اي في قولهم : ''مَن اَحْيا ارضاً فهي له'' ـ واِن هي الاّجاريةً مجرى كلامِ الملاّكين للفلاّحين، في العُرفِ العام، عندَ تحريضِهم على تعميرِ المِلك : ''مَن عَمَرَها او حَفَرَ انهارَها وكَرىٰ سواقيَها فهي له'' الدّالةِ على اَحَقّيَّتِه من غيرِه وتقدُّمِه على مَن سواه، لا على نفيِ الملكيّةِ من نفسِه ..».[4]

---

١ ـ وذلك لاَنّ التّعاليم الّتي تشجُب التّكاثر،تَشمُلُ الاراضي وامتلاكها ايضاً . وهذا واضح .

٢ ـ راجع : الفصول ٢٣ و ٢٤ و ٢٦، من الباب ١١، و ٣٠ و ٣٥، من الباب ١٢.

٣ ـ راجع النّظرةَ الى الفصل ٢٥، من الباب ١١، الفقرة ١٢.

٤ ـ بلغة الفقيه / ٩٨.

«وهذا الرّأيُ الفقهيُّ الّذي يُقَرِّرُهُ الشيخُ الطّوسيّ والفقيهُ بحرُ العلوم، يَستَنِدُ الى عدّةِ نصوصٍ ثابتةٍ، بطرقٍ صحيحة، عن ائمّةِ اهلِ البيت ـ ع ـ..».[1]

إشـــارة

لم نَطرَح هذه المسائلَ بوصفِها رأياً فقهيّاً باتّاً، بل لَان نُلفِتَ انظارَ النّابهين و بُغاةِ الحقِّ والعدلِ الى جوانبَ من الاَنظِمَةِ الشّرعيّةِ في ذلك، ونَدعُوَ فقهاءَ الاسلام الى ان يُمعِنُوا النّظرَ في جوانبَ مغفولةٍ من قضايا الاراضي الاصليّة، ممّا يُشاد به معالمُ الدّين، ويُؤدّىٰ بهواجبُ الفقاهةِ الاسلاميّة؛ ويَستَتبِعُ حُسنَ سُمعَةِ الاسلام، وتقدُّمَ المسلمين، حيث يُجَسِّدُون العدالةَ ويَقُومُون بالقسطِ المنشود.

---

١ ـ اقتصادنا / ٤٦٤، من الطّبعةِ السّادسة عشرة.

الفصلُ الثّالث

المواهب والأموال، تعميم وتأميم

الكتـــاب

١ هُوَ الّذي خَلَقَ لكُمُ ما في الارضِ جميعاً ..[١]

٢ إنّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الارضَ شَقّاً * فَانْبَتْنا فيها حَبّاً * وعِنَباً وقَضْباً * وزيتوناً ونَخلاً * وحدائقَ غُلْباً * وفاكِهَةً وَاَبّاً * متاعاً لكُم ولاَنعامِكُم *[٢]

٣ وَنَزَّلْنا من السَّماءِ ماءً مباركاً، فَانبَتْنا به جنّاتٍ وحبَّ الحَصيد * والنَّخلَ باسقاتٍ لها طَلْعٌ نَضيد * رزقاً للعِباد ..[٣]

٤ وَالارضَ مَدَدْناها وَاَلْقينا فيها رواسيَ، وَاَنْبَتْنا فيها من كلِّ شيءٍ موزون * وجَعَلْنا لكُم فيها معايشَ ومَن لَستُم لهُ برازِقين *[٤]

٥ وَالاَنعامَ خَلَقَها لكُم فيها دِفْءٌ ومنافعُ، ومنها تَأْكُلُون *[٥]

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٩.

٢ ـ سورة عبس (٨٠) : ٢٥ ـ ٣٢.

٣ ـ سورة ق (٥٠) : ٩ ـ ١١.

٤ ـ سورة الحِجْر (١٥) : ١٩ ـ ٢٠.

٥ ـ سورة النّحل (١٦) : ٥.

٦ هُوّ الّذي اَنْزَلَ من السَّماءِ ماءً، لكُم منه شَرابٌ، ومنه شجرٌ فيه تُسيمُون *[١]

٧ فانْشَأْنا لكُم به جنّاتٍ من نخيلٍ واَعنابٍ، لكُم فيها فَواكِهُ كثيرةٌ، ومنها تَأْكُلُون *[٢]

٨ واِنّ لكُم في الاَنعامِ لَعِبْرَةً، نُسقيكُم ممّا في بُطونِها، ولكُم فيها منافعُ كثيرةٌ ..[٣]

٩ متاعاً لكُم ولاَنعامِكُم *[٤]

١٠ وهُوَ الَّذي سَخَّر البحَر لِتَأْكُلُوا منه لَحْماً طَرِيّاً، وتَستَخْرِجُوا منه حِلْيَةً تَلبَسُونَها ..[٥]

١١ وجَعَلْنا لَكُم فيها مَعايِشَ، ومَن لَسْتُم لَهُ برازِقين *[٦]

١٢ وَلَقد مَكَّنّاكُم في الارضِ وجَعَلْنا لكُم فيها مَعايِش ..[٧]

* هناك في الكتابِ السّماويِّ آياتٌ كثيرةٌ بهذا الصّدد، اَورَدْنا خمسين منها في الفصلِ السّادسِ والثّلاثين، من البابِ الحادي عشر، فراجِعْها وَاقْرأْها بامعان .

وليس من الصّحيحِ الحقِّ، أن نَجْعَلَ تلكمُ الآياتِ الهامّةَ بمعزَلٍ عن الفقاهةِ والتّوجيهِ المعيشيِّ للجماهير ..

الحديـــث

---

١ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٠ .

٢ و ٣ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ١٩ و ٢١.

٤ ـ سورة النّازعات (٧٩) : ٣٣.

٥ ـ سورة النّحل (١٦) : ١٤.

٦ ـ سورة الحِجْر (١٥) ٢٠.

٧ ـ سورة الاعراف (٧) : ١٠.

١ النبـــي «ص» : النّاسُ شُرَكاء في ثلاثٍ : النّارِ والماءِ والكَلَأ .[١]

* عملاً بهذا الحديثِ يَرى الشّيخُ الطّوسيُّ «اَنَّ علاقةَ الفردِ بعينِ الماءِ (لا الحُفرةِ الّتي حَفَرها للوصولِ الى الماء)، علاقةُ حقٍّ لامِلك»، فيقولُ : «.. كُلُّ موضعٍ قُلنا اِنّه يَملِكُ البِئْرَ فانَّه اَحقُّ مِن مائِها بقدرِ حاجتِه لشُربِه وشربِ ماشيتِه وسَقْيِ زُروعِه، فاِذا فَضَلَ بعدَ ذلك شيءٌ وَجَبَ عليه بذلُه بلاعوضٍ لمنِ احْتاجَ اليه لشُربِه وشُربِ ما شيتِه من السّابلةِ وغيرِه . وليس له منعُ الماءِ الفاضلِ من حاجتِه حتى لا يَتمكَّنَ غيرُه من رَعْيِ الكَلإِ الّذي بقربِ ذلك الماء . وانّما يَجِبُ عليه ذلك لشُربِ المحتاجِ اليه وشربِ ماشيتِه، فاَمَّا لسقيِ زرعِه فلا يَجِبُ عليه ذلك، لكنّه يستحبّ . وفيهم (اي الفقهاء) مَن قال : يستحبُّ ذلك لشُربِ ماشيتِه وسقيِ زرعِه ولا يَجب . وفيهم من قال : يجبُ بذلُه بلاعوضٍ لشربِ الماشيةِ ولسقيِ الزَّرع . وفيهم من قال : يجبُ عليه بالعوضِ فامّا بلاعوضٍ فلا».

«وانّما قُلنا ذلك لما رَواه ابنُ عبّاس اَنّ النّبيَّ «ص» قال : ''النّاسُ شركاء في ثلاثٍ : النّارِ والماءِ والكَلَأ''. وروى جابرٌ اَنّ النّبيَّ «ص» نَهى عن بيعِ فضلِ الماء»[٢].

٢ النبـــي «ص» : خمسٌ لا يَحِلُّ منعُهنَّ: الماء، والملح، والكَلَأ، والنّار، والعلم . وفضلُ العلمِ خيرٌ من فضلِ العبادة . وكمالُ الدّينِ الورع .[٣]

---

١ ـ المستدرك ٣ / ١٥٠.

٢ ـ المبسوط ٣ / ٢٨١.

٣ ـ المستدرك ٣ / ١٥٠ .

٣ النبـــي «ص» : مَوَتانُ الاَرضِ لله ورسولِه، فمَن اَحْيا منها شيئاً فهو له .[١]

٤ النبـــي «ص» ـ قَضىٰ رسولُ اللّهِ في اهلِ البَوادي اَن لا يَمْنَعُوا فضلَ ماءٍ، ولا يَبيعُوا فَضلَ كَلَأً .[٢]

٥ النبـــي «ص» ـ نَهىٰ رسولُ اللّهِ «ص» عن بيعِ الماءِ والكَلَإِ والنّار .[٣]

٦ الامام علي «ع» : من باعَ فضلَ مائِه، مَنَعَهُ اللّهُ فضلَه يومَ القيامة .[٤]

٧ الامام الصادق «ع» : فَكِّر يا مُفضَّل! في هذه المعادنِ وما يَخرُجُ منها من الجواهرِ المختلفة، مثلَ الجَصِّ، والكِلْس، والجِبْس، والزَّرانيخ، والمِرْتَك، والقُونيا، والزّيبق، والنُّحاس، والرَّصاص، والفضّة، والذّهَب، والزَّبَرجَد، والياقوت، والزُّمُرُّد، وضروبِ الحجارة، و كذلك ما يَخرُجُ منها من القارِ، والموميا، والكبريتِ، والنَّفط، وغيرِ ذلك ممّا يَستَعْمِلُهُ النّاسُ في مَآرِبِهم . فهل يَخفىٰ على ذي عقلٍ اَنّ هذه كلَّها ذخائرُ ذُخِرَت للانسانِ في هذه الارضِ لِيَستَخْرِجَها فيَستَعْمِلَها عندَ الحاجةِ اليها ..[٥]

٨ الامام الصادق «ع» : قَضىٰ رسولُ الله «ص» بين اهلِ المدينةِ في مَشارِبِ النّخل، اَنّه لا يُمْنَعُ نفعُ الشّيء. وقضىٰ «ص» بين اهلِ البادية، اَنّه لا يُمْنَعُ فضلُ ماءٍ لِيُمْنَعَ به فضلُ كَلَأً، فقال : لا ضَرَرَ ولاضِرار .[٦]

---

١ ـ المستدرك / ٣ / ١٤٩.

٢ ـ الوسائل ١٧ / ٣٣٣.

٣ ـ المستدرك ٣ / ١٥٠.

٤ ـ نوادر الراوندي / ٥٣.

٥ ـ البحار ٣ / ١٢٨، عن «توحيد المفضّل».

٦ ـ الكافي ٥ / ٢٩٤.

* نُشاهِدُ في هذا الحديث اَنّ قاعدةَ الضَّررِ جيءَ بها في القضايا العامّة، لا القضايا الشّخصيّة، كما في حديثِ سَمُرَةِ بنِ جُندَب، فيُشجَبَ بها اَلوانُ الضّررِ الّتي تُصيبُ النّاسَ في صِلاتِهِمُ الاقتصاديّةِ العامّة . ولقد اَشَرنا الى عمومِ القاعدةِ في الفصلِ الثّاني، من البابِ الحادي عشر .

٩ الامام الصادق «ع» : نَهىٰ رسولُ الله «ص» عن النِّطافِ والاَربعاء، قال : والاَربعاءُ اَن يُسَنِّيَ مُسنَّاةً فيَحمِلَ الماءَ فيَستَقِيَ به الارضَ ثم يَستَغْنِيَ عنه؛ فقال :لا تَبِعْه، ولكن اَعِرْهُ اخاك . والنِّطافُ اَن يَكونَ له الشِّرْبُ فيَستَغنِيَ عنه، فيَقولُ : لا تَبِعْه ولكن اَعِرْه اخاك او جارَك .[١]

١٠ الامام الصادق «ع» : قال راوي الحديث : سَأَلتُه عن الرّجلِ المسلمِ تَكونُ له الضَّيعةُ فيها جَبَلٌ ممّا يُباع، يَأْتيه اخوه المسلمُ وله غنمٌ قدِ احْتاجَ الى جبلٍ ، يَحِلُّ له اَن يَبيعَه الجبلَ كما يَبيعُ من غيرِه، او يَمنَعَه من الجبلِ اِن طَلَبَه بغيرِ ثمنٍ، وكيف حالُه فيه ومايَأخُذُه؟ قال : لا يَجوزُ له بيعُ جبلِه من اخيه لِاَنّ الجبلَ ليس جبلَه، اِنّما يَجوزُ له البيعُ من غيرِ المسلم .[٢]

١١ الامام الصادق «ع» : اُنظُر يا مُفضَّل! الى هذه الجبالِ المركومة، من الطِّينِ والحجارةِ، الّتي يَحسَبُها الغافلون فضلاً لا حاجةَ اليها . والمنافعُ فيها كثيرة، فمِن ذلك اَن يَسقُطَ عليها الثُّلوج،[٣] فيَبقىٰ في قِلالِهالمَن يَحتاجُ اليه، ويَذُوبُ ماذابَ منه، فتَجري منه العُيونُ الغريزةُ الّتي تَجتَمِعُ منها

---

١ ـ الكافي ٥ / ٢٧٧.

٢ ـ الكافي ٥ / ٢٧٦.

٣ ـ لعلَّ الكلمةَ كانت في الاصل : «الثَّلج»، لمكانِ الضّميرين بعدَها في «اليه» و «منه»، و يَدُلُّ عليه تذكيرُ الفعل (يَبقىٰ).

الانهارُ العِظام، ويَنبُتُ فيها ضُروبٌ من النّباتِ والعَقاقير ..[1]

١٢ الامام الصادق «ع» : سُئِلَ (عمّا) يَأكُلُ النّاسُ من الفاكهةِ والرُّطَبِ ممّا هو لهم حلالٌ؟ فقال : لا يَأكُلُ احدٌ اِلّا من ضرورة، ولا يُفسِدُ اذا كان عليها فِناءٌ مُحاط . ومن اجلِ اهلِ الضّرورةِ نَهىٰ رسولُ الله «ص» اَن يُبنىٰ على حدائقِ النّخلِ والثِّمارِ بناءٌ، لكي يَأكُلَ منها كلُّ احدٍ.[2]

١٣ الامام الصادق «ع» ـ قال راوي الحديث : قلتُ له : جُعِلْتُ فداك! بَلَغَني اَنّك كنتَ تَفعَلُ في غَلَّةِ «عينِ زياد» شيئاً، فاَنَا اُحِبُّ اَن اَسمَعَه منك، قال : فقال لي : نَعَم، كنتُ آمُرُ اذا اَدرَكَتِ الثّمرةُ اَن يُثْلَمَ في حيطانِها الثَّلْم، لِيَدخُلَ النّاسُ ويَأْكُلُوا . وكنتُ آمُرُ في كلِّ يومٍ اَن تُوضَعَ عشرُ بُنْياتٍ يَقعُدُ على كلِّ بُنيَةٍ عشرة، كلّما اَكَلَ عَشَرَةٌ جاءَ عشرةٌ اُخرىٰ، يُلقىٰ لِكلِّ نفسٍ منهم مُدٌّ من رُطَب . وكنتُ آمُرُ لجيرانِ الضَّيعةِ كلِّهم، الشّيخِ والعَجوزِ والصّبيِّ والمريضِ والمرأةِ ومَن لا يَقدِرُ اَن يجيءَ فيَأْكُلَ منها، لكلِّ انسانٍ مُدّاً . فاذا كانَ الجَذاذُ اَوفَيتُ القُوّامَ والوُكلاءَ والرِّجالَ اُجرَتَهم واَحمِلُ الباقيَ الى المدينة .. اربع مئةِ دينارٍ، وكان غلّتُها اربعةَ آلافِ دينارٍ.[3]

١٤ الامام الصادق «ع» : يا مُفضَّل!.. فاِنّك اذا تَأَمَّلْتَ العالَمَ بفكرِك ومَيَّزْتَه بعقلِك، وَجَدْتَه كالبيتِ المبنيِّ المُعَدِّ فيه جميعُ ما يَحتاجُ اليه عبادُه، فالسّماءُ مرفوعةٌ كالسّقف، والارضُ ممدودةٌ كالبِساط، والنُّجومُ منضودةٌ كالمصابيح، والجواهرُ مخزونةٌ كالذّخائر . وكلُّ شيءٍ فيها لشأنِه مُعَدٌّ . والانسانُ كالمُمَلَّكِ ذلك البيتَ والمُخَوَّلِ جميعَ ما فيه، وضُروبُ النّباتِ

---

١ ـ البحار ٣ / ١٢٧.

٢ ـ البحار ١٠٣ / ٧٥.

٣ ـ الوسائل ٦ / ١٤٠ ـ ١٤١.

مُهَيَّأَةٌ لمآرِبِه، وصُنوفُ الحيوانِ مصروفةٌ في مصالحِه ومنافعِه ..[1]

١٥ الامام الصادق «ع» : يا مُفضَّل! .. فإن قال قائل : اَوَ ليس قد يَنالُ الطّيرُ من البُرِّ والحُبوب؟ قيل له : بلىٰ، على هذا قُدِّرَ الامرُ فيها، لِاَنّ الطّيرَ خَلقٌ من خلقِ اللّهِ، وقد جَعَلَ اللّهُ ـ تبارك وتعالى ـ له فيما تُخرِجُ الارضُ حظّاً، ولكن حُضِنَتِ الحُبوبُ بهذه الحُجُبِ لئلاّ يَتَمَكَّنَ الطّيرُ منها كلَّ التَّمكنُّ، فيَعْبَثَ فيها ويُفسِدَ الفسادَ الفاحش؛ فان الطّيرَ لو صادَفَ الحَبَّ بارزاً ليس عليه شيءٌ يَحُولُ دونه، لأكَبَّ عليه حتى يَنسِفَه اصلاً، فكان يَعرُضُ من ذلك اَن يَبْشَمَ الطّيرُ فيَموت، ويَخرُجَ الزَرّاعُ من زرعِه صفراً، فجُعِلَت عليه هذه الوِقاياتُ لتَصُونَه، فيَنالَ الطّائرُ منه شيئاً يسيراً يَتَقَوَّتُ به، ويَبقى اكثرُه للانسان، فإنّه اولىٰ به، اذ كان هو الّذي كَدَحَ فيه وشَقِيَ به، وكان الّذي يَحتاجُ اليه اكثرَ ممّا يَحتاجُ اليه الطّير.[2]

١٦ الامام الصادق «ع» : فكِّر يا مُفضَّل! في الصَّحْوِ والمَطَر .. اَلا تَرىٰ الّذي يُزْرَعُ سَيْحاً اَقلُّ من ذلك؛ فالاَمطارُ هي الّتي تُطَبِّقُ الارض؛ وربما تُزْرَعُ هذه البَراري الواسعةُ وسفوحُ الجبالِ وذُراها، فتُغِلُّ الغَلَّةَ الكثيرة، وبها يَسقُطُ عن النّاسِ في كثيرٍ من البُلْدانِ مؤونةُ سياقِ الماءِ من موضعٍ الى موضع، وما يَجري في ذلك بينهم من التّشاجزِ والتّظالُم، حتى يَستَأثِرَ بالماء ذووالعِزّة، والقوّة، ويُحرَمُه الضُّعفاءُ.[3]

١٧ الامام الصادق «ع» : . ثُمّ الماء لولا كثرتُه وتَدَفُّقُه في العيونِ والاَودِيةِ والانهار، لضاقَ عمّا يَحتاجُ النّاسُ اليه لشُربِهم وشربِ اَنعامِهم ومواشيهم

---

١ ـ البحار ٣ / ٦١، عن «توحيد المفضّل».

٢ ـ البحار ٣ / ١٣٠.

٣ ـ البحار ٣ / ١٢٥ ـ ١٢٦.

وسَقْي زُروعِهم واشجارِهم واصنافِ غلاّتِهم ..[1]

١٨ الامام الكاظم «ع» : اِنّ الارضَ للّهِ تعالى، جَعَلَها وقفاً على عبادِه، فمَن عَطَّلَ ارضاً ثلاثَ سنينَ متواليةً بغيرِ ما عِلّةٍ، أُخْرِجَت من يدِه ودُفِعَت الى غيرِه . ومن تَرَكَ مطالبةَ حقٍّ له عشرَ سنين فلاحقَّ له .[2]

* قالوا بصددِ الحديث : .. يُجْبِرُه الإمامُ بعدَ الثّلاثِ على الإحياء، فإن لم يَفعَل يَدفَعُها إلى العامرين .

وقال العلاّمةُ المجلسيّ، بصددِ المقطعِ الأخير : «لعلَّه أُريدَ عُسْرُ إثباتِه، أو يُحمَلُ على ما إذا دَلَّتِ القرائنُ على الإبراء» .[3]

---

١ ـ البحار ٣ / ١٢٢ .

٢ ـ الكافي ٥ / ٢٩٧ .

٣ ـ راجع : «الكافي»، الصّفحةِ المذكورة ، الهامش.

نظرة الى الفصـــل

يَتَّضِحُ التّوجيهُ القرآنيُّ المذكور، في الفصلِ السّابق، من تعاليمِ هذا الفصلِ ايضاً، بجلاءٍ ووضوح، وهو اَنّ كلَّ ما في الارضِ اِنَّما خُلِقَ واُعِدَّ لا ستفادةِ الانسانِ ولا ستمتاعِ كلِّ فردٍ فردٍ من افرادِ الانسان به، لا لاَن يَحتِكره المحتكِرون ويَستَغِلَّه المُستغِلُّون.

اِنّ هذا الخطابَ القرآنيَّ «لكُم» قد جاء في كثيرٍ من الآيات، ولقد مَرَّبنا خمسون آيةً ممّا يَمُتُّ اليه في الفصل السّادس والثّلاثين، من البابِ الحادي عشر. وهذا امرٌ لا يُستهانُ به في التّنظيمِ الاجتماعيِّ والبَرمَجَةِ الاقتصاديّةِ والمعيشيّة. واِنّ هذا التّعميمَ يَجِبُ اَن يكونَ مقياساً من المقاييسِ لدي المُبَرمِجين المسلمين، كما اَنّه يَجِبُ ان لا تَغفُلَ عنه الفقاهةُ الاسلاميّة. ولقد ذُكِرَ في الاحاديثِ اَنّ هذه الامورَ ستُجَسَّدُ في دولةِ المهديِّ «ع»، وذلك لاَنَّ في دولتِه تَصِلُ السُّلطةُ العمليّةُ الى ايدي المؤمنين العادلين. فكلَّما حَصَلَتِ السُّلطةُ يَجِبُ تنفيذُ حكمِ الله تعالى في الرُّقعةِ الّتي قد سادَها المؤمنون القرآنيُّون. وهذا امرٌ لا محيدَ عنه لايِّ اصلاحٍ اجتماعيٍّ، ولا مفرَّ من البُخوعِ به وبتطبيقِهِ لايِّ مسلمٍ نابه.

ولعلَّ الآياتِ القرآنيَّةَ والتّعاليمَ الحديثيّةَ الّتي اَورَدْناها في المتنِ في هذا الفصل ـ والفصولِ المضاهيةِ له ـ كافيةٌ لتركيزِ هذا الاتِّجاهِ القرآنيِّ والتّوجيهِ الاسلاميِّ عندَ كلِّ مَن يُريدُ خيراً وصلاحاً وتثبيتاً لاصولِ دينِ الله العمليّة.

الفصلُ الرّابع

العمل والعمالة، ودورهما الرّئيسيّ في البناء الاقتصاديّ (١)

أ ـ العمل في سنّة التّكوين

الكتـــاب

١ .. اَنشَأَكُم من الارضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فيها ..[١]

٢ وجَعَلَ النّهارَ نُشوراً *[٢]

٣ ومِن رحمتِه جَعَلَ لكُم اللّيلَ والنّهارَ لتَسكُنُوا فيه، ولِتَبْتَغُوا من فضلِه ..[٣]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : مَن يَعْمَلْ يَزْدَدْ قُوَّةً .[٤]

---

١ ـ سورة هود (١١) : ٦١.

٢ ـ سورة الفرقان (٢٥) : ٤٧.

٣ ـ سورة القَصَص (٢٨) : ٧٣.

٤ ـ غرر الحكم / ٢٦٩.

٢ الامام علي «ع»: من يُقَصِّرْ في العملِ يَزْدَدْ فَتْرةً.[١]

٣ الامام السجاد «ع»: الحمدُ للّهِ الّذي رَكَّبَ فينا آلاتِ البسط، وجَعَلَ لنا ادواتِ القبض، ومَتَّعَنا بارواحِ الحياة، و اَثبَتَ فينا جوارحَ الاعمال، وغَذّانا بطيِّباتِ الرِّزق، واَغْنانا بفضلِه، واَقْنانا بمنِّه.[٢]

٤ الامام السجاد «ع»: الحمدُ لِلّهِ الّذي خَلَقَ اللّيلَ والنّهارَ بقُوّتِه .. يُولِجُ كلَّ واحدٍ منهما في صاحبِه، ويُولِجُ صاحبَه فيه، بتقديرٍ منه للعِباد، يما يَغذُوهم به ويُنْشِئُهم عليه، فخلق لهمُ اللّيلَ ليَسكُنُوا فيه من حركاتِ التّعَبِ ونَهَضاتِ النَّصَب، وجَعَلَه لباساً ليَلبَسُوا من راحتِه ومنامِه، فيكونَ ذلك لهم جَماماً وقُوّةً، وليَنالُوا به لذّةً وشهوةً. وخلق لهمُ النّهارَ مُبصِراً، ليَبتَغُوا فيه من فضلِه، وليَتَسَبَّبُوا الى رزقِه، ويَسرَحُوا في ارضِه، طلباً لما فيه نيلُ العاجلِ من دنياهم، ودركُ الآجلِ في اُخْراهُم.[٣]

٥ الامام الصادق «ع»: اِعتَبِر يا مُفضَّل! باشياء خُلِقَت لمآربِ الانسان، وما فيها من التّدبير، فاِنَّه خُلِقَ له الحَبُّ لطعامِه، وكُلِّفَ طَحْنَه وعَجْنَه وخَبْزَه. وخُلِقَ له الوَبَرُ لكِسوتِه، فكُلِّفَ نَدْفَه وغَزْلَه ونَسجَه . وخُلِقَ له الشّجرُ فكُلِّفَ غَرسَها وسَقْيَها والقيامَ عليها . وخُلِقَت له العَقاقيرُ لِاَدوِيَتِه، فكُلِّفَ لَقْطَها وخَلْطَها وصُنعَها . وكذلك تَجِدُ سايرَ الاشياء على هذا المثال . فانظُر! كيف كُفِيَ الخلقةَ الّتي لم يَكُن عندَه فيها حيلة، وتُرِكَ عليه في كلِّ شيءٍ من الاشياء موضعُ عملٍ وحركةٍ لما له في ذلك من الصّلاح، لاَنّه لو كُفِيَ هذا كلَّه، حتى لا يكونَ له في الاشياءِ موضعُ شغلٍ وعملٍ، لما حَمَلَتْه الارضُ اَشَراً وبَطَراً، ولبَلَغَ به كذلك الى ان يَتَعاطىٰ اموراً فيه تلفُ نفسِه . ولو كُفِيَ

---

١ ـ غرر الحكم / ٢٦٩ .

٢ ـ الصّحيفة السّجّاديّة / ٣٦ (الدّعاء ١).

٣ ـ الصحيفة السجادية / ٦٨ ـ ٦٩ (الدّعاء ٦).

النّاسُ كلَّ ما يَحتاجُون اليه، لما تَهَنّأُوا بالعيش، ولا وَجَدُوا له لذّة؛ الا تَرى لو اَنّ امرءاً نزل بقومٍ فاقامَ حيناً بلغ جميعَ ما يَحتاجُ اليه من مطعمٍ ومشربٍ وخدمة، لتَبَرَّمَ بالفَراغ، ونازعَتْهُ نفسُه الى التّشاغلِ بشيءٍ؟ فكيف لو كان طولَ عمرِه مكفيّاً لا يَحتاجُ الى شيء؟

وكان من صوابِ التّدبير في هذه الاشياءِ الّتي خُلِقَت للانسانِ اَن جُعِلَ له فيها موضعُ شغلٍ لكيلا تُبْرِمَه البَطالة، ولِتَكُفَّه عن تعاطي ما لا يَنالُه، ولا خيرَ فيه اِن نالَه.[١]

٦ الامام الصادق «ع» : يا مُفضَّل! .. انظُر الى العصافيرِ كيف تَطلُبُ اكلَها بالنّهار، فهي لا تَفْقُدُه، ولا هي تَجِدُه مجموعاً مُعَدّاً، بل تَنالُه بالحركةِ والطّلب، كذلك الخلقُ كلُّه؛ فسبحانَ من قَدَّرَ الرِّزق .. فلم يَجعَل ممّا لا يُقْدَر عليه، اذ جعل للخلقِ حاجةً اليه، ولم يَجعَلْه مبذولاً ويُنالُ بالهُوَيْنا، اذ كان لاصَلاحَ في ذلك، فانّه لو كان يُوجَدُ مجموعاً مُعَدّاً كانتِ البَهائمُ تَتَقَلَّبُ عليه ولا تَنقَلِعُ حتى تَبْشَمَ فتَهلِك. وكان النّاسُ ايضاً يَصيرُون بالفَراغِ الى غايةِ الاَشَرِ والبَطَر، حتى يَكثُرَ الفَسادُ ويَظهَرَ الفَواحش.[٢]

٧ الامام الصادق «ع» : .. ربَمَا احْتاجَ النّاسُ الى العملِ باللّيلِ لضيقِ الوقتِ عليهم في تَقَصّي الاعمالِ بالنّهار، او لشدّةِ الحَرِّ وافراطِه؛ فيَعمَلُ في ضوء القمرِ اعمالاً شتّى كحرثِ الارضِ وضربِ اللَّبنِ وقطعِ الخَشبِ وما اَشبَه ذلك، فجُعِلَ ضوءُ القمرِ معونةً للنّاسِ على معايشِهم إذَا احْتاجوا إلى ذلك..[٣]

---

١ ـ البحار ٣ / ٨٦ ـ ٨٧.

٢ ـ البحار ٣ / ١٠٦.

٣ ـ البحار ٣ / ١١٣ ـ ١١٤.

ب ـ العمل في سنّة التّشريع

الكتـــاب

١ فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا في الارضِ وَابْتَغُوا من فضلِ الله ..[١]

٢ لِيَأْكُلُوا من ثَمَرِه وما عَمِلَتْهُ اَيديهِم ..[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص»: كُلُوا من كَدِّ أيْـــديكُم .[٣]

٢ النبـــي «ص» : طَلَبُ الحلالِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة .[٤]

٣ النبـــي «ص» ـ سُئلَ النّبيُّ «ص» : ايُّ كسبِ الرّجلِ اَطْيَب؟ قال عملُ الرّجلِ بيدِه .[٥]

٤ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائه : طلبُ الكسبِ فريضةٌ بعدَ الفريضة .[٦]

---

١ ـ سورة الجمعة (٦٢) : ١٠.

٢ ـ سورة يس (٣٦) : ٣٥.

٣ ـ البحار ٦٦ / ٣١٤.

٤ ـ البحار ١٠٣ / ٩، عن «جامع الاخبار».

٥ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٦ ـ البحار ١٠٣ / ١٧.

٥ الامام علي «ع» : في كلِّ وقتٍ عملٌ .[١]

٦ الامام الصادق «ع» ـ قال راوي الحديث : كُنّا جُلوساً عندَ ابي عبدِالله «ع»، اذ اَقبَلَ العلاءُ بنُ كامل، فجَلَسَ قُدّامَ ابي عبدِالله «ع» فقال : اُدْعُ الله اَن يَرزُقَني في دَعَةٍ! فقال : لا اَدْعُولك، اُطْلُبْ كما اَمَرَك اللّهُ عزّ وجلّ![٢]

ج ـ الحثّ على العمل (١)

الكتـــاب

١ .. وَكانَ سَعْيُكُم مَشكوراً *[٣]

٢ وُجوهٌ يَومَئذٍ ناعِمة * لِسَعْيِها راضية *[٤]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : مَن اَكَلَ من كَدِّ يدِه، مَرَّ على الصِّراطِ كالبرقِ الخاطف .[٥]

---

١ ـ غرر الحكم / ٢٢٥.

٢ ـ الكافي ٥ / ٧٨.

٣ ـ سورة الانسان (٧٦) : ٢٢.

٤ ـ سورة الغاشية (٨٨) : ٩.

٥ ـ المستدرك ٢ / ٤١٧.

٢ النبـــي «ص» : من اَكَلَ من كدِّ يدِه حلالاً، فُتِحَ له ابوابُ الجنّة، يَدخُلُ من اَيِّها شاء .[١]

٣ النبـــي «ص» : من اَكَلَ من كدِّ يدِه، نظر اللّهُ اليه بالرّحمة، ثم لا يُعَذِّبُه ابداً .[٢]

٤ النبـــي «ص» : ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائِه : من باتَ كالاًّ من طلبِ الحلال، بات مغفوراً له .[٣]

٥ النبـــي «ص» ـ جاء رجلٌ الى النبيّ «ص» وقال : ما طَعِمْتُ طعاماً منذيومين . فقال : عليك بالسُّوق ..[٤]

٦ النبـــي «ص» : من لم يَستَحْيِ من الحلالِ نَفَعَ نفسَه، وخَفَّت مؤونتُه، ونُفِيَ عنه الكبر ..[٥]

٧ النبـــي «ص» : اِنّ منَ الذُّنوبِ ذُنوباً لا يُكَفِّرُها صلاةٌ ولا صدقة . قيل : يا رسولَ الله! فما يُكَفِّرُها؟ قال : الهُمومُ في طلبِ المعيشة .[٦]

٨ النبـــي «ص» : من اَكَلَ من كدِّ يدِه، كانَ يومَ القيامةِ في عِدادِ الانبياء، ويأْخُذُ ثوابَ الانبياء .[٧].

٩ عيسى المسيح «ع» ـ روي في اخبارِ الحواريّين :اَنَّهُمُ اتَّبَعُوا عيسى «ع»، وكانوا اذا جاعُوا قالوا : يا روحَ اللّهِ جُعْنا! فيَضرِبُ بيدِه على الارض ـ سهلاً كان او جبلاً ـ فيَخرُجُ ماءٌ فيَشرَبُون .. قالوا : يا روحَ الله! مَن افضلُ منّا، اذا شِئْنا اَطْعَمْتَنا، واذا شِئْنا سَقَيْتَنا ، وقد آمَنّابك واتَّبَعْناك؟ قال : اَفضلُ

---

١ و ٢ ـ المستدرك ٢ / ٤١٧ .

٣ ـ الوسائل ١٢ / ١٣.

٤ ـ سفينة البحار ١ / ٥٨٤.

٥ ـ تحف العقول / ٤٨.

٦ و ٧ ـ المستدرك ٢ / ٤١٥ و ٤١٧ .

منكُم مَن يَعمَلُ بيدِه ويَأْكُلُ من كسبِه .[١]

د ـ الحثّ على العمل (٢)

الكتـــاب

١ وجَعَلنا آيةَ النَّهارِ مبصرةً، لِتَبْتَغُوا فضلاً من رَبِّكُم ..[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : الكادُّ على عيالِه كالمجاهدِ في سبيلِ الله .[٣]

٢ الامام علي «ع» : .. الحرفةُ مع العفّةِ خيرٌ من الغنى مع الفُجور .[٤]

٣ الامام علي «ع» : اوصيكم بالخشيةِ من اللّهِ في السّرِّ والعلانية، والعدلِ في الرّضا والغضب، والاكتسابِ في الفقر والغنى ..[٥]

٤ الامام الباقر «ع» : اِنّ الصّدقةَ لا تَحِلُّ لمحترِفٍ، ولا لذي مِرَّةٍ سَويٍّ قويٍّ،

---

١ ـ سفينة البحار ٢ / ٤٧٨.

٢ ـ سورة الاسراء (١٧) : ١٢.

٣ ـ المستدرك ٢ / ٤٢٤.

٤ ـ نهج البلاغة / ٩٣٠؛ عبده ٣ / ٥٨.

٥ ـ تحف العقول / ٢٨٨.

فتَنَزَّهُوا عنها .[1]

٥ الامام الصادق «ع» ـ اِنّ رجلاً اَتىٰ ابا عبدِالله «ع» فقال : اِنّي لا اُحْسِنُ اَن اَعمَلَ عملاً بيدي، ولا اُحسِنُ اَن اَتَّجِر، وانا مُحارِفٌ محتاج، فقال : اِعمَلْ، فاَحْمِل على رأسِك، واسْتَغْنِ عن النّاس .[2]

٦ الامام الكاظم «ع» : من طلبَ هذا الرّزقَ من حِلِّه، ليَعُودَ به على نفسِه وعيالِه، كان كالمجاهِدِ في سبيلِ الله .[3]

٧ الامام الرضا «ع» : اِنّ الّذي يَطلُبُ من فضلٍ يَكُفُّ به عيالَه، اَعظَمُ اجراً من المجاهِدِ في سبيلِ الله .[4]

٨ الامام علي «ع» : ما غُدْوَةُ أحدِكُم في سبيلِ الله بأعظَمَ من غُدْوَتِه يَطلُبُ لوُلْدِه وعِيالِه ما يُصلِحُهُم .[5]

هـ ـ إتقان العمل -

١ النبـي «ص» : اذا عَمِلَ احدُكم عملاً فَلْيُتْقِنْ .[6]

٢ النبـي «ص» : ..لكنَّ الله يُحِبُّ عبداً اذا عَمِلَ عملاً اَحْكَمَه .[7]

---

١ ـ الوسائل ٦ / ١٥٩ .

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٢٣ .

٣ ـ الوسائل ١٢ / ١١ .

٤ ـ تحف العقول / ٣٢٨ .

٥ ـ المهذَّب ١ / ٣٤٤ .

٦ ـ سفينة البحار ٢ / ٢٧٨ .

٧ ـ امالي الصدوق / ٣٤٤ .

و ـ انتظام العمل

١ النبـــي «ص» ـ فيما نَقَلَه «ص» عن صُحُفِ ابراهيم «ع» لا بي ذرٍّ الغِفاريّ : على العاقلِ اَن (لا) يَكونَ ظاعناً الاّ في ثلاثٍ : تَزَوُّدٍ لمعادٍ، او مَرَمَّةٍ لمعاشٍ، او لَذّةٍ في غيرِ مُحرَّمٍ.[١]

٢ الامام علي «ع» ـ في وصيّتِه التّاريخيّةِ المشهورة : .. ونظمِ امرِكم.[٢]

٣ الامام علي «ع» : .. ايّاك والعجلةَ بالامورِ قبلَ اَوانِها، او التَّساقُطَ فيها عندَ امكانِها، او اللّجاجةَ فيها اذا تَنَكَّرَت، او الوهنَ عنها اذَا اسْتَـوضَحَت؛ فضَعْ كلَّ امرٍ موضعَه، و اَوقِعْ كلَّ عملٍ موقعَه.[٣]

٤ الامام علي «ع» : .. اَمْضِ لكلِّ يومٍ عَمَلَه، فاِنَّ لكلِّ يومٍ ما فيه.[٤]

٥ الامام علي «ع» : الدُّنيا دُوَلٌ، فَاطْلُب حظَّك منها بأَجمَلِ الطّلب.[٥]

ز ـ العمل بالعلم والاختصاص

الكتـــاب

---

١ ـ مكارم الاخلاق / ٥٥٧.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٧٧؛ عبده ٣ / ٨٥.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٢٠.

٤ ـ نهج البلاغة ١٠٢٢؛ عبده ٣ / ١١٤.

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٢٩.

١ قالَ اجْعَلْني على خزائنِ الارض، اِنّي حفيظٌ عليم *[١]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : النّاسُ ابَناءُ ما يُحْسِنُون.[٢]

٢ الامام علي «ع» : قيمةُ كُلِّ امْرِىءٍ ما يُحسِنُه.[٣]

* قال الشّريفُ الرّضي، في ذيل هذه الحكمة: «وهذه الكلمةُ الّتي لا تُصابُ لها قيمة، ولا تُوزَنُ بها حكمة، ولا تُقرَنُ اليها كلمة». وهذا الكلام اداءٌ لحقِّ هذه الحكمةِ الخالدةِ والبّناءة. وهي بدورِها تنفي القِيَمَ الواهيةَ التي يحسبُها الانسانُ قيمـــةً لنفسه . فليست قيمةُ كلِّ امْرِئٍ مَا امْتَلَكَه من المالِ والثّروة، او ما حازَه من الجاهِ والجلالة، وما الى ذلك كلِّه، بل قيمتُه الواقعيّةُ هي مايُحسِنُه . و لا فرق بين ان يكونَ المرادُ ما يُحسنُه الانسان، او مايحُسِنُ الانسان . لان الثّانيَ ايضاً هو الاوّلُ في النّظرة الحكيمة .

٣ الامام الصادق «ع» : ما اُبالي الى مَنِ ائْتَمَنْتُ، خائناً او مُضيِّعاً.[٤]

٤ الامام الصادق «ع» : كلُّ ذي صناعةٍ مضطرٌّ الى ثلاثِ خِلالٍ يَجتَلِبُ بها

---

١ ـ سورة يوسف (١٢) : ٥٥.

٢ ـ ارشاد المفيد / ١٤٢؛ وفي طبعة : ١٥٨.

٣ ـ نهج البلاغة / ١١٢٢؛ عبده ٣ / ١٦٨.

٤ ـ تحف العقول / ٢٧٠.

المَكسَب، وهو : اَن يكونَ حاذقاً بعملِه ..[١]

* راجع ايضاً : الفصلَ الحادي عشر، من هذا الباب .

ح ـ العمل بالالتزام

الكتـــاب

١ والّذينَ هُم لَاماناتِهم وعَهدِهم راعُون *[٢]

٢ .. اِنَّ خيرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القويُّ الامين *[٣]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : كلُّ ذي صِناعةٍ مضطرٌّ الى ثلاثِ خِلالٍ يَجتَلِبُ بها المَكسَب، وهو : اَن يكونَ حاذقاً بعملِه، مُؤدِّياً للامانةِ فيه، مُستميلاً لمنِ اسْتَعمَلَه .[٤]

---

١ ـ تحف العقول / ٢٣٧ .

٢ ـ سورة المعارج (٧٠) : ٣٢.

٣ ـ سورة القصص (٢٨) : ٢٦.

٤ ـ تحف العقول / ٢٣٧.

نظرة الى الفصـــل

اِن لِلعملِ اهميّةً رئيسيّةً في حياةِ الانسان، وهي امرٌ معلوم. ولقد تَجَسَّدَت تلك الاهميّةُ في التّعاليمِ الاسلاميّةِ وبَدَت واضحةَ الجوانب، مكشوفةَ الاغوار، بوصفِها حافزاً ايجابيّاً قويّاً لنفخِ روحِ السّعيِ والاجتهادِ في الافرادِ والقِطاعات. اِنّ هذه التّعاليمَ قد اَوضَحَت، بصُورٍ واساليبَ شتّى، اَنّ العملَ كما اَن له دوراً حياتيّاً في نِظامِ الانتاجِ والزّراعةِ والعمرانِ والاقتصاد الاجتماعيّ، فكذلك له دورٌ حياتيٌّ هامٌّ في النّظامِ الثّقافيِّ والاخلاقيِّ والرّوحيِّ والتّربَويِّ والسِّياسيِّوالدّفاعيِّ ايضاً .ومن هنا قدِ اتَّخَذَ الاسلامُ بالنّسبةِ الى العملِ والتّرغيبِ البالغِ المُحتَّمِ فيه، موقفاً حاسماً حافزاً يُوَفِّي الموضوعَ حقَّه، ويَتمتَّع باصالةٍ وتوجيه، كاَبلَغِ ما تكونُ الاصالةُ والتّوجيه.

ولعلَّه يَكفي للتّدليلِ على هذا الموضوع، اَن نَتَعَمَّقَ في كلماتِ الامامِ المعلِّم، ابي عبدِالله جعفرٍ الصّادق «ع»، حيث يَشرَحُ اسرارَ العملِ الفرديّةِ والاجتماعيّةِ واهميّاتِه المختلفة، لتلميذِه المُفضَّلِ بنِ عمر الجُعفيّ، في حديثٍ طويل، اَورَدْنا مَقاطِعَ منه في الفصل، الفقرةِ «أ».

ولِاَن نُلْقِيَ ضوءاً على ما للعملِ من الاهميّةِ في التّصوُّرِ الاسلاميّ، نُشيرُ الى جهاتٍ هامّةٍ تُرَكِّزُ قيمةَ العملِ وتُجَلِّي تأثيرَه الايجابيَّ الوحيدَ في شتّى مناحي حياةِ الانسان، وتُرَغِّبُ النّاسَ في تَبَنِّيهِ والتّفاعلِ معه:

١ ـ الجهةُ الطّبيعيّة.

٢ ـ الجهةُ الانسانيّةُ الجسميّة.

٣ ـ الجهةُ الانسانيّةُ الرّوحيّة.

٤ ـ الجهةُ الحياتيّة .
٥ ـ الجهةُ التّربويّة .
٦ ـ الجهةُ التّعليميّة .
٧ ـ الجهةُ الاخلاقيّة .
٨ ـ الجهةُ التّكامليّة .
٩ ـ الجهةُ الاجتماعيّة .
١٠ ـ الجهةُ البِيئيّة .
١١ ـ الجهةُ الاقتصاديّة .
١٢ ـ الجهةُ التّشريعيّة .
١٣ ـ الجهةُ الثّقافيّة .
١٤ ـ الجهةُ السّياسيّة .
١٥ ـ الجهةُ الدّفاعيّة .
١٦ ـ الجهةُ الفنّيّة .
١٧ ـ الجهةُ الصِّحِّيَّة .
١٨ ـ الجهةُ التّقدُّميّة .
١٩ ـ الجهةُ الصّناعيّة .
٢٠ ـ الجهةُ الرّفاهيّة .

والى القارئ شرحاً مقتضباً لهذه الجهات :

شرح الجهات الهامّة الّتى تركّز قيمـــة العمل

١ ـ الجهةُ الطّبيعيّة : اِنّ النّواميسَ السّائدةَ على الكَونِ والخلقِ و المجتمع ، تُوجِبُ العملَ وتَحتِمُه بالذّات، لِاَنَّ اخراجَ المواهبِ الطّبيعيّةِ من القُوّةِ الى الفعليّة واِعدادَها لاستفادةِ الانسانِ في حياتِه منها، اِنّما يَحتاجُ

الى العمل، بل يَتَوَقَّفُ عليه في الاغلبِ رأساً؛ فكلُّ شيءٍ يَقَعُ في مُتَناوَلِ الإنسانِ لاستهلاكِه ليلَ نهار، إنّما يَتِمُّ بفضلِ ما عُمِلَ فيه .

٢ ـ الجهةُ الانسانيّةُ الجسميّة : اِنّ العملَ يُؤَدِّي كذلك الى خروجِ قُوى الانسانِ الجسميّةِ الى الفعليّة، والى تقويمِ بدنِه وفَتْلِ عَضُلاتِه، وبروزِ مواهبِه النّظريّةِ لدى التّفاعل مع الواقعِ في صُوَرٍ من العملِ و الكـدِّ ؛ فبهما يَتَقَوّىٰ كيانُ الانسانِ العمليُّ، ويَتَجَلّى نَشاطُه الصّامد، فتَكْمُلُ قُواه وتَتَزايَد . وهذا كما يقولُ الامام عليٌّ «ع» : «من يَعمَلْ يَزْدَدْ قُوّةً، من يُقَصِّرْ في العملِ يَزْدَدْ فَترَةً» .[1]

في هذا الضّوء، اِنّ تركَ العملِ بل التّقليلَ منه، يُوجِبُ الفتورَ الجسميَّ فالرّوحيّ . وعلى العكسِ منه، التّوفُّرُ على العمل، فإنّه سببٌ يَخرُجُ به قُوى الانسانِ وقُدُراتُه الجسميّةُ الى الفعليّةِ والظُّهور ـ كما مرّ ـ وبكلامٍ آخر، كما اَنّ الانسانَ يَحتاجُ الى الغِذاءِ كذلك يَحتاجُ الى العمل . واِنّ العملَ للجسمِ الانسانيِّ كالماءِ للنّبات .

٣ ـ الجهةُ الانسانيّةُ الرّوحيّة : من الواضح، اَنّ تأثيرَ العملِ في الكيانِ الانسانيِّ بالتّقويةِ والتّنشيطِ لا ينحصرُ في الجهةِ الجسميّةِ فقط، بل يَتعدّاها الى الجهةِ الرّوحيةِ والمعنويّة، اذ العملُ يُصَفِّي الرّوحَ و يُجَلِّي المواهبَ الباطنةَ ويَصقُلُ الضّميرَ الانسانيَّ . وبالعملِ تُؤَدَّى الاعمالُ والوظائفُ الدّينيّة، فالانسانُ يَحتاجُ الى العملِ لا من جهةِ جسمِه فقط، بل من جهةِ روحِه ايضاً . والعملُ يَصنَعُ روحَ الانسانِ ويَشيدُ كيانَه المعنويّ . والفَراغ والبطالةُ ـ بما لهما من الآثارِ السّلبيّة ـ يَمحَقانِ معنويَّةَ الانسانِ ويفنِيانها . ولقد عدَّ الامامُ الصّادق «ع» ـ فيما نَقَلْناه ـ العملَ للانسانِ

---

١ ـ غرر الحكم / ٢٦٩.

واجباً تكوينيّاً وضرورةً طبيعيّةً وانسانيّة. وإنّ تعبيرَه «كُلِّفَ»، يُفهِم بوضوحٍ، اَنّ العملَ وظيفةٌ جدِّيّة قد وَضَعَتْها حكمةُ العالَمِ ونواميسُه على عاتقِ الانسان.

٤ ـ الجهةُ الحياتيّة: إنّ حياةَ الانسانِ على ظهرِ هذه السّيارةِ وبقاءَه فيها، مع ما يَكْتَنِفُ الحياةَ الارضيّةَ من النّواميسِ والقوانينِ والملائماتِ والمضّادات، إنّما تَحتاجُ الى العمل، بل تَقومُ به و تَتَوَقَّفُ عليه. فلا حياةَ لولا العمل. فالعملُ ضرورةٌ حياتيّةٌ قبلَ كلِّ شيء. وهذه حقيقةٌ قائمةٌ ملموسةٌ لكلِّ احد، وقد قَرَّرَتْه حكمةُ العالَمِ هكذا. وألْهَمَ الانسانُ القيامَ بتطبيقِها لاَن يَعيشَ ويَدوم. ولقد اشارالامامُ الصّادق «ع» في كلامِه عن فلسفةِ العملِ والاشتغال، الى اَنّ العملَ يَصُونُ الانسانَ من التّلفِ والبَوار والفَناء.[1]

٥ ـ الجهةُ التّربَويّة: يُؤَدِّي العملُ الى تفاعلِ الانسانِ مع الطّبيعةِ ولمسِ قوانينِها، لإثارةِ ما فيها من المواهب، والانصهارِ بما فيها من الرُّموز. فالانسانُ يَتعامَلُ مع الطّبيعةِ ومظاهرِها وظواهرِها بعملِه، والطّبيعةُ كذلك تَتعامَلُ مع الانسانِ وتَخلُقُ فيه آثاراً ايجابيّةً جليلة، تُرَبِّيه وتُوَسِّعُ آفاقَ وجودِه وتجاربِه. نَعَم، الانسانُ يُثَقَّفُ بمباشرةِ العملِ وتَنمُو قواه الادراكيّةُ في ميادينِ الكَدِّ والاجتهادِ العمليّ، مثلَما يُثَقَّفُ وتَنمُو قواه الادراكيّةُ في ميادينِ الفكرِ والعلم.

٦ ـ الجهةُ التّعليميّة: يَكشِفُ الانسانُ في اَثناءِ العملِ والمباشرةِ ما لم يَكُن مكشوفاً له من قبل. فالعملُ مدرسةُ المعرفةِ والتّجربة، لاَنّه يُعَلِّمُ

---

١ ـ البحار ٣ / ٨٦، مرَّ حديثُه في الفصل.

الانسانَ ما لم يَعلَم، ويَرفَعُ السِّتارَ له عن النّواميسِ الحاكمةِ على الطّبيعة، ويُكَوِّنُ له عقلاً عمليّاً جبّاراً يُسَيْطِرُ به على الآفاق، حيث يَفْتَحُ عينَيه على الطّبيعةِ وما فيها، وما يَلزَمُ للاستمتاعِ بها وتسخيرِها من المساعي الباهظةِ والادواتِ الدّقيقة . وهناك يَنكَشِفُ لدى الانسانِ ما في العالَمِ من الصِّلاتِ الثانويّةِ والاسرارِ المتشابكة، من الّتي ربما لا تَنكَشِفُ بغيرِ العمل .

ومن هنا نُشاهِدُ اَنّ العلمَ الّذي قدحَصَلَ للبشريّةِ من العملِ والسّعيِ المباشر، من سالفِ الايّامِ الى العصرِ الحاضر، له شأنٌ لا يُستَهانُ به، في حياةِ الانسانِ وتطويرِها المُعجِب .

٧ـ الجهةُ الاخلاقيّة : اِنّ دورَ العملِ في اِغناءِ الخُلقِ الانسانيِّ وتهذيبِه واضحٌ ايضاً، اذ العملُ مسؤوليّةٌ، فمَن شَعَرَ بتلك المسؤوليّةِ واقدم على ادائِها يَبتَعِدُ عن العَطالةِ واللّامبالاة، فيَسلَمُ من مفاسدِ الفَراغِ واَضرارِه واَضرارِ الاشتغالِ بالعَبَثِ واللّهو . وهنا تَتَفَتَّحُ قُواه الاخلاقيّةُ وتَتَهَذَّبُ نفسُه الشّاعرةُ بالمسؤوليّة، السّاعيةُ لتجسيدِها. واِنّ مضرّاتِ العُطْلةِ والفراغِ الخُلقيّة واضحة . وهذا ما اشارَ اليه الامامُ الصّادق «ع» بقولِه : «.. وكان النّاسُ ايضاً يَصيرُون بالفَراغِ الى غايةِ الاَشَرِ والبَطَر، حتى يَكثُرَ الفَسادُ ويَظهَرَ الفواحش»[1] . ولقد اشارَ الامام «ع» في مقطعٍ آخرَ من هذا الكلام، الى اَنّ العملَ والاشتغالَ يُحَصِّنُ الانسانَ ضدَّ الاَشَرِ والبَطَرِ والتَّمَيُّعِ والسُّقوط .[2]

٨ ـ الجهةُ التّكامليّة : اِنّ العملَ والسّعيَ يَجعَلان الانسانَ يَمُسُّ واقعَ الحياةِ الارضيّة، الّتي هي حركةٌ هادفة (والحركةُ الهادفةُ متكاملةٌ بالطّبع)، ويُمَكِّنانِه من اَن يَتَّصِلَ بالطّبيعة، اتِّصالَ التّعامُل، واَن يَأنَسَ بها من كَثَب .

---

١ و ٢ ـ البحار ٣ / ٨٦ و ما بعدها، مَرَّ بعضُ هذا الكلامِ في الفصل .

وهذه مرحلةٌ عظيمةٌ في التّجربةِ الانسانيّةِ والسّيرِ التّكامليّ . فكيف يَتكامَلُ انسانٌ لا يَعرِفُ الطّبيعةَ وأبعادَها الغامضةَ الاسرار، البعيدةَ الاغوار، ولا يُعالِجُ تلك الابَعادَ ولا يُمارِسُها ولا يَقِفُ عليها مباشراً؟

فبالعملِ يَغُوصُ الانسانُ في غَمَراتِ الطّبيعةِ وبحارِ الحياة، ويَغطِسُ فيها ليَستَخرِجَ منها اَنفَسَ الاشياءِ وأثْمَنَها، وهوَ انْصِهارُه بروحِ الحركةِ النّشيطةِ المتجاوبةِ مع سائرِ ما في الوجودِ من كائن، في استهدافٍ وسعي، فيَصيرَ بذلك جزءاً فعّالاً هادفاً منسجماً مع سائرِ اجزاءِ العالَمِ الفسيح .. فيَصعَدَ في سُلَّمِ التّكاملِ المنشود . وهذا مالا تَصِلُ اليه ايدي العاطلين والبطّالين والفارغين والعابثين واللاّهين، اذ العَبَثُ واللّهوُ يَفصِلُ الانسانَ عن الواقعيّةِ والحياة، ويَحجُبُه عن حقائقِ الطّبيعةِ ومضمونِ الزّمن . فالانسانُ العاطلُ يَلمِسُ البُعدَ عن الواقعِ باليد، ويَستَنْكِرُ الموضوعيّاتِ الحياتيّة، ويُحرَمُ من التّفاعلِ معها ولا يُجاوِبُها ولا يَنصَهِرُ بروحِها .

٩ ـ الجهةُ الاجتماعيّة : نَجِدُ من الجانبِ الاجتماعيِّ ايضاً اَنّ العملَ ضرورةٌ اجتماعيّة، لا يُمكِنُ اهمالُها، ولا تُحمَدُ عُقْبَى التّخلّي عنها، فواجبُ كلِّ فردٍ من افرادِ المجتمعِ الانسانيِّ اَن يشتغلَ بعمل، واَن يُشارِكَ النّاسَ في تأمينِ حاجاتِ النّاس ـ وهو منهم ـ واَن يسعى تماماً لاَن يُطَوِّرَ ملامحَ الحياةِ بانتاج . فالعاملُ يُفيدُ المجتمعَ بعملِه وانتاجِه، ويَستَفيدُ من السّائرين باعمالِهم وانتاجِهم، فهو مُنتِجٌ متاعاً ومُستَهلِكٌ متاعاً، فيَتعامَلُ مع النّاس، يُعطي لقسمٍ منهم ويَأْخُذُ منْ قسمٍ آخر . وبذلك يَخرُجُ من الرّكودِ والسّكونِ والاهمالِ واحساسِ الغربةِ والبُعدِ عن النّاسِ الى الحركةِ والنّشاطِ والكَدِّ والتّآلُف، فلايكونُ مُلْقِياً كَلَّه على النّاس، ولا يَكونُ منفصِلاً منهم، بل يَكونُ مُشارِكَهم في دفعِ عجلةِ الحياةِ الاجتماعيّة الى الاَمام . وهذا الانسانُ يُحِسُّ بالامل، ويَنظُرُ الى المستقبلِ نظرَ آملٍ نَشيط،

ويَتَخَلَّصُ من مَخالبِ اليأسِ والاهمالِ والعَبَثِ والتّكرارِ المُمِلِّ المُزْعِج، وسائرِ ما هنالك من سلبيّاتِ الفراغِ ومفاسِده . وهذا ما يُشيرُ اليه الامامُ الصّادق «ع» بقولِه : «وهكذا الانسانُ لو خَلا من الشُّغل، لخرج من الاَشَرِ والعَبَثِ والبَطَرِ الى ما يَعظُمُ ضررُه عليه وعلى مَن قَرُبَ منه؛ وَاعْتَبِرْ ذلك بمن نشأَ في الجِدَةِ ورفاهيةِ العيشِ والتّرَفُّهِ والكفاية، وما يُخرِجُه ذلك اليه»[1].

١٠ ـ الجهةُ البيئيّة : من أهمِّ آثارِ العملِ الايجابيّة، اِخضاعُ النّفسِ لتكاليفِه، فيعَمَلُ الانسانُ ولا يَأْبى عنه. وعندَ ذلك يَجِدُ نفسَه مُفيداً لنفسِه ولعائلتِه، مُعَزَّزاً في بيئتِه، حيث لا يَجِدُهُ الاقرباءُ والاصدقاءُ فارغاً كَسِلاً، بل يَجِدُونه كادّاً ساعياً مُجِدّاً، قد وَضَعَ المسؤوليّة على عاتقِه كانسانٍ ملتزم، ويُشارِكُ العائلةَ والبيئةَ في تأمينِ الحاجيّاتِ وتطويرِ العيشِ وتغييرِها، ولا يُجانِبُ السّاعين والملتزمين بوجه، فهو عزيزٌ كسائرِ الاعِزّاء، مفيدٌ مُثمِرٌ كما يَنبغي لاَيِّ فردٍ اَن يكون . وهذه الحالةُ اِنّما تَحصُلُ بفضلِ ما يَقومُ به الانسانُ من العملِ واداءِ ما عليه من الواجب . فيُعِدُّ حاجيّاتِه بنفسِه، وحاجيّات عائلتِه وغيرِها، ويَدفَعُ بذلك عن نفسِه الفقرَ وذُلَّه، فيُحَصِّنَ جانبَ شخصيّتِه عن ايِّ وَهْنٍ او ازْدِراء، ويَتَمَتَّعَ من رضا الخالقِ ـ جلَّ اسْمُه ـ وتوقيرِ المخلوق، واطمينانِ النّفسِ وسكينةِ الضّمير .

١١ ـ الجهةُ الاقتصاديّة : لعلَّ هذه الجهة ـ من الجِهاتِ الّتي تُجَسِّدُ اَمامَنا اهميّةَ العمل ـ لا تَحتاجُ الى ايضاح، لِاَنّها من اجلى الواضحات . فالاقتصادُ يَقومُ على التّصرُّفِ في الطّبيعةِ وما لَها من الموارد . وهذا لا لايَتَسنّى الاّ بالعمل . فالعملُ للاقتصادِ كالعِمادِ للبيت، فكما اَنّه لا بيتَ

---

١ ـ البحار ٣ / ٨٧.

بلاعماد، فكذلك لا اقتصادَ بلا عمل. ولا فرقَ هنا بين الاقتصادِ الفرديِّ والمجتمعيّ؛ فعلى الانسانِ اَن يكونَ ذا عملٍ وشغلٍ، بصورةٍ تُؤَمِّنُ حاجاتِه وحاجاتِ مجتمعِه، وتَزيدُ على ثَرواتِ اُمّتِه. ولذلك قد جعل اللّهُ للنّاسِ القدرةَ على العمل، و«رَكَّبَ فيهم آلاتِ البسط، وجَعَلَ لهم ادواتِ القبض، ومَتَّعَهم بارواحِ الحياة، واَثْبَتَ فيهم جوارحَ الاعمال ..»[1] ـ على حدِّ تعبيرِ مولانا الامام عليِّ بنِ الحسينِ السَّجّاد «ع» ـ وطَبَعَهم على الشّوقِ الى السّعيِ والكدِّ، ومَنَحَهمُ الفكرَ الهاديَ والباعثَ على العمل (والفكرُ مرآةٌ صافية)[2]، وجعل الارضَ وما فيها وما عليها بحيث يَتَيَسَّرُ للانسانِ العملُ فيها، فلاعُذَر للانسانِ في تركِ العملِ والاشتغال، والقاءِ الكَلِّ على الآخرين. ولقد لَعَنَ الاسلامُ من اَلْقىٰ كَلَّه على النّاس، وكان وَبالاً على الاقتصادِ الاجتماعيِّ والاموالِ العامّة، مُستَمتِعاً بكُدودِ الآخرين. وحَتَمَ على كُلِّ فردٍ اَن يقومَ بعملٍ وشغل، ساعياً، جادّاً، ملتزماً، اميناً، مُتقناً، حتى تَدورَ عجلةُ الحياةِ البشريّةِ بصورةِ التّعاونِ والتّواطؤ، و يَجْنىٰ كُلُّ انسانٍ ثِمارَ عملِه، لا اعمالَ غيرِه فقط، وتكونَ جَناةَ كلِّ يدٍ لِفيها.

١٢ ـ الجهةُ التّشريعيّة: لقد اَشَرنا في البُحوثِ السّالفةِ الى اَنّ النّظامَ التّشريعيَّ مُبتَنٍ على النّظام التّكوينيِّ متجاوبٌ معه، وَاَنَّ الاحكامَ الالهيّةَ التّشريعيّة، تَتَّجِـهُ نحوَ ما تَتَّجِهُ اليه النّواميسُ الالهيّةُ التّكوينيّةُ والفطريّة، من جميعِ الجوانب، كالسَّدادِ والدِّقّةِ والنّظمِ والانسجام. ومن هنا فاِنّ مستَوى العملِ واهميّتَه في التّشريعِ هو مستواه واهميّتُه في النّظامِ التّكوينيّ. ولا جَلِ ذلك فقد اَكَّدَ الشّارعُ على العملِ واهميّتِه واَوضَحَ

---

١ ـ الصحيفة السجادية / ٣٦ (الدعاء ١)، مَرَّ المقطعُ في الفصل.

٢ ـ نهج البلاغة / ١٠٩٠ و ١٢٥٦؛ عبده ٣ / ١٥٢ و ٢٣٩.

حِكَمه ورموزَه وفوائدَه، ودَعا الى مُنَشِّطاتِ العملِ ورَدَعَ عن مُثَبِّطاتِه. ومن اهمِّ ما اَلْقاهُ الشّارعُ الاسلاميُّ ترغيباً في العملِ و تشجيعاً عليه، هو التّصريحُ بَانّ الفارغَ والعاطلَ لا تُستَجابُ لهما دعوة. قال النّبيُّ «ص» : «اِنّ اَصنافاً من اُمّتي لا يُستَجابُ لهم دعاؤُهم .. ورجلٌ يَقْعُدُ في بيتِه ويقولُ : يا رَبِّ ارْزُقْني». سيَأتي الحديثُ في الفصلِ القادم.

١٣ ـ الجهة الثّقافيّة : اِنّ الثّقافةَ فكرٌ وعملٌ وعملٌ وفكرٌ. فلاثَقافَةَ ناضجةً بدونِ العمل، كما انّه لا ثَقافةَ واعيةً بدونِ الفكر. وهذا واضح. فايُّ قومٍ وُجِدُوا في العالَمِ قد تَمَتَّعُوا من ثَقافةٍ راقية، من دونِ اَن يكونُوا اهلَ العملِ والمُثابَرَةِ والسّعي؟ فالشَّعبُ اذا كان افرادُه عاملين ساعين ـ كلٌّ في حَقْلِهم ـ مُمارِسين لاداءِ ما عليهم من الواجبِ العمليّ، بحيثُ يَعُدُّون الشُّغلَ والعملَ التزاماً، ويَجتَنِبُون كلَّ عبثٍ او اهمالٍ او كسلٍ، ولا يُوجَدُ فيه اُناسٌ عابثون فارغون، فاِنّ ذلك يُؤَدّي الى رُشدِه الثّقافيِّ ايضاً، و يَستَتبِعُ نُضجاً ثَقافيّاً عمليّاً، تَنبَعُ منه اسبابُ التَّقدُّم، وتَتَرَسَّخُ فيه عناصِرُ النَّباهةِ والالتزام، بخلافِ ما اذا كانَ الاهمالُ و التَّعطُّلُ سائدَين في شَعبٍ، وكان تركُ الالتزامِ العمليِّ امراً هَيِّناً عندَ افرادِه.

١٤ ـ الجهةُ السّياسيّة : يَحوي العملُ من الجانب السِّياسيِّ ايضاً اهميّةً كبرى، فاِنّ النّاسَ اذا كانوا ملتزمين بالعمل، آخذين انفسَهم به باستمرارٍ، مستظهِرين بروحِ الكدِّ والسّعيِ والمُمارَسَة، يُطَوِّرُون المجتمعَ الى الغنى والاكتفاءِ الذّاتيّ، ولاسيَّما اذا قامُوا بايفاءِ العملِ حقَّه، مع رعايةِ السّلامةِ والاِتقان، ومع تبنّي الاختصاص، والتَّوَفُّرِ على الامانة، وحسنِ السُّمعَة، والمُثابَرَةِ على التّطويرِ والتّحديثِ والتَّقدُّم، في اعمالِهم وانتاجاتِهم وصناعاتِهم.

من المعلوم، اَنّ هذه الحالةَ تَجُرُّ المجتمعَ الى الامام، وتُحَسِّنُ الوضعَ السّياسيّ، خصوصاً لدى الاجانب؛ فتكون سبباً وحافزاً لِتقدُّمِ القومِ على المستوى العالَميِّ بسُمْعَةٍ حسنةٍ وكيانٍ مصون.

١٥ ـ **الجهةُ الدّفاعيّة**: اِنّ الّذي قُلناه في الجهةِ السّابقةِ يَجري هنا ايضاً. اذ لا شَكَّ في اَنّ الحركاتِ والاعمالَ الدِّفاعيّةَ لا تَصدُرُ عن قومٍ لاهين فارغين عاطلين، ذوي اراداتٍ واهيةٍ وابدانٍ هزيلة. فالجِدُّ الّذي يَقتَضيه الدِّفاعُ عن البلدِ والدِّينِ والعِرضِ والاموالِ والمواريث، لا يَقُومُ الّا على العزائمِ الرّاسخةِ والسّواعدِ المفتولة، الّتي صَقَلَها العملُ و سَدَّدها. والدِّفاعُ يَقومُ عمدةُ امرِه على اساسِ اقتصادِ المجتمعِ وكيفيّته. وذلك لواقعين هامَّين:

١ ـ القُوّاتُ الدّفاعيّة؛ اِنّ تلك القُوّات ـ ولا بُدَّ منَ اَن تكونَ مسلّحة ـ تَحتاجُ الى ادواتِ الدّفاعِ وآلاتِه الدّقيقةِ والرّصينةِ والغالية ـ ولا سيَّما الحديثةِ منها ـ وكلُّ ذلك لا يَحصُلُ الّا بالعملِ والانتاج، خصوصاً في المصانعِ العسكريّة.

٢ ـ الاقتصادُ المستقلّ؛ اِنّ بُنيَةَ المجتمعِ الاقتصاديّةَ هي الّتي تُحَصِّنُه ضدَّ الهَجَماتِ المُعادِية، وهي تُعَدُّ من اَهَمِّ قُدُراتِ ايِّ مجتمعٍ من المجتمعات وايِّ بلدٍ من البِلاد، وليست الّا حصيلةَ السّعيِ والعملِ الجادِّ والانتاجِ المُستَمِرِّ الرّاقي في مختلِفِ الحُقول ـ كما هو واضح.

١٦ ـ **الجهةُ الفنّيّة**: اِنّ الفنَّ ايضاً عملٌ، كما اَنّ العملَ فنٌّ من وجه. وممّا لاشكَّ فيه اَنّ الفنَّ يُطَوِّرُ الحياةَ الانسانيّةَ ويُوَجِّهُها توجيهاً. ولا فرقَ في ذلك بين الحياةِ المادّيةِ والمعنويّة، والفرديّةِ والاجتماعيّة، والسِّياسيّةِ

والثّقافيّة وما الى ذلك . وهل يَحصُلُ فنٌّ او يَنضُجُ بدونِ العمل؟ فالفَنُّ يحَصُلُ من العمل، كما انّه يدَعُو الى العمل ثانياً . وتفاعلُ الفنِّ هذا مع الرّوحِ البشريّةِ هو جوهرُ الفنِّ وسرُّه . فمن الصّحيح اَن نَقولَ اَنَّ الفنَّ جوهرُ العمل، كما اَنّ العملَ مفتاحُ الفنّ . فايُّ فنّانٍ وَصَلَ الى تَحسينِ فنِّه وإنضاجِه بدون اَن يَعمَلَ ليلَ نهار، واَن يَكْدَحَ مَعَ شروقِ الشّمس الى غروبِها، في اللّيلِ المُرْخي سُدولَه . فالعملُ بوصفِه شغلاً وممارسة، امرٌ لابُدَّ منه في كلِّ شيءٍ من مظاهرِ العيشِ الانسانيّ، وله آثارٌ في تَبَلْوُراتِ روحِه .

١٧ـ الجهةُ الصِّحِّيَّة : وممّا يَحصُلُ من العملِ ويُستَفادُ منه ومن ادامتِه هي الصِّحّةُ البدنيّة ، كما اَنّ الصِّحّةَ العامّةَ ايضاً تَتَوَقَّفُ على عملِ العاملين في حقلِها من الاَطبّاءِ ومساعديهم والمُطَبِّبين والمُطَبِّباتِ وسائرِ من يَعمَلُ في المستَشفَياتِ والصّيدَليّاتِ وما اليها .. فصِحَّةُ الجسمِ الانسانيِّ وقوامُ قُواه وتوازنُه وتَناسُبُ اعضائِه منوطةٌ بالعمل، وكذلك صِحَّةُ المجتمعِ تَتَوَقَّفَ على اعمالِ كثيرين ممّن ذُكِرَ .

١٨ـ الجهةُ التّقدُّميّة : لقد مَرَّت اشارةٌ الى هذه الجهةِ في سالفِ القولِ في هذه النّظرة. اِنّ تَقَدُّمَ المجتمعاتِ والبيئات اِنّما يَنشَأُ من العملِ الجادِّ ويَنبَعُ منه . اِنّ الحافزَ الّذي يُوجِبُ تعاليَ الانسانِ واكتمالَ حياتِه وعيشِه، ويُمَيِّزُ حياتَه عن سائرِ الحيوانات، هو من حيث الاساس، هذا الفكرُ الجَوّالُ الّذي اعطاه اللّهُ سبحانه، وهذه اليدُ العاملة، والصِّلةُ القويمةُ بين العملِ الفكريّ واليَدويّ؛ فالانسانُ قادرٌ على اَن يُسَخِّرَ الطّبيعةَ بهاتين الاداتين، يعني اَن يُفَكِّرَ اوّلاً، ثمّ يَعملَ ويُنَفِّذَ فكرَه و يُجَسِّدَه، فيَصِلَ الى

مُبتَغاه من تعبيدِ الطّبيعةِ ونواميسِها لما يُريدُه منها .

وتَدخُلُ في ذلك الاختراعاتُ والكُشوفُ الّتي اَوجَدَتِ الحَضاراتِ البشريّةَ السّالفةَ والمعاصرة . ولعلّ العملَ الفكريَّ واليَدويَّ الجادَّ هو الّذي يُوَطِّدُ السّبيلَ للحضاراتِ الطالعةِ ايضاً، لِاَنّ الانسانَ يُفَكِّرُ ويُمارِسُ ويَعمَل، ويَتَوَفَّرُ على تجاربَ ونتائج، فيَستَخْلِصُها ويَنقُلُها الى الطّالعين والمُقبلين . وبهذا الاسلوبِ تَتَقَدَّمُ حياةُ الانسان وتَقَعُ في مسيرةِ التّكاملِ المُستَمِرّ .

١٩ ـ الجهةُ الصِّناعيّة : من الواضحِ اللّاحب، اَنّ العملَ ركنٌ اساسيٌّ من اركانِ الصّناعاتِ البشريّة . فالصّناعاتُ كانت من اقدمِ العصورِ التّاريخيّةِ نابعةً من اعمالِ المفكّرين والعاملين والصُّنّاع . واليومَ ايضاً يَكفي للوقوفِ على اهميّةِ العملِ في الصّناعاتِ ودَورِه الحياتيِّ في المجتمعِ الانسانيّ، اَن نَنظُرَ الى المَعامِلِ والمَصانعِ الكبيرةِ والصّغيرةِ في مختلفِ انحاءِ العالَم، وما لعملِ العاملين فيها من دَورٍ كبير .

٢٠ ـ الجهةُ الرِّفاهيّة : اِنّ رفاهيةَ العيشِ الحاصلةَ لايِّ شَعْبٍ او بَلَد، اِنّما حَصَلَت لهم بفضلِ ما قامُوا بها من اعمال . فالرِّفاهُ بجميعِ صورِه وفي جميعِ جوانبِ الحياة، اِنّما هو نتيجةٌ للسّعيِ والعمل . والّذي اَبْداهُ المفكّرون وعلماءُ الصّناعات، من الادواتِ الرِّفاهيّةِ الّتي اَخْتَرَعُوها، اِنّما تَحَقَّقَ اصلُه ولَعِبَ دورَه، بعدَ اعمالٍ مستمرّة ـ كما هو واضح .

ثم اِنّ الرِّفاهَ الفرديَّ قائمٌ بالعملِ ايضاً، فالفردُ الفارغُ والعاطلُ كيف يَسَعُهُ اَن يُوَسِّعَ على نفسِه او ذويه، لولا قيامُه بالسّعيِ وتَوَفُّرُه على ما يَرومُه .

الفصلُ الخامس

العمل والعمالة، ودورهما الرّئيسيّ في البناء الاقتصاديّ (٢)

أ ـ تقسيم الوقت

الكتـــاب

١ اللّهُ الَّذي جَعَلَ لكُم اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فيه والنَّهارَ مُبصِراً، اِنَّ اللّهَ لَذُو فضلٍ على النّاسِ، لكنَّ اكثرَ النّاسِ لايَشكُرون *[١]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : لِلمؤمنِ ثلاثُ ساعاتٍ، فساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يَرُمُّ مَعاشَه، وساعةٌ يُخَلِّي بين نفسِه وبين لذّتِها فيما يَحِلُّ ويَجْمُل.[٢]

٢ الامام الصادق «ع» : فَكِّر يا مُفضَّل! في مقاديرِ النّهارِ واللّيل، كيف وَقَعَت

---

١ ـ سورة غافر (٤٠) : ٦١؛ اقرأ ايضاً : سورةَ يونس (١٠) : ٦٧، وسورةَ النّمل (٢٧) : ٨٦.

٢ ـ نهج البلاغة / ١٢٧١؛ عبده ٣ / ٢٤٨.

على ما فيه صَلاحُ هذا الخلق، فصارَ مُنْتَهىٰ كلِّ واحدٍ منهما اِذَا امْتَدَّ الى خمسَ عَشْرَةَ ساعةً لا يُجاوِزُ ذلك . افرَأَيْتَ لوكان النّهارُ يكونَ مقدارُه مِئَةَ ساعةٍ او مِئَتَي ساعة، الم يَكُن في ذلك بَوارُ كلِّ ما في الارضِ من حيوانٍ ونبات؟ امّا الحيوانُ فكان لا يَهْدَأُ ولا يَقِرُّ طولَ هذه المّدة، ولا البهائمُ كانت تُمسِكُ عن الرّعيِ لو دامَ لها ضوءُ النّهار، ولا الانسانُ كان يَفتُرُ عن العمل والحركة،وكان ذلك سيُهْلِكُها اجمعَ ويُؤَدّي الى التّلف .. [١]

٣ الامام الصادق «ع» : .. رُبمَا احْتاجَ النّاسُ الى العملِ باللّيل، لضيقِ الوقتِ عليهم في تَقَصِّي الاعمالِ بالنّهار، او لشدّةِ الحَرِّ وافراطِه .. [٢]

* اِنّ هذا التّعليمَ يَدُلُّ على اهميّةِ رعايةِ الوقتِ والاستفادةِ الصّحيحةِ المناسبةِ منه، نهاراً كان او ليلاً، اِذَا اقتَضَتِ الحكمةُ العمليّةُ ذلك .

٤ الامام الصادق «ع» : من باتَ ساهراً في كسبٍ ولم يُعطِ العينَ حقَّها (حظَّها ـ خ ل) من النّوم، فكسبُه ذلك حرامٌ . [٣]

٥ الامام الصادق «ع» : الصُّنّاعُ اذا سَهَرُوا اللّيلَ كلَّه، فهو سُحْتٌ . [٤]

* هذان التّعليمان يُرشِدانِ الى رعايةِ الحدِّ وتَجنُّبِ الافراطِ المُضرِّ، وحفظِ الصِّحّةِ البدنيّةِ الّتي هي اهمّ .

---

١ ـ البحار ٣ / ١١٨.

٢ ـ البحار ٣ / ١١٣.

٣ و ٤ ـ الوسائل ١٢ / ١١٨.

ب ـ تقسيم العمل

١ الامام علي «ع» ـ من وصيّةٍ كَتَبَها الى ابنِه الحسن «ع» بحاضرين، منصرِفاً من صِفّين : .. اِجْعَلْ لكلِّ انسانٍ من خَدَمِك عملاً تَأْخُذُه به، فاِنّه اَحْرىٰ اَن لايَتَواكَلُوا في خدمتِك .[١]

ج ـ العمل ودوره في مطاردة الفقر

الكتـــاب

١ وجَعَلْنا فيها جنّاتٍ من نَخيلٍ واَعنابٍ، وفَجَّرْنا فيها من العُيون * لِيَأْكُلُوا من ثَمَرِه وما عَمِلَتْه ايديهم ..[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : لَو اَنّ رجلاً اَخَذَ حَبْلاً فيَأتي بحَزمَةِ حطبٍ على ظهرِه، فيَبيعُها فيَكُفَّ بها وجهَه، خيرٌ له من اَن يَسأَل .[٣]

---

١ ـ نهج البلاغة / ٩٣٩؛ عبده ٣ / ٦٣؛ تحف العقول / ٦٢.

٢ ـ سورة يس (٣٦) : ٣٤ ـ ٣٥.

٣ ـ الوسائل ٦ / ٣١٠.

٢ النبـــي «ص» : اذا اَعْسَرَ احدُكم فَلْيَخْرُجْ، ولا يَغُمَّ نفسَه واهلَه .[١]

٣ النبـــي «ص» ـ اصابَ انصارياً حاجةٌ، فَاَخْبَرَ بها رسولَ الله «ص»، فقال : «ايتِني بما في منزلِك و لا تُحَقِّر شيئاً»، فاتاه بحِلْسٍ وقَدَحٍ . فقال رسولُ الله «ص» : «مَن يَشتَريهما»؟ فقال رجلٌ : هما عليَّ بدرهم . فقال : «مَن يَزيد؟» فقال رجلٌ : هما عليَّ بدرهَمين؟ فقال : «همالك». فقال : «اِبْتَعْ باحدِهما طعاماً لاهلِك، وابْتَعْ بالآخرِ فأساً» . فاَتاه بفأس، فقال «ص» : «من عندَه نِصابٌ لهذه الفأس؟» فقال احدُهما : عندي . فأخذه رسولُ اللّهِ «ص» فاَثْبَتَه بيدِه وقال : «اِذْهَب فَاحْتَطِب، ولا تُحَقِّرَنَّ شوكاً ولا رَطْباً ولا يابساً». ففعل ذلك خمسَ عَشْرَةَ ليلةً، فأتاه وقد حَسُنَت حالُه . فقال «ص» :«هذاخيرٌ من اَن تَجيءَ يومَ القيامة وفي وجهِك كُدُوحُ الصّدقة»[٢].

٤ الامام الصادق «ع» ـ ابو عمارة الطّيّار قال : قلتُ لا بي عبدِالله «ع»:اِنّي قد ذهب مالى وتَفَرَّقَ ما في يدي وعيالي كثير . فقال له ابو عبدِالله «ع» : «اذا قَدِمتَ الكوفةَ فافْتَحْ بابَ حانوتِك وَابْسُطْ بِساطَك وضَعْ ميزانَك وتعَرَّضْ لرزقِ رَبِّك». فلَمّا اَن قَدِمَ الكوفةَ فَتَحَ بابَ حانوتِه وبَسَطَ بِساطَه ووَضَعَ ميزانَه . قال : فتَعَجَّبَ مَن حولَه بأن ليس في بيتِه قليلٌ ولا كثيرٌ من المتاعِ ولا عندَه شيء . قال : فجاءَه رجلٌ فقال : اِشْتَرْلي ثوباً . قال : فاشْتَرىٰ له واَخَذَ ثمنَه وصارَ الثّمَنُ اليه، ثم جاءَه آخرُ فقال له : اِشْتَر لي ثوباً . قال : فطَلَبَ له في السُّوق ثمَّ اشْتَرى له ثوباً فأخَذَ ثَمَنَه فصارَ في يدِه .. فجَعَلَ يَشتَري ويَبيعُ حتّى أثْرىٰ ..[٣]

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٢.

٢ ـ البحار١٠٣ / ١٠، عن كتاب «مجموعةِ وَرّام».

٣ ـ الكافي ٥ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

* قال شيخُنا الشّهيدُ الاوّل في «الدُّروس» : «يَستَحِبُّ التّعرُّضُ للرّزقِ وإن لم يَكُن له بضاعةٌ كثيرة، فيَفتَحُ بابَه ويَبسُطُ بِساطاً ..»[1] .

٥ الامام الصادق «ع» ـ قال راوي الحديث : قال ابو عبدِالله «ع» : اَرَأيْتَ لو اَنّ رجلاً دخل بيتَه واَغْلَقَ بابَه، اكانَ يَسقُطُ عليه شيءٌ من السّماء؟[2]

د ـ العمل ودوره في صيانة الدّين

١ الامام الباقر «ع» : الكَسَلُ يَضُرُّ بالدّينِ والدُّنيا .[3]

٢ الامام الصادق «ع» : لا تَدَعْ طلبَ الرِّزقِ من حِلِّه، فإنّه عونٌ لك على دينِك ..[4]

هـ ـ السّعي والمثابرة في العمل

١ الامام الصادق «ع» : اِقْرَأُوا من لقيتُم من اصحابِكُم السّلام، وقولُوا لهم : اِنّ فلانَ بنَ فلان (جعفرَ بنَ محمَّد) يَقْرَأُكُمُ السّلام؛ وقولوا لهم : عليكُم بتَقوَى اللّهِ عزّ وجلّ، وما يُنالُ به ما عندَالله . اِنّي واللّهِ ما آمُرُكُم الاّ بما نَأمُرُ به اَنفُسَنا، فعليكُم بالجدِّ والاجتهاد . واذا صَلَّيْتُمُ الصُّبحَ وَانْصَرَفْتُم فبَكِّرُوا في

---

١ ـ الكافي ٥ / ٣٠٤، من التّعاليق .

٢ ـ الكافي ٥ / ٧٨.

٣ ـ تحف العقول / ٢١٩.

٤ ـ امالي الطوسي ١ / ١٩٦.

طلبِ الرّزق، واطْلُبُوا الحَلال، فإنّ الله عزّ وجلّ يَرزقُكُم ويُعينُكُم عليه.[١]

و ـ الاغتراب في طلب الرّزق والتماس العمل

الكتـــاب

١ وَهُوَ الّذي جَعَلَ لكُمُ الأرضَ ذَلولاً، فَامْشُوا في مَناكِبِها، وكُلُوا من رزقِه ..[٢]

٢ .. وآخَرون يَضرِبُون في الأرض ، يَبتَغُونَ من فضلِ الله ..[٣]

٣ اللّهُ الّذي سَخَّرَ لكُم البَحرَ لِتَجرِيَ الفُلْكُ فيه بامرِه، ولِتَبْتَغُوا من فضلِه ..[٤]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لَيُحِبُّ الاغترابَ في طلبِ الرّزق.[٥]

٢ الامام الصادق «ع» : .. لَعلّ مَن يُنكرُ هذه الفَلَواتِ الخاليةَ والقِفارَ الموحشةَ يقولُ : ما المنفعةُ فيها؟ فهي مَأْوىٰ هذه الوحوشِ ومحالُّها ومَرعاها، ثم

---

١ ـ الكافي ٥ / ٧٨ ـ ٧٩.

٢ ـ سورة المُلك (٦٧) : ١٥.

٣ ـ سورة المُزَّمِّل (٧٣) : ٢٠.

٤ ـ سورة الجاثية (٤٥) : ١٢.

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٥٠.

فيها بعدُ مَتَنَفَّسٌ ومُضطَرَبٌ للنّاس، اذَا احْتاجُوا الى الاستبدالِ باوطانِهم. وكم بيداءَ وكم فَدْفدٍ حالَت قُصوراً وجِناناً، بانتقالِ النّاسِ اليها وحُلولِهم فيها.ولولا سَعَةُ الارضِ وفُسحَتُها لكان النّاسُ كمَن هو في حِصارٍ ضيِّقٍ لا يَجِدُ مندوحةً عن وطنِه، اذا اَحْزَنَه امرٌ يَضطَرُّه الى الانتقالِ عنه ..[1]

٣ الامام الصادق «ع» : اِنّي اَركَبُ في الحاجةِ الّتي كفاها الله، ما اَركَبُ فيها الاّ التماسَ اَن يَرانيَ اللّهُ اُضحي في طلبِ الحلال؛ اَما تَسمَعُ قولَ اللّهِ عزّ وجلّ : «فاِذا قُضِيَتِ الصّلاةُ فَانْتشِرُوا في الارضِ وَابْتَغُوا من فضلِ الله»؟ اَرَأَيْتَ لو اَنّ رجلاً دَخَلَ بيتاً وطَيَّنَ عليه بابَه، ثمّ قال : رِزقي يَنزُلُ عليَّ من السّماء .. اما اِنّه احدُ الثّلاثةِ الّذين لا يُستجابُ لهم دعوةٌ ..[2]

٤ الامام الرضا «ع» ـ البَزَنطيّ قال: قلتُ له : اِنّ الكوفةَ قد نَبَتْ بي والمَعاشَ بها ضيِّقٌ، واِنّما كان معاشُنا ببغداد، وهذا الجبلُ قد فُتِحَ على النّاسِ منه بابُ رزق . فقال : اِن اَرَدتَ الخروجَ فَاخْرُج، فاِنّها سنةٌ مُضطَرِبةٌ . وليس للنّاسِ بُدٌّ من طلبِ معاشِهم، فلاتَدَعِ الطّلَب .[3]

ز ـ لايستجاب دعاء الفارغ والعاطل

١ النبـي «ص» : اِنّ اصنافاً من اُمّتي لا يُستَجابُ لهم دعاؤُهم .. ورجلٌ يَقْعُدُ في بيتِه ويقولُ : يا رَبِّ ارْزُقْني! ولا يَخرُجُ ولا يَطلُبُ الرّزق، فيَقولُ الله عزّ وجلّ له : عبدي اَلم اَجعَلْ لكَ السّبيلَ الى الطّلبِ والتّصرُّفِ في الارضِ

---

١ ـ البحار ٦٠ / ٨٦.

٢ ـ عُدَّة الدّاعي / ٨١ ـ ٨٢.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ١٨.

بجوارحَ صحيحةٍ ..[١]

٢ الامام الصادق «ع» ـ عليُّ بنُ عبدِالعزيز قال : قال ابو عبدِالله «ع» : ما فَعَلَ عمرُ بنُ مسلم؟ قلت : جُعِلتُ فِداك! اقبل على العبادةِ وترك التِّجارة . فقال : وَيْحَه، اَما عَلِمَ اَنّ تاركَ الطّلبِ لايُستَجابُ له . اِنّ قوماً من اصحابِ رسولِ الله «ص» لمّا نَزَلَت : «ومَن يَتَّقِ اللّهَ يَجعَلْ له مَخرَجاً ويَرزُقْهُ من حيثُ لا يَحتَسِب»، اَغلَقُوا الابواب، واَقْبَلُوا على العبادة وقالوا : قد كُفِينا . فبَلَغَ ذلك النّبيّ «ص» فاَرسَلَ اليهم، فقال : ما حَمَلَكُم على ما صَنَعْتُم؟ قالوا : يا رسولَ الله! تُكُفِّلَ لنا بارزاقِنا فاَقْبَلنا على العبادة . فقال : اِنّه مَن فعل ذلك لَم يُستَجَبْ له، عليكُم بالطّلب .[٢]

٣ الامام الصادق «ع» ـ عمرُ بنُ يزيد قال : قلتُ لابي عبدالله «ع» : رجلٌ قال، لَاَقْعُدَنَّ في بيتي ولَاُصَلِّيَنَّ ولَاَصُومَنَّ و لَاَعْبُدَنَّ ربّي، فاَمّا رزقي فسَيأْتيني؛ فقال ابو عبدالله «ع» : هذا احدُ الثّلاثةِ الّذين لايُستَجابُ لهُم .[٣]

ح ـ الانبياء والاوصياء والعمل

الكتـــاب

١ وما تِلك بيَمينِك يا مُوسى * قال : هِيَ عَصايَ اَتَوَكّؤُا عليها، واَهُشُّ بها على

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٥.

٢ ـ الكافي ٥ / ٨٤.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ١٤.

غَنَمي، ولِيَ فيها مآرِبُ اُخرىٰ *[1]

٢ قال : اِنّي اُريدُ اَن اُنْكِحَك اِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَين، على اَن تَأْجُرَني ثَماني حِجَجٍ ، فاِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فمِن عندِك، وما اُريدُ اَن اَشُقَّ عليك، ستَجِدُني اِن شاءَ اللّهُ من الصّالحين *[2]

٣ وعلَّمناهُ صَنعَةَ لَبوسٍ لكُم، لِتُحصِنَكُم من بأسِكُم، فهَل انتُم شاكِرُون *[3]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الباقر : اِنّ اللّهَ عزّ وجلّ، حين اَهبَطَ آدمَ «ع» من الجنّة، اَمَرَهُ اَن يَحرُثَ بيدِه، فيَأكُلَ من كدِّها ، بعدَ نعيمِ الجنّة .[4]

٢ الامام علي «ع» : اَوحَى اللّهُ عزّ وجلّ الى داود «ع»، اِنّك نعمَ العبد، لولا اَنّك تَأكُلُ من بيتِ المال ولا تَعمَلُ بيدِك شيئاً . قال : فبَكىٰ داود «ع» اربعين صباحاً، فاَوحَى اللّهُ الى الحديدِ اَن : لِنْ لعَبدي داود . فَالاٰنَ اللّهُ عزّ وجلّ له الحديدَ، فكان يعَمَلُ كلَّ يومٍ دِرْعاً فيَبيعُها بالفِ درهم . فعَمِلَ ثلاثَ مِئَةٍ وستِّين دِرْعاً، فباعَها بثلاثِ مِئَةٍ وستِّين الفاً، واسْتَغْنىٰ عن بيتِ المال .[5]

---

١ ـ سورة طه (٢٠) : ١٧ ـ ١٨.

٢ ـ سورة القَصَص (٢٨) : ٢٧.

٣ ـ سورة الانبياء (٢١) : ٨٠.

٤ ـ المستدرك ٢ / ٤١٧.

٥ ـ الكافي ٥ / ٧٤.

* وجاء في الاحاديث : «انّ سليمانَ بنَ داود «ع» كانَ قوتُه من سَفائفِ الخُوص، يَعمَلُها بيدِه»[١].

٣ الامام علي «ع» ـ اِنَّه لمّا كانَ يَفرُغُ من الجِهاد، يَتَفَرَّغُ لتعليمِ النّاسِ والقضاءِ بينهم، فاذا فَرَغَ من ذلكَ اشْتَغَلَ في حائطٍ له، يَعمَلُ فيه بيدِه، وهو مع ذلك ذاكرُ اللّهِ جلَّ جلالُه.[٢]

٤ الامام علي «ع» : جُعْتُ يوماً بالمدينةِ جوعاً شديداً، فخَرَجتُ اَطلُبُ العَمَلَ في عو الي المدينة، فاذا اَنَا بامرأةٍ قد جَمَعَت مَدَراً فظَنَنْتُها تُريدُ بَلَّهُ، فاَتَيتُها فقاطَعْتُها عليه : كلُّ ذَنوبٍ على تَمرَةٍ؛ فمَدَدْتُ ستَّةَ عَشَرَ ذَنوباً حتى مَجَلَتْ يداي، ثم اَتَيْتُ الماءَ فاَصَبْتُ منه، ثم أَتَيتُها فقلت : بِكَفّي هذا، بين يَدَيها .. فعَدَّت لي ستّةَ عَشْرَةَ تَمرَة؛ فأَتَيْتُ النّبيَّ «ص» فاَخْبَرْتُه فأَكَلَ معي منها.[٣]

٥ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : كان اميرُ المؤمنين «ع» يَضرِبُ بالمَرِّ ويَستَخرِجُ الارضين .. واِنّ اميرَ المؤمنين «ع» اَعْتَقَ الفَ مملوكٍ من مالِه وكَدِّ يدِه.[٤]

٦ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامام الصادق : كان اميرُ المؤمنين «ع» يَحتَطِبُ ويَستَقي ويَكْنُسُ، وكانت فاطمةُ تَطْحَنُ وتَعْجُنُ وتَخْبِزُ.[٥]

* وقد رُوي عن اميرِ المؤمنين في ذلك نماذجُ كثيرة.[٦]

---

١ ـ ارشاد القلوب / ١٥٧.

٢ ـ عُدَّة الدّاعي / ١٠١؛ المستدرك ٢ / ٤١٧ ـ ٤١٨.

٣ ـ كشف الغُمَّة ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦.

٤ ـ الكافي ٥ / ٧٤.

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٢٤.

٦ ـ راجع : الفصل ١٥، من الباب ٧، فقرة «هـ»، في الجزءِ الثّاني.

٧ الامام الصادق «ع» ـ عبدُالاعلى مولى آلِ سام قال : اِستَقبَلْتُ ابا ـ عبدالله «ع» في بعضِ طُرُقِ المدينة، في يومٍ صائفٍ شديدِ الحَرِّ، فقلتُ : جُعِلتُ فِداك! حالُك عندَاللّهِ عزّ وجلّ وقرابتُك من رسولِ الله «ص»، وانت تُجْهِدُ نفسَك (لنفسِك ـ خ ل) في مثلِ هذا اليوم؟ فقال : يا عبدَالاعلى! خَرَجْتُ في طَلَبِ الرّزق، لِاَسْتَغْنِيَ به عن مثلِك .[١]

٨ الامام الصادق «ع» ـ ابو عمرٍو الشّيباني قال : رَأَيتُ ابا عبدِالله «ع» و بيدِه مِسْحاة، وعليه اِزارٌ غليظٌ، يَعمَلُ في حائطٍ له، والعَرَقُ يَتَصابُّ عن ظهرِه، فقلتُ : جُعِلتُ فداك! اَعْطِني اَكْفِك . فقال لي : اِنّي اُحِبُّ اَن يَتَاَذَّى الرَّجلُ بحرِّ الشّمسِ في طَلَبِ المعيشة .[٢]

٩ الامام الصادق «ع» ـ ابو بصير قال : سمِعتُ ابا عبدِالله «ع» يَقولُ : اِنّي لَاَعْمَلُ في بعضِ ضِياعي حتى اَعْرَقَ، واِنّ لي مَن يَكفيني، لِيَعْلَمَ الله عزّ وجلّ اَنّي اَطلُبُ الرّزقَ الحلال .[٣]

١٠ الامام الكاظم «ع» ـ عليُّ بنُ ابي حمزة، عن ابيه قال : رَأَيتُ ابا الحسن «ع» يَعمَلُ في ارضٍ له، قَدِ اسْتَنْقَعَت قَدَماه في العَرَق، فقلتُ له : جُعِلتُ فِداك، اَيْنَ الرِّجال؟ فقال : يا عليّ! قد عَمِلَ باليدِ مَن هو خيرٌ منّي في ارضِه ومِن ابي . فقلتُ له : ومنَ هو؟فقال:رسولُ اللّهِ «ص» واميرُ المؤمنين وآبائي «ع» كلُّهم، كانُوا قد عَمِلُوا بايديهم، وهو من عملِ النّبيِّين والمرسلين والاوصياءِ والصّالحين .[٤]

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٠.

٢ ـ الكافي ٥ / ٧٦.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٢٣.

٤ ـ الكافي ٥ / ٧٥ ـ ٧٦.

* والاحاديثُ في ذلك من الانبياءِ والاوصياءِ كثيرة .

تنبيه

اِنّ العيشَ الانسانيَّ في المجتمعاتِ على قسمين : طبيعيٍّ وغيرِ طبيعيّ .

١ ـ فالعيشُ الطبيعيُّ هو اَن يَعمَلَ الانسانُ بنفسِه، ويَأكُلَ ممّا يَحصُلُ عليه بكَدِّه وجَهْدِه ـ كما يُرشِدُنا اليه المربيّ الاكبر بقوله : «كُلُوا من كدِّايديكم».[١] والانسانُ في هذه الحالةِ قادرٌ على اَن يُدرِكَ معنى العملِ والكدّ وما يُعانيه العُمّال، واَن يُحِسَّ واقعَ الحرمانِ والاِقلال وما يُكابِدُه المُعدِمون والمقِلّون لا في غيرِها . ولاَجلِ ذلك جاءَ في الحديث : «اَوحَى اللّهُ عزّ وجلّ الى داود «ع» : اِنّك نِعمَ العبد، لولا اَنّك تَأكُلُ من بيتِ المال، ولا تَعمَلُ بيدك شيئاً». وذلك لاَنّ الانسانَ الفارغَ الّذي لا يَعمَل لا يُتاحُ له اَن يَفهَمَ واقعَ العملِ والكَدِّ، واَن يَلْمِسَ مُعاناةَ طلبِ الخُبزِ والحصولِ عليه .

فهذا الانسانُ لا يُدرِكُ مَتاعبَ الحياةِ ولا يَعلَمُ ما يُعانيه النّاسُ لعَيشِهم ولطلبِ رزقِهم، فلا يَصِلُ الى تفاهمٍ حقيقيٍّ مع أناسيِّ المجتمعِ وافرادِه وقِطاعاتِه .

٢ ـ والعيشُ غيرُ الطّبيعيِّ ما يَكونُ بخلافِ ذلك . وهو اَن يَعيشَ الانسانُ ويَأكُلَ من عملِ الآخرين وكُدودِهم . وهذا العيشُ لا يُناسِبُ منَ يَتَصَدّىٰ لتربيةِ النّاسِ وارشادِهم، اذ المربّي والمرشدُ يجبُ اَن يكونَ واقفاً على مشكلاتِ الافرادِ في عملِهم وكَدِّهم وطلبِهمُ الرّزقَ تمامَ الوقوف، مُنصهِراً بروحيّاتِهم في مُعاناةِ مَتاعبِ

---

١ ـ البحار ٦٦ / ٣١٤، من حديثِ النبيّ «ص» .

الحياةِ ومصاعبِ العيش .

وإنّ ائمَّتَنا الطّاهرين «ع» كانوا يَعمَلُون بيدِهم، ويَأخُذُون الدّلوَ والذّنوبَ والمَرَّ والمِسْحاةَ ويَعمَلُون بها حتى يَعرِقون، ويَرَونها «من عملِ النّبيّين والمرسلين والاوصياءِ والصّالحين».

فعلى كلِّ من يَرومُ تربيةَ النّاسِ وارشادَهم في الحياة، ويُرِيدُ اَن يبنِيَ نفسَه لهذا الامرِ الهامِّ، اَن يَعرِفَ واقعَ مافي حياة النّاسِ من تَعَبٍ ومَرارةٍ ومعاناةٍ من كَثَب، حتى يَظفَرَ بالاقترابِ منهم و ادراكِ مسائلِهم ومشكلاتِهم، بشكلٍ ملموس، ولا يكونَ كلامُه و وعظُه وتوجيهُه في وادٍ والنّاسُ في واد .

تذييـــلان

أ ـ العمل، اخلاق و آداب

الحديـــث

١ ـ رعاية الاعتدال

١ الامام الحسن «ع» : لا تُجاهِدِ الطّلَب جِهادَ الغالب، ولا تَتَّكِلْ على القَدَرِ اتِّكالَ المُستَسلِم، فإنَّ ابْتِغاءَ الفضلِ من السُّنَّة، والإجمالَ في الطّلبِ من العِفّة.وليست العِفّةُ بدافعةٍ رزقاً .[١]

---

١ ـ تحف العقول / ١٦٨.

٢ ـ لا حرص ولا ضعف

٢ الامام الصادق «ع» : لِيَكُنْ طلبُك للمعيشةِ فوقَ كسبِ المُضَيِّع، ودونَ طلبِ الحريص، الرّاضي بدنياه المُطمئنِّ اليها . ولكنِ انْزِلْ نفسَك من ذلك بمنزلةِ المُنصفِ المُتَعَفِّف، تَرْفَعْ نفسَك عن منزلةِ الواهنِ الضّعيف،وتَكتَسِب ما لا بُدَّمنه .[١]

٣ ـ الحذق واستعماله

٣ الامام الصادق «ع» : كلُّ ذي صِناعةٍ مُضطرٌّ الى ثلاثِ خِلالٍ ، يَجْتَلِبُ بها المَكْسَب . وهو : اَن يَكونَ حاذقاً بعملِه ..[٢]

٤ ـ الالتزام بالامانة

٤ الامام الصادق «ع» : كلُّ ذي صناعةٍ مُضطَرٌّ الى ثلاثِ خِلالٍ ، يَجْتَلِبُ بها المَكسب، وهو اَن يَكون .. مُؤَدِّياً للامانةِ فيه ..[٣]

٥ ـ حسن التّعامل

٥ الامام الصادق «ع» : كُلُّ ذي صِناعةٍ مُضطَرٌّ الى ثلاثِ خِلالٍ ، يَجْتَلِبُ بها المَكسَب، وهو اَن يَكون .. مُستَميلاً لمَنِ استَعْمَلَه .[٤]

---

١ ـ الكافي ٥ / ٨١.

٢ و ٣ و ٤ ـ تحف العقول / ٢٣٧.

٦ ـ التّحذير من التّسويف وتضييع اوقات النّاس

٦ النبـــي «ص» : ويلٌ لِصُنّاعِ اُمّتي من «اليومَ» و «غَداً» .[١]

ب ـ لاعمل للحكم الجائر

٧ الامام الصادق «ع» : وامّا وجهُ الحرامِ من الولاية، فولايةُ الوالي الجائر و ولايةُ وُلاتِه، الرّئيسِ منهم واَتباعِ الوالي فمَن دونه من وُلاةِ الوُلاةِ الى اَدناهم، باباً من ابوابِ الولايةِ على من هو والٍ عليه . والعملُ لهم والكسبُ معهم، بجهةِ الولايةِ لهم، حرامٌ ومحرَّمٌ، مُعَذَّبٌ من فَعَلَ ذلك على قليلٍ من فعلِه او كثير، لاَنّ كلَّ شيءٍ من جهةِ المعونةِ معصيةٌ كبيرةٌ من الكبائر .

وذلك اَنّ في ولايةِ الوالي الجائرِ دَوْسَ الحقِّ كلِّه، واِحياءَ الباطلِ كلِّه، واظهارَ الظّلمِ والجورِ والفساد، وابطالَ الكُتُب، وقتلَ الانبياءِ والمؤمنين، وهَدْمَ المساجد، وتبديلَ سُنَّةِ اللّهِ وشرائعِه .

فلذلك حَرُمَ العملُ معهم و معونتُهم والكسبُ معهم، الاّ بجهةِ الضّرورةِ نظيرَ الضّرورةِ الى الدَّمِ ولحمِ الميتة .[٢]

* اللّهُ أكبرُ على عظمةِ هذا التّعليم! الّذي يَتَجَسَّدُ فيه نَفَسُ الانبياء «ع»، ويَتَجلّى به السُّموُّ الانسانيّ في اعظمِ معانيه واَشمَلِها، حيث يَعُدُّ الدّاعي الالهيُّ الصّادق، العملَ مع الجائرين سبباً لدَوْسِ الحقِّ كلِّه واحياءِ الباطلِ كلِّه، واظهارِ الظّلمِ والجورِ

١ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٠.

٢ ـ تحف العقول / ٢٤٥؛ و٣٣٢، من طبعة الغفّاري . راجع ايضاً : «الكافي» / ٥ .

والفساد، وابطالِ الكُتُبِ السّماويّة، وقتلِ النّبـيّين والمؤمنين، وهدمِ المساجد، وتبديلِ سنّةِ اللّهِ وشرائعِه.

ومن هنا يُعلَم بوضوح، ما للعدلِ واقامتِه من الاهميّة الرّئيسيّة في الدّين الالهيّ، وانّ رسالةَ الكُتُبِ السّماويّةِ والانبياءِ والمؤمنين المجاهدين والمساجدِ انّما هي اقامةُ العدل؛ وانّ سُنّةَ اللّهِ وشرائعَه هي اقامةُ العدل. وانَّ دَعْمَ الحقِّ كلِّه، واماتةَ الباطلِ كلِّه، وابادةَ الظّلمِ والجورِ والفساد، واحقاقَ الكُتُبِ الالهيّة، واحياءَ نَفسِ الانبياءِ والمؤمنين، وعمارةَ المساجد، وتثبيتَ سنّةِ اللّهِ وشرائعِه، انّما تَتَجَسَّدُ كلُّها باقامةِ العدلِ وازاحةِ الظّلمِ في المجتمعاتِ البشريّة، ولا سيّما بيدِ الحكوماتِ الّتي تَتَسَمّىٰ باسم الاسلام.

ومن اجلى الواضحاتِ، ان العدلَ الاقتصاديَّ والمعيشيّ، هو العمدةُ من اقسامِ العدل. و انَّ الظّلمَ الاقتصاديَّ من اهمِّ مصاديقِ الظلم ـ حيث يستَتبِعُ سائرَ انـواعِه ـ فـإن كان هنـاك حكمٌ يَميلُ اليـه، او يَتَقاعَسُ في شجبِه، اولا يُبْرِمُ لاستيصالِه، فهو محكومٌ بتلك الاحكـام.

لمحـــة

أليس تُومي الأحاديثُ الحاثَّةُ على العملِ باليد (الدّالّةُ على أنّه طلبٌ للحلالِ من الرّزق)، إلى أنّ الرّزقَ الحلال ـ واقعاً ـ هو ما حَصَلَ من الكَدِّ واليد ولقد قال الرّسول «ص» : «كُلُوا من كَدِّ أيديكم». أضِف إلى ذلك أنّه هو الّذي يُوقِفُ الإنسان على ما يُعانيه العُمّالُ الكادحون والفلاليحُ الكادُّون، المعذَّبون .. المحرومون .. من مَتاعبَ مُرهِقةٍ ومَصاعب.

ولقد عَقَدَ شيخُنا صاحبُ «الوسائل»، باباً لاستحبابِ العملِ باليد، فراجع : الجزءَ الثّاني عشر.

نظرة الى الفصـــل

نَعمِدُ في هذه النّظرةِ الى ذكرِ فائدتين :

١ ـ ضرورةُ العملِ للانسانِ بحسبِ المقاييسِ التّكوينيّة : لقد اشارَ الامامُ الصّادق «ع»، في رسالتِه التّوحيديّةِ المعروفة، الى موضوعٍ عميقٍ بَنّاء، فقال : «اُنظُر يا مُفضَّل! الى لطفِ الله ـ جَلَّ اسمُه ـ بالبهائم، كيف كُسِيَتْ اجسامُهم[1] هذه الكِسوة، من الشَّعرِ والوَبَرِ والصُّوفِ لِيَقِيَها من البَردِ وكثرةِ الآفات، وأُلْبِسَتْ قوائمُها الاَظْلافَ والحوافرَ والاَخْفافَ لِيَقِيَها من الحَفا، اذ كانت لا ايديَ لها ولا اَكُفَّ ولا اَصابعَ مُهَيَّأَةً للغَزْلِ والنَّسج، فكُفُّوا بأن جُعِلَ كِسوتُهم في خلقتِهم باقيةً عليهم ما بَقُوا، لا يَحتاجُون الى تجديدِها والاستبدالِ بها؛ فامّا الانسانُ فانّه ذو حيلةٍ وكفٍّ مُهَيَّأَةٍ للعملِ فهو يَنسِجُ ويَغزِلُ ويَتَّخِذُ لنفسِه الكِسوة، ويَستَبْدِلُ بها حالاً بعدَ حال.»[2]

هذا التّعليمُ يَدُلُّ على اَنّ العمَلَ لمّا كان امراً ضروريّاً للانسانِ في هذه الحياة، من جهاتٍ عديدة (قد ذَكَرَها الامامُ في حديثِه هذا ونَقَلْنا شُذُوراً منه)، فقد جَعَلَ اللّهُ كيفيّةَ الخلقِ وميكانيكيّةَ العالَمِ بحيثُ يَضطَرُّ الانسانُ لسدِّ عَوَزِه وتلبيةِ حاجاتِه المختلفةِ الى العمل، ولذلك خَوَّلَهُ اللّهُ تعالى ما يَحتاجُ اليه في ذلك، وهو امران :

(١)ـ الفكرُ (فانّه ذو حيلةٍ)،

(٢)ـ اليدُ (وكَفٍّ مُهَيَّأَةٍ للعمل).

---

١ ـ جُعِلَتِ «البهائمُ» في بعضِ الضّمائرِ والأفعالِ بمنزلةِ النّاس.

٢ ـ البحار ٣ / ٩٨ ـ ٩٩.

ولقد اَشَرنا الى هذا الموضوعِ فيما سَلَفَ من القول ايضاً. وهذه الحقيقةُ هي الّتي يُشيرُ اليها القرآنُ الكريمُ بقولِه: «ولقد خَلَقْنَا الانسانَ في كَبَدٍ».[1]

٢ ـ لذّةُ العيشِ في العمل: وهناك حكمةٌ عظيمةٌ اُخرى للعملِ وايجابِه التّكوينيِّ والتّشريعيِّ، يُشيرُ اليها الامامُ الصّادق «ع» بقولِه: «ولو كُفِيَ النّاسُ كلَّ ما يَحتاجُون اليه، لما تَهَنَّأُوا بالعيشِ ولا وَجَدُوا له لذّةً»[2]. فالعملُ يَنطَوي على فوائدَ كثيرة، ممّا اشارَت اليها التّعاليم. ونحنُ قد اَلْمَحْنا الى عدَّةٍ منها. غيرَ اَنّ هذه الحكمةَ العظيمة، وهي التَّهَنُّؤُ بالعيشِ عن طريقِ العمل، يَجِبُ اَن تُتَّخَذَ مقياساً حاسماً للحثِّ على العمل، والحصولِ على فوائدِه ونتائجِه الايجابيّةِ المُثمِرَة. فالالتذاذُ الحقيقيُّ من الحياةِ اِنّما يَحصُلُ للانسانِ بالعملِ والسّعي، لا بالبطالةِ والتَّعطُّلِ والفَراغ، كما يَزعَمُه البَطّالون والفارغون.

وهذا امرٌ هامٌّ في صنعِ الفردِ والمجتمع، يتوقّفُ عليه تقدُّمُ ايّ شَعْب، فيَجِبُ ان يُنْهَجَ له، ويُدرَجَ تعليمُه وتوعيتُه في المَناهجِ التّربويّةِ والبرامجِ التّعليميّةِ للنّاشئة، حتى تَتَوفّرَ على حُبِّ العملِ والانصهارِ به والاِكْبابِ عليه.[3]

نعم، اِنّ الانسانَ العاطلَ والفارغ، تَقطَعُ صلتُه الفيزيائيّة ـ فكراً ويداً ـ بالعالَم وما فيه، فيُحِسُّ الاجنبيَّةَ مع العالَم. وكذلك يَقطَعُ صلتُه بامكانيّاتِ نفسِه ومواهبِها، فيُحِسُّ الاجنبيَّةَ معها ايضاً؛ ومن هنا وهناك، فلا يَلتَذُّ بالحياةِ التذاذاً موضوعيّاً مُلتَحِمَ الصّلةِ بواقعِ الإنسان وحياتِه، وبطبيعةِ المجتمعِ البشريِّ الخلّاق.

---

١ ـ سورة البلد (٩٠): ٤.

٢ ـ البحار ٣ / ٨٦.

٣ ـ وسنُشيرُ في الفصلِ القادم، إلى أنّ العملَ يَجِبُ أن يُوَزَّع بحيث لايكون مرهِقاً لأحد.

الفصلُ السّادس

العطل والكسل، استنكار ورفض

أ ـ العُطْل

الكتـــاب

١ .. فإذا جاءَ امرُاللّهِ قُضيَ بالحقِّ، وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلون *[١]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ اذا نَظَرَ الى الرّجلِ فاَعْجَبَه قال : له حرفةٌ؟ فإن قالوا : لا، قال : سَقَطَ من عيني . قيل : وكيفَ ذاك يا رسولَ الله؟ قال : لاَنَّ المؤمنَ اذا لم يكُن له حرفةٌ يَعيشُ بدينِه .[٢]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق «ع» : مَلعونٌ من اَلْقىٰ كَلَّه على

---

١ ـ سورة غافر (٤٠) : ٧٨.

٢ ـ المستدرك ٢ / ٤١٥.

النّاس [1]

٣ النبـــي «ص» : ملعونٌ ملعونٌ من يُضيعُ من يَعُول .[2]

٤ الامام علي «ع» : المؤمنُ .. مَشغُولٌ وقتُه .[3]

٥ الامام علي «ع» : اِن يكنِ الشُّغلُ مَجهَدَةً، فاتِّصالُ الفراغِ مَفسدَة .[4]

٦ الامام السجاد «ع» ـ كان بالمدينةِ رجلٌ بَطّالٌ يَضحَكُ النّاسُ منه .. فقال «ع» : قولوا له : اِنّ لِلّهِ يوماً يَخسَرُ فيه المُبطِلون .[5]

٧ الامام الباقر «ع» : قال رسولُ الله «ص» : لاتَحِلُّ الصّدقةُ لغنيٍّ، ولا لِذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ، ولا لمُحترِفٍ، ولا لقويٍّ . قلنا : ما معنى هـذا؟ قـال : لا يَحِـلُّ له اَن يَأْخُذَها وهو يَقدِرُ على اَن يَكُفَّ نفسَه عنها .[6]

٨ الامام الباقر «ع» : قال موسى «ع» : يا رَبِّ اَيُّ عِبادِكَ اَبغضُ اليك؟ قال : جيفةٌ باللّيل، بَطّالٌ بالنّهار .[7]

٩ الامام الصادق «ع» : .. جاء عن النّبيِّ «ص» : اِنّ اصنافاً من اُمّتي لا يُستَجابُ لهم دعاؤُهم .. ورجل يَقعُدُ في بيتِه ويقولُ : يا رَبِّ ارْزُقْني! ولا يخرجُ ولا يَطلُبُ الرّزق . فيقولُ اللّهُ عزّ وجلّ له : عبدي! اَلم اَجعَلْ لكَ السّبيلَ الى الطّلبِ والتّصرُّفِ في الارضِ بجوارحَ صحيحةٍ ..[8]

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٨.

٢ ـ عُدّة الدّاعي / ٧٢.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٢٤٣؛ عبده ٣ / ٢٣٢.

٤ ـ الارشاد / ١٥٨.

٥ ـ سفينة البحار ١ / ٨٨.

٦ ـ الوسائل ٦ / ١٦٠.

٧ ـ البحار ٧٦ / ١٨٠.

٨ ـ الوسائل ١٢ / ١٥.

١٠ الامام الصادق «ع»: كَفىٰ بالمرءِ إثماً اَن يُضيعَ من يَعوُل.[١]

١١ الامام الكاظم «ع»: اِنّ اللّهَ عز وجلّ لَيُبغِضُ العبدَ النَّوّام، اِنّ اللّهَ لَيُبغِضُ العبدَ الفارغ.[٢]

ب ـ الكسل

الكتـــاب

١ ..ولَا يَأتُون الصّلاةَ اِلّا وهُم كُسالىٰ، ولا يُنفِقُون اِلّا وهُم كارِهون *[٣]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواهُ الامام الصّادق: .. لِلكَسْلانِ ثلاثُ علاماتٍ: يَتَوانى حتى يَفرُط، ويَفرُطُ حتى يُضيعَ، ويُضيعُ حتى يَأْثِم.[٤]

٢ الامام علي «ع»: ايّاكُم والكَسَل، فاِنّه من كَسِلَ لم يُؤَدِّ حقَّ الله.[٥]

---

١ ـ عُدّة الدّاعي / ٧٢.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٣٧.

٣ ـ سورة التوبة (٩): ٥٤.

٤ ـ قرب الاسناد / ٢٢.

٥ ـ تحف العقول / ٧٨.

٣ الامام علي «ع» :مَنِ اسْتَطاعَ اَن يَمنَعَ نفسَه من اربعةِ اشياء فهو خليقٌ بأن لا يَنزِلَ به مكروهٌ ابداً . قيل : وما هُنَّ يا اميرَ المؤمنين؟ قال : العجلة، واللّجاجة، والعُجب، والتّواني .[١]

٤ الامام الباقر «ع» : الكَسَلُ يَضُرُّ بالدّينِ والدُّنيا .[٢]

٥ الامام الباقر «ع» : انّي لَاُبْغِضُ الرّجل (او اُبغِضُ للرّجل) اَن يكونَ كَسْلاناً عن امرِ دنياه . ومن كَسِلَ عن امرِ دنياه فهو عن امرِ آخرتِه اَكْسَل .[٣]

٦ الامام الصادق «ع» : لا تَستَعِنْ بكَسْلان ..[٤]

٧ الامام الصادق «ع» : من كَسِلَ عن طَهوره وصلاتِه، فليس فيه خيرٌ لامرِ آخرتِه . ومن كَسِلَ عمّا يُصلِحُ به امرَ معيشتِه، فليس فيه خيرٌ لامرِ دُنياه .[٥]

٨ الامام الصادق «ع» : لا تَكْسَلُوا في طلبِ معايشِكم، فإنّ آباءَنا كانُوا يَركُضُون فيها ويَطلُبُونها .[٦]

٩ الامام الصادق «ع» ـ كتب الى رجلٍ من اصحابِه : .. .. ولا تَكْسَلْ عن معيشتِك فتكونَ كَلّاً علىغيرِك ـاو قال : على اهلِك .[٧]

١٠ الامام الكاظم «ع» : قال ابي لبعضِ وُلْدِه : ايّاكَ والكَسَلَ والضَّجَر، فإنَّهما يَمنَعانِك مِن حظِّك منَ الدُّنيا والآخرة .[٨]

* راجع ايضاً : الفصلَ الثّالث والثّلاثين، من البابِ الحادي عشر .

---

١ ـ تحف العقول / ١٥٩

٢ ـ تحف العقول / ٢١٩.

٣ و ٤ و ٥ و ٦ ـ الوسائل ١٢ / ٣٧ ـ ٣٨.

٧ و ٨ ـ الوسائل ١٢ / ٣٧ ـ ٣٨.

نظرة الى الفصـــل

نذكر في نظرتِنا الى هذا الفصلِ مسائلَ لها اهميّةٌ، وهي مُوَجِّهة :

١ ـ من اللّازمِ على زُعماءِ المجتمعِ ومديري الشَّعبِ ورجالِ الحكم، اَن يَسعَوا لتوفيرِ العملِ للعاطلين، واَن يُوجِدُوا للنّاسِ العملَ والشُّغل، ولا سيَّما اذا كانتِ البطالةُ سبباً للفقرِ والاِقلال (و الفقرُ كادَ اَن يكونَ كُفراً)[1]، او كان عاملاً على التّمَيُّعِ والسُّقوطِ الخُلقيّ .

٢ ـ كذلك من اللّازمِ اَن يُوَزَّعَ العملُ على الّذين يُطيقُونه بصورةٍ عادلة؛ فليس من العدلِ والاسلاميّة اَن يَكُدَّ ويَكدَحَ اُناسٌ ليلَ نهار، ليَنالُوا لُماظةً من العيش، ويَحصُلَ قومٌ آخرون بادنىٰ سعيٍ على كثيرٍ من المال . وكان هناك كثيرون لا يَرَون انفُسَهم محتاجين الى مثابَرَةٍ وسعيٍ وشغلٍ . اِنّ هذا لظلمٌ . فاللّازم اَن يكونَ لكلِّ انسانٍ عملٌ وشغلٌ يَقدِرُ عليه، ويُناسِبُ ذوقَه ومواهبَه وقدرتَه، جسماً وروحاً، حتى لايكونَ الشُّغلُ والعملُ مُضِرّاً به، بل مُفيداً له .

٣ ـ من الواضح اَنّ تقسيمَ العمل بصورةٍ عادلة، اِنّما يَرتَبِطُ بقيامِ التّوازنِ في المجتمع ارتباطاً وثيقاً؛ فاذا لم يكنِ التّوازنُ بمقاييسِه سائداً في المجتمع، لا يُتاحُ له الظّفرُ بتوزيعٍ عادلٍ فيما يَمُتُّ الى سائرِ الامورِ ومنها العمل . وذلك لاَنّ الحفنةَ الّتي اسْتَغَلَّتِ النّاسَ وحَصَلَت على حياةٍ تكاثريّةٍ تَرَفيّة، اذا لم تُرْدَعْ عمّا تفعلُه باقامةِ التّوازن، لا تَخضَعُ اَمامَ العدالةِ والحقّ، ولا تُقِرُّ التّقسمَ العادلَ للعملِ ايضاً .

٤ ـ أنَّ المتكاثرين واصحابَ الثّروات، فضلاً عن اَنّهم لا يَحتاجُون الى

---

١ ـ راجع: الفصل ٣٢، من الباب ١١ .

اَن يَعمَلُوا بانفسِهم، فانّهم يُضِرُّون النّاسَ من جهةٍ اخرى . وهي اَنّهم - بما لهم من الغنى المفرطِ والامكانيّاتِ الاقتصاديّة - يَضطَرُّون النّاسَ الى اَن يَعمَلوا لهم. وحينئذٍفهم يُعيِّنون الاُجَرَ ومقدارَها، فيَبْخَسُون النّاس اعمالَهم، فيُعطُونَهم اجوراً زهيدةً في مقابلِ اعمالٍ كثيرةٍ ومُرهِقَة، وبذلك يُشيعُون الظّلمَ في المجتمعِ ويَستَغِلُّون الجماهيرَ استغلالاً؛ ولقد قال القرآن: «ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم»[1]، وقال في التّفسير: «اي ولا تَنقُصُوا النّاسَ حقوقَهم ولا تَمنَعُوها»[2]. واَيْنَ هذا النّهيُ القرآنيُّ من الحالةِ السّائدةِ في اصحابِ المَعامل مع عُمّالِهم؟

٥ - من الواضح، اَنّ العملَ اذا لم يُقَسَّمْ على النّاسِ بصورةٍ متناسبة، يُوجِبُ الافراطَ والتّفريط، وعدمَ التّناسُقِ في اعضاءِ الجسدِ الاجتماعيّ. ونتيجةُ هذه الحالةِ الغاشمةِ اَن يَفسُدَ قومان: قومٌ من الفَراغِ ورَفاهيةِ العيشِ وعدمِ الحاجةِ الى عملٍ وكَدٍّ، وقومٌ من كثرةِ العملِ والكَدِّ والحاجةِ المُلِحَّةِ الى العملِ دَوماً. نعم، في هذه الحالةِ تَظهَرُ حفنةٌ مُتَطَفِّلةٌ قد اَلْقَت كَلَّها على السّائرين، وحفناتٌ مُضطَهَدةٌ تحتَ نيرِ الاستغلالِ والامتصاص.

ففي هذا الضّوء، لا يَتَحَقَّقُ القسطُ الّذي دعا اليه القرآنُ الكريم، الاّ بأَن يُطبَّقَ في جميعِ الحُقول، ومنها العملُ وتقسيمُه بين النّاسِ بصورةٍ يُجَسَّدُ بها القسط، وتُصانُ بها الكَرامةُ الانسانيّةُ وعزّةُ الانسانِ المؤمن.

٦ - يجبُ اَن تراعىٰ في جانبِ العُمّالِ جهاتٌ عديدةٌ حتى تُؤَدّىٰ حقوقُهم على مختلِفِ المستَويات، وتَقتَرِبَ الحالةُ من اَهدافِ الاسلامِ الانسانيّة، فيجبُ اَن يُحافَظ على:

أ - شخصيّتِهمُ الاجتماعيّة ،

---

١ - سورة الشعراء (٢٦): ١٨٣.

٢ - مجمع البيان ٧ / ٢٠٢.

ب ـ حقوقِهِمُ الدّينيّة ،

ج ـ حقوقِهِمُ الفرديّة ،

د ـ حقوقِهِمُ العائليّة ،

هـ ـ حقوقِهِمُ الثّقافيّة ،

و ـ حقوقِهِمُ الصِّحِّيَّة ،

ز ـ حقوقِهِمُ التَّربوية والتّعليميّة ،

ح ـ حقوقِهِمُ الرِّفاهيّة ،

ط ـ حقوقِهِمُ السِّياسيّة ،

ي ـ وحقوقِهِمُ التَّقْنينيّة .

ولقد جاء في كلامِ الامامِ ابي الحسن عليِّ بنِ موسى الرّضا «ع» في تعليلِ الزّكاةِ وفوائِدِها، اَنّ منها اَنّها تُعاوِنُ الفقراءَ على امورِهِمُ الدّينيّة [1]، فكيف ظَنُّك بالعُمّال وما يجبُ بالنّسبةِ اليهم؟ ولقد يُسحَقُ كثيرٌ من حقوقِهِمُ الدّينيّة وما يَمُتُّ بصلةٍ الى اقامةِ وظائِفِهِمُ الشَّرعيّةِ في المَعاملِ سَحْقاً .

تدليـــل

لم نَجعَلْ من منهجِ هذا الكتاب، اَن نَستوعِبَ الآياتِ والاحاديثَ في كلِّ موضوع، واَن نَستَقْصِيَ جميعَ ما يُمكِنُ اَن يُستَخرَجَ منها من العناوينِ والموضوعاتِ والمَغازي . وهذا واضحٌ للقارئ الفاضل، ونحن ايضاً اشرنا اليه في مواضعَ اُخرى . وذلك لاَنَّ الاستيعابَ المذكور امرٌ صعبٌ لا يمكنُ اَن يَقُومَ به الاّ لِجانٌ، حيث يَستَدعي اَن يُؤَلَّفَ و يُصَنَّفَ في كلِّ موضوعٍ من الموضوعاتِ الرَّئيسيّة، موسوعةٌ مستقلّةٌ وكبيرة، حتى يُتاحَ بها اَن تُوضَعَ

---

١ ـ علل الشرايع / ٣٦٩ : «.. وتقويةِ الفقراء، والمعونةِ لهم على أمر الدّين ..».

أُسُسُ الخُطّةِ المنشودة .

فمن هنا كان الغرضُ توعيةَ النّاس بنَماذِجَ ممّا جاء في هدايةِ الثَّقَلَين الباقيين (كتابِ اللّهِ تعالى و عترةِ النبيّ «ص» الوارثين لعلمِه وهداه) وتعاليمِهما لصنعِ الافرادِ وبناءِ المجتمعات، فليست هي الاّ خُطوةً بَدْئيَّةً لبناءِ حضارةٍ قرآنيّة، بدَعْمِ أُسُسِ القسطِ القرآنيّ، وتزويداً للقسمِ الفَقاهيِّ من العلومِ الاسلاميّة، فيما يَرجِعُ الى عرضِ «الاقتصادِ الاسلاميّ»، في هذه الاجزاءِ الاربعة .

ففي الضّوءِ المذكور، يُصبحُ من واجبِ الباحثِ اَن يُراجِعَ المصادرَ والمراجعَ في كلِّ ما يُعرَضُ عليه في الكتاب، اذا اَرادَ الفحصَ والاستيعابَ عن جميعِ ما جاءَ بصددِ موضوعِه الّذي يُعالِجُه بالدّراسةِ والبحث .

ومن الموضوعاتِ الهامّـةِ الّتي اعْتَدَّ الاسلامُ بشأنِها اعتداداً كبيراً وجَعَلَها رئيسيّةً في البناءِ الاقتصاديّ، هو العملُ وشؤونُه والعُمّال المختلفون وحقوقُهم وما يَمُتُّ الى حياتِهم وصحّتِهم واُجرَتِهم وكرامتِهم ودينِهم وحُريّتِهم . هذا موضوعٌ اسلاميٌّ وانسانيٌّ وحياتيٌّ وتقدُّميٌّ هامّ، يَجِبُ اَن يُفرَدَ له موسوعةٌ شاملة، بيدِ الباحثين والأخصّائيّين، بالرُّجوعِ و الاستقاءِ من المراجعِ الاسلاميّة، من القرآنِ الكريم وتفاسيرِه المعتمدة، وكتبِ الحديثِ المعتبرةِ و شروحِها؛ هذا .

و حيث وقفنا اخيراً، على كتاب[1] «الشُّؤونِ الاقتصاديّةِ في نصوصِ الكتابِ والسُّنّة»[2] ولا حظناه، وَجَدْنا اَنّه قد جاء فيه بعضُ احاديث مفيدة بنّاءة، وخصوصاً فيما يَتعلَّقُ بالعملِ والعُمّال، لذلك اَحْبَبْنا اَن لا نُغفِلَ ذكرَه . وعُقِدَ فيه للعملِ واهميّتِه والعُمّالِ وحقوقِهم فصلان . ونحن نُوردُ هنا

---

١ ـ بعدَ ما اهدىٰ الينا بعضُ الاصدقاء نسخةً منه .

٢ ـ تأليفُ احدِ علماءِ «قم» المشرّفة وبعضِ اصحابه، إصدارُ «مكتبةِ الامام امير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة» ـ اصفهان (١٤٠٣ هـ.ق).

عناوينَ الموضوعاتِ المذكورةِ فيهما تتميماً للفائدة، واستيفاءً لحقوقِ العُمّالِ والفّلاحين والكادحين، من الّذين يُظلَمُون هنا و هناك، بيدِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين[1]، وان كانت عدّةٌ منها متداخلةً مع ماأوردْناه في هذه الفصولِ الثّلاثةِ الّتي عَقَدناها للعملِ والعُمّال و شجبِ الكسلِ والعُطْل :

«الفصلُ الاوّل : اهميّة الكدِّ والكَدْحِ والعمل (٣٣ ـ ٧٨) :

١ ـ العملُ والكسبُ في القرآنِ الكريم .

٢ ـ العزّةُ والكرامةُ في ظِلالِ الكَدْحِ والعمل .

٣ ـ الكَدْحُ والعملُ كالجهادِ في سبيلِ الله .

٤ ـ العملُ لطلبِ الحلالِ عبادة .

٥ ـ الكَدْحُ والعملُ سببٌ لغفرانِ الذُّنوب .

٦ ـ العملُ والغنى المشروعُ وسيلةٌ لنيلِ الآخرة .

٧ ـ العملُ مستحبٌّ ذاتاً، واجبٌ عند الضّرورة .

٨ ـ لا حياءَ في طلبِ الرّزقِ الحلال .

٩ ـ استحبابُ التّعَبِ لطلبِ الرّزق .

١٠ ـ استحبابُ السّفرِ والاغترابِ لطلبِ الرّزق .

١١ ـ استحبابُ البُكورِ لطلبِ الرّزق .

١٢ ـ فضلُ العملِ باليد .

١٣ ـ العملُ سُنّةُ الانبياءِ وسيرةُ الاولياء .

١٤ ـ الاعتمادُ على النّفسِ والاستغناءُ عنِ النّاس .

١٥ ـ فضلُ العملِ للانفاقِ على النّفسِ والعيال .

١٦ ـ النّهيُ عن التّراخي والكَسَلِ في طلبِ الرّزق .

---

١ ـ من اصحابِ المعاملِ والمُنتجين الكِبار والإقطاعيّين والمستوردين وسلاطينِ الاسواق والمُسَعِّرين ومن اليهم .

١٧ ـ النّهيُ عن التّوكُّلِ الكاذبِ والنّومِ الكثير .

١٨ ـ تاركُ الكَدْحِ والعملِ لا يُستجابُ دعاؤه .

«الفصلُ الثّالث : حقوقُ العامل (١٧٣ ـ ٢٢٦) :

١ ـ كراهةُ استعمالِ الاجير قبلَ تحديدِ أُجرتِه .

٢ ـ حرمةُ منعِ الاجيرِ والعاملِ اجرتَه .

٣ ـ استحبابُ اعطاءِ العاملِ والاجيرِ أجرَه قبلَ جَفافِ عَرَقِه .

٤ ـ ما يَجوزُ للعاملِ العملُ فيه اجارةً ومالا يَجُوز .

٥ ـ حريّةُ اختيارِ العمل .

٦ ـ الإذنُ للعاملِ بالاستراحةِ والسَّماحُ له بحضورِ صلاةِ الجمعة .

٧ ـ عدمُ جوازِ احالةِ العاملِ للعملِ الى عاملٍ آخر بنقيصةٍ دون اَن يكونَ قد عَمِلَ فيه شيئاً .

٨ ـ جوازُ اِنقاصِ أُجرةِ العاملِ برضاه .

٩ ـ لاغبنَ للعاملِ ولا اِضرارَبه .

١٠ ـ استحبابُ كتابةِ العقودِ والاتّفاقيّاتِ والمعاملات .

١١ ـ احترامُ العقودِ والاتّفاقيّاتِ والمواعيد .

١٢ ـ التّأمينُ والضَّمانُ الاجتماعيُّ للعامل .

١٣ ـ العاملُ غيرُ ضامنٍ الاّ اذا فَرَّطَ او تَعَدّىٰ اوخان .

١٤ ـ العملُ عن طريقِ المضارَبةِ والمزارَعةِ والمساقاة .[١]

---

١ ـ وجاء في التّعليق على هذا العنوان : «تُعتَبَرُ المضاربةُ من افضلِ ما طَرَحَه الاسلامُ للعمّالِ ـ الّذين يَملِكُون المَهاراتِ ولا يملكون المال ـ من طريقةٍ للاكتسابِ تصُونُ حرمةَ العامل وتَحفَظُ حقوقَه، وتَعودُ عليه بالرّبحِ المناسب، ودون اَن يَضطَرَّ للرُّضوخِ للشّروطِ الظّالمة او القبولِ بالاجورِ الزّهيدة الّتي يَفرُضُها بعضُ اربابِ العملِ الاستغلاليّون . والمضاربة هي اَن يكونَ المالُ من صاحبِ المال والعملُ من الآخر والرّبحُ بينهما، حَسَبَما يَتّفِقان عليه بالرّضا والاختيار، دون الخسارة . وهذا هو من افضلِ ما يَجعَلُ العاملَ يَحصُلُ على ما يُريدُه من الرّبحِ العادل، فيما يَحفَظُ حقَّ صاحبِ المال ايضاً، كما وانّه خيرُ ردٍّ على عمليّةِ الرّبا التي حَرَّمَها الاسلامُ اشدَّ

←

١٥ ـ العملُ عن طريقِ الجُعالة».

تكميل

النّبيّ «ص» يقبّل يد العامل

و جاء في الكتابِ المذكور،[1] نقلاً عن بعضِ المصادر، هذه القطعةُ المشرقةُ والكبيرة :

«إنّ رسولَ الله «ص» لمّا أقبَلَ من غَزوَةِ "تَبُوك"، استقبَلَه سعدٌ الأنصاريّ، فصافَحَهُ النّبيُّ «ص» ثمّ قال له : "ما هذا الّذي أكْبَتَ (أي أخْشَنَ) يَدَيك؟" فقال : يا رسولَ الله! أضرِبُ بالمَرِّ والمِسْحاةِ فأُنفِقُه على عِيالي . فقَبَّلَ يدَه رسولُ اللّهِ وقال : "هذه يدٌ لا تَمَسُّها النّار"».

تحريم . على اَنّ اكثر حقوقِ العمّالِ ومسائلهم تُوجَدُ في هذا البابِ من ابوابِ الفقه والحديث .. ومن هذا البابِ المزارعة والمساقاة، الّتي تَعني اَن تكونَ الارضُ من شخصٍ والزّراعةُ من آخر بحصّةٍ من المحصول، او الاشجارُ من شخصٍ والسَّقْيُ من آخر كذلك . هذا، ونحن ندعُوا القُرّاءَ الكرامَ الى مطالعةِ جميع احاديثِ هذه الابوابِ الثّلاثة، الّتي تَتَعَرَّضُ لاَدَقِّ حقوقِ العاملِ وصاحبِ العمل».

١ ـ ص ٥٧ .

الفصلُ السّابع

الفلاحـــة والزّراعـــة

الكتـــاب

١ أَفَرَأَيْتُم ما تَحرُثُون؟ * أَاَنْتُم تَزرَعُونَه اَم نَحنُ الزّارِعُون؟ *[١]

٢ وآيةٌ لَهُمُ الارضُ المَيتَةُ اَحْيَيْناها واَخْرَجْنا منها حبّاً فمِنه يَأْكُلُون * وجَعَلْنا فيها جنّاتٍ من نخيلٍ واَعنابٍ وفَجَّرْنا فيها من العُيون *[٢]

٣ اِنّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الارضَ شَقّاً * فَاَنْبَتْنا فيها حَبّاً * وعِنَباً وقَضْباً * وزيتوناً ونَخلاً * وحَدائقَ غُلْباً * وفاكهةً واَبّاً * متاعاً لكُم ولاَنعامِكُم *[٣]

٤ هُوَ الَّذي اَنْزَلَ من السَّماءِ ماءً لكُم منه شَرابٌ ومنه شَجَرٌ فيه تُسيمون * يُنْبِتُ لكُم به الزَّرعَ والزَّيتونَ والنَّخيلَ والاَعنابَ ومِن كُلِّ الثَّمَرات ..[٤]

٥ .. هُو اَنْشَأَكُم منَ الارضِ وَاسْتَعمَرَكُم فيها ..[٥]

---

١ ـ سورة الواقعة (٥٦) : ٦٣ ـ ٦٤.

٢ ـ سورة يس (٣٦) : ٣٣ ـ ٣٤.

٣ ـ سورة عَبَس (٨٠) : ٢٥ ـ ٣٢.

٤ ـ سورة النّحل (١٦) : ١١ ـ ١٢.

٥ ـ سورة هود (١١) : ٦١.

* جاءَ في تفسيرِ الآية، من معانيها : اَمَرَكُم من عمارتِها بما تَحتاجُون اليه من المساكنِ والزّراعاتِ وغرسِ الاشجار.[1]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : من سَقىٰ طَلْحَةً او سِدرةً، فكانّما سَقىٰ مؤمناً من ظَمَأٍ.[2]

٢ النبـــي «ص» : ما من مسلمٍ يَغْرِسُ غَرْساً او يَزرَعُ زَرعاً، فيَأْكُلَ منه انسانٌ او طيرٌ او بهيمة، الّا كانت له به صدقةٌ.[3]

٣ النبـــي «ص» : من غَرَسَ غرساً فاَثْمَر، اَعْطاهُ اللّهُ من الاجرِ قدرَ ما يُخرِجُ من الثّمر.[4]

٤ النبـــي «ص» : اِن قامتِ السّاعةُ وفي يدِ احدِكُمُ الفَسيلةُ، فاِنِ اسْتَطاعَ اَن لاتَقومَ السّاعةُ حتى يَغرِسَها فَلْيَغْرِسْها.[5]

٥ النبـــي «ص» : من بَنىٰ بُنياناً بغيرِ ظلمٍ ولا اعتداء، او غَرَسَ غرساً بغيرِ ظلمٍ ولا اعتداء، كان له اجراً جارياً مَا انْتَفَعَ به احدٌ من خلقِ الرّحمن.[6]

٦ الامام علي «ع» ـ اِنّه كان يَعمَلُ بيدِه ويُجاهِدُ في سبيلِ الله .. ولَقد كان يُرىٰ ومعه القَطارُ من الابلِ وعليه النَّوى، فيُقالُ : ما هذا يا ابا الحسن؟ فيَقولُ : نخلٌ اِن شاءَ الله، فيَغرِسُها فما يُغادِرُ منه واحدة.[7]

---

١ ـ مجمع البيان ٥ / ١٧٤.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٢٥.

٣ و ٤ ـ المستدرك ٢ / ٥٠١.

٥ و ٦ و ٧ ـ المستدرك ٢ / ٥٠١.

٧ الامام علي «ع» : .. ويَشترِطُ على الّذي يَجعَلُه اليه اَن يَترُكَ المالَ (النَّخيلَ) على اصولِه، ويُنفِقَ من ثمرِه، حيث اُمِرَ به وهُدِيَ له، واَن لا يَبيعَ من اولادِ نخيلِ هذه القُرى وَدِيَّةً حتى تُشكِلَ ارضُها غِراساً ..[١]

٨ الامام الباقر «ع» ـ ممّا رواه عن ابيه الامامِ السّجّاد : خيرُ الاعمالِ زرعٌ يَزْرَعُه، فيَأْكُلَ منه البَرُّ والفاجر .. ويَأْكُلَ منه السِّباعُ والطّير .[٢]

٩ الامام الصادق «ع» : اِزرَعُوا واغْرِسوا، والله ما عَمِلَ النّاسُ عملاً اَحلَّ واَطْيَبَ منه .[٣]

١٠ الامام الصادق «ع» :مافي الاعمال شيءٌ احبُّ الى اللّهِ تعالى من الزّراعة، وما بَعَثَ اللّهُ نبيّاً اِلاّ زَرّاعاً، الاّ ادريسَ فاِنّه كا خيّاطاً .[٤]

١١ الامام الصادق «ع» ـ عن ابيه، عن آبائه : سُئلَ رسولُ الله «ص» : ايُّ المالِ خير؟ قال : زرعٌ زَرَعَه صاحبُه واَصلَحَـه،واَدّىٰ حقَّه يومَ حَصادِه . قيل : يا رسولَ الله! فايُّ المالِ بعدَ الزّرعِ خير؟ قال : رجلٌ في غنمِه، قد تَبِعَ بها مواضعَ القَطْر .. قيل : يا رسولَ الله! فايُّ المالِ بعدَ الغنمِ خير؟ قال : البقرُ تَغدُو بخيرٍ وتَرُوحُ بخير . قيل : يا رسولَ الله! فايُّ المالِ بعدَ البقرِ خير؟ قال : الرّاسياتُ في الوَحَل، والمُطعِماتُ في المَحْل، نِعْمَ الشّيءُ النّخل . من باعَه فاِنّما ثَمَنُه بمنزلةِ رَمادٍ على رأسِ شاهقةٍ اشْتَدَّتْ به الرّيحُ في يومٍ عاصف، اِلا اَن يُخلِفَ مكانَها ..[٥]

١٢ الامام الصادق «ع» ـ يزيدُ بنُ هارونَ الواسطيّ قال : سَأَلتُ جعفرَ بنَ ـ

---

١ ـ نهج البلاغة / ٨٧٧؛ عبده ٣ / ٢٦.

٢ ـ سفينة البحار ١ / ٥٤٩.

٣ و ٤ ـ سفينة البحار ١ / ٥٤٩.

٥ ـ امالي الصدوق / ٣١٢ ـ ٣١٣؛ الوسائل ١٣ / ١٩٢.

محمّد «ع» عن الفلّاحين؟ قال : هُمُ الزّارعون، كُنوزُ اللّهِ في ارضِه؛ وما في الاعمالِ شيءٌ اَحبُّ الى اللّهِ من الزّراعة ..[1]

١٣ الامام الصادق «ع» : اِنّ اللّهَ عزّ وجلّ اَحَبَّ لانبيائِه «ع» من الاعمال، الحرثَ والرَّعْي ..[2]

١٤ الامام الصادق «ع» ـ في تفسيرِ قولِ الله : «وعلى اللّهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُتَوكِّلُون»، قال : الزّارعون .[3]

١٥ الامام الصادق «ع» : الزّارعون كُنوزُ الاَنام، يَزرَعُون طَيِّباً اَخرَجَهُ الله عزّ وجلّ . وهم يومَ القيامةِ احسنُ مقاماً، واقربُهم منزلةً، يُدْعَون المباركين .[4]

* يُشيرُ هذا التّعليمُ الصّادقيُّ الى نكتةٍ توحيديّةٍ هامّة، ربما يَغفُلُ عنها الغافلون . وهي اَنّ المحصولاتِ الزّراعيّةَ الّتي تَحصُلُ من زرعِ الزّارعين، وثِمارَ الغِراس، ليست الاّ ما يُعِدُّه اللّهُ ويُخرِجُه لعبادِه (قُل : مَن حَرَّمَ زينةَ اللّهِ الّتي اَخرَجَ لِعبادِه والطّيِّباتِ من الرّزق؟)[5]. فالزُّراعُ يَزرَعُون ما يُخرِجُهُ اللّهُ عزَّ وجلّ، والغارسون يَغْرِسُون ذلك لاغير؛ فالفاعلُ الحقيقيُّ هو اللّهُ ـ تعالى شأنُه ـ بتَعْبِئَتِه النّواميس وإعدادِه القُوى والجنودَ الفعّالةَ في العالم.

١٦ الامام الصادق «ع» : الكيمياءُ الاكبرُ الزّراعة .[6]

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٢٥.
٢ ـ علل الشرايع ١ / ٣٢.
٣ ـ الوسائل ١٢ / ٢٥.
٤ ـ الوسائل ١٣ / ١٩٤.
٥ ـ سورة الاعراف (٧) : ٣٢.
٦ ـ الوسائل ١٣ / ١٩٤.

١٧ الامام الصادق «ع» ـ عن ابيه : كانَ اميرُ المؤمنين «ع» يقولُ : من وَجَدَ ماءً وتراباً ثُمَّ افْتَقَر، فَأَبْعَدَهُ الله .[١]

١٨ الامام الصادق «ع» : ذَكِّرْ (فَكِّرْ ـ خ ل) يا مفضّل! فيما أُعطَي الانسانُ علمَه..وكذلك أُعطِيَ علمَ ما فيه صلاحُ دنياه، كالزّراعة، والغِراس، واستخراجِ الارضين .. واستنباطِ المِياه ..[٢]

١٩ الامام الصادق «ع» : . خُلِقَ له (للانسان) الشّجر، فكُلِّفَ غَرسَها وسَقْيَها والقيامَ عليها ..[٣]

٢٠ الامام الكاظم «ع» ـ فيما رواه عن ابيه، عن جدِّه (الامامِ الباقر «ع») : اِنّ بايعَ الضَّيعةِ مَمْحُوقٌ، ومشتريَها مرزوقٌ .[٤]

تذييـــل

الزّراعة، آداب و حقوق

الحديـــث

١ الامام السجاد «ع» : ما اَزرَعُ الزّرعَ لطلبِ الفضلِ فيه، وما اَزرَعُ الاّ لِيَتَناوَلَهُ الفقير، وذُوالحاجة ..[٥]

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٢٤.

٢ و ٣ ـ البحار ٣ / ٨٢ ـ ٨٣ و ٨٦.

٤ و ٥ ـ سفينة البحار ١ / ٥٤٩.

٢ الامام الصادق «ع» : مَن زَرَعَ حِنْطَةً في ارضٍ فلم يَزْكُ في ارضِه، او خَرَجَ زرعُه كثيرَ الشَّعير، فبظلمٍ عَمِلَه في مِلكِ رَقَبَةِ الارض، او بظلمٍ لزارِعه واَكَرَتِه، لاَنَّ اللّهَ يقول : «فبظُلمٍ من الّذينَ هادُوا، حَرَّمْنا عليهم طيِّباتٍ اُحِلَّت لهُم» .[١]

الفات نظـــر

يُستَفادُ من استدلالِ الامامِ الصّادق «ع» بهذه الآية، اَنّ الآياتِ السّماويةَ النازلةَ بصددِ الظّالمين من سائرِ الاقوام والشُّعوب، لا تَخُصُّهم بل تَعُمُّ المسلمين ايضاً، اذا عَمِلُوا عملَهم. وله في الاحاديثِ نظائرُ متعدِّدة ـ ولعلّ عدمَ كونِ المورِدِ مُخَصِّصاً يَشمُلُ امثالَ المقام بنحو ـ .

ففي هذا الضّوء، اِنّ الآياتِ الكثيرةَ النّازلةَ في رفضِ الاغنياءِ والمُترَفين من الغابرين والتّنديدِبهم وبحياتِهمُ الباذخة، تَعُمُّ الّذينُ يُضاهُو نهم من المسلمين، اذ الهدايةُ لا تَخُصُّ قوماً دونَ قوم .

---

١ ـ سفينة البحار ١ / ٥٤٩ . وتذكيرُ الضّميرِ في «لم يَزْكُ»ـ اِن صَحَّتِ النُّسخة ـ فبا عتبارِ «الزّرع».

نظرة الى الفصـــل

لقد عَقَدَ في «البحار» باباً عنوانُه : «بابُ استحبابِ الزَّرعِ والغَرْسِ وحَفْرِ القُلْبانِ وإجراءِ القَنَواتِ والأنهار، وآدابِ جميع ذلك»، فَليُر اجِعْهُ الطّالبون والباحثون .

ولعلَّه غيرُ خافٍ على اَيِّ نابه، اَنّ الزّرعَ والحَرْثَ يَقتَرِنان في العصرِ الحاضرِ بالادواتِ الحديثةِ والتّـقنيّـةِ المعاصرة . وعلى المسلمين اَن يَستَفيدوا منها ويَتَمَهَّرُوا فيها، بل عليهم اَن يَصنَعُوها ويَجِدُّوا لاختراعِ ما هو احدثُ وادقُّ وانفعُ منها .

اِنّ العلومَ والاختراعاتِ الحديثة، قد اقْتُبِسَت من علومِ المسلمين، كما تَشهَدُ به عشراتٌ من الكتبِ والمقالات ، من علماءِ الشّرقِ والغرب، المُختَصِّـين بهذه التّحقيقاتِ والبُحوث، فَلْيَقْتَدِ المسلمون بسلفِهم، في بسطِ دائرةِ العلوم وانجازِ الصّناعات، ومنها ما يَرجِعُ الى تطويرِ الزّراعةِ والاستفادةِ الوافرةِ ممّا اَودَعَهُ الله تعالى في الطّبيعةِ والمياهِ والنّورِ والهواءِ والارض .

الفصلُ الثّامن

الرّعي وتربية المواشي

الكتـــاب

١ والاَنعامَ خَلَقَها لكُم، فيها دِفْءٌ ومنافعُ ومنها تَأْكُلُون *[١]

٢ اَللّهُ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الاَنعام لتَركَبُوا منها ومنها تَأْكُلُون *[٢]

٣ .. وانْزَلَ من السَّماءِ ماءً فاَخْرَجْنا به ازواجاً من نَباتٍ شتّى * كُلُوا وَارْعَوا اَنعامَكُم ..[٣]

٤ .. وجَعَلَ لكُم من جُلودِ الاَنعامِ بيوتاً تَستَخِفُّونَها يومَ ظَعْنِكُم ويومَ اقامتِكُم، ومن اَصوافِها واَوبارِها واَشعارِها اَثاثاً ومتاعاً ..[٤]

٥ ومن الاَنعامِ حَمولةً وفرشاً ..[٥]

٦ وإنَّ لكُم في الاَنعامِ لعبرةً، نُسقيكُم مما في بُطونِها ولكُم فيها منافعُ كثيرةٌ، ومنها تَأْكُلُون *[٦]

---

١ ـ سورة النحل (١٦) : ٥.

٢ ـ سورة غافر (٤٠) : ٧٩.

٣ ـ سورة طه (٣٠) : ٥٣ ـ ٥٤.

٤ ـ سورة النحل (١٦) : ٨٣.

٥ ـ سورة الانعام (٦) : ١٤٢.

٦ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٢.

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ عليُّ بنُ ابي طالب «ع» : عليكُم بالغنمِ والحَرْث، فإنّهما يَغدُوان بخيرٍ، ويَرُوحان بخيرٍ.[١]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائِه : سُئلَ رسولُ الله «ص» : .. فايُّ المالِ بعدَ الزَّرعِ خيرٌ؟ قال : رجلٌ في غنمِه قد تَبِعَ بها مواضعَ القَطْر .. قيل : يا رسولَ الله! فايُّ المالِ بعدَ الغنمِ خير؟ قال : البَقر تَغدُو بخيرٍ وتَرُوحُ بخير ..[٢]

٣ النبـــي «ص» ـ قال لعَمَّتِه : ما يَمنَعُكِ من اَن تَتَّخِذي في بيتِكِ البرَكَة؟ فقالت : يا رسولَ الله! ما البَركَة؟ فقال : شاةٌ تُحْلَبُ، فإنّه مَن كانت في دارهِ شاةٌ تُحْلَبُ او نَعجَةٌ او بقرةٌ فبَركاتٌ كلُّهنّ.[٣]

٤ النبـــي «ص» : .. اِنَّ اللّهَ اَنزَلَ ثلاثَ بركاتٍ : الماءَ والنّارَ والشّاة.[٤]

٥ الامام الصادق «ع» : .. وكذلك اُعطِيَ (الانسانُ) علمَ ما فيه صلاحُ دنياه كالزّراعة .. واقتناءِ الاَغنامِ والاَنعام ..[٥]

* لاحظ : كلمتَنا في النّظرةِ الى الفصلِ السّابق.

---

١ ـ البحار ٦٤ / ١٣٣، عن كتاب «المحاسن».

٢ ـ امالي الصدوق / ٣١٢ ـ ٣١٣؛ الوسائل ١٣ / ١٩٢.

٣ و ٤ ـ سفينة البحار ١ / ٧.

٥ ـ البحار ٣ / ٨٣ ـ ٨٤.

الفصلُ التّاسع

البحر، صيده واستخراج فوائده والصّناعة البحريّة واهميّة طرق البحر

الكتـــاب

١ أُحِلَّ لكُم صيدُ البَحرِ وطعامُه، متاعاً لكُم وللسّيّارَة ..[١]

٢ وهُوَ الَّذي سَخَّرَ البَحرَ لِتَأْكُلُوا منه لحماً طريّاً ..[٢]

٣ مَرَجَ البَحرينِ يَلتَقِيان .. يَخرُجُ منهمَا اللُّؤْ لُؤُ والمَرجان .[٣]

٤ .. والفُلْكِ التي تَجري في البَحرِ بما يَنفَعُ النّاس ..[٤]

٥ رَبُّكُمْ الَّذي يُزجي الفُلْكَ في البَحرِ لِتَبْتَغُوا من فضلِه ..[٥]

الحديـــث

١ ـ سورة المائدة (٥): ٩٦.

٢ ـ سورة النّحل (١٦): ١٤.

٣ ـ سورة الرّحمن (٥٥): ١٩ و ٢٢.

٤ ـ سورة البقرة (٢): ١٦٤.

٥ ـ سورة الاسراء (١٧): ٦٦.

١ الامام علي «ع» ـ في خطابِه لاهلِ البصرة : .. سَخَّرَلكُمُ الماءَ يَغدُو عليكم ويَرُوح، صَلاحاً لمعاشِكم، والبحرَ سبباً لكثرةِ اموالِكم ..[١]

٢ الامام الصادق «ع» : .. وكذلك اُعطِيَ (الانسانُ) علمَ ما فيه صلاحُ دنياه كالزّراعة .. وركوبِ السُّفُن، والغوصِ في البحر، وضروبِ الحِيَلِ في صيدِ الوحشِ والطّيرِ والحيتان ..[٢]

٣ الامام الصادق «ع» : .. فإنْ شَكَكْتَ في منفعةِ هذا الماءِ الكثيرِ المُتراكمِ في البِحارِ وقلتَ : ما الاَرَبُ فيه؟ فَاعْلَمْ اَنّه مُكتَنَفُ ومُضْطَرَبُ ما لا يُحصىٰ، من اصنافِ السَّمَك، ودوابِّ البحر، ومَعـدِنُ الـلُّؤْلُـؤ والياقوتِ والعَنبر، واصنافٍ شتّى تُستَخْرَجُ من البَحر . وفي سواحلِه منابتُ العودِ واليَلَنْجُوج، وضروبٍ من الطِّيبِ والعَقاقير، ثم هو بعدُ مركبُ النّاس ومَحمِلٌ لهذه التّجارات، الّتي تُجلَبُ من البُلْدانِ البعيدة، كمثلِ ما يُجلَبَ من الصِّينِ الى العراق، ومن العراقِ الى الصِّين . فإنّهذهالتّجارات لولم يَكُن لها محملٌ الاّ على الظَّهر، لبارَتْ وبَقِيَت في بُلْدانِها وايدي اهلِها، لاَنّ اجرَ حملِها كان يُجاوِزُاَثمانَها،فلا يَتعَرَّضُ احدٌ لحملِها، وكان يَجتَمِعُ في ذلك امران : احدُهما فقدُ اشياءَ كثيرةٍ تَعظُمُ الحاجةُ اليها، والآخرُ انقطاعُ معاشِ مَن يَحمِلُها ويَتَعَيَّشُ بفضلِها .[٣]

---

١ ـ البحار ٦٠ / ٣٩

٢ ـ البحار ٣ / ٨٢ ـ ٨٣.

٣ ـ البحار ٣ / ١٢٢ ـ ١٢٣.

نظرة الى الفصـــل

اِنّ اهميّةَ البحرِ وفوائدَه والاستفادةَ من الطُّرُقِ البحريّة، في المناطقِ الّتي يُوجَدُ فيها بحرٌ، امرٌ معلوم. ولقد جاءت في القرآنِ الكريم آياتٌ متعدِّدةٌ تُصَرِّحُ باهميّةِ البحر وركوبِه واستخراجِ فوائدِه الغِذائيّة ، غيرِ الغِذائيّة. قال الشّيخ ابوعليّ الطّبرسي، في تفسيرِ الآية ١٤، من سورةِ النَّحل: «"وهو الّذي سَخَّرَ البحر" اي ذَلَّلَهُ لكُم وسَهَّلَ لكُم الطّريقَ الى ركوبِه واستخراجِ ما فيه من المنافع، "لِتَأْكُلُوا منه لحماً"، اي لِتَصْطادُوا منه انواعَ السّمكِ وتَأْكُلُوا لحمَه ..»[١].

وقال في تفسير الآية ٦٦، من سورةِ الاِسْراء: «"الّذي يُزْجي لكُمُ الفُلْك"، اي يَجري لكُمُ السُّفُنَ "في البَحر"، بما خلق من الرِّياح، وبأن جعل الماءَ على وجهٍ يُمكِنُ جريُ السُّفُنِ فيه، "لِتَبْتَغُوا من فضلِه"، اي لِتَطْلُبُوا من فضلِ اللّهِ تعالى بركوبِ السُّفُنِ على وجهِ الماء، فيما فيه صلاحُ دنياكُم من التّجارة ..»[٢].

وهناك في البِحار فوائدُ عظيمةٌ ومنافعُ كبيرة، للانسانِ والمجتمعِ الانسانيِّ، من جوانبَ عديدة، لكلٍّ منها اهميّةٌ خاصّة:

١ ـ اَنّ البحرَ من عمدةِ المنابعِ للموادِّ البروتينيّة.

٢ ـ اَنّ البحرَ من اهمِّ المنابعِ لمعرفةِ الحياةِ وتوسيعِ آفاقِ التّجاربِ العلميّة، بما فيه من مختلِفِ انواعِ الحيوانِ وغيرِه.

٣ ـ اَن البحرَ من اَنفعِ الوسائلِ لحملِ الاشياءِ الجسيمةِ من قُطرٍ

---

١ ـ مجمع البيان ٦ / ٣٥٤.

٢ ـ مجمع البيان ٦ / ٤٢٧.

الى قُطر. والاستفادةُ من الطُّرُقِ البحريّةِ لها فوائد اقتصاديّةٌ وحياتيّة هامّة.

٤ ـ اَنّ البحرَ مُتَنَزَّهٌ عظيم، للسفرِ وللسِّباحةِ وكذلك سواحلُه وما فيها من الفوائد.

٥ ـ وللبحرِ مضمونٌ توحيديٌّ عظيم، من حيث بداعتِه في الخلقِ وعظمتِه وعجائبِ ما فيه. ولذلك جاء في الحديث: «النّظرُ الى البحرِ عبادة»[1].

وللمسلمين اشواطٌ بعيدةٌ فيما يَمُتُّ الى البحرِ وعلومِه وكشفِ طُرُقِه وما يتعلَّقُ بذلك، يَدُلُّ عليها تآليفُهم في هذا الموضوعِ كرسائلِ البَحّار، شهاب الدّين ابنِ ماجد.

---

١ ـ البحار ١٠ / ٣٦٨. وتمامُ الحديث: «قال رسولُ الله «ص»: "النّظرُ في ثلاثةِ اشياءَ عبادة: النّظرُ في وجهِ الوالدين، وفي المُصحَف، وفي البحر"». والحديثُ مُسنَدٌ قد نقله العلّامةُ المجلسيّ، عن جزءٍ (فيه احاديثُ مُسنَدةٌ عن الامام ابي الحسن عليِّ بن موسى الرّضا «ع»)، بخطِّ الشّيخ محمّدبن عليٍّ الجبائيّ، نقلاً عن خطِّ شيخِنا الشّهيد الأوّل محمّدبنِ مكّي، وروايةِ السيِّدِ الفقيه شمس الدّين فَخاربنِ مَعَدٍّالموسويّ (ـم ٦٣٠)، رحمةُ اللّهِ عليهم أجمعين.

الفصلُ العاشر

الصّناعات والاختراعات

الكتـــاب

١ وعَلَّمْناهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لكُم لِتُحصِنَكُم من بَأْسِكُم ..[١]

٢ فاَوحَيْنا اليه اَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنا ووَحْيِنا ..[٢]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاشتريّ : .. ولا قوامَ لهم (اصنافِ النّاسِ المختلفة) جميعاً الّا بالتُّجّار، وذوي الصِّناعات، فيما يَجتَمِعُون عليه من مَرافِقِهم، ويُقيمُونَه من اَسواقِهم، ويَكفُونهم من التَّرَفُّقِ بايديهم، ممّا لا يَبلُغُه رفقُ غيرِهم ..[٣]

---

١ ـ سورة الانبياء (٢١) : ٨٠.

٢ ـ سورة المؤمنون (٢٣) : ٢٧.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٠٣؛ عبده ٣ / ١٠٠ ـ ١٠١.

٢ الامام علي «ع» : ثُمَّ اسْتَوصِ بالتُّجّار وذوي الصِّناعات، واَوصِ بهم خيراً ..[١]

٣ الامام الصادق «ع» : .. وجَعَلَ اسبابَ ارزاقِهم في ضُروبِ الاعمال، وانواعِ الصِّناعات، وذلك اَدوَمُ في البَقاء، واَصحُّ في التّدبير.[٢]

٤ الامام الصادق «ع» : .. وكذلك اُعطِيَ (الانسانُ) علمَ ما فيه صلاحُ دنياه .. ومعرفةِ العقاقير، الّتي يُستَشفىٰ بها من ضُروبِ الاسقام، والمعادنِ الّتي يُستَخرَجُ منها انواعُ الجواهر، وركوبِ السُّفُنِ والغَوصِ في البحر، وضروبِ الحِيَلِ في صيدِ الوحشِ والطّيرِ والحيتان، والتَّصرُّفِ في الصّناعات.[٣]

٥ الامام الصادق «ع» : .. خُلِقَت له العَقاقيرُ لِاَدْوِيَتِه ، فكُلِّفَ لَقْطَها وخَلْطَها وصُنعَها ..[٤]

٦ الامام الصادق «ع» : .. خُلِقَ له الوَبَرُ لِكسوتِه، فكُلِّفَ نَدْفَه وغَزْلَه ونَسجَه .[٥]

٧ الامام الصادق «ع» : ثم فَكِّر في خلقِ هذه الارض، على ما هي عليه، حين خُلِقَت راتبةً راكنة، فتكونَ موطناً مُستقِرّاً .. فإنّهالو كانت رَجْراجَةً مُتَكَفِّئَة، لم يكونوا يَستَطيعُون اَن يُتْقِنُوا البناءَ والتّجارةَوالصِّناعةَ وما اَشبَهَ ذلك.[٦]

٨ الامام الصادق «ع» : فكِّر في هذه الاشياءِ الّتي تَراها موجودةً مُعَدَّةً في العالَمِ من مآربِهم، فالتُّراب للبناءِ،والحديدُ للصِّناعات، والخَشَبُ للسُّفُن وغيرِها،

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ ـ الاحتجاج ٢ / ٨٤.

٣ و ٤ و ٥ ـ البحار ٣ / ٨٢ ـ ٨٣ و ٨٦.

٦ ـ البحار ٣ / ١٢١.

والحجارةُ للاَرحاءِ وغيرِها، والنُّحاسُ للآواني ..[1]

٩ الامام الصادق «ع» : فكِّريا مُفضَّل! في هذه المعادنِ و ما يَخرُجُ منها من الجواهرِ المختلفة، مثلَ الجَصِّ، والكِلْسِ، والجِبْس، والزّرانيخ، والمَرتَك، والقونيا (التّوتيا ـ خ ل)، والزَّيبق، والنُّحاس، والرَّصاص، والفضّة، والذّهب، والزَّبَرجد، والياقوت، والزُّمُرُّد، وضروبِ الحجارة؛ و كذلك ما يَخرُجُ منها من القار، والموميا، والكبريت، والنَّفط، وغيرِ ذلك، مما يَستَعمِلُه النّاس في مآرِبِهم؛ فهل يَخفىٰ على ذي عقلٍ اَنّ هذه كلَّها ذخائرُ ذُخِرَت للانسانِ في هذه الارض ليَستَخرِجَها فيَستَعمِلَها عندَ الحاجةِ اليها . ثم قَصُرَت حيلةُ النّاسِ عمّا حاوَلُوا من صنعتِها (اي الكيمياء) على حرصِهم واجتهادِهم في ذلك، فإنّهم لو ظَفَرُوا بما حاوَلوامن هذا العلمِ كان لا محالة سيَظْهَرُ ويَستفيضُ في العالَمِ حتى يَكْثُرَ الذّهبُ والفضّةُ ويَسقُطا عندَ النّاس، فلايكونُ لهما قيمةٌ ويَبطُلُ الانتفاعُ بهما .. وقد اُعطِي النّاسُ مع هذا صنعةَ الشَّبَهِ من النُّحاس، والزُّجاجِ من الرّمل، والفضّةِ من الرَّصاص، والذّهبِ من الفضّة، واشباه ذلك ممّا لا مضرَّةَ فيه .[2]

١٠ الامام الصادق «ع» : .. اما تفسيرُ الصِّناعات، فكلُّ ما يَتَعلَّمُ العبادُ او يُعَلِّمُون غيرَهم من صنوفِ الصِّناعات، مثلَ الكتابةِ والحسابِ والتّجارةِ والصّياغةِ والسِّراجةِ والبناءِ والحِياكةِ والقِصارةِ والخياطةِ وصنعةِ صُنوفِ التّصاويرِ ما لم يكُن مثلَ الرّوحاني، وانواعِ صنوفِ الآلاتِ الّتي يَحتاجُ اليها العباد، الّتي منها منافعُهم، وبها قوامُهم، وفيها بلغةُ جميعِ حوائجِهم ..[3]

---

١ ـ البحار ٣ / ٨٦.

٢ ـ البحار ٣ / ١٢٨.

٣ ـ تحف العقول / ٢٤٧.

١١ الامام الصادق «ع»: .. الخشبُ لكلِّ شيءٍ من انواعِ النِّجارةِ وغيرِها، واللِّحاءُ والوَرَقُ والأُصولُ والعُروقُ والصُّموغُ لضروبٍ من المنافع.[١]

اشـــارة

الكشوف والاختراعات الّتي تكون رهينة العصور وتطوّراتها

١ الامام الصادق «ع»: .. فاذا اردت اَن تعرفَ سَعَةَ حكمةِ الخالقِ وقِصَرَ علمِ المخلوقين، فَانْظُر الى ما في البِحارِ من ضروبِ السّمَك، ودوابِّ الماءِ والاصَداف، والاصنافِ الّتي لا تُحصىٰ ولا تُعرَفُ منافعُها، الّا الشّيءُ بعدَ الشّيء، يُدرِكُه النّاسُ باسبابٍ تَحدُث .. ممّا يَقِفُ النّاسُ عليه حالاً بعدَ حالٍ، وزماناً بعد زمانٍ ..[٢]

* في هذه التّعابير: «باسبابٍ تَحُدثُ ..»، و «ممّا يَقِفُ النّاسُ عليه حالاً بعدَ حالٍ، وزماناً بعد زمانٍ»، اشاراتٌ صريحةٌ الى الاسبابِ والادواتِ المستحدَثَةِ والاختراعاتِ الحديثة، ممّا وصلَ اليه الانسانُ في معرفةِ الاشياء ورؤيةِ ما في الطّبيعةِ وما في السَّماءِ والارضِ والبِحار، فلاحظ.

٢ الامام الصادق «ع»: .. وَاعْتَبِر ذلك بأنّه قد يَظهَرُ الشّيءُ الطّريفُ مما يُحدِثُهُ النّاس، من الاواني والاَمتِعَة ..[٣]

---

١ ـ البحار ٣ / ١٢٩.

٢ و ٣ ـ البحار ٣ / ١٠٩ و ١٢٩.

نظرة الى الفصـــل

لقد اَشَرنا في النّظرةِ الى الفصلِ السّابع، الى اَنّ المسلمين لهم سابقة هامّةٌ وقِدَمٌ في العلومِ والصِّناعات، منها الطّبُّ والصّيدَلَة. والان يجبُ عليهم اَن يَنتَبِهوا لامور:

١ ـ اَنّ الحاجةَ تَدفَعُ المجتمعَ والبَلدَ والحكمَ الى التَّبَعِيّةِ الاقتصاديّةِ فالسّياسيّة، فيَجِبُ اَن يَهتَمَّ المسلمون بامورِ الصِّناعاتِ المختلفة والحديثة، حتى لا يَحتاجُوا الى الاجانب، «اِسْتَغْنِ عمَّن شِئْتَ تَكُنْ اميرَه، وَاحْتَجْ الى مَن شِئْتَ تَكُنْ اسيرَه».

٢ ـ اَنّ الا جانبَ اجْتَهَدُوا لاَن يَأْخُذُوا العلومَ والصِّناعاتِ من المسلمين، فشَنُّوا الغارةَ على مكتَباتِهم ونُسَخِهم الخطّيّة وادواتِهمُ العلميّةِ والعمليّة، وذَهَبوا بما ذَهَبوا به، وبَنَوا عليه اساسَ علومِهم وصناعاتِهم، كما هو مُقرَّرٌ في محلِّه. فعلى المسلمين اَن يَستَرِدُّوا ما سُرِقَ منهم، ويَمنَعُوا بذلك جانبهم، ويُرَفِّهُوا مجتمعاتِهم، في حرِّيَّةٍ وتَقدُّم.

٣ ـ اَن يُراعُوا الحدودَ القواميّةَ في الصِّناعةِ والاِنتاجِ الصِّناعيّ، حتى لا يَخرُجَ الامرُ الى تَرَفٍ واستهلاكٍ مُبيد.

٤ ـ اَن يُتقِنُوا اِنتاجَهم الصِّناعيّ، حتى تَحسُنَ سُمْعَتُهم الصّناعيّةُ في العالَم، ويُصبِحَ ذلك حافزاً يَدفَعُ البلادَ لاستيرادِ مُنتَجاتِ المسلمين الصِّناعيّة وشرائِها.

٥ ـ أن يَعمِدُوا إلى القيامِ بالقسط، حتّى يُمِدَّهُمُ الله بالنَّجاح، لأنّهم غير سائر البشر، حيث دَعاهُمُ اللّهُ بالقرآن إلى القيامِ بالقسط، فإن لم يُجيبُوا داعيَ اللّهِ فلانَجاح.

الفصلُ الحادي عشر

الأخصّائيّة الملتزمة

الكتـــاب

١ قالَ اجْعَلْني على خزائنِ الارض، اِنّي حفيظٌ عليمٌ *[١]

٢ .. اِنَّ خيرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَويُّ الاَمين *[٢]

٣ ولا تَكُونُوا كالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِن بعدِ قُوّةٍ اَنكاثاً ..[٣]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : من عَمِلَ على غيرِ علم، كان ما يُفسِدُ اكثرَ ممّا يُصلِح .[٤]

٢ النبـــي «ص» : يا ابنَ مسعود! اذا عَمِلْتَ عملاً فَاعمَلْ بعلمٍ وعقل، وايّاك

---

١ ـ سورة يوسف (١٢) : ٥٥.

٢ ـ سورة القصص (٢٨) : ٢٦.

٣ ـ سورة النحل (١٦) : ٩٢.

٤ ـ تحف العقول / ٣٩.

وأن تَعمَلَ عملاً بغيرِ تدبّرٍ وعلم، فإنّه ـ جلّ جلالُه ـ يَقولُ : «ولا تَكُونُوا كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعدِ قُوَّةٍ أنكاثاً»[1].

٣ النبـــي «ص» : اذا عَمِلَ احدُكم عملاً فَليُتْقِنْ.[2]

٤ الامام علي «ع» : قيمةُ كلِّ إمْرِىءٍ ما يُحسِنُه.[3]

٥ الامام علي «ع» : النّاسُ أبناءُ ما يُحسِنُون.[4]

٦ الامام علي «ع» : .. العاملُ بالعلمِ كالسّائرِ على الطّريقِ الواضح.[5]

٧ الامام الصادق «ع» : كلُّ ذي صناعةٍ مضطرٌّ الى ثلاثِ خلالٍ يَجْتَلِبُ بها المَكسب؛ وهو أن يَكونَ حاذقاً بعملِه..[6]

٨ الامام الصادق «ع» : ما أُبالي الى مَنِ ائْتَمَنْتُ : خائناً او مُضَيِّعاً.[7]

الفات نظـــر

هـــذا تعليمٌ عظيم، يَنبغي أن يُكْتَبَ كأمرٍ لكلِّ النّاس، في جميعِ أقسامِ المجتمع، ولا سيَّما للمسؤولين الاداريّين واصحابِ الاعمال.

إنّ هذا التّعليمَ يُعُدُّ تضييعَ العملِ عِدلاً للخيانةِ فيه. والتّضييعُ يَنشأُ إمّا من عدمِ العلمِ بالعملِ وعدمِ الأخِصّائيّةِ والتَّمَهُّرِ فيه، او

---

١ ـ مكارم الاخلاق / ٥٣٨.

٢ ـ سفينة البحار / ٢ / ٢٧٨.

٣ ـ نهج البلاغة / ١١٢٢؛ عبده ٣ / ١٦٨.

٤ ـ الارشاد / ١٥٨.

٥ ـ نهج البلاغة / ٤٨٠؛ عبده ٢ / ٥٨.

٦ ـ تحف العقول / ٢٣٧.

٧ ـ تحف العقول / ٢٧٠.

من عدمِ الالتزام. فلهذا التّعليمِ اهميّةٌ كبيرة، من جهةِ التّربيةِ والاجتماعِ والاقتصادِ والانسانيّةِ والرُّقيِّ والحضارة، وسلامةِ الحياة، وتسديدِ الصِّلات، واجادةِ الاعمال، وتقدُّمِ الصّناعات. ولعلّ تأثيرَ رعايتِه الايجابيَّ يَمتَدُّ الى حُقولٍ اُخرىٰ هامّةٍ للانسانيّة، كالطّبِّ والصِّحّةِ والصّيدَلة، وكالتّعليمِ والتّربية، وكالدِّفاعِ وما الى ذلك، فَلْيُتَّخَذْ دُستوراً حاسماً شاملاً لكلِّ مجتمع، ولكلِّ مسلمٍ نابهٍ ملتزمٍ يُقدِمُ على عملٍ، او يَختارُ فرداً اوافراداً لعملٍ. وعلى مَن لا يُجيدُ العملَ لعدمِ العلمِ به وعدمِ الاختصاصِ والمهارة فيه، اَن يَدَعَه و لا يَقْبلَه، وإن طَلَبُوه له باصرارٍ..صوناً لحقوقِ النّاس، وحفظاً لسلامةِ الصِّلاتِ الحياتيّة، وصيانةً لاموالِ المجتمع وثَرَواتِه وادواتِه.

٩ الامام الصادق «ع» : العاملُ على غيرِ بصيرةٍ كالسّائرِ على غيرِ الطّريق، لا يَزيدُه سرعةُ السّيرِ الا بُعداً.[١]

---

١ ـ الكافي ١ / ٤٣.

نظرة الى الفصـــل

اِنّ الأخِصّائيّةَ والالتزام، امران حياتيّان لكلِّ مجتمعٍ وبلدٍ وادارةٍ وحكم، ولكلِّ حضارةٍ ورُقِيٍّ علميٍّ او صناعيٍّ. ولقد تَوَفَّرتِ التّعاليمُ الاسلاميّةُ على بيانِ اهميّةِ العلمِ والمعرفةِ في كلِّ امر (بالاضافة الى حكمِ العقل، وناموسِ التّجربة) وكذلك على لزومِ الايمانِ بالعملِ والالتزامِ العقيديِّ به، فيقولُ النّبيُّ «ص» : «اذا عَمِلْتَ عملاً، فاعمَلْ بعلمٍ وعقل». ويقولُ : «من عَمِلَ على غيرِ علمٍ، كان مايُفسِدُه اكثرَ ممّا يُصلِح» ـ كما مَرَّ بنا في الفصل. ويقولُ الامام عليُّ بن ابي طالب «ع» : «يا كُميل! ما من حركةٍ الّا وانت محتاجٌ فيها الى معرفة»[1]. وكذلك ماوَرَدَ عن الائمّةِ الهادين بهذا الصّدد، كالحديثِ الّذي رَوَيناه عن الامامِ الصّادق «ع»، الّذي عُدَّ فيه تَضييعُ العمل (المنبعثُ عن عدمِ الالتزامِ او عدمِ الاختصاص) بمنزلةِ الخيانة. والْفَتنا الانظارَ هناك الى اهميّةِ هذا التّعليمِ وقيمتِه التّربويّةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والانسانيّة.

اجَل، اِنّ الأخِصّائيّةَ امرٌ لا تَقومُ الحضارةُ والرُّقيُّ الّا به، كماانّ الالتزامَ والايمانَ امرٌ لا تَتَعالَى الحضارةُ والرُّقيُّ الّا به. وهما جَناحا الوصولِ الى مجتمعٍ مُتَقدِّمٍ وحياةٍ زاهرة. وهذه حقائقُ و واقعيّاتٌ لا نَحتاجُ الى اطالةِ البحثِ عنها والوقوفِ عندَها.

والّذي يَنبَغي بل يَجِبُ اَن نُؤَكِّدَ عليه، هو اَنّ المسلمين والمجتمعاتِ والحكوماتِ الاسلاميّة، يجبُ عليهم اَن يَهتَمُّوا بامرِ «الأخِصّائيّة» ويُواظِبُوا عليه، ويَتَعاهدُوه بجميعِ صورِه والوانِه. فعليهم اَن يُرَبُّوا النّاشئةَ على

---

١ ـ تحف العقول / ١١٩.

معرفةِ «الالتزام» ووجوبِ تَبنيه، ويُدخِلوا في برامجِهُم الدّراسيّةِ ما يَصنَعُهم ملتزِمين، مُتَبَنِّين للايمانِ قلباً وعملاً، مُتَمَتِّعينَ بيَقَظَةِ الضّميرِ ورَهافةِ الاحساس، حتى لا يَكُونُوا خائنين؛ وكذلك عليهم اَن يَسُوقُواالمجتمعَ، في كلِّ قِطاعاتِه واعمالِه، الى التّوَفُّرِ على «الأخِصّائيّة» و«الحِذاقةِ» في ايِّ عملٍ اوصناعةٍ،كماصَرَّحَ به الامامُ الصّادق «ع». وعليهم اَن يَجعَلُوا هذين الاصلين محوراً تَدُورُ عليه رَحىٰ حياةِ النّاس، حتى لا يكونوا مُضَيِّعين .

الفصلُ الثّاني عشر

الأُجراء، الفلّاحون، العُمّال، لا ظلمَ ولا استغلال

الكتـــاب

١ اِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بالعدلِ والاحِسان ..[١]

٢ .. اِنَّ اللّهَ يُحبُّ المُقْسِطين *[٢]

٣ .. لِيَقُومَ النّاسُ بالقِسط ..[٣]

٤ اِنَّ اللّهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شيئاً ولكنَّ النّاسَ انفُسَهم يَظلِمُون *[٤]

٥ اِنَّما السَّبيلُ على الَّذينَ يَظلِمُون النّاس ..[٥]

٦ .. فاَوفُوا الكيلَ والميزانَ، ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم، ولا تُفسِدُوا في الارضِ بعدَ اصلاحِها ..[٦]

٧ .. ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم، ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسِدين *[٧]

---

١ ـ سورة النّحل (١٦) : ٩٠.

٢ ـ سورة المائدة (٥) : ٤٢؛ سورة الحُجُرات (٤٩) : ٩؛ سورة المُمتَحِنة (٦٠) : ٨.

٣ ـ سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

٤ ـ سورة يونس (١٠) : ٤٤.

٥ ـ سورة الشّورى (٤٢) : ٤٢.

٦ ـ سورة الاعراف (٧) : ٨٥.

٧ ـ سورة هود (١١) : ٨٥.

٨ .. ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم، ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسِدين *[١]

* قال الشّيخُ الطّبرسيّ، في تفسيرِ الآيةِ من سورةِ الاعراف (ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم) : «اي ولا تَنقُصُوهم حقوقَهم»[٢]. وقال في تفسيرِ الآيةِ من سورةِ هود: «اي ولا تَنقُصُوا النّاس، "اشياءَهم"، اي اموالَهم»[٣]. وقال في تفسيرِ الآيةِ من سورةِ الشّعراء : «اي ولا تَنقُصُوا النّاسَ حقوقَهم ولا تَمنَعُوها»[٤].

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : خَصلتان ليس فوقَهما من الشّرِّ شيءٌ : الشّركُ باللّه، والضَّرُّ لعبادِ الله.[٥]

٢ النبـــي «ص» : ليس منّا مَن غَشَّ مسلماً، او ضَرَّه، اوماكَرَه.[٦]

٣ النبـــي «ص» ـ اِنّ النّبيَّ «ص» بعث الى اميرِ المؤمنين عليِّ بنِ ابي طالب، اَنِ اصْعَدِ المنبرَ وَادْعُ النّاسَ اليك، ثم قُل : اَيُّها النّاس! مَنِ انْتَقَصَ اجيراً اجرَه، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النّار.[٧]

---

١ ـ سورة الشّعراء (٢٦) : ١٨٣.
٢ ـ مجمع البيان ٤ / ٤٤٧.
٣ ـ مجمع البيان ٥ / ١٨٧.
٤ ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٢.
٥ ـ تحف العقول / ٣١.
٦ ـ تحف العقول / ٣٦.
٧ ـ البحار ٤٠ / ٥٩، عن «تفسير فرات الكوفي».

٤ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائه، في حديث المناهي : من ظَلَمَ اجيراً اُجرتَه، اَحبَطَ اللّهُ عملَه، وحَرَّمَ اللّهُ عليه ريحَ الجنّة، وإنّ ريحَها ليُوجَدُ من مسيرةِ خمسِ مِئةِ عام.[١]

٥ الامام علي «ع» ـ كان عليٌّ «ع» يُوصى بالاَكّارين . وهمُ الفَلّاحون .[٢]

٦ الامام الصادق «ع» : وَصّىٰ رسولُ الله«ص»عليّاً عندَ وفاتِه فقال : يا عليّ! لا يُظلَمُ الفلّاحون بحضرتِك، ولا يُزادُ على ارضٍ وَضَعْتَ عليها، ولا سُخرَةَ على مسلم، يعنى الاجير.[٣]

٧ الامام الصادق «ع» : اَقذَرُ الذُّنوبِ ثلاثة : قتلُ البهيمة، وحبسُ مهرِ المرأة، ومنعُ الاجيرِ اجرَه.[٤]

٨ الامام الصادق«ع» : . او ليس قد يَنالُ الطّيرُ من البُرِّ والحُبوب .. ويَبقىٰ اكثرُه للانسان، فإنَّه اولى به، اذ كان هو الّذي كَدَحَ فيه وشَقِيَ به .[٥]

* ومن شَقِيَ به ـ في الواقع ـ الّا الفلاليحُ والعُمّالُ الّذين يَكْدَحُون في الارضِ هنا و هناك؟

---

١ ـ الوسائل ١٣ / ٢٤٧.
٢ ـ البحار١٠٣ / ١٧٢.
٣ ـ الوسائل ١٣ / ٢١٦.
٤ ـ البحار ١٠٣ / ١٦٩.
٥ ـ البحار ٣ / ١٣٠.

نظرة الى الفصـــل

لا يُبَرِّرُ الاسلامُ الظُّلمَ بالنّسبةِ الى احد، بوجهٍ من الوجوه، حتى حيوانٍ صغيرٍ كالنَّملَة، يقولُ الامامُ عليُّ بنُ ابي طالب «ع»: «والله لو أُعْطيتُ الاقاليمَ السبعةَ بما تحتَ افلاكِها، على اَن اَعْصِيَ اللّهَ في نَملَةٍ اَسْلُبُها جِلْبَ شَعيرةٍ، ما فعلتُه»[1].

اِنّ العددَ الوافرَ من الآياتِ النّاهيةِ عن الظّلمِ والاحاديثَ الرّادعةَ عنه، يكفي لاَن يَدُلَّ على اَنّ الظُّلمَ اقبَحُ ما يكونُ في نظرِ الاسلام.

واِنّ مِن اَشْنَعِ انواعِ الظّلمِ وصورِه ـ واَقْذَرِ الذُّنوب، على حدِّ تعبيرِ الامامِ الصّادق «ع» ـ هو ظلمُ المأجورين والعُمّالِ والكادحين، من الّذين يَكُدُّون ليلَ نهار، ويَخدِمُون الآخرين بحياتِهم وابدانِهم وما لَهم من القدرةِ والامكانيّات. واِنّ ظلمَ هؤلاء له صورٌ واشكال، مُعلَنَةٌ وغيرُ مُعلَنَة، ولا تَسُوغُ اَيَّةُ صورةٍ منه بحقِّهم، بوجهٍ من الوجوه، فاِنّ الكتابَ السّماويَّ يُنادي: «لا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم». وهذا يَدُلُّ بدَورِه على عدمِ جوازِ البَخْسِ بالنّسبةِ الى ايِّ شيء، اذ الجمعُ المضافُ يُفيدُ العمومَ ايضاً كالمُحَلّى؛ فيجبُ اَن تُوَفّى حقوقُهمُ المختلفةُ كلاًّ، واَن تُصانَ كَرامتُهم، كما اشرنا اليه في النّظرةِ الى الفصلِ السّادس.

ففي هذا الضّوء، اِنّ مَن غَشَّهُم، او ضَرَّهم، اوماكَرَهم او غَبَنَهم في الاشكالِ التّاليةِ او ما يُضاهيها، فقد تَعَدّىٰ حدودَ الاسلاميّةِ والانسانيّة. ولذلك لقد اَكَّدَتِ التّعاليمُ الاسلاميّةُ على رعايةِ حقوقِهم وتاديةِ اُجورِهم

---

١ ـ نهج البلاغة / ٧١٤؛ عبده ٢ / ٢٤٥.

وحفظِ شخصيّتِهم ومنزلتِهم والنّظرِ اليهم بعينِ الحُبِّ والكرامة .

فلا يُظلَمُ الأُجَراءُ والعُمّالُ والفلّاحون والمُزارِعُون والمُتَجوِّلُون ومن اليهم في :

أ ـ بخسِ حقوقِهمُ المختلفة ،

ب ـ قَسْرِهم على قبولِ الحدِّ الاقلِّ للاجر، لما هنالك من الحاجاتِ والدّواعي المُرغِمة ،

ج ـ منعِهم من اللَّبْثِ اَثناءَ العملِ للاستجمام ،

د ـ الاهمالِ في دفعِ تعويضاتِهم ،

هـ ـ عدمِ الاعتدادِ بشأنِ العاطلين عن العملِ منهم ،

و ـ المنعِ عن ارتفاعِ اُجورِهم، بمُراوَغَةٍ وتشبُّث ،

ز ـ عدمِ اِعدادِ ما يَجِبُ اَن يُعَدَّ لهم في المَعاملِ او غيرِها، من ادواتِ العملِ وتجديدِها او تحديثِها، لئلّا يَستَعْسِرَ العملُ عليهم ،

ح ـ عدمِ الاقدامِ على تأْمينِهم وتأَمُّنِهم، وخصوصاً فيما يَرجِعُ الى صحَّتِهم وصحَّةِ اطفالِهم، والى ازمنةِ التّقاعد ،

ط ـ عدمِ الاهتمامِ بما يَتَعلَّقُ بحاجاتِهمُ السَّكَنيّةِ وما اليها ،

ي ـ عدمِ تسهيلِ الامرِ عليهم فيما يُمُتُّ الى ذَهابِهم واِيابِهم ،

يا ـ عدمِ إمهالِهم لتعليمِ فرائضِهمُ الدّينيّةِ وما يَتَّصلُ بها وبادائها ،

يب ـ حَطِّ كَرامتِهمُ الانسانيّةِ وحفضِ قدرِهمُ الاجتماعي ..

الفصلُ الثّالث عشر

الاستيراد والبيع

الكتـــاب

١ يا اَيُّها الَّذين آمَنوا، لا تَأْكُلُوا اَموالَكُم بينَكُم بالباطلِ، اِلّا اَن تَكونَ تِجارةً عن تَراضٍ منكُم، ولا تَقتُلُوا اَنفُسَكُم، اِنَّ اللّهَ كان بكُم رحيماً *[١]

٢ اَحَلَّ اللّهُ البَيعَ وحَرَّمَ الرِّبا ..[٢]

٣ اَوفُوا الكَيلَ ولا تكُونُوا من المُخسِرين * وزِنُوا بالقِسطاسِ المُستقيم * ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اَشياءَهم ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسدين *[٣]

٤ .. فاَوفُوا الكيلَ والميزانَ، ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اَشياءَهم، ولا تُفسِدُوا في الارضِ بعدَ اصلاحِها، ذلكُم خيرٌ لكُم اِن كُنتُم مؤمنين *[٤]

٥ وَيْلٌ لِلمُطَفِّفين * الّذين اذَا اكْتالُوا على النّاسِ يَستَوفُون * واذا كالُوهم او وَزَنُوهم يُخْسِرُون * اَلا يَظُنُّ اولئك اَنَّهُم مبعوثُون * لِيَومٍ عظيم * يَومَ يَقومُ النّاسُ لرَبِّ العالمين؟ *[٥]

---

١ ـ سورة النساء (٤) : ٢٩.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٥.

٣ ـ سورة الشعراء (٢٦) : ١٨١ ـ ١٨٣.

٤ ـ سورة الاعراف (٨) : ٨٥.

٥ ـ سورة المُطَفِّفين (٨٣) : ١ ـ ٦.

* اِنّ الاستيرادَ والانتاجَ والبيعَ والكسبَ امورٌ محدودةٌ في الاسلام، من جهاتٍ عديدة، كما هو الحالُ في ايِّ مذهبٍ اقتصاديٍّ ملتزم، فضلاً عن كونِه الهيّاً. فلا تَجِدَنَّ الاسلامَ يُطلِقُ سَراحَ المستوردين والمُنتِجين والبائعين لِاَن يَستَورِدُوا ويُنتِجُوا ما شاؤُوا وشاءَت لهمُ المُيول، واَن يُعلِمُوا بامتِعَتِهم ويَعرِضُوها في الاسواقِ كيفما شاؤُوا وشاءَت لهمُ المُيول،واَن يَبيعُوها من النّاسِ بايِّ سِعْرٍ شاؤُوا وشاءَت لهمُ المُيول . لا، ليس الامرُ كذلك . لاَنّ هذه الحُرّيّةَ بمفاسِدِها العظيمةِ والرّئيسيّة، تَسحَقُ القسطَ الاسلاميَّ والعدالةَ الاقتصاديّةَ وصيانةَ حقوقِ النّاسِ ولا سيّما الضّعفاءِ منهم، فلا تُلائمُ الدّينَ وادارتَه العادلةَ الاقتصاديّة، ومنهاجَه القويمَ في الرّقابةِ على الامورِ لمصلحةِ الجماهير ـ وخصوصاً المستضعفين والمحرومين ـ وكذلك لا تُلائمُ سَوقَ المجتمعاتِ الى التّقوُّمِ بالحقّ (باعطاءِ الحقِّ واخـذِ الحقّ ـ كما يَأتي)، والوقوفِ دون الحدِّ الملتزم، والحركةِ الى اِرساءِ قواعدِ التّوازنِ والعدل . راجع بهذا الصّدد :الفصلين الثّانيَ والثّلاثين والثّالثَ والثّلاثين، من هذا الباب .

ومن اللّاحبِ اَنّ الاستيرادَ الحُرَّ يَستَتْبِعُ التَّبَعيّةَ الاقتصاديّة، ولا سيّما اذا كان من غيرِ بلادِ المسلمين، فُيؤَدِّي الامرُ الى استيلاءِ غيرِ المسلمين عليهم .[1] وهذا ما يَرفُضُه الاسلامُ رفضاً، فلَن يَجعَلَ اللّهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً .[2] وهذه علّةٌ هامّةٌ اُخرى لاَن يَرفُضَ الاسلامُ الاستيرادَ الحُرَّ، من غيرِ اَن يَجعَلَ له حدّاً . ودُونَك تعاليمَ هامّةً من الاحاديث :

---

١ ـ راجع للبحث عن هذا الموضوع : تذييل النّظرةِ الى الفصل ٢٠، من الباب ١١.

٢ ـ سورة النساء (٤) : ١٤١.

الحديــث

أ ـ الحضّ على الكسب والاستيراد

١ الامام علي «ع» : تَعَرَّضُوا للتِّجارات، فإنّ لكُم فيها غنًى عمّا في ايدى النّاس.[١]

٢ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامام الكاظم : أُوصيكُم بالخشيةِ من اللّهِ في السّرِّ والعَلانية، والعدلِ في الرِّضا والغضب، والاكتسابِ في الفقرِ والغنى.[٢]

٣ الامام الصادق «ع» ـ مَعاذُ بنُ كثير، بيّاعُ الاَكْسِيَة، قال : قلتُ لأبي ـ عبدِالله «ع» : إنّي قد هَمَمْتُ ان اَدَعَ السُّوقَ وفي يدي شيء؟ فقال : اذاً يَسقُطُ رأيُك، ولا يُستَعانُ بك على شيءٍ.[٣]

٤ الامام الرضا «ع» : .. حَرَّمَ السّرقةَ لما فيها من فسادِ الاموالِ وقتلِ الانفُسِ لو كانت مباحةً، ولِما يَأْتي في التّغاصُبِ من القتل والتّنازعِ والتّحاسُد، وما يَدعُو الى تركِ التِّجاراتِ والصّناعات، في المكاسبِ واقتناءِ الاموال، اذا كَانَ الشّيءُ المُقْتَنىٰ لا يَكونُ احدٌ احقَّ به من احدٍ.[٤]

ب ـ الفقه ثمّ المتجر (الكسب والاستيراد)

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٤.

٢ ـ تحف العقول / ٢٨٨.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٧.

٤ ـ الوسائل ١٨ / ٤٨٢.

٥ النبـــي «ص» : الفقهَ ثُمَّ المَتْجَر، فمَنِ اتَّجَرَ بغيرِ فقهٍ، فقدِ ارْتَطَمَ في الرِّبا، ثُمَّ ارْتَطَم .[١]

٦ النبـــي «ص» : التّاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النّار، الاّ من اَخَذَ الحقَّ واَعْطَى الحقَّ .[٢]

٧ الامام علي «ع» ـ اللَاصبَغُ بنُ نُباتة قال : سمِعْتُ اميرَ المؤمنين «ع» يقولُ على المنبر : يا معشرَ التجّار! الفقهَ ثُمَّ المَتْجَر! الفقهَ ثُم المَتْجَر! الفقهَ ثُمَّ المَتجَر . واللّهُ لَلرِّبا في هذه الاُمّةِ اَخفىٰ من دبيبِ النّملِ على الصَّفا ..[٣]

٨ الامام الصادق «ع» ـ فيما رواه عن اميرِ المؤمنين «ع» : مَنِ اتَّجَرَ بغيرِ علمٍ، ارْتَطَمَ في الرِّبا، ثُمَّ ارْتَطَم .[٤]

٩ الامام الصادق «ع» : كان اميرُ المؤمنين «ع» يقولُ : لا يَقعُدَنَّ في السُّوقِ اِلاّ من يَعقِلُ الشِّراءَ والبيع .[٥]

١٠ الامام الصادق «ع» : من اَرادَ التِّجارةَ فَلْيَتَفَقَّه في دينِه، لِيَعْلَمَ بذلك ما يَحِلُّ له ممّا يَحرُمُ عليه . ومن لَم يَتَفَقَّهْ في دينِه ثُمَّ اتَّجَرَ تَوَرَّطَ الشُّبُهات .[٦]

ج ـ السّنّة في البيع والشّراء

١١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : من باعَ وَاشْتَرىٰ فَلْيَحْفَظْ خَمسَ خِصالٍ، والا فلا يَشتَرِيَنَّ ولا يَبيعَنَّ : الرِّبا، والحَلْف، وكتمانَ العيب،

---

١ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣.
٢ ـ من لا يَحضُرُه الفقيه ٣ / ١٢١.
٣ و ٤ و ٥ ـ الكافي ٥ / ١٥٠ و ١٥٤.
٦ ـ الوسائل ١ / ٢٨٣.

والحمدَ اذا باعَ، والذّمَّ اذا اشْتَرى.[1]

١٢ النبـــي «ص» ـ عبدُاللّهِ بن القاسمِ الجعفري، عن بعضِ اهلِ بيتِه قال: اِنّ رسولَ الله «ص» لم يَأْذَن لحكيمِ بنِ حَزامٍ بالتِّجارةِ حتى ضَمِنَ له اِقالةَ النّادم، واِنظارَ المُعسِر، واَخذَ الحقِّ وافياً وغيرَ وافٍ.[2]

١٣ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق: جاءت زينبُ العطّارةُ الحَولاءُ الى نساءِ النّبيّ؛ فجاء النّبيُّ فاذا هي عندَهم، فقال النّبيُّ «ص»: «اِذا اَتَيْتِنا طابَتْ بيوتُنا». فقالت: «بيوتُك بريحِك اَطيَبُ يا رسولَ الله!». فقال لها رسولُ الله «ص» «اذا بِعْتِ فاَحْسِني ولا تَغُشّي، فاِنّه اَتْقىٰ لِلّهِ واَبقىٰ للمال».[3]

* اذا كانت هذه وَصاةُ رسولِ اللّهِ «ص» لامرأةٍ عابرةٍ تَبيعُ اشياءَ جزئيّة، فما ظَنُّك اَيُّها القارئ بهذه الصَّفقاتِ الكبيرةِ والاستيراداتِ الباهظةِ والمُنتَجاتِ الهامّةِ واسعارِها ومعاملتِهم فيها مع النّاس؟

١٤ الامام الصادق «ع» ـ قال في جوابِ من سَأَلَهُ عن التِّجارة: عليك بصدقِ اللّسان في حديثِك، ولا تَكْتُمْ عيباً يَكونُ في تِجارتِك، ولا تَغْبُنِ المشتريَ المسترسلَ فاِنّ غَبْنَه رِباً، ولا تَرْضَ للنّاسِ الاّ ما تَرضاه لنفسِك، واَعْطِ الحقَّ وخُذْه.. فاِنّ التّاجَرَ الصّدوقَ مع السفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ يومَ القيامة. اِجْتَنِبِ الحَلفَ فاِنّ اليَمينَ الفاجرةَ تُورِثُ صاحبَها

---

١ و ٢ ـ الكافي ٥ / ١٥٠ ـ ١٥١.

٣ ـ الكافي ٥ / ١٥١.

النّار . والتّاجرُ فاجرٌ اِلاّ من اَعْطَى الحقَّ واَخَذَه ..[1]

* وكونُ التّاجر (البائعِ والكاسب) مع «السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ يومَ القيامة»، وهو مقامٌ عظيم، انّما يَفوزُ به لتقديمِه الخدمةَ الى النّاس وتموينِه لهم واعدادِه ما يحتاجُون اليهفي حياتهمواداء تكاليفِهم المختلفة. وتقعُ هذه كلُّها اذا كانت للّهِ تعالى وموافقةً للموازينِ والسُّننِالشّرعيّة،فهي من اهمِّ الاعمال، ممّا يوجبُ رضا الله والرّسول «ص» .

١٥ الامام الرضا «ع» ـ مِن «فقهِ الرّضا»المنسوبِ اليه : اِنّ من باعَ اوِ اشْتَرىٰ فَلْيَحْفَظْ خمسَ خِصالٍ والاّ فلايَبيعُ ولا يَشتري : الرّبا، والحَلف، وكتمانَ العيب، والمدحَ اذا باع، والذّمَّ اِذَا اشْتَرىٰ .[2]

١٦ الامام الرضا «ع» : .. اِذا كُنتَ في تِجارتِك وحَضَرَتِ الصّلاة، فلا يَشْغَلْك عنها مَتْجَرُك، فاِنّ اللّهَ وَصَفَ قوماً ومَدَحَهُم فقال : «رجالٌ لا تُلْهيهم تِجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله». وكان هؤلاءِ القومُ يَتَّجِرُون فاِذا حَضَرَتِ الصّلاةُ تَرَكُوا تِجارتَهم وقامُوا الى صلاتِهم،وكانواأعظَمَ اجراً ممَّن لايَتَّجِرُ فيُصلّي . ومَنِ اتَّجَرَ فَلْيَتَجَنَّبِ الكذبَ .. وَاستَعمِلْ في تِجارتِك مكارمَ الاخلاق، والافعالَ الجميلةَ للدِّينِ والدُّنيا .[3]

* راجع ايضاً : الفصلَ الثّامن، من الباب الحادي عشر، فقرةَ «هـ».

---

١ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

٢ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣؛ البحار ١٠٣ / ١٠٠.

٣ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٣.

د ـ تحديد الرّبح

١٧ النبـــي «ص» : ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً .[١]

١٨ الامام الصادق «ع» : ربحُ المؤمنِ على المؤمن رباً، الاّ اَن يَشتَرِيَ باكثرَ من مِئَةِ درهمٍ ، فَارْبَحْ عليه قوتَ يومِك، او يشتريَه للتِّجارة، فَارْبَحُوا عليهم وَارْفُقُوا بهم .[٢]

١٩ الامام الرضا «ع» : ربحُ المؤمنِ على اخيه رباً، الاّ اَن يشتريَ منه شيئاً باكثرَ من مِئَةِ درهمٍ ، فيَربَحَ فيه قوتَ يومِه، او يشتريَ متاعاً للتِّجارة، فيَربَحَ ربحاً خفيفاً ..[٣]

هـ ـ شجب الأرباح الضّخمة والتّكاثريّة

٢٠ الامام الباقر «ع» : وجدنا في كتاب عليِّ بنِ الحسين «ع» : «اَلا! اِنّ اولياءَ اللّهِ لا خوفٌ عليهم ولاهم يَحزَنُون، اذا اَدُّوا فرائضَ الله، واَخَذُوا بسُنَنِ رسولِ الله «ص»، وتَوَرَّعُوا عن محارمِ الله، وزَهِدُوا في عاجلِ زَهْرةِ الدُّنيا، ورَغِبُوا فيما عندالله، واكْتَسَبُوا الطَّيِّبَ من رزقِ الله ـ لا يُريدُون التَّفاخُرَ والتَّكاثُر ـ ثمّ اَنفَقُوا فيما يَلْزَمُهُم من حقوقٍ واجبة؛ فاولئك الّذين بارَكَ اللّهُ لهم فيما اكْتَسَبُوا، ويُثابُون على ما قَدَّمُوا لآخرتِهم».[٤]

٢١ الامام الصادق «ع» : دعا ابو عبداللّهِ مولىً له يُقالُ له «مُصادِف»، فاَعطاه الفَ دينارٍ

---

١ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٣، عن «اعلام الدّين».

٢ ـ الكافي ٥ / ١٥٤.

٣ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٠؛ المستدرك ٢ / ٤٦٤.

٤ ـ تفسير نور الثَّقلين ٢ / ٣٠٩.

وقال له : تَجَهَّـزْ حتى تَخرُجَ الى مصرَ فإنّ عِيالي قد كَثُرُوا .. فَتَجَهَّزَ بمتاعٍ وخرج مع التُّجّارِ الى مصر . فلمّادَنَوا من مصرَ اسْتَقبَلَتْهُم قافلةٌ خارجةٌ من مصر، فسَأَلُوهم عن المتاعِ الّذي معهم ما حالُه في المدينة ـ و كان متاعَ العامّة ـ فَاَخْبَرُوهم اَنّه ليس بمصرَ منه شيءٌ، فتَحالَفُوا وتَعاقَدُوا على اَن لا يَنقُصُوا متاعَهم من ربحِ دينارٍ ديناراً .

فلمّا قَبَضُوا اموالَهم وَانْصَرَفوا الى المدينة، فدخل مصادفُ على ابي ـ عبدِالله «ع» ومعه كِيْسان في كلٍّ واحدٍ الفُ دينارٍ . فقال : جُعِلتُ فداك! هذا رأسُ المال و هذا الآخرُ ربحٌ . فقال : اِنّ هذا الرِّبحَ كثيرٌ، ولكن ما صَنَعْتَه في المتاع؟ فحَدَّثَه كيف صَنَعُوا و كيف تَحالفُوا . فقال : سبحانَ الله! تَحلِفُون على قومٍ مسلمين اَلّا تَبيعُوهم اِلّا ربحَ الدّينارِ ديناراً؟ ثمّ اَخَذَ احدَ الكِيْسَيْنِ فقال : هذا رأسُ مالي، ولا حاجةَ لنا في هذا الرّبحِ ؛ ثم قال : يا مصادف! مُجادَلَةُ السّيوفِ اَهْوَنُ من طلبِ الحلال .[1]

الفات نظـــر

قد جاءت احاديثُ متعدِّدةٌ تُرشِدُ الى تركِ الرّبحِ في البيعِ من المؤمنِ وتَحُضُّ عليه .[2] وجاء في احاديثَ اُخرى اناطتُه بزمانِ ظهورِ الحقِّ والعدل، في دولةِ القائمِ المهديّ «ع»؛[3] غيرَ اَنّ القسمَ الاوّلَ من الاحاديثِ لا تقييدَ فيه، ولسانُه لسانُ الاطلاقِ، وبعضُها صريحٌ فيه، كالحديثِ النّبويّ (رقم ١٧) والحديثِ الصّادقيّ (رقم ١٨) والحديثِ الرّضويّ (رقم ١٩) . وعلى ايٍّ، لا حرمةَ لاَخذِ الرّبحِ اذا كان خفيفاً عادلاً، ولا جوازَ لاخذِه بغيرِالشّكلِ

---

١ ـ الكافي ٥ / ١٦١ ـ ١٦٢.

٢ ـ فيما لم يكُن للتّجارة، او لم يَزِد على مئة . وحَضُّوا فيهما أيضاً على التّخفيفِ والاكتفاءِ بقوتِ يوم

٣ ـ ولعلّ المنوطَ بالعهدِ المهدويِّ مطلقٌ في جميعِ الصّورِ والصَّفقات . وهذا واضح .

المذكور، لد خولِه في العناوينِ المُحَرّمةِ كالظّلم والغَبن ..

ولقد عَقَدَ شيخُنا الحُرُّ العامليُّ باباً بهذا العنوان : «باب كراهةِ الرّبحِ على المؤمنِ الاّ اَن يَشتَريَ للتّجارة، او باكثرَ من مئةِ درهم؛ واستحبابِ تقليلِ الرّبحِ والاقتصارِ على قوتِ يوم، وعدمِ تحريمِ الرّبحِ ولو على المضطرّ»، ومن اللاّحب، اَنّ عدمَ تحريمِ الرّبحِ مُتَيَقَّنٌ في الخفيفِ منه ـ كما ورد في الاخبار ـ فمازادَ على ذلك اذا صار الى حدِّ الظّلمِ والاعتداءِ والاجحافِ والحيف، ولا سيما في معاملةِ المضطرّين، فهذا ما لا يُسَوِّغُهُ الشّرعُ الاسلاميّ البتة .

وبعدَ ذلك كلِّه، فَانْظُرُ الى هذه التّعاليمِ الواردةِ عن الدّين، وما يَجري في الاسواقِ الّتي تُسمّىٰ «اسواقَ المسلمين»![1] لماذا آل الامرُ الى هذا المآل، السَّيِّئ العَسوف، لماذا؟ ولماذا تَجَرَّأَ اغنياءُ الاُمّةِ على هذا الظّلمِ والاجحافِ والحيف، وعلى تلك المعاملةِ مع النّاس، عِبادِ اللّهِ وعِيالِه، لماذا؟ ومَن الّذين رَبَّوهم هذه التّربيةَ وجَرَّأُوهم على ما يَعمَلُون، مَن هم؟..

و ـ السّماح والسّهولة في البيع

٢٢ النبـي «ص» : اِنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يُحِبُّ العبد، يكونُ سَهْلَ البيع، سهلَ الشِّراء ..[2]

٢٣ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : بارَكَ اللّهُ على سَهْلِ البيع، سهلِ الشِّراء ..[3]

---

١ ـ وفيهم من يَعُدُّون انفسَهم من خدمةِ الدّين واعضادِ الاسلامِ والمسلمين!

٢ و ٣ ـ الوسائل ١٢ / ٣٣٢.

٢٤ الامام علي «ع» : لِيَكُنِ البيعُ بيعاً سَمْحاً، بموازينِ عدلٍ، واَسعارٍ لا تُجْحِفُ بالفريقين، من البائعِ والمُبتاع ..[١]

* هذا حضٌّ على التّسعيرِ والرّقابةِ على الاسعار، اذا احتُمل اَن يكونَ هناك اجحاف .

ز ـ البيع في الظّلال غشّ

٢٥ الامام الكاظم «ع» ـ قال هِشامُ بنُ الحَكَم : كنتُ اَبيعُ السّابِريَّ في الظِّلال، فمَرَّ بي ابوالحسنِ الاوّل «ع» راكباً، فقال لى : يا هِشام! اِنّ البيعَ في الظِّلال غَشٌّ . والغَشُّ لايَحِلُّ .[٢]

* راجع لعدمِ جوازِ «بيعِ المجهول» : الوسائل ١٢ / ٢٦٣ وما بعدَها .

ح ـ الغشّ ورفضه الحاسم

٢٦ النبـي «ص» : من غَشَّ مسلماً في شِراءٍ اوبيعٍ ، فليس منّا ويُحشَرُ يومَ القيامةِ مع اليهود، لاَنّهم اَغَشُّ الخلقِ للمسلمين .[٣]

٢٧ النبـي «ص» : مَن باتَ وفي قلبِه غَشٌّ لاخيه المسلم، باتَ في سَخَطِ اللّهِ واَصبَحَ كذلك حتى يَتُوب .[٤]

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١٠.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٣٤٣.

٣ و ٤ ـ سفينة البحار ٢ / ٣١٨.

٢٨ النبـــي «ص» : ألا ! ومَن غَشَّنا فليس منّا (قالها ثلاثَ مرّات). ومن غَشَّ اخاه المسلمَ نَزَعَ اللّهُ بركةَ رزقِه، واَفسَدَ عليه معيشتَه، ووَكَلَه الى نفسِه .[١]

٢٩ الامام الصادق «ع» : .. ايّاك والغَشَّ! فإنّه مَن غَشَّ غُشَّ في مالِه، فإن لم يكُن له مالٌ غُشَّ في اهلِه .[٢]

٣٠ الامام الصادق «ع» : نَهَى النّبيُّ «ص» اَن يُشابَ اللَّبَنُ بالماءِ للبيع .[٣]

ط ـ غبن المؤمن والمسترسل ربا

٣١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن ابيه، عن آبائِه : غَبنُ المُستَرسِلِ ربا .[٤]

٣٢ الامام الصادق «ع» : غَبنُ المؤمنِ حرام .[٥]

ي ـ الصّدق واخذ الحقّ واعطاؤه، والاّ فالفجور

٣٣ النبـــي «ص» : يا معشرَ التُّجّار! انتُم فُجّارٌ، اِلاّ منِ اتّقىٰ وبَرَّ وصَدَقَ ..[٦]

٣٤ النبـــي «ص» ـ اِنّه مَرَّ بالتُّجار، وكانوا يَومئذٍ يُسَمَّون السَّماسِرة، فقال لهُم : «اَما! اِنّي لا اُسَمِّيكُمُ السَّماسِرة، ولكن اُسَمِّيكُمُ التُّجار . والتّاجرُ فاجرٌ .

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ١٢١.

٢ و٣ ـ الوسائل ١٢ / ٢٠٩ و٢٠٨.

٤ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٤. وفي «الكافي» (٥ / ١٥٣)، عن الامامِ الصادق «ع» : «غبنُ المُستَرسِلِ سُحْتٌ». والمسترسِل . «الّذي يَثِقُ بالبائعِ ويَعتَمِدُ عليه في قيمةِ الشّيء».

٥ ـ الكافي ٥ / ١٥٣.

٦ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

والفاجرُ في النّار». فغَلَّقُوا ابوابَهم واَمسَكُوا عنِ التّجارة؛ فخَرَجَ رسولُ الله «ص» من غدٍ فقال : «اَيْنَ الناس؟». فقيل : يا رسولَ الله! سَمِعُوا ما قُلتَ بالامسِ فاَمْسَكُوا . قال : «واَنَا اَقولُه اليومَ ايضاً، الاّ منَ اَخَذَ الحقَّ واَعْطاه».[1]

٣٥ النبـــي «ص» : يا مَعشرَ التّجار! اِرفَعُوا رؤوسَكم، فقد وضحَ لكمُ الطّريق . تُبعَثُون يومَ القيامة فُجّاراً، الاّ من صدقَ حديثُه.[2]

* لقد نظر اولياءُ الاسلامِ الى التّجارِ والمستوردين واهلِ الاسواقِ والبائعين نظرَ الشُّبهةِ والتّعسّف، الاّ من استثنَوهم من المتّقين الصّادقين المقتنعين . وقليلٌ ماهم . فالتّاجر الّذي لا يُسَعِّرُ عليه، هو المتّقي الصّادقُ الحديث، الآخذُ للحقِّ والمعطي له، التّاركُ للرّبح او المحفِّفُ له جدّاً، المكتفي بقوتِ يومٍ او ما يقاربه، لا أهل الفجورِ والخيانة ـ بنصِّ الاحاديث ـ الكَذَبَة، المتشاحُّون على الاموال، المجحِفون بالاسعار، المحرِقون النّاسَ في جهيمِ التّضخُّمِ والاحتكارِ والغَلاء! اهؤلاء لا يُسعَّرون عليهم؟ اهكذا تَتَّبِعُ اميرَ المؤمنين «ع»، الّذي يَعهَدُ الى الاشترِ النّخعيِّ، اَن لا تكونَ الاسعارُ في مصرٍ مُجحِفةً بالفريقين؟ اهكذا تَقتَضي الفقاهةُ القرآنيّةُ، الّتي يجبُ ان تكونَ سِنادَ الضّعفاءِ والمحرومين، وعدوَّ الظَّلَمةِ والمعتدين؟ ان كان هذا فَليَذهبِ الاسلام ـ والعياذُ بالله ـ بقسطِه وعدلِه واحسانِه الى حيث يشاء ..[3]

---

١ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣، عن «دعائم الاسلام».

٢ ـ من لا يَحضُرُه الفقيه ٣ / ١٢١.

٣ ـ راجع للكلام عن التّسعير : الفصل ١٥، من هذا الباب.

٣٦ الامام علي «ع» : .. التّاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النّار، الّا من اخذ الحقَّ واَعْطَى الحقَّ .[١]

يا ـ شراء الجيّد وبيع الجيّد

٣٧ الامام الصادق «ع» ـ عاصمُ بنُ حميد قال : قال لي ابو عبدِالله «ع» : ايُّ شيءٍ تُعالِج؟ قلت : اَبيعُ الطّعام . فقال لي : اِشتَرِ الجَيِّد، وبعِ الجيِّد، فاِنّ الجيِّدَ اذا بِعْتَه قيلَ له : بارَكَ اللّهُ فيك وفيمَن باعَك .[٢]

يب ـ لايمين في البيع

٣٨ الامام علي «ع» ـ قام اميرُ المؤمنين «ع» على دارِ ابنِ ابي مُعَيط، وكان تُقامُ فيها الابل، فقال : يا مَعاشِرَ السَّماسِرَة! اَقِلُّوا الاَيْمان، فاِنّها مَنْفَقَةٌ للسِّلعَة، مَمْحَقَةٌ للرِّبح .[٣]

٣٩ الامام الكاظم «ع» : ثلاثةٌ لا يَنظُرُ اللّهُ اليهم : احدُهم رجلٌ اتَّخَذَ اللّهَ بضاعة، لا يَشتَري الّا بيمين، ولا يَبيعُ الّا بيمين .[٤]

يج ـ لا بخس لاشياء النّاس

*مَرَّ القرآنُ الدّالُّ النّاصُّ عليه . وراجع : الفصلَ الثّالث عشر، من الباب الحادي عشر .

---

١ ـ الكافي ٥ / ١٥٠.

٢ ـ الكافي ٥/ ٢٠٢ .

٣ و ٤ ـ الوسائل ١٢ / ٣٠٩ ـ ٣١٠.

يد ـ لا تطفيف ولا إخسار

* مَرَّ القرآنُ الدّالُّ النّاصُّ عليه . وراجع : الفصل الثالث عشر، من البابِ الحادي عشر .

يه ـ لا تسويف ولا تأخير

٤٠ النبـــي «ص» : ويلٌ لتُجّارِ اُمّتي من «لا والله» و «بلى والله». وويلٌ لصُنّاعِ اُمّتي من «اليومَ» و «غداً» .[١]

يو ـ مجادلة السّيوف اهون من طلب الحلال

٤١ الامام علي «ع» : .. اَلا! فتَوَقَّعُوا ما يكونُ من اِدبارِ امورِكم .. ذاك حيثُ تكونُ ضربةُ السّيفِ على المؤمنِ اَهوَنَ من الدّرهمِ من حِلِّه .[٢]

٤٢ الامام الصادق «ع» ـ ممّا قاله لمولاه مُصادف، حينما باع متاعَه بمصر، بربحِ الدّينارِ ديناراً : يا مُصادف! مُجادَلَةُ السّيوفِ اَهْوَنُ من طلبِ الحلال .[٣]

يز ـ بيع المضطرّين ممنوع

٤٣ الامام علي «ع» : يَأتي على النّاسِ زمانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ الموسِرُ فيه على ما في يدَيه، ولم يُؤْمَرْ بذلك. قال اللّهُ سبحانَه : «ولا تَنْسَوُا الفَضلَ بينَكُم»،

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٠ .

٢ ـ نهج البلاغة / ٧٥٥؛ عبده ٢ / ١٤٩ ـ ١٥٠.

٣ ـ الكافي ٥ / ١٦١ ـ ١٦٢ . مرّ الحديث برقم ٢١.

تَنْهَدُ فيه الاشرار، و تُستَذَلُّ فيه الاخيار، ويُبايعُ المُضطَرُّون . وقد نَهىٰ رسولُ الله «ص» عن بَيعِ المُضطَرِّين .[1]

* راجع ايضاً : الفصلَ الثّالث عشر، من الباب الحادي عشر، فقرةَ «ب»، فلقد اوردنا هناك حديثاً عن الامام الصّادق «ع»، سَمّى فيه بيعَ المضطّرِ اغتيالاً .

يح ـ رفض الوساطة في البيع

٤٤ النبـي «ص» : لا يَبيعُ حاضرٌ لبادٍ، دَعُوا النّاس يَرزُقِ اللّهُ بعضَهم من بعضٍ .[2]

٤٥ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الباقر : لا يَبيعُ حاضرٌ لبادٍ، والمسلمون يَرْزُقُ اللّهُ بعضَهم من بعض .[3]

٤٦ الامام الصادق «ع» : لا تَلَقَّ، فإنّ رسولَ الله «ص» نَهىٰ عن التّلَقّي ..[4]

راجع ايضاً : الفصلَ الثّالث عشر، من الباب الحادي عشر، فِقْرَةَ «ي».

يط ـ حقّ الميزان والوفاء به

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٣٠٠؛ عبده ٣ / ٢٦٤.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٣٢٨.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٣٢٧.

٤ ـ الوسائل ١٢ / ٣٢٦.

٤٧ الامام علي «ع» ـ قال الامامُ الصّادق : مَرَّ اميرُ المؤمنين «ع» على جاريةٍ قدِ اشْتَرَتْ لحماً من قصّاب، وهي تقولُ : زِدْني . فقال له اميرُ المؤمنين : زِدْها فإنّه اعمُّ للبَرَكَة .[١]

٤٨ الامام الصادق «ع» : لا يكونُ الوفاءُ حتى يَرجِحَّ .[٢]

٤٩ الامام الصادق «ع» : اِنْوِ الوفاء، فإن اَتىٰ على يدِك ـ وقد نَوَيْتَ الوفاء ـ نقصانٌ، كُنتَ من اهلِ الوفاء . وإن نَوَيْتَ النُّقصان، ثم اَوفَيْتَ كُنتَ من اهلِ النُّقصان .[٣]

٥٠ الامام الصادق «ع» : اِنّ فيكُم خَصلتَين هلك بهما مَن قبلَكم مِن الاُمَم . قالوا : وما هما يا ابنَ رسولِ الله «ص»؟ قال : المِكيالُ والميزان .[٤]

ك ـ لا يُباع السّلاح من أعداء الاسلام

٥١ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : يا عليّ! كَفَرَ باللّهِ العظيم من هذه الاُمّةِ عشرة .. وبائعُ السِّلاح من اهلِ الحَرب .[٥]

تنـبيه

يَدخُلُ في الموضوع، بيعُ المناجمِ وما يُستَخرجُ منها، من اعداءِ الاسلامِ والمستعمرين والمستكبرين، اذا اسْتُعمِلُوها ضدَّ الاسلامِ والمسلمين والمستضعفين، لملاكاتٍ معلومة، منها ممنوعيّةُ معاونةِ الظّلمِ والعدوان . فعلى الحكوماتِ الاسلاميّةِ اَن لا

---

١ و ٢ ـ الوسائل ١٢ / ٢٩٠.
٣ و ٤ ـ الوسائل ١٢ / ١٩١.
٥ ـ الوسائل ١٢ / ٧١.

تبيعَ المناجمَ من اَعداءِ الاسلام والمسلمين .

كا ـ ايّ كاسب حبيب الله؟

٥٢ الامام علي «ع» : إنَّ اللّهَ عزّ وجلّ، يُحِبُّ المُحترِفَ الامين .[١]

كب ـ تَدَنٍّ وسقوط

٥٣ النبـي «ص» : شرُّ النّاسِ التُّجّارُ الخَوَنَة .[٢]

٥٤ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاشتري : وَاعْلَم مع ذلك، اَنّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكُّماً في البِياعات ..[٣]

٥٥ الامام علي «ع» : شرُّ الرّجال، التُّجّارُ الخَوَنَة .[٤]

كج ـ قيم مثلىٰ للحياة الاسلاميّة في الاسواق

٥٦ الامام الباقر «ع» : كان اميرُ المؤمنين «ع» بالكوفة .. فيَطُوفُ في اَسواقِ الكوفة، سُوقاً سوقاً، ومعه الدِّرَّةُ على عاتقِه .. فيُنادي : يا معشرَ التُّجّار، اِتَّقُوا الله .. قَدِّموا الاستخارة، وتَبَرَّكُوا بالسُّهولة، واقْتَرِبُوا من المُبتاعين، وتَزَيَّنُوا بالحِلم، وتَناهَوا عن اليمين، وجانِبُوا الكذب، وتَجافَوا عن الظُّلم،

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٤.

٢ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣ .

٣ ـ نهج البلاغة ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

٤ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٣.

وانصِفُوا المظلومين، ولا تَقرَبُوا الرِّبا، «واَوْفُوا الكيلَ والميزانَ ولا تَبْخَسُوا النّاسَ اشياءَهم ولا تَعْثَوا في الارضِ مُفسِدين». قال: فيَطُوفُ في جميعِ اَسواقِ الكوفة،[1] ثم يَرجِعُ فَيقْعُدُ للنّاس.[2] قال: وكانوا اذا نَظَرُوا اليه قد اَقبَلَ اليهم قال: «يا مَعشرَ النّاس!»، اَمْسَكُوا ايديَهم واَصْغَوا اليه بآذانِهم ورَمَقُوه بأعْيُنِهم حتى يَفرُغَ من كلامِه، فاذا فَرَغَ قالوا: السَّمعَ والطّاعة يا اميرَ المؤمنين![3]

٥٧ الامام الصادق «ع» ـ الحسينُ بنُ المختارِ القَلانِسي قال: قلتلأبي-عبدالله «ع»: إنّا نَعمَلُ القَلانِسَ فنَجعَلُ فيها القُطنَ العتيقَ فنَبيعُها، ولا نُبَيِّنُ لهم ما فيها؟ فقال: اِنّي اُحِبُّ لك اَن تُبَيِّنَ لهم ما فيها.[4]

* فبرعايةِ هذه السُّننِ والآدابِ وامثالِها، وما يَدخُلُ منها في حدِّ الواجب، تَصيرُ الاسواقُ اسلاميّةً، لا بالاسم.

كد ـ اوقات و حقوق

---

١ ـ وفي بعض المصادر: ثم يقول:

تَفْنَى اللَّذاذَةُ ممّن نالَ صَفوَتَها
من الحرامِ ويَبقَى الإثْمُ والعارُ

تَبقىٰ عواقبُ سوءٍ في مَغَبَّتِها
لاخيرَ في لَذَّةٍ من بعدِها النّارُ

ـ (سفينة البحار ١ / ١٢١)

٢ ـ الكافي ٥ / ١٥١.

٣ ـ المستدرك ٢ / ٤٦٣.

٤ ـ من لايحضره الفقيه ٣ / ١٠٥.

٥٨ النبـــي «ص» ـ نهىٰ رسولُ الله «ص» عن السَّوم، ما بين طلوعِ الفجرِ الى طلوعِ الشّمس.[١]

٥٩ الامام الصادق «ع» : الصُّنّاعُ اذا سَهَرُوا اللّيلَ كلَّه فهو سُحْتٌ.[٢]

كه ـ السّوق سوقان

١ ـ مسيرة الى الله ومغفرته وجنّته

٦٠ النبـــي «ص» : مَن ذَكَرَ اللّهَ في السُّوقِ مخلِصاً عندَ غفلةِ النّاس وشغلِهم بما فيه، كتب اللّهُ له الفَ حسنةٍ وغفر اللّهَ له يومَ القيامةِ مغفرةً لم تَخطُرْ على قلبِ بشرٍ.[٣]

٦١ الامام الصادق «ع» ـ في تفسيرِ قولِ الله عزّ وجلّ : «رجالٌ لا تُلْهيهِم تِجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله» قال : كانوا اصحابَ تِجارةٍ، فإذا حَضَرَتِ الصّلاةُ تَرَكُوا التِّجارة، وَانْطَلَقُوا الى الصّلاة..[٤]

٦٢ الامام الصادق «ع» : ثلاثةٌ يُدخِلُهُمُ اللّهُ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ : امامٌ عادل، وتاجرٌ صَدوق، وشيخٌ اَفْنىٰ عمرَه في طاعةِ الله.[٥]

٢ ـ ميدان الشّيطان و محضره

---

١ ـ الكافي ٥ / ١٥٢.
٢ ـ الوسائل ١٢ / ١١٨.
٣ ـ سفينة البحار ١ / ٦٧٤.
٤ ـ الوسائل ١٢ / ٨.
٥ ـ ثواب الاعمال / ١٦٢.

٦٣ النبـــي «ص» : شرُّ بقاعِ الارضِ الاَسواق، وهو ميدانُ ابليس، يَغدُو برايتِه ويَضَعُ كرسيَّهُ ويَبُثُّ ذُرِّيَّتَه؛ فبينَ مُطَفِّفٍ في قفير، او طايش في ميزان، او سارقٍ في ذِراع، او كاذبٍ في سِلْعَة؛ فيَقولُ :[١] عليكُم برجلٍ ماتَ ابوه، وابوكُم حَيٌّ؛ فلا يَزالُ مع اوّلِ مَن يَدخُلُ وآخرِ من يَرجِعُ . وخيرُ البقاعِ المساجد؛ واحبُّهم اليه (الى الله) اوّلهُم دخولاً وآخرُهم خروجاً .[٢]

٦٤ الامام علي «ع» : .. ايّاك ومقاعدَ الاَسواق، فإنّها محاضرُ الشّيطان، ومعاريضُ الفِتَن .[٣]

* وسنُشيرُ الى اهميّةِ الرّقابةِ على الأسواق، في التّنبيه العاشر، من التّنبيهات الّتي ستأتي في مُخْتَتَمِ الفصلِ الخمسين، من هذا الباب، فلاحِظْه بتأمُّلٍ وامعان .

تتميمـــات

١ـ التّعريف بشرِّ النّاس

٦٥ النبـــي «ص» : خَصلتان ليس فوقَها من الشّرِّ شيءٌ : الشِّرك بالله، والضَّرُّ لعبادِ الله .[٤]

٦٦ النبـــي «ص» : ليس منّا من غَشّ مسلماً، او ضَرَّهُ، او ما كَرَه .[٥]

---

١ ـ اي : يقولُ الشّيطان لذرِّيّته المبثوثةِ في السّوق .

٢ ـ سفينة البحار ١ / ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠٦٩، عبده ٣ / ١٤٣.

٤ و ٥ ـ تحف العقول / ٣١ و ٣٦.

٦٧ الامام علي «ع» : شرُّ النّاس، من يَغُشُّ النّاس .[١]

٢ ـ الظّلم الّذي لايترك

٦٨ الامام علي «ع» : .. ومَن ظَلَمَ عبادَ اللّهِ كان اللّهُ خصمَه دونَ عبادِه . ومَن خاصَمَهُ اللّهُ اَدْحَضَ حُجَّتَه، وكان للّهِ حرباً حتى يَنزِعَ ويتوب . وليس شيءٌ اَدْعىٰ الى تغييرِ نعمةِ الله وتعجيلِ نِقْمَتِه من اقامةٍ على ظلم، فإنَّ اللّهَ يَسمَعُ دعوةَ المُضطَهَدين؛ وهو للظّالمين بالمرصاد .[٢]

٦٩ الامام الباقر «ع» : .. واما الظُّلمُ الّذي لا يَدَعُه اللّه، فالمُدائَنَةُ بين العباد .[٣]

٣ ـ خلط الطّعام في البيع

٧٠ الامام الباقر «ع»، او الصادق «ع» ـ عن محمّد بن مسلم، عن أحدِهما «ع»، أنّه سُئلَ عن الطّعام يُخلَطُ بعضُه ببعضٍ ، وبعضُه أجوَدُ من بعض؟ قال : إذا رُئيا جميعاً فلا بأس، ما لم يُغَطِّ الجيِّدُ الرَّديء .[٤]

---

١ ـ غرر الحكم / ١٩٦.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٩٥ ـ ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ .

٣ ـ تحف العقول / ٢١٤.

٤ ـ الكافي ٥ / ١٨٣ .

نظرة الى الفصـــل

يُقصَدُ بالتّجارةِ في مصطلح التّعاليمِ الاسلاميّةِ معناها الاعم، يعني الكسبَ وممارَستَه بيعاً وشِراءً، سواءٌ أكان ذلك بإنتاجٍ أم كان باستيرادٍ أم بغيرِهما من سائرِ انواعِ البُيوعِ والمَكاسب. فهي تَشمُلُ ما هو اعمُّ من الاستيرادِ المصطَلَح، فيدخُلُ فيها الكسبُ والحرفةُ بصُوَرِهما ايضاً. يقولُ الامام عليٌّ «ع»: «تَعَرَّضُوا للتّجارات، فإنّ لكُم فيها غنًى عمّا في ايدي النّاس، وإنّ الله عزّ وجلّ يُحِبُّ المُحترِفَ الامين..»[1].

وهناك مسائلُ تُلْقي اضواءً على حقيقةِ التِّجارةِ في مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ، نَذكُرُ عدَّةً منها، رجاءَ الكشفِ عن جوانبَ من الحقيقةِ في هذا الحَقْل:

١ـ التّجارةُ عملٌ: إنّ المُستفادَ من التّعاليمِ انّ التّجارةَ ايضاً عملٌ يَعمَلُه التُّجّار والمستوردون، فالامام عليٌّ «ع» هكذا يَصِفُ اغلبَهم «.. وجُلّابُها (المنافع ـ السِّلَع والبضائع) من المَباعدِ والمَطارحِ في بَرِّكَ وبحرِك، وسَهلِك وجبلِك، وحيث لا يَلْتَئِمُ النّاسُ لمواضعِها، ولا يَجْتَرِئُون عليها..»[2].

كان الاستيرادُ في سالفِ الزّمان ـ بحسَبِ الاغلب ـ يَتَطَلَّبُ جَهْداً ومخاطرة. والآن تَحصُلُ الاستيراداتُ الكبيرة، بأَهْوَن سعيٍ، كالاتِّصالِ بالهاتف، او ارسالِ البَرقيّةِ وامثالِها. ويَربَحُ المستوردون بهذا السّعيِ

١ ـ الوسائل ١٢ / ٤.

٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

القليلِ مقاديرَ باهظةً من المال، تُقَدَّرُ بالملايين . فيَجِبُ اَن نُلاحِظَ اَنّ هذا العملَ ماذا يكونُ حكمُه الشّرعيّ؟ اهو بيعٌ اسلاميٌّ محمّديٌّ سَمْحٌ حلالٌ، يَبيعُه مؤمنٌ من المؤمنين؟ نحن لا نَظُنُّ هكذا؛ فإن كان، فأَيْنَ هو من شريعةِ القسطِ الّتي جاء بها محمّدُ بنُ عبدِالله «ص»؟ وإنّ من المسلَّمِ به اَنّ هذه الظّاهرةَ الاقتصاديّة، ظاهرةٌ حديثةٌ يَجِبُ اَن تُستَنْبَطَ احكامُها الاسلاميّةُ الفقهيّة، من جديدٍ، في حقلِ «الحوادثِ الواقعةِ الاقتصاديّة».

٢ ـ ملامحُ الاستيرادِ في العالَمِ الحديث: كان الاستيرادُ في الايّامِ الخاليةِ امراً بسيطاً من جهاتٍ عِدَّة، يَنصَبُّ على المُنتَجاتِ المحدودة، غيرَ اَنّ الامرَ في العالمِ المعاصرِ والاقتصادِ الحديثِ ليس على ذلك النَّمَط، بل اَضحىٰ تابعاً للشركاتِ الرّأسماليّةِ العالميّة ـ في كثيرٍ من الحالات ـ فالمستوردون والمنتِجون يُسَعِّرون الموادَّ الخامَ باسعارٍ زهيدةٍ ويَشترُونها بها، ثم يُقدِّمون المستورَداتِ والمنتَجاتِ الى الاسواق و يَبيعُونها باسعارٍ غاليةٍ وباهظةٍ كما يَشاؤون . ويَتَوفَّقُون لذلك الغرَضِ بفضلِ طبيعةِ حقِّ الحَصريَّة . وإنّ كثيراً من التَّضخُّمِ الماليِّ او قلّةِ الامتعةِ والسِّلَعِ واضطرارِ النّاسِ الى شِرائها بثمنٍ غال، إنّما يَنشَأُ من هذه العمليّةِ الغاشمة .

فمن هذا الجانب، نُشاهِدُ اَنّ الاستيرادَ يَتفاوَتُ بحسَبِ ماهيّتِه مع التِّجارةِ القديمة، ايّامَ لم تكُن صِلاتٌ عالَميَّة، ولا اتِّحادُ الشّركاتِ الرَّأسماليّةِ العالَميّة . فاليومَ يجبُ اَن نَتفَقَّهَ في حقيقةِ هذه الظّاهرة، واَن نُلاحظَ بجنبِها الاحتكار، والتّسعيرَ المُجحِف، والاعتداءَ الماليّ، والارباحَ الباهظة، حتى يَتسنّىٰ لنا اَن نَستَخلِصَ لها برأيٍ يُقاربُ الصّواب، واَن نَعلَمَ اَنّ هذه الارباحَ هل تكونُ مشروعةً بهذه الصّورة، وحلالاً طيِّباً يَرتَضيه الاسلام ويُقِرُّه ويراه ذلك المال الّذي يَمْتلِكُه المسلمُ الملتزم؟ أو تكونُ غيرَ ذلك. وفي النّابهين من العلماءِ المعاصرين من عدَّها من اَقسام

الرِّبا . ويُؤَيِّدُه عدَّةٌ من الاحاديثِ وجوهرُ التّعاليمِ والاَنظِمَةِ الاسلاميّة .

٣ ـ الاستيرادُ ودورُه في نظامِ الاقتصادِ الاسلاميّ : اِنّ التّجارةَ ـ وهي الّتي تُسَمَّى التّصديرَ والاستيرادَ في المصطَلَحِ الحديث ـ على اَساسِ التّعاليمِ الاسلاميّة، هي ذريعةٌ لطلبِ الرّزقِ وتأمينِ المعيشةِ وايصالِ ما يَحتاجُ اليه النّاسُ الى ايديهم، حلالاً طيِّباً، واعطاءُ الحقِّ واخذُه، وليست هي ذريعةً للاستغلالِ التّكاثريِّ والاعتداءِ الماليِّ ابداً . وهناك اَدِلّةٌ قويمةٌ واحاديثُ كثيرةٌ تُرشِدُنا الى الاصلِ المذكور . واليك نَبْذَةً منها :

الأحاديث المؤشِّرة للبيع والاستيراد الإسلاميّ

١ ـ الاحاديثُ الواردةُ بصددِ الكسبِ وطلبِ المال، فاِنّها توضِحُ هدفَ الطّلبِ والكسبِ الاسلاميِّ وتُحَدِّدُه وتَرسُمُ ملامحَه الاصليّة . اِنّ تلك الاحاديثَ تَدعُو الى طلبِ الرّزقِ الحلالِ (عن طريقِ العمل، سواءٌ كان صناعةً او زراعةً او تجارةً)، لتأمينِ حاجيّاتِ العيشِ او لتحسينِ المعيشة وترفيهِ العائلةِ والانفاقِ على الآخرين . ولقد جاء في الحديث : «كُنّا جُلوساً عندَ ابي عبدِالله «ع»، إذ أقبَلَ العَلاءُ بنُ كامل فجلس قُدّامَ أبي عبدِالله «ع» فقال : أُدْعُ اللّهَ اَن يرزقَني في دَعَةٍ . فقال : لا أدعُولك، اُطْلُب كما اَمَرك الله».[1] وقال الامام ابوالحسنِ عليُّ بنُ موسى الرّضا «ع» : «ليس للنّاسِ بُدٌّ من طلبِ معايشِهم، فلا تَدَعِ الطّلب».[2] فالطّلبُ اِنّما اَمَرُوا به للاستغناءِ عن الآخرين . وقولُ الامام الصّادق «ع» للعَلاءِ بنِ كامل : «كما اَمَرَك الله»، يُشعِرُ ايضاً بَاَنّ الطّلبَ يَجبُ اَن يكونَ كما اَمَرَ الله تعالى . ومن الواضح، اَنّ ما اَمَرَ اللّهُ به لا يَكونُ الاّ طلبَ

---

١ ـ الكافي ٥ / ٧٨.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ١٨.

الحلالِ لتأمينِ المعيشة ورفعِ الكَلِّ عن النّاس ـ في حدودٍ مقتصدة ـ وبذلِ الفضلِ من المال، لا الطّلبَ التّكاثريَّ الّذي لا يَنجُو من الحرامِ البتّة، ويُؤَدّي الى الطُّغيانِ والتَّرَف.

٢ ـ الاحاديثُ الواردةُ بصددِ التّجارةِ نفسِها، فإنّها ايضاً تَعُدُّ التّجارةَ سبباً للخلاصِ من الحاجةِ والفقرِ والاستغناءِ عن النّاس، كقولِ الامامِ الصّادق «ع» : «من طَلَبَ التّجارةَ اسْتَغْنىٰ عن النّاس»[١]. ويقولُ في حديثٍ آخر : «اِستَعينُوا ببعضِ هذه على هذه، ولا تكونُوا كُلُولاً على النّاس»[٢].

٣ ـ الاحاديثُ الّتي تقولُ اِنّ تاركَ التّجارةِ والكسبِ لا تُستَجابُ له دعوةٌ.[٣] ومن الواضح البيّن، اَنّ ما يَكونُ تركُ طلبِه سبباً لردِّ الدُّعاء، ليس الاستيرادَ الحُرَّ والتّكاثريَّ، المُلهيَ والمُطغي، بنصِّ القرآنِ والحديث. فالمقاديرُ الّتي تَحصُلُ من الاستيرادِ الحُرِّ في الاقتصادِ الحديث، باساليبَ يَعرِفُها اهلُها، لا تَكونُ ذلك الطّلبَ الحلالَ الّذي يُقِرُّهُ الاسلامُ واِن زاوَلَه مسلمٌ.

٤ ـ الاحاديثُ الّتي تدعُو الى الاِجمالِ في الطّلبِ وتَمنَعُ من التّكاثرِ وجمعِ المال وتَعُدُّه مُهلِكاً، كقولِ الامام عليٍّ «ع» : «.. فَخَفِّضْ في الطّلب، واَجمِل في المُكتَسَب .. وايّاك اَن تُوجِفَ بك مَطايا الطّمعِ فتُورِدَك مناهِلَ الهَلَكَة»[٤].

٥ ـ الاحاديثُ الّتي تُحَدِّدُ الطّلبَ وتَجعَلُ له مُؤَشِّراً لا يَتَجاوَزُ حدَّيِ الاعتدالِ والقصد، كقولِ الامامِ الصّادق «ع» : «لِيَكُنْ طلبُك للمعيشةِ فوقَ كسبِ المُضَيِّعِ ودون طلبِ الحريص ..»[٥]. فهذا الحديثُ وامثالُه

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٤.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ١٨.

٣ ـ مَرّت نماذجُ من هذه الاحاديثِ في الفصلِ ٥، فراجع.

٤ ـ نهج البلاغة / ٩٢٩؛ عبده ٣ / ٥٧.

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٣٠.

يَدعو الكاسبَ والمستوردَ المسلمَ الى اَن يكونَ طلبُه للمالِ فوقَ كسب المُضَيِّع الكَسِل، ودون طلبِ الحريصِ الميّالِ الى الدّنيا وثَرَواتِها. فأَيْنَ هذا من الاستيرادِ الحُرِّفي «الاقتصادِ الحديث». فما بالُنا نَجهَلُ حدودَ المُؤَشِّراتِ الاسلاميّةِ او نتجاهَلُ عنها، ثُمَّ نَتكلَّمُ باسمِ الاسلامِ ونُعَرِّفُه ديناً يُقِرُّ تلك الرَّأسماليّةَ الغاشمةَ والاقتصادَ التكاثريّ، المُمْتَصَّ للنّاس، المُدَمِّرَ لأُسُسِ الحياةِ العادلة، السّاحقَ لاصولِ الفضيلةِ والانصاف. اَكلُّ هذا يَرتَضيه الاسلام؟ واتّخاذُ هذا الموقفِ اشادةٌ بذكرِه وترويجٌ له، ومحاماةٌ عنه وعن فقهِه واحكامِه، وعن ادارتِه الماليّةِ الّتي تَأْخُذُ بَعَضُدِ الجماهير؟

٦ ـ الاحاديثُ الّتي تقولُ اِنّ طلبَ الحلالِ عسيرٌ، واِنّ مجادَلَةَ السُّيوفِ اَهْوَنُ من طلبِ الحلال، واِنّه لا يَحصُلُ الاّ مع الاِجمالِ (الاعتدالِ) في الطّلب، لا بالطّلبِ التّكاثريّ، كقولِ النّبيّ «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق «ع»: «فَاتَّقُوا الله وَاَجْمِلُوا في الطّلب.. فَاطْلُبُوا ارزاقَكُم من حلال، فاِنّكُم اِن طَلَبتُموها من وجوهِها اَكَلْتُمُوها حلالاً، واِن طَلَبتُموها من غيرِ وجوهِها اَكَلْتُمُوها حراماً»[1]. واِنّ صدرَ الحديث يُفَسِّرُ «الوجوهَ» بَاَنّ منها «الإجمالَ» في الطّلب.

٧ ـ الاحاديثُ الّتي تَمنَعُ ـ باساليبَ مختلفة ـ عن الاكتنازِ والجمعِ التّكاثريِّ والبخلِ بالمال ـ كما مَرَّتْ لمعةٌ منها.

٨ ـ الاحاديثُ الّتي تَدعُو الى اِلغاءِ الرّبحِ او تحديدِه البالغ، كقولِ النّبيِّ «ص»: «ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً»[2]. وكقولِ الامامِ الصّادق: «ربحُ المؤمنِ على المؤمنِ رباً، الاّ اَن يَشتَرِيَ باكثرَ من مِئَةِ درهمٍ، فَاَرْبَحْ عليه قوتَ يومِك، اويَشتريَه للتِّجارة، فَاَرْبَحُوا عليهم وَارْفُقُوا بهم»[3].

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٢٩.

٢ ـ البحار ١٠٣ / ١٠٣، عن «اعلام الدّين».

٣ ـ الكافي ٥ / ١٥٤.

٩ ـ الاحاديثُ الّتي تَدُلُّ على لزومِ التّراضي في البيع، كما ورد في القرآنِ الكريم ايضاً.ومن المعلوم، اَنّ التّراضيَ يَتَوَقَّفُ حصولُه على رِضا الطّرفين، ومنهما المبتاع. وإنّ رضاه الواقعيَّ لا يَحصُلُ باخذِ الرّبحِ الكثيرِ منه، او ببيعِ السِّلْعَة منه بسعرٍ غال. وكثيراً ما يَتَّفِقُ اَنّ المشتريَ يَشتري السِّلعةَ بسعرٍ غالٍ وربحٍ كثيرٍ مفروض، لاضطرارِه وحاجتِه اليها. وهذا لا يكونُ من التّراضي واقعاً، بل هو بيعُ المضطرّ، اذ المضطرُّ اعمُّ من اَن يكونَ اضطرارُه مُعْلَناً او غيرَ معلَن. ففي هذا الضّوء، اِنّ نفسَ التّراضي (الواردِ في القرآن)، يُحَدِّدُ الرّبحَ ويَرفُضُ الغَلاءَ والتّسعيرَ الحُرّ.

١٠ ـ الاحاديثُ الّتي تَدُلُّ على اَنّ الظُّلمَ الماليَّ بالنسبةِ الى شخصٍ يكونُ كقتلِه، كقولِ الامامِ ابي الحسن عليِّ بنِ موسى الرِّضا «ع» : «.. وحَرَّمَ السّرقةَ لما فيها من فسادِ الاموالِ وقتلِ الاَنفُسِ لو كانت مُباحةً، ولما يَأتي في التّغاصُب من القتل و ..»[1]. ففي هذا الضّوء، لا يَسَعُ ايَّ نابهٍ اَن يقولَ بَاَنّ الاسلامَ يُرَحِّبُ بالاستيرادِ الحُرِّ والتّسعيرِ الحُرِّ والرّبحِ الحُرِّ، مع ما في هذه الامورِ من الظُّلمِ الاقتصاديِّ والعدوانِ الماليِّ. اِنّ هذه الامورَ تُؤَدّي الى افظعِ الامورِ ملاكاً، وهو ابادةُ النُّفوسِ وا ستيصالُهم وقتلُهمُ الاقتصاديُّ وسحقُهم المعاشيّ، واِقصاؤُهم من المعتَقَدِ الدِّينيِّ والسّلامةِ الخُلقيّة، وادناؤُهم الى ما يُضادُّها.

يقولُ القرآنُ الكريم، عقيبَ امرِه بالانفاق : «ولا تُلْقُوا بايديكُم الى التَّهْلُكَة»[2]، فيكونُ كلامُ الامام ابي الحسنِ الرّضا «ع» تفسيراً لهذا القولِ وتبييناً له مآلاً؛ وخصوصاً مع ملاحظةِ اَنّ الفردَ عضو من اعضاءِ الجسدِ الاجتماعيّ، واَنّ القانونيّةَ السّائدةَ على وجودِ الفردِ هي تُواكِبُ القانونيّةَ السّائدةَ على وجودِ المجتمع، واَنّ تَجاوُبَ التّكاملِ الفرديِّ والاجتماعيِّ

---

١ ـ الوسائل ١٨ / ٤٨٢.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

يُبتَني على تجاوبِ النّواميسِ السّائدةِ على الوجودين، فقتلُ الفردِ هو قتلُ المجتمع وقتلُ المجتمعِ هو قتلُ الفرد : (من اَجلِ ذلك كَتَبْنا على بني اسرائيل : اَنّه مَن قَتَلَ نفساً بغيرِ نفسٍ او فَسادٍ في الارض، فكانَمّا قَتَلَ النّاسَ جميعاً، ومَن اَحْياها فكانّما اَحْيَا النّاسَ جميعاً)[1].

١١ ـ الاحاديثُ الّتي تَدُلُّ على اَنّ التّجارةَ الصّحيحة هي اَخذُ الحقِّ واعطاؤه بامانةٍ وصدق، كقولِ النّبيّ «ص» : «يا مَعشرَ التُّجّار! انتُم فُجّارٌ اِلاّ مَنِ اتّقىٰ وبَرَّ وصَدَقَ»[2]، وكقولِ الامامِ عليٍّ «ع» : «التّاجرُ فاجرٌ، والفاجرُ في النّار، اِلاّ من اَخَذَ الحقِّ واَعْطَى الحقّ»[3]؛ فحركةُ المالِ الاسلاميّةُ الملتزمةُ في المجتمع، هى حركةٌ ايجابيّةٌ قواميّةٌ محدودةٌ، في اِطارِ اخذِ الحقِّ واعطائِه وطلبِ الحلالِ ونيلِه. وهذا غيرُ الاستيرادِ التّكاثريِّ الحُرِّ الّذي لا يَعرِفُ حدّاً لغاياتِه، في اشتراءِ المستوردات و في تسعيرِها، وفي بيعِها من الجماهير بايّةِ صورةٍ شاء. بل هذا الى اكلِ المالِ بالباطلِ اَقربُ منه الى كونِه تجارةً شرعيّةً يُقِرُّها الاسلام.

١٢ ـ الاحاديثُ الّتي تَقولُ اِنّ التّجارة فجورٌ وخيانة، ان لم تُكَبِّلْها اواصِرُ التّقوى وروادعُ الالتزام. ورفضُ هذه الاحاديثِ للاستيرادِ والتّسعيرِ الحُرَّين واضحٌ ملموس.

تذييلات

١ ـ لقد ظَهَرَ ممّا مَرّ، اَنّ الاسلامَ لا يُقِرُّ الصِّلاتِ الاقتصاديّةَ والاستيراديّة، المبتنيةَ على الحُرِّيّةِ الاقتصاديّةِ والاقتصادِ الحُرِّ (اللّيبراليّةِ

---

١ ـ سورة المائدة(٥) : ٣٢.

٢ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٨٠.

٣ ـ الكافي ٥ / ١٥٠.

الاقتصاديّة)، بما لها من المفاسدِ العظيمة ابداً. فعلى هذا، يجبُ اَن لا يكونَ الاستيرادُ حُرّاً، ولا مُلْقًى بايدي المتكاثرين خاضعاً لمُيولِهم، بل يجبُ اَن يُبَرْمَجَ لاستيرادِ حاجيّاتِ النّاسِ وجعلِها في مُتَناولِهم بصورةٍ اسلاميّة: بيعٍ عن تراضٍ، من البائعِ والمبتاع، اسلاميٍّ سَمْحٍ، وربحٍ قليل، وتسعيرٍ عادل، واعلامٍ سالم.

٢ ـ من المعلوم، اَنّ ارساءَ قواعدِ العدالةِ الاجتماعيّة، هو من اهمِّ واجباتِ الحكمِ الاسلاميِّ وتكاليفه ـ كما مَرَّ بنا فيما مضىٰ ـ والعدالةُ الاجماعيّةُ لاسبيلَ لها الى التّجسيد الاّ عن طريقِ التّوازنِ الاجتماعيِّ. فعلى الحكمِ الاسلاميِّ اَن يُراقِبَ حركةَ الاستيرادِ في المجتمع، مراقبةً حاسمةً ودقيقةً وامينة، كما يَرتَضيها الاسلام،وان يكونَ للظّالمِ خصماً وللمظلومِ عوناً. ولا ظالمَ اَخطرُ ظلماً من هؤلاءِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين، كما قال مولانا الامام عليُّ بنُ الحسينِ السَّجّاد «ع» :«مصيبتُكُمُ الطَّواغيتُ من اهلِ الرَّغبةِ الى الدُّنيا»[1]. ولا مظلومَ آلَمُ اضطهاداً من تلك الجماهيرِ الّتي تحتاجُ في حياتِها الى هؤلاءِ واَمتِعتِهم واَسواقِهم، بما يَفرُضُونه عليها .. وهمُ الشِّياهُ الّذين تُجَزُّ شُعورُهم ويُؤْكَلُ لُحومُهم ويُكْسَرُ عَظمُهُم ـ على ما مَرَّ في التّعليمِ السّجّاديِّ المُنذِر.[2]

٣ ـ وممّا لا يَسُوغُ الإهمالُ فيه، هو أنّ أجهزَةَ الحكمِ وأصحابَ السُّلطةِ والنّفوذ، يَجِبُ أن لا يَتَدَخَّلُوا في النّشاطاتِ الماليّةِ والاستيراديّة ـ في صُوَرِها المختلفة، مُعلَنَةً وغيرَ مُعلَنَة ـ لكيلا يَتَحَوَّلُوا إلى طواغيتَ اقتصاديّين (وسَرعانَ ما يَتَحَوَّلُون إذا تَدَخَّلُوا)، وذِئابٍ مُمتَصَّةٍ لِدماءِ الجماهير، حيث يُغْرَقُون في جحيمِ الأوضار؛ وعند ذلك فأنّىٰ يَسَعُهُم أن يَدعَمُوا الحقَّ ويُسنِدوا العدل؟؟

---

١ ـ امالي المفيد / ١١٧.

٢ ـ راجع : الفصل ١٣، من الباب ١١، فقرَة «ح» ـ في الجزء الثّالث.

الفصلُ الرّابع عشر

الرّبا، سحق جبّار

الكتـــاب

أ ـ أكل الرّبا عمل شيطانيّ

١ الّذينَ يَأْكُلُون الرِّبا لا يَقُومُون اِلّا كما يَقُومُ الّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطانُ مِن المَسِّ، ذلك بانَّهم قالُوا : اِنَّما البيعُ مثلُ الرِّبا،واَحَلَّ اللّهُ البيعَ و حَرَّمَ الرِّبا، فمَن جاءَهُ موعظةٌ من رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فلَهُ ما سَلَف، واَمْره الى الله، ومَن عادَ فاولئك اصحابُ النّارِ هُم فيها خالِدُون *[1]

ب ـ اذان الحرب من الله تعالى

٢ فاِنْ لَم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بحربٍ من اللّهِ ورسولِه، واِن تُبْتُم فلكُم رُؤُوس اموالِكم، لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُون *[2]

ج ـ الرّبا يُمحَـــق

١ و ٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٥ و ٢٧٩ .

٣ يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبا ويُرْبي الصَّدَقاتِ، واللّهُ لا يُحِبُّ كلَّ كَفّارٍ اَثيم *[١]

٤ وما آتَيتُم من رِباً لِيَرْبُوَا في اموالِ النّاسِ فلا يَرْبُوا عندَالله، وما آتَيتُم من زَكاةٍ تُريدُون وجهَ الله، فاولئك هُمُ المُضْعِفُون *[٢]

د ـ المؤمن لا يأكل الرّبا

٥ يا اَيُّها الَّذين آمَنوا، اتَّقُوا اللّهَ وذَرُوا ما بَقِيَ من الرِّبا، ان كُنتُم مؤمنين *[٣]

٦ يا اَيُّهَا الّذين آمَنوا، لا تَأْكُلُوا الرِّبا اضعافاً مُضاعَفَةً، واتَّقُوا اللّهَ لَعلَّكُم تُفلِحُون *[٤]

هـ ـ أكل الرّبا سيرة يهوديّة

٧ فبِظُلمٍ منَ الّذين هادُوا، حَرَّمْنا عليهم طيِّباتٍ اُحِلَّت لهُم، وبصدِّهِم عن سبيلِ اللّهِ كثيراً * واَخذِهِمُ الرِّبا وقد نُهُوا عنه واَكْلِهِم اموالَ النّاسِ بالباطل، واَعْتَدْنا للكافرينَ منهُم عذاباً اليماً *[٥]

و ـ الرّبا مضاعفة وتكاثر

٨ يا اَيُّها الّذين آمَنوا، لا تَأْكُلُوا الرِّبا اَضعافاً مُضاعَفَة ..[٦]

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٦ .

٢ ـ سورة الروم (٣٠) : ٣٩.

٣ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٨.

٤ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٣٠.

٥ ـ سورة النساء (٤) : ١٦٠ ـ ١٦١.

٦ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٣٠.

* قال الطّبرسيّ : «وإنّما اَعادَ تحريمَ الرّبا مع ما سَبَقَ ذكرُه في سورةِ البقرة لامرين : احدُ هما التّصريحُ بالنّهيِ عنه بعدَ الإخبارِ بتحريمِه، لما في ذلك من تعريفِ الخطرِ له وشّدةِ التّحذيرِ منه . والثّاني لتأكيدِ النّهيِ عن هذا الضّربِ منه، الّذي يَجري على الاَضعافِ المضاعَفَة ..»[1].

راجع ايضاً : الفصلَ الـرّابعَ والعشرين، من البابِ الحادي عشر، فِقْرَةَ «هـ» حيث بَحَثْنا هناك عن اَنّ الرّبا يُخرِجُ المالَ عن حدِّه الالهيّ . وإنّ اخراجَ الرّبا المالَ عن الحدِّ الالهيِّ ايضاً امرٌ لا يُستَهان به، فلاحِظْهُ هناك . وكذلك راجع : «تعريفَ المـال»، من الفصلِ المذكور .

الحديـــث

ز ـ شرّ المكاسب واخبثها

١ النبـــي «ص» : شرُّ المكاسبِ كسبُ الرّبا .[2]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : شرُّ الكسبِ كسبُ الرّبا .[3]

٣ الامام الباقر «ع» : اَخبَثُ المكاسبِ كسبُ الرّبا .[4]

---

١ ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٢.

٢ ـ الاختصاص / ٣٣٩.

٣ ـ امالي الصدوق / ٤٣٨.

٤ ـ الوسائل ١٢ / ٤٢٣.

ح ـ الوزر الاكبر

٤ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائِه، عن النّبيِّ «ص» فيما اَوصىٰ به عليّاً «ع» : يا عليُّ! الرِّبا سبعون جزءاً، اَيسَرُه مثلُ اَن يَنكِحَ الرّجُلُ اُمَّه في بيتِ اللّهِ الحرام . يا عليُّ! درهمُ رباً اعظمُ عندَالله من سبعين زِنْيَةً كلُّها بذاتِ محرم، في بيتِ اللّهِ الحرام .[١]

٥ الامام الصادق «ع» : درهمُ رباً اَشَدُّ عندَاللّهِ من ثلاثين زِنْيَةً، كلُّها بذاتِ محرمٍ مثلِ عمَّةٍ وخالة ..[٢]

٦ الامام الصادق «ع» : درهمُ رِباً اَعظمُ عندَاللّهِ عزّ وجلّ، من سبعين زِنْيَةً كلُّها بذاتِ محرمٍ ، في بيتِ اللّهِ الحرام .[٣]

٧ الامام الصادق «ع» : اِنّ للرّبا سبعين جزءاً، اَيْسَرُه اَن يَنكِحَ الرّجلُ اُمَّه في بيتِ اللّهِ الحرام .[٤]

ط ـ اخوف ما يخاف منه على الأُمّة

٨ الامام الكاظم «ع» ـ عن آبائِه : قال رسولُ الله «ص» : «اِنّ اَخوَفَ ما اَخافُ على اُمّتي من بعدي، هذه المكاسبُ المُحَرَّمة، والشّهوةُ الخفيّة، والرّبا»[٥].

---

١ ـ مكارم الاخلاق / ٥١٥.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

٣ ـ سفينة البحار ١ / ٥٠٧.

٤ـ تفسير القمي ١ / ٩٣ ـ ٩٤.

٥ ـ البحار ١٠٣ /٥٤، عن «نوادر الرّاوندي».

ي ـ أكل الرّبا بالحيلة

٩ النبـــي «ص» : يا عليّ ! إنّ القومَ سيُفْتَنُون بعدي بأموالِهم، ويَمُنُّون بدينِهم على رَبِّهم، ويَتَمَنَّون رحمتَه، ويَأْمَنون سطوتَه، ويَستَحِلُّون حرامَه بالشُّبُهاتِ الكاذبةِ والأهواءِ السّاهية، فيَستَحِلُّون الخمرَ بالنَّبيذ، والسُّحْتَ بالهديّة، والرّبا بالبيع» .[١]

يا ـ الرّبا وفساد الاموال والتّجارات وتعطيل حركة العمل

١٠ الامام الصادق «ع» : .. ما طابَ وطَهُرَ، كسبُك الحلالُ من الرّزق؛ وما خَبُثَ فالرِّبا .[٢]

١١ الامام الصادق «ع» ـ هِشامُ بنُ الحَكَم قال : سَألتُ ابا عبدِالله «ص» عن علّةِ تحريمِ الرّبا؟ قال : اِنّه لو كانَ الرّبا حلالاً لَتَرَكَ النّاسُ التّجاراتِ وما يَحتاجُون اليه، فحَرَّمَ اللّهُ الرّبا، لِتَفِرَّ النّاسُ عن الحرامِ الى التّجارات، و الى البيعِ والشِّراء .. [٣]

١٢ الامام الرضا «ص» ـ عن محمدِ بنِ سِنان، اِنّ ابا الحسن عليَّ بنِ موسى الرّضا «ع» كتب اليه فيما كتب، من جوابِ مسائلِه : علّةُ تحريمِ الرّبا، اِنّما نَهَى اللّهُ عزّ وجلّ عنه، لما فيه من فسادِ الاموال، لِاَنّ الانسانَ اذَا اشْتَرى الدّرهمَ بالدّرهمَين، كان ثمنُ الدّرهمِ درهماً، وثمنُ الآخر باطلاً، فبيعُ الرّبا وشِراؤه وَكْسٌ على كلِّ حال، على المشتري وعلى البايع، فحَظَرَ الله ـ تبارَك وتعالى ـ عَلى العبادِ الرّبا، لعلّةِ فَسادِ الاموال، كما حَظَرَ على السّفيهِ أن يُدفَعَ

---

١ ـ نهج البلاغة / ٤٩١؛ عبده ٢ / ٦٥.

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

٣ ـ علل الشرائع ٢ / ٤٨٢ ؛ راجع ايضاً : الوسائل ١٢ / ٤٢٤ .

اليه مالُه، لما يُتَخَوَّفُ عليه من اِفسادِه، حتى يُؤْنِسَ منه رُشداً؛ فلهذه العلّةِ حَرَّمَ اللّهُ الرّبا، وبيعَ الدّرهمِ بدرهَمين يداً بيد .. وعلّةُ تحريمِ الرّبا بالنّسيئة، لعلّةِ ذهابِ المعروف، وتلفِ الاموال، ورغبةِ النّاس في الرّبح، وتركِهِمُ القرض، وصنائعَ المعروف، ولما في ذلك من الفَسادِ، والظُّلم، وفناءِ الاموال.[1]

يب ـ آكل الرّبا ملعون

١٣ الامام علي «ع» : لَعَنَ رسولُ اللّهِ «ص» الرّبا، وآكلَه، وبايعَه، ومشتريَه، وكاتبَه، وشاهدَيْه.[2]

١٤ الامام علي «ع» : لَعَنَ رسولُ اللّهِ «ص» في الرّبا خمسةً : آكلَه، ومُوكِّلَه، وشاهدَيه، وكاتبَه.[3]

يج ـ آكل الرّبا يقتل

١٥ النبـي «ص» : من اَخَذَ الرّبا وَجَبَ عليه القتلُ؛ وكلُّ من اَرْبىٰ وَجَبَ عليه القتلُ.[4]

١٦ الامام الصادق «ع» ـ عن ابن بكير قال : بَلَغَ ابا عبدِاللّه «ع» عن رجلٍ، اَنّه كانَ يَأْكُلُ الرّبا، ويُسمِّيه اللِّبا . فقال : لَئن اَمْكَنَنِيَ اللّهُ منه لَاَضرِبَنَّ عُنُقَه.[5]

---

١ ـ علل الشّرايع ٢ / ٤٨٣ .

٢ ـ الوسائل ١٢ / ٤٣٠.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٤٣٠.

٤ ـ تفسير القمي ١ / ٩٣.

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٤٢٩.

١٧ الامام الصادق «ع» ـ عن ابي بصير قال : قلتُ : آكلُ الرّبا بعدَ البيِّنة؟ قال : يُؤَدَّبُ، فإن عادَ أُدِّبَ، فإن عادَ قُتِلَ.[١]

* قال شيخُ الطّائفةِ الطّوسيّ، في تفسيرِ قولِه تعالى : «فإن لَم تَفعَلُوا فَأْذَنُوا بحربٍ منَ اللّهِ ورسولِه ..»[٢] : «قال ابنُ عبّاسٍ وقُتادةُ والرَّبيع : من عامَلَ بالرّبَا اسْتَتابَه الامامُ، فإن تابَ والاّ قتله . وقال البلخيّ، لَواجْتَمَعَ اهلُ قريةٍ على إظهارِ المعاملةِ بالرّبا، لكان على الامامِ محاربتُهم، وان كانوا مُحَرِّمين له . ولو فعل الواحدُ بعدَ الواحد ـ والاكثرُ منكِرٌ لفعلِه ـ لم يُقتَلِ الواحد، لكن يُقامُ عليه من الحكمِ ما يَستَحِقُّه . وعندَنا انَّه يُؤَدِّبُهُ الامامُ ثلاثَ مرّاتٍ بما يَرتَدِعُ معه عن فعلِ مثلِه، فإن عادَ رابعاً قتله».[٣]

وهذا من مواقفِ الاسلامِ الحاسمة، في حمايةِ المحرومين والمظلومين الاقتصاديّين والدّفاعِ عنهم .

يد ـ اوزار وعظائم

١٨ الامام الصادق «ع» ـ فيما روىٰ عن الامام الباقر «ع» : إنّه أُتِيَ بآكلِ الرّبا فَاسْتَتابَه فتاب، ثم خَلّىٰ سبيلَه، ثم قال : «يُستَتابُ آكلُ الرّبا، كما يُستَتابُ من الشّرك».[٤]

١٩ الامام الصادق «ع» ـ فيما رواه عبدُالعظيمِ بنُ عبدِاللّهِ الحسنيّ، عن الامام

---

١ ـ الوسائل ١٨ / ٥٨٠.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٩.

٣ ـ التّبيان ٢ / ٣٦٧.

٤ ـ الوسائل ١٨ / ٥٨١.

ابي جعفرٍ الثّاني الجواد «ع»، عن ابيه الامام ابي الحسن عليِّ بنِ موسى الرّضا «ع»، عن ابيه الامام ابي ابراهيم موسى الكاظم «ع» : دخل عمرو بنُ عُبيد[1] على ابي عبدِالله «ع»، فلمّا سَلَّمَ وجلس تلاهذه الآية : «الّذين يَجتَنِبُونَ كبائرَ الاِثْمِ والفَواحش»[2]، ثم اَمسَك فقال ابو عبدالله «ع» : ما اَسْكَتَك؟ قال : اُحِبُّ اَن اَعرِفَ الكبائرَ من كتابِ الله عزّ وجلّ، فقال : نعم يا عمرو! اكبرُ الكبائرِ الاِشراكُ بالله، يقول الله : «ومَن يُشرِكْ باللّهِ فقد حَرَّمَ اللّهُ عليه الجنّة»[3]؛ وبعدَه الاِياسُ من رَوح الله، لاَنّ اللّهَ عزّ وجلّ يقول : «اِنَّهُ لايَيْأَسُ من رَوحِ اللّهِ الاّ القومُ الكافرون»[4]؛ ثم الاَمنُ لمكرِالله، لاَنّ اللّهَ عزّ وجلّ يقول : «فلا يَأمَنُ مكرَ اللّهِ الاّ القومُ الخاسرون»[5].. وأكلُ الرّبا، لاَنّ الله عزّ وجلّ يقول : «الّذين يَأكُلون الرّبا، لا يَقُومُون الاّ كما يَقومُ الّذي يَتَخَبَّطُهُ الشّيطانُ مِن المَسِّ»..[6]

٢٠ الامام الصادق «ع» : اِنّ رسولَ الله «ص» قَبِلَ الجِزيَةَ من اهلِ الذّمَّة، على اَن لا يَأكُلُوا الرّبا، ولا يَأكُلُوا لحمَ الخنزير، ولايَنكِحُوا الاخواتِ ولابناتِ الاخ ولابناتِ الاُخت؛ فمن فعل ذلك منهم بَرِئَت منه ذِمّةُ اللّهِ وذمّةُ رسولِه «ص» ..[7]

يه ـ اهوال عظيمة

١ ـ الظاهرُ اَنّه عمرو بن عُبيد المعتزليُّ المعروف ـ كما في تعاليقِ «الكافي».

٢ ـ سورة النّجم (٥٣) : ٣٢.

٣ ـ سورة المائدة (٥) : ٧٢؛ والآيةُ في المصحف هكذا : «اِنّه مَن يُشرِكْ بالله ..».

٤ ـ سورة يوسف (١٢) : ٨٧.

٥ ـ سورة الاعراف (٧) : ٩٩.

٦ ـ الكافي ٢ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

٧ ـ الوسائل ١١ / ٩٥.

٢١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : لمّا أُسْرِيَ بي الى السّماء، رأيتُ اقواماً يُريدُ احدُهم اَن يَقومَ ولا يَقدِرُ عليه من عِظَمِ بطنِه . فقلت : من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال : هولاء الّذين يَأْكُلون الرّبا ..[١]

٢٢ النبـــي «ص» : لَمّا أُسْرِيَ بي الى السّماءِ رَأيتُ رجالاً بطونُهم كالبيوت، فيها الحَيّات، تُرىٰ من خارجِ بُطونِهم، فقلتُ : من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال : هؤلاء اَكَلَةُ الرّبا .[٢]

يو ـ الرّبا يمحق الدّين

٢٣ الامام الصادق «ع» ـ في قولِه تعالى : «يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبا ويُرْبي الصَّدَقات»، قيلَ للصّادق «ع» : قد نَرى الرّجلَ يُرْبي ومالُه يَكْثُر؟ فقال : يَمْحَقُ اللّهُ دينَه، وان كان مالُه يَكْثُر .[٣]

يز ـ الرّبا ظلم

٢٤ الامام الرضا «ع» : .. علّةُ تحريمِ الرّبا .. لما في ذلك من الفسادِ والظّلم[٤].

يح ـ ذهاب المعروف

٢٥ الامام الباقر «ع» : اِنّما حَرَّمَ اللّهُ الرّبا لئلّا يَذهَبَ المعروفُ .[٥]

---

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٨٩.

٣ ـ تفسير القمي ١ / ٩٣.

٤ ـ علل الشرائع / ٤٨٣.

٥ ـ علل الشّرايع / ٤٨٣ .

٢٦ الامام الصادق «ع» : إنّما حَرَّمَ اللّهُ عزّ وجلّ، الرّبا لئلاّ تَمتَنِعُوا عن اصطناعِ المعروف .[١]

٢٧ الامام الرضا «ع» : .. علةُ تحريمِ الرّبا بالنّسيئةِ لعلّةِ ذَهابِ المعروف .. وتركهم القرضَ والفرضَ وصنايعَ المعروف ..[٢]

يط ـ الرّبا هلاك فرديّ

٢٨ النبـــي «ص» : مَن اَكَلَ الرّبا مَلَأَ اللّهُ بطنَه نارَجهنّم بقدرِ ما اَكَل، فإن كَسَبَ منه مالاً لم يَقْبَلِ اللّهُ شيئاً من عملِه، ولم يَزَلْ في لعنةِ اللّهِ وملائكتِه مادام معه قيراطٌ .[٣]

ك ـ الرّبا هلاك اجتماعيّ

٢٩ الامام علي «ع» : اذا اَرادَ اللّهُ بقريةٍ هلاكاً، ظَهَرَ فيهمُ الرّبا .[٤]

٣٠ الامام الصادق «ع» : اذا اَرادَ الله بقومٍ هلاكاً، ظَهَرَ فيهمُ الرّبا .[٥]

---

١ و ٢ ـ علل الشّرايع / ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

٣ ـ سفينة البحار ١ / ٥٠٧ .

٤ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٩٠ .

٥ ـ الوسائل ١٢ / ٤٢٧ .

نظرة الى الفصـــل

لقدِ اسْتَنَدَ الحديثُ في علّةِ تحريمِ الرّبا، الى اَنّه يُوجِبُ فَسادَ الاموالِ وتَلَفَها وفناءَ ها، كما مَرَّ نموذجٌ منه في التّعليمِ الرّضويّ (الحديث ١٢). وهذه التّعابيرُ الثّلاثةُ الواردةُ في الحديث: «فَسادُ الاموال.. تلفُ الاموال.. وفناءُ الاموال»، تَكشِفُ عن واقعِ النّظامِ الرّبَويّ. ففَسادُ الاموالِ وفناؤُها وتلفُها في المعاملاتِ الرّبَويَّةِ لا تَنْشَأُ من فَسادٍ في الاستهلاك، او من الاسراف، او تضييعِ السِّلعَةِ وما يَرتَبِطُ بهذه الامور؛ وكذلك لا تَنبَعُ من جهةِ استهلاكِ المالِ في امرٍ محرَّمٍ وشِراءِ اَمتِعَةٍ فاسدة ومُضِرّة، بل المذكوراتُ اِنَّما تَقَعُ من جهةِ انحرافِ المالِ من موضعِه الاصليِّ، وتَبَدُّلِه الى محورٍ مستقلٍّ مفصولٍ عن العملِ والسّعيِ والكسبِ الحلال.

نعم، اِنّ المالَ في النّظامِ الرّبَويّ، يَخرُجُ من مدارِه القواميِّ ويَنزَلِقُ من كونِه قواماً وقياماً لحياةِ النّاس، ويَتَحَوَّلُ الى ما يَعمَلُ على فَسادِ المجتمعِ وهلاكِه، ويُؤَدِّي الى سقوطِ افرادٍ يَأخُذُون الرّبا ويَأكُلُونـــه، من مستوًى سالمٍ مفيدٍ للآخرين. وكما اَنّ الغصبَ والسّرقةَ يُتلِفُ اموالَ النّاس، فاِنّ الرّبا ايضاً يُتلِفُ الاموالَ بصورةٍ اُخرى ويُبيدُها ويُخرِجُها من ايدي النّاسِ ويَجعَلُها دُولةً بين آكلي الرّبا الظالمين.

وقد شَجَبَ الاسلامُ فَسادَ الاموالِ وتَلَفَها بالرّبا، كما شَجَبَ اتلافَها باسبابٍ اُخرى. ففي هذا الضّوء، يَتَّضِحُ اَنّ شجبَ افسادِ المال واتلافِه، اصلٌ رئيسيٌّ في مذهبِ الاسلامِ الاقتصاديّ. ويُمكِنُ اَن يُعَبَّرَ عن هذا الاصلِ في الاسلامِ بالطّريقةِ التّالية: «اصلُ شجبِ كلِّ نظامٍ اقتصاديٍّ

يُؤَدِّي الى فسادِ الاموالِ وتَلَفِها». وهذا الاصلُ يُعَيِّنُ اتِّجاهَ الاسلامِ الاقتصاديَّ ويَفرِزُه من النُّظُم التّكاثريّةِ والرّأسماليّةِ الّتي لاتَتَحَرَّجُ من افسادِ اموالِ الجماهيرِ واتلافِها .

الفصلُ الخامس عشر

الاحتـــكار

الكتـــاب

١ .. وَالَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَها في سبيلِ اللّهِ، فبَشِّرْهُم بعذابٍ اليم *[١]

الحديـــث

أ ـ احتكار الاموال

١ النبـــي «ص» : اُمّتي في الدُّنيا على ثلاثةِ اَطباقٍ .. واَمّا الطَّبَقُ الثّالث، فإنّهم يُحِبُّون جمعَ المالِ ممّا حَلَّ وحُرِّم، ومنعَه ممَّا افْتُرِضَ ووَجَب . اِن اَنفَقُوه اَنفَقُوا اسرافاً وبِداراً، واِن اَمسكُوه امَسكُوا بُخلاً واحتكاراً . اولئك الّذين ملكت الدُّنيا زِمامَ قلوبِهم، حتى اَوردَتْهُمُ النّارَ بذُنوبِهم .[٢]

---

١ ـ سورة التوبة (٩) : ٣٤.

٢ ـ البحار ١٠٣ / ٢٣ ـ ٢٤؛ عدة الداعي / ٩٢ ـ ٩٣، مع اختلافٍ يسير .

ب ـ احتكار الارزاق

٢ النبـي «ص»: الاحتكارُ في عشرةٍ: البُرِّ والشَّعيرِ والتَّمرِ والزَّبيبِ والذُّرَّةِ والسَّمْنِ والعَسلِ والجُبُنِ والجوزِ والزّيت.[١]

* راجِعْ لتعميمِ «الاحتكار»، وأنّ المذكورَ في الاحاديثِ كان كقضيّةٍ خارجيّةٍ لا حقيقيّة، وكان كذكرِ المثالِ له: النّظرةَ الى الفصل.

ج ـ الاحتكار وإضراره بدين المحتكر

٣ النبـي «ص»: من جمع طعاماً يَتَرَبَّصُ به الغَلاءَ اربعينَ يوماً، فقد بَرِئَ من اللّهِ وبَرِئَ اللّهُ منه.[٢]

د ـ الاحتكار وإضراره بدنيا المحتكر

٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ داعيةُ الحرمان.[٣]

٥ الامام علي «ع»: المحتكُر محرومٌ (من) نعمتِه.[٤]

٦ الامام الصادق «ع»: كلُّ حُكْرَةٍ تَضُرُّ بالنّاسِ وتُغْلي السِّعرَ عليهم، فلاخيرَ فيها.[٥]

---

١ ـ سفينة البحار ١ / ٢٩١.
٢ ـ سفينة البحار ١ / ٢٩١.
٣ ـ غرر الحكم / ١٥.
٤ ـ غرر الحكم / ٣١.
٥ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٥.

هـ ـ الاحتكار وإضراره بالمجتمع

٧ الامام علي «ع» : .. وذلك (احتكارُ المنافع، السِّلَع، البَضائع)، بابُ مَضرَّةٍ للعامّة .[١]

و ـ الاحتكار وإضراره بالحكم

٨ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاَشتريّ : .. وذلك (الاحتكارُ) .. عيبٌ على الوُلاة .[٢]

ز ـ الاحتكار خطأ، دناءة، رذيلة و شرارة

٩ النبـــي «ص» : لا يَحتكِرُ الطّعامَ الّا خاطىء .[٣]

١٠ الامام الباقر «ع» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : لا يَحتكِرُ الطَّعامَ الّا خاطىء .[٤]

١١ الامام علي «ع» : مِن طبائعِ الاَغْمار، اِتعابُ النُّفوسِ في الاحتكار .[٥]

١٢ الامام علي «ع» : الاحتكارُ رذيلة .[٦]

١٣ الامام علي «ع» : الاحتكارُ شِيَمُ الاشرار .[٧]

---

١ و ٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧ ـ ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١٠ ـ ١١١.

٣ ـ الاستبصار ٣ (القسم الأوّل) / ١١٤ .

٤ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٥

٥ ـ غرر الحكم / ٣٠٤.

٦ ـ غرر الحكم / ١٣.

٧ ـ غرر الحكم / ٢١

ح ـ الاحتكار فجور

١٤ الامام علي «ع»: الاحتكارُ شيمةُ الفُجّار.[١]

ط ـ المحتكر آثم

١٥ الامام علي «ع»: المُحتكرُ آثِمٌ عاصٍ.[٢]

ي ـ المحتكر ملعون

١٦ النبـي «ص»: المحتكرُ ملعون.[٣]

١٧ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق: .. الجالبُ مرزوق، والمحتكرُ ملعون.[٤]

١٨ الامام الصادق «ع»: الحُكْرَةُ في الخِصب اربعون يوماً، وفي الشِدّةِ والبلاءِ ثلاثةُ ايّام؛ فمازاد على الاربعين يوماً في الخِصب فصاحبُه ملعون، ومازاد على ثلاثةِ ايّامٍ في العُسرةِ فصاحبُه ملعون.[٥]

* قال صاحبُ «الوسائل»: «هذا التّحديدُ محمولٌ على عدمِ حصولِ الضّرورةِ في اقلَّ من المدّةِ المذكورة ..»[٦].

---

١ ـ غرر الحكم / ١٧.
٢ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٥.
٣ ـ سفينة البحار ١ / ٢٩١
٤ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٣.
٥ و ٦ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٢ ـ ٣١٣.

فالزّمانُ المذكور (من اربعين يوماً في الخِصب، وثلاثةِ ايّامٍ في العُسرة) لاموضوعيّةَ له، وإنّ الملاكَ حصولُ الضّيقِ وصدقُ الاحتكار. «يُشكِلُ الالتزامُ بموضوعيّةِ الاربعين والثلاثةِ شرعاً، ولو بنحوِ الامارةِ الشّرعيّةِ المجعولة. بل الظّاهرُ اَنّ التّحديدَ بهما كان بلحاظِ الاعمِّ الاغلب، فإنّ الانسانَ ولو في الشّدّةِ يَتَمَكَّنُ غالباً من تهيَّةِ القوتِ لثلاثةِ ايّام، فلايَصدُقُ الاحتكارُ المُضرُّ الابعدَ هذه المُدّة، كما اَنّه لو تَحقَّقَ حبسُ الاقواتِ اربعين يوماً فلامحالةَ يَتحقَّقُ الضّيقُ والغَلاءُ للاكثرِ ولو في حالِ الخِصب؛ فالملاكُ في الاحتكارِ المحرَّمِ هو وقوعُ النّاسِ بسببِه في الضّيقِ والشّدّة. قال الشّهيدُ في شرحِ اللُّمعة: "ولا يُتَقَيَّدُ بثلاثةِ ايّامٍ في الغَلاءِ واربعين في الرَّخص، وما رُوي من التّحديد بذلك محمولٌ على حصولِ الحاجةِ في ذلك الوقتِ لاَنّه مظَنَّتُها"»[1].

يا ـ المحتكر شرٌّ من السّارق

١٩ النبـي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الكاظم : .. لَئن يَلْقَى اللّهَ العبدُ سارقاً اَحَبُّ اليَّ من اَن يَلْقاه قدِ احْتَكَرَ طَعاماً اربعين يوماً ..[2]

يب ـ التّجّار والاحتكار

٢٠ الامام علي «ع» : إنّ في كثيرٍ منهم (التّجارِ والمستوردين واهلِ الكسب)، ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع ..[3]

---

١ ـ الاحتكار والتّسعير / ٢٨ ـ ٢٩؛ الرّوضة البهيّة ٣ / ٢٩٩.

٢ ـ معاني الاخبار ١ / ١٤٨.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

يج ـ المنع من الاحتكار

٢١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامام اميرُ المؤمنين في عهدِه للاشترِ النّخَعيّ : .. فَامْنَع من الاحتكار، فإنّ رسولَ اللّهِ «ص» مَنَع منه .[١]

٢٢ الامام علي «ع» : كُن مُؤْثِراً ولاتكُن محتكراً .[٢]

٢٣ الامام علي «ع» ـ نهىٰ اميرُ المؤمنين «ع» عن الحُكْرَةِ في الامصار .[٣]

* هذا ما رواه شيخُنا الصّدوقُ في «الفقيه» و «اِسنادُ النّهيِ الى اميرِ المؤمنين «ع» بنحوِ البَتِّ والجزم، يَدُلُّ على ثبوتِ الرّوايةِ عندَ الصّدوق . اذ فرقٌ بين هذا التّعبيرِ وبين اَن يقولَ مثلا : ''رُوِيَ عن اميرِ المؤمنين''وظاهرُ النّهيِ ـ مادّةً وصيغةً ـ هو الحُرمة»[٤].

٢٤ الامام علي «ع» ـ كان يَنهىٰ عن الحُكْرَةِ في الامصار .[٥]

٢٥ الامام علي «ع» ـ فيما كتبه الى رَفاعةِ بنِ شَدّادِ البِجلِّي، قاضيه على الأهواز : اِنْهَ عنِ الحُكْرَة، فمَن رَكِبَ النّهيَ فاَوجِعْهُ، ثم عاقِبْهُ باظهارِ مَا احْتَكَرَ .[٦]

يد ـ لا كفّارة للاحتكار

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠ .

٢ ـ غرر الحكم / ٢٤٥.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٤.

٤ ـ الاحتكار والتّسعير / ٢١.

٥ ـ سفينة البحار ١ / ٢٩١.

٦ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

٢٦ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الباقر : اَيُّما رجلٍ اشْتَرىٰ طعاماً فكَبَسَه اربعين صباحاً يُريدُ به غَلاءَ المسلمين، ثم باعَه فتَصَدَّقَ بثمنِه، لم يكُن كفّارةً لما صَنَع .[١]

يه ـ عذاب المحتكرين

١ ـ عقوبتهم في الدّنيا .

أ ـ بما يُناسبُ فعلَهم

٢٧ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاشتري : .. فمَن قارَفَ حُكْرَةً بعدِ نهيك ايّاه، فنَكِّلْ به، وعاقِبْهُ في غيرِ اسراف .[٢]

* والظّاهرُ اَنّ معاقبةَ المحتكرين تختلفُ بحسبِ الازمنةِ والامكنةِ والبيئاتِ والظُّروف ، فعقوبتُهم في حالِ الحربِ تختلفُ عنها في حالِ السِّلم، وهي في عهدِ الثّورةِ تختلفُ عمّا يَقَعُ في غيرِه .

٢٨ الامام علي «ع» : .. فمَن رَكِبَ النّهيَ (عن الحُكرَة) فاَوجِعْه ..[٣]

ب ـ باظهار ما يحتكرون

---

١ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٤ .

٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧ ـ ١٠١٨؛ عبده ٣ / ١١١.

٣ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

٢٩ الامام علي «ع» ـ فيما كَتَبَه الى قاضي الاهواز : .. ثم عاقِبهُ (المحتكرَ) باظهارِ مَا احْتَكَر.[١]

ج ـ باحراق اموالهم وابادتِها

* رَوى ابنُ حزمٍ في «المُحَلّىٰ» بسندِه عن ابي الحكم : «اَنّ عليَّ بنَ ابي طالب «ع» اَحْرَقَ طعاماً احْتُكِرَ بمئةِ الفٍ». ورَوىٰ عن حُبيشٍ قال : «اَحْرَقَ لي عليُّ بنُ ابي طالب «ع» بَيادِرَ بالسَّوادِ كنتُ احْتَكَرْتُها، لو تَرَكَها لَرَبِحْتُ فيها مثلَ عطاءِ الكوفة»[٢].

والظّاهرُ اَنّ الاحراقَ وَقَعَ بعدَ ما اضَرَّ الاحتكارُ النّاس، وخَرَجَ مَا احْتُكِرَ عن مظانِّ استفادةِ المجتمع.

٢ ـ عذابهم في الآخرة

٣٠ النبـي «ص» ـ ممّا قال له جبرئيل : «اِطَّلَعتُ في النّار، فَرَأَيْتُ وادياً في جهنّمَ يَغْلي، فقلتُ : يا مالك لمَن هذا؟ فقال : لثلاثةٍ : المحتكرين، والمُدْمِنين الخمر، والقَوّادين».[٣]

تذييـــل

مسؤوليّـة الحكم الاسلاميّ بـالنّسبة الى المحتكـرين وعرض امـوالهم على النّاس واجبارهم على البيع

---

١ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

٢ ـ المُحَلّى ٦ / ٦٥؛ الاحتكار والتسعير / ٢٦.

٣ ـ الوسائل ١٢ / ٣١٤ ـ ٣١٥.

الكتـــاب

١ .. اِعْدِلُوا هو اَقرَبُ للتّقوى ..[١]

٢ .. واِذا حَكَمتُم بينَ النّاس، اَن تَحكُمُوا بالعَدل ..[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامام اميرُ المؤمنين : اِنّ رسولَ الله «ص» مَرَّ بالمحتكرين، فاَمَرَ بحُكْرَتِهم اَن تُخرَجَ الى بطونِ الاسواق، وحيث تَنظُرُ الابصارُ اليها .[٣]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : نَفِدَ الطّعامُ على عهدِ رسولِ الله «ص»، فاَتاه المسلمون فقالوا : يا رسولَ الله! قد نَفِدَ الطّعامُ ولم يَبْقَ منه شيءٌ الّا عندَ فلان، فمُرْهُ يَبِعْهُ النّاس . قال : فحَمِدَ اللّهَ واَثْنىٰ عليه، ثم قال : «يا فلان! اِنّ المسلمين ذَكَرُوا اَنّ الطّعامَ قد نَفِدَ الّاشيئاً عندَك، فاَخْرِجْه وبِعْه كيف شِئْت ولا تَحبِسْه»[٤] .

٣ الامام علي «ع» ـ فيما كتبه الى قاضي الاهواز : .. ثم عاقِبْه باظهارِ ما احْتَكَرَ .[٥]

---

١ ـ سورة المائدة (٥) : ٨.

٢ ـ سورة النساء (٤) : ٥٨.

٣ ـ التهذيب ٧ / ١٦١.

٤ ـ الكافي ٥ / ١٦٤.

٥ ـ دعائم الاسلام ٢ / ٣٦.

الفات نظـــر

اِنّ اجبارَ المحتكرِ على البيع امرٌ جاء في الاخبارِ و تقتضيه المِلاكاتُ الشّرعيّةُ والعقليّة (من الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والاخلاقيّة والانسانيّة وما اليها). ولقد اَفتىٰ به اكابرُ الفقهاء، امثال:

- الشّيخِ المفيد، في «المقنعة» (/ ٩٦) ؛
- الشّيخِ الطّوسيّ، في «النهاية» (/ ٣٧٤) و«المبسوط» (٢ / ١٩٥)؛
- الشّيخ تقيِّ الدّين ابي الصّلاح الحلبيّ، في «الكافي» (/ ٣٦٠)؛
- ابنِ حمزةِ الطّوسيِّ المشهديِّ، في «الوسيلة» (الجوامعُ الفقهيّة / ٧٠٩)؛
- ابنِ ادريسَ الحِلّيّ، في «السَّرائر» (/ ٢١٢)؛
- المحقّقِ الحِلّيّ، في «الشّرائع» (٢ / ٢١) و«المختصرِ النّافع» (/ ١٢٠)؛
- العلّامةِ الحِلّيّ؛ في «القواعد» (١ / ١٢٢)؛

الشّهيدِ الاوّل، في «الدُّروس» (/ ٣٣٢)؛

- الشّيخ يوسفَ البحرانيّ، في «الحدائق» (١٨ / ٦٤)؛
- الشّيخ محمد حسنِ الاصفهانيّ، في «الجواهر» (٢٢/ ٤٨٥)؛

والشّيخ مرتضى الانصاريِّ، في «المكاسب» (٢١٣)، حيث قال: «الظّاهرُ عدمُ الخلاف - كما قيل - في اجبارِ المحتكرِ على البيع - حتى على القولِ بالكراهة - بل عن المهذّبِ البارع الاجماع، وعن التّنقيح - كما في الحدائق - عدمُ الخلافِ فيه. وهو الدّليلُ المُخرِجُ عن قاعدةِ عدمِ الاجبار لغيرِ الواجب.

ولذا ذكرنا اَنّ ظاهرَ ادلّةِ الاجبارِ تَدُلُّ على التّحريم، لانّ الزامَ غير اللاّزمِ خلافُ القاعدة»[1].

تتميمـــان

١ـ تعيين موضوعات الاحتكار

الكتـــاب

١ وإن حَكَمتَ فَاحْكُم بينَهم بالقِسط، اِنَّ الله يُحبُّ المُقسِطين *[2]

٢ واَنِ احْكُم بما اَنزَلَ الله، ولا تَتَّبِعْ اَهواءَهم ..[3]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما كتب لعَتّابِ بنِ اُسيد عهداً على مكّة : .. وقد قَلَّدَ رسولُ الله، عتّابَ بنَ اُسيدٍ، احكامَكم ومصالحَكم .. وتقويمَ اَوَدِ مُضطربِكم ..[4]

٢ النبـــي «ص» ـ فيما كتبه لمعاذبنِ جبل، لمّا بعثَه الى اليمن : .. وعليك

---

١ ـ الاحتكار والتّسعير / ٥٤ ـ ٥٦.

٢ و ٣ ـ سورة المائدة (٥) : ٤٢ و ٤٩.

٤ ـ البحار ٢١ / ١٢٢ ـ ١٢٣، عن «تفسير الامام العسكري».

بالرّفق والعفو، في غيرِ تركٍ للحقّ ..[1]

٣ الامام علي «ع» ـ في العهد الاَشتريّ: .. وليكن احبُّ الامورِ اليك، اوسطَها في الحقِّ، واعمَّها في العدل، واجمعَها لرضا الرّعيّة ..[2]

* اِنّ فلسفةَ التّمسّكِ بالآياتِ والاحاديثِ المذكورةِ وامثالِها في امثالِ المقامِ لاحبة؛ وذلك لاَنّ الحكمَ بالقسطِ وبما اَنزَلَ اللّهُ في كتابِه ـ حيث اَمَرَ بالعدلِ والاحسانِ واقامةِ القسطِ ونهى عن الظّلم ـ وكذلك رعايةُ مصالحِ الجماهير، وتقويمُ اَوَدِمَا اضْطُرِبَ من معايشِهم، والاجتنابُ عن تركِ الحقّ، واقرارُ ماهو الاوسطُ في الحقِّ والاعمُّ في العدلِ والاجمعُ لرضا النّاس، كلُّ ذلك يقتضي اَن يَهتَمَّ الحكمُ الاسلاميُّ بامورِ النّاسِ وصلاتِهم في المعيشةِ والحياة، حتى لا يُظلَمَ مُسلمٌ او معاهَد؛ فمِن واجبِه اَن يَقومَ بنُصرتِهم حينما يُظلَمون، اذ لا يَنتَصِرُ المظلومُ بلاناصر ـ على حدِّ قولِ مولانا اميرِ المؤمنين «ع»[3]

فلا يَسعُ الحكمَ اَن يَدَعَ قطاعاتِ النّاسِ اسيرةً في ايدي طواغيتِ الثّروةِ والمال، من المحتكرين الظّالمين ومن اليهم، لأنْ يُعامِلُوها على ما يشاؤون. فعليه اَن يَمنَعَ من الاحتكارِ بشكلٍ حاسم، واَن يُخرِجَ حُكَراتِهم الى بطونِ الاسواقِ ومُتونِ الشّوارع، واَن يُجبِرَهم على البيع، واَن يُعَيِّنَ الموضوعاتِ الّتي تحتاجُ اليها النّفوس، في كلِّ عصرٍ ومصرٍ وبيئةٍ وبلدٍ على حسبِها.

نعم، اِنّ تعيينَ موضوعاتِ الاحتكار امرٌ راجعٌ الى والي

---

١ ـ تحف العقول / ٢٥.

٢ ـ نهج البلاغة / ٩٩٦؛ عبده ٣ / ٩٥ ـ ٩٦.

٣ ـ غرر الحكم / ٣٤٩.

المسلمين والحكمِ الاسلاميّ، اذ المذكورُ في الاخبارِ لم يُرَدْ به حكمٌ فقهيّ، حيث اِنّ الحكمَ الفقهيَّ هو ما يشملُ جميعَ الازمنةِ والامكنةِ والظّروف . والحصرُ الواردُ ليس كذلك، وهو واضح. فالحقُّ في هذا الموضوعِ الحياتيِّ الهامِّ (الاقتصاديّ، المعيشيّ، الاداريّ، الاجتماعيّ، السّياسيّ ..)، مع الفقهاءِ الّذين يَرَون الامرَ على واقعِه في المسألة، حيث يقولُ احدُهم :

«اِنّ الحصرَفي الرّواياتِالحاصرة لم يكن حكماً فقهيّاً كلّيّاً لجميعِ الازمنةِ والظّروف، بل حكماً ولائيّاً لعصرٍ خاصٍّ ومكانٍ خاصّ، فيكونُ تعيينُ الموضوعِ من شؤونِ الحاكم بحسبِ مايراه من احتياجاتِ النّاسِ في عصرِه ومجال حكمِه».

«والمناسبُ للشّريعةِ السَّمْحةِ السَّهلةِ المُشَرَّعةِ لجميعِ الاعصارِ والظّروف، اَن يُشَرَّعَ فيها الكليّاتُ القابلةُ للانطباقِ في كلِّ عصرٍ ومكان، ويُفَوّضَ تعيينُ الموضوعاتِ الجزئيّةِ لها الى الحُكّامِ والوُلاة، نظيرَ ما احتملناه في بابِ الزّكاة، من اَنَّ المشرِّعَ في الكتابِ الكريمِ كان اصلَ وجوبِ الزّكاة واخذِ الصّدقاتِ من اموالِ النّاس؛ وتعيينُ الموضوع لها فُوِّضَ الى الوُلاةِ والحُكّام على حسبِ تشخيصِهم للثّرواتِ العموميّة . وتعيينُ الموضوعاتِ التّسعةِ من قِبَلِ النّبيِّ «ص» كان حكماً ولائيّاً صدرعنه بما اَنّه كان والياً على المسلمين في عصرِه،وكان عمدةُ ثروةِ العربِ الموضوعاتِ التّسعة، كما ربما يُشعِرُ بذلك بعضُ التّعبيراتِ الواردةِ في الرّوايات، كقولِه«ع» :"وَضَعَ رسولُ الله «ص» الزّكاةَ على تسعةِ اشياء وعفىٰ عمّا سوى ذلك".. ومما يَشهَدُ لكونِ امرِ الحكرةِ والنّهيِ عنها من شؤونِ الوُلاةِ والحُكّام، امرُ اميرالمؤمنين «ع» مالكاً ورفاعةَ بالنّهيِ عن الحكرةِ ومعاقبةِ من تخلّف، بل امرُ رسولِ الله «ص»

بالاخراجِ والبيعِ في خبرِ حذيفة،[1] فتدبَّر»[2].

٢ ـ التّسعير

الكتـــاب

١ .. وتَعاوَنُوا على البِرِّ والتَّقوىٰ ولا تَعاوَنُوا على الإِثْمِ والعُدوان ..[3]

٢ .. فَلاتَتَّبِعُوا الهَوىٰ اَن تَعدِلُوا ..[4]

٣ .. هَل يَستوي هُو ومَن يَأمُرُ بالعَدل، وهُوَ على صِراطٍ مُستَقيم؟ *[5]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ في ذكرُموا صَفاتِ من يَصلَحُ للامامةِ والحكم : .. وحسنُ الولايةِ على مَن يَلي، حتى يكونَ لهم كالوالدِ الرّحيم.[6] (وفي روايةٍ اخرى : حتى يكونَ للرّعيّةِ كالاَبِ الرّحيم)[7].

---

١ ـ راجع : الحديث ٢، في تذييلِ الفصل.

٢ ـ الاحتكار والتّسعير / ٤٧ ـ ٤٨.

٣ ـ سورة المائدة (٥) : ٢.

٤ ـ سورة النساء (٤) : ١٣٥.

٥ ـ سورة النحل (١٦) : ٧٦.

٦ و ٧ ـ الكافي ١ / ٤٠٧.

٢ الامام علي «ع» ـ في العهدِ الاَشتري: .. وَلْيَكُنِ البيعُ بيعاً سَمْحاً، بموازينِ عدلٍ، واسعارٍ لا تُجحِفُ بالفريقين، من البائعِ والمبتاع ..[١]

* هذا تدليلٌ صريحٌ على التّسعير عند الاجحاف. وهو حكم اوّليّ ـ كما لا يخفى ـ فالّذين يمنعون التّسعير مطلقا، لايفهمون واقع الاسلام، ولا يتّبعون سيرةَ على «ع». وهو اتّجاهٌ يُرجِّحُ الكفّة لحسابِ الطّواغيتِ الاقتصاديّين والذِّئابِ المُمْتَصِّين.

٣ الامام علي «ع» ـ من العهد: .. وتَفَقَّدْ امورَمَن لا يَصِلُ اليك منهم، ممَّن تَقتَحِمُه العُيون، وتَحقِرُه الرّجال .. فإنّ هؤلاء من بينِ الرّعيّةِ احوجُ الى الانصافِ من غيرِهم ..[٢]

* اِنّ مسألةَ «التّسعير» لا تُطرَحُ الّا اذا كان هناك تضخُّمٌ واجحاف، واحتكارٌ للمنافعِ والحاجيّات، واستبدادٌ وتحكُّمٌ في البيع، لا في الاحوالِ الطّبيعيّةِ والاسعارِ العاديّة، او الغَلاءِ الطَبيعيِّ الّذي يَسنَحُ في بعضِ الاحيانِ لما يبدومن احوالٍ وعلل، ممّا لا يَنبَعُ من مقاصدَ استغلاليّةٍ ولا يُؤدّي الى اجحافٍ او ظلم (وهذه الحالةُ هي مصبُّ اخبارِ المنع).

وعندئذٍ فالّذين يحتاطون في امرِ التّسعيرِ وتسويغِه ـ مع ما ورد بصددِ مواصَفاتِ التّجّار والبائعين[٣] ـ كيف يَفهَمُون الاسلام؟ وكيف يَقرَأُون القرآنَ وآياتِه الآمرةَ بالعدلِ والقسط، والنّاهيةَ عن الظّلمِ

---

١ و ٢ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧ ـ ١٠١٩؛ عبده ٣ / ١١٠ ـ ١١٢.

٣ ـ راجع: الفصل ١٣، من هذا الباب، فقرة «ي»، وبعضَ فِقَرِ هذا الفصل، والفصل ٨، من الباب ١١.

والعدوانِ والتّعاونِ عليه؟ وكيف يَدَعُون القِطاعاتِ ممتصَّة، مجحفاً بها، اسيرةً في مخالبِ المُسَعِّرين الذّئاب لكي يُعاملوهم بماتشاءُ لهم المُيول وتبعثُهم عليه الدُّخول؟ ومع ذلك يعتقدون اَنّ الاسلامَ يدافعُ عن المحرومين والمظلومين والمستضعفين؟ كيف يجمعُ هؤلاء المحتاطون بين هذه المتضادّات؟

اِنّ الحاكمَ المسلمَ الّذي يراه النبيُّ «ص» والداً رحيماً بالرّعيّةِ كيف يسعُه اَن يَترُكَها تُظلَمُ ظلماً وتُنهَبُ اموالُها في الاسواقِ وتُرَضُّ عِظامُها تحت نيرِ التّضخُّمِ والغَلاء؟

اِنّ البيعَ السَّمْحَ الّذي يوصي به اميرُ المؤمنين «ع» ويدعو الى اَن يكونَ بموازينِ عدلٍ واسعارٍ لا تُجحِفُ بالفريقين،[1] كيف يَتَجَسَّدُ مَعَ التّسعيرِ الحُرّ، عند التّضَخُّمِ والحِصارِ الاقتصاديِّ والغَلاءِ المفروض؟

وما هي تلك الشّدائدُ والمصائبُ الّتي يُعانيها اولئك المنسيُّون الّذين تَقتَحِمُهمُ العيون وتَحقِرُهمُ الرّجال، من الّذين هم احوجُ الى الانصافِ من غيرِهم، ويا لَلّهِ لهؤلاءِ المظلومين المعذّبين ومعيشتِهم الضَّنكِ في جحيمِ التّضخُّمِ والغَلاءِ والاِقلال؟! وكيف يُدرِكُ حالَهم من لا يَمُرُّ عليه يومٌ من ايّامِهم؟!

اكلُّ هذه عدلٌ واسلامٌ وانصاف؟ اكلُّ هذه تحكيمُ القرآنِ على الحياةِ وصلاتِها، واتّباعُ سيرةِ النّبيِّ «ص» واوصيائه «ع»؟ كيف يكونُ ذلك؟ وكيف يقومُ النّاسُ بالقسط، وتُرسىٰ قواعدُ العدل، وتُصانُ حقوقُ المستضعفين، مع التّسعيرِ الحُرِّ والتّضخُّم وما اليهما؟ ومع الامتلاكِ اللّامحدود؟ ومع الاهمال في التّوزيعِ وعدمِ الرّقابةِ

---

١ ـ انّ كلامَ امير المؤمنين «ع» هذا، في العهدِ الاشتريّ، صريحٌ في لزومِ التّسعيرِ والرّقابةِ عليه، عند الاجحاف. ولقد صدر عنه في «مقامِ البيان».

على الاسواق؟ ومع عدم حذفِ الوُسَطاءِ والمُتَلَقّين او تقليلِهم؟

نعم، اِنّ استلالَ آياتٍ من الكتابِ وجعلَها فقهيّة، ونسيانَ البقيّةِ في مقامِ التّفقُّهِ والاستنباطِ والافتاء، لممّا يُؤدّي الى امثالِ هذه الاتّجاهات!

نعم، اِنّ عدمَ مقاطعةِ الاغنياءِ بل مخالطتهم، وعدمَ مصاحبةِ الفقراء بل مجانبتهم وعدم الوقوفِ على آلامِهمُ القاسية، لممّا يُؤدّي الى امثال هذه الاتّجاهات!

نعم، اِنّ السّذاجةَ الفكريّة والانخداعَ بحِيَلِ الاغنياءِ وفراعنةِ المال وقبولَ ما يُلصِقُون من الاتّهاماتِ الواهيةِ بدعاة العدلِ، لممّا يُؤدّي الى هذه الاتّجاهات!

اِنّ القرآنَ الكريم، انّما يُبنىٰ به الفردُ ويُصنَعُ به المجتمع، اذا استُفيد من كلِّه منظوماً و بشكلٍ مجموعيٍّ، لا بصورةِ هداياتٍ مُبَعثَرَة . اِنّ شأنَ القرآنِ هو هدايةُ الفردِ وبناءُ المجتمعِ الانسانيِّ لا غير، فما هو يَسرُدُ القِصَصَ ويُوردُ التّاريخ الاّ لذلك الشّأن . فلو كانت خمسُ مئةِ آيةٍ منه كافيةً لذلك المقصدِ الهامِّ العظيم، ليُصبِحُ تنزيلُ البقيّةِ الباقيةِ لغواً، مع انّه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد . وما من آيةٍ من آياتِه الاّ وفيها هدايةٌ خاصّةٌ او عامّةٌ ذاتُ صلةٍ جذريّةٍ تنظيميّةٍ بالآياتِ الاُخرى وما فيها من الهدايات . فكلُّ ما في القرآنِ جزءٌ رئيسيٌّ من اجزاءِ رسالتِه الكريمةِ الخالدة، وهدايتِه العامّةِ الشّاملة، وادواتِه المتوفّرةِ اللّازمةِ لبناءِ الافرادِ والمجتمعات .

واِنّ لِآياتِ العدالةِ الاجتماعيّة والاقتصاديّةِ والقسط، وآياتِ شجبِ التّكاثروالاترافِ والاسرافِ وجمعِ المالِ الكثير، وآياتِ رفضِ ظلمِ النّاسِ بعضِهم بعضاً وردعِ الإثْمِ والعدوانِ والتّعاونِ عليه، شأناً من ذلك الشّأنِ العظيم . فهي لا بدّ من اَن لا تكون منسيَّةً

في كلِّ رأيٍ او فقاهةٍ او افتاء، بل لابدّ من ان تكون مقياساً رئيسيّاً للكلِّ عند الكلّ ـ كما اشرنا اليه ايضاً ـ وبذلك يقومُ عمودُ الحقّ، وتتجلّىٰ عظمةُ الصّلاة، وتتجسَّدُ امثلةُ العدلِ في جليلِ الامورِ وحقيرِها وصغيرِها وكبيرِها، لابغيره .

وهذا هو الامرُ المصيريُّ الهامّ، الّذي يجبُ اَن يتبنّاه علماءُ المسلمين،في هذه الازمان، تبنّياً لامحيدَ عنه .

وبعدَ هذا الإشارةِ اللّازمةِ نَرجعُ إلى بقيّةِ الكلامِ عن التّسعير، فنقول : إنّه من المسائلِ المهمّةِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والإداريّةِ للنّاس، بل الأخلاقيّةِ والسّياسيّةِ والدّفاعيّةِ أيضاً؛ ولا سيّما في أوقاتٍ خاصّه. وللتّسعيرِ ـ في هذه الأسواق ـ دورٌ كبيرٌ في إقامةِ القسط وصيانةِ الحقوق .. خصوصاً مع ماجاء في الاحاديث من وصفِ التّجّار والمستوردين والبائعين بالخيانةِ والفجور (الاّ المتّقين منهم)، وما ورد في نفي الضّررِ وخَفْضِ الرّبح والسّماحةِ في البيع، فعلى الفقاهةِ الاسلاميّةِ اَن تَتَّخِذَ في هذا الامرِ الحياتيِّ العظيم (الّذي يَمُتُّ الى «اصلِ قواميّةِ المال» في المجتمعِ الاسلاميِّ بوشيجِ صلة، وله دورُه الحاسمُ في تقوّمِ الأُمّةِ والكيانِ الاسلاميِّ)، موقفاً حاسماً، مقاطعاً للمستكبرين الاقتصاديّين وحِيَلِهم، موقفاً يُواكبُ روحَ التّعاليمِ القرآنيّة، الآمرةِ باقامةِ القسط، النّاهيةِ عن معاونةِ الجور، موقفاً يُرضي اللّهَ والرّسول «ص»، في حينِ كونِه حافزاً قويّاً على صنعِ مجتمعٍ اسلاميٍّ لا يُظلَمُ فيه المضطهدون، واَسواقٍ اسلاميّةٍ لا تُصبِحُ مُسْتَرَقَ اموالِ الجماهير .

وبذلك يُحتفظُ بحيثيّةِ الحكمِ الاسلاميّ، حيث لا يُتَّهَمُ بالجُنوحِ الى اصحابِ الثّرواتِ وطواغيتِ التّكاثرِ والاتراف، وبالضّعفِ في الادارةِ الاقتصاديّةِ والتّنظيمِ المعيشيِّ للنّاس،

وبعدمِ استطاعتِه لحمايةِ القطاعاتِ باقامة العدلِ فيها ودفعِ الجورِ عنها .

ولقد جَنَحَ عدّةٌ من اعاظمِ الفقهاءِ الى التّسعير، عند الاجحافِ بالثّمن ـ وهو محلُّ القول ـ كما «في المقنعة، والوسيلة، والمختلف، والايضاح، والدّروس، واللّمعة، والمقتصر، والتّنقيح، انّه يُسَعَّرُ عليه إن اَجحَفَ في الثّمن، لما فيه من الاِضرار المنفيّ»[1]، ولان عدمَ التّسعيرِ في صورةِ التّشدُّدِ والاجحاف، يُضادُّ رعايةَ العدلِ والقسط، فضلاً عن الاحسانِ الّذي يأمرُ به القرآن .

ولقد افتي صاحبُ الجواهر بالتّسعير ـ كما مرّ . وفي غير المذكورين ايضاً من افتى به مع الاجحاف، كالشّهيدِ الثّاني، في «المسالك»؛[2] وفي «الرّوضة»[3] يُجوِّزُ ما في معناه ..

ولاهمّيةِ التّسعيرِ والرّقابةِ على الاسعار، في البيئاتِ الّتي لا يُراعي المستوردون والمُسعِّرون حدودَ العدلِ والانصاف ولا يلتزمون بما فرضه الاسلامُ عليهم، لسلامةِ الصِّلاتِ الاقتصاديّة، ويعاملون النّاسَ معاملةَ الذِّئاب ـ كما ورد في الحديث ـ لقد أوردنا في البابِ العاشر، من الكتاب، بحثاً عن «مجابهةِ الاحتكار والرّقابةِ على الاسعار»، قبلَ سنين، فراجع .

ولقد وردت اخبارٌ تمنعُ التّسعير، وبها افتى جمع . وهذه الاخبارُ يجبُ اَن تُفهَمَ بصورةٍ اجتهاديّةٍ لائقة، على تفقّهٍ واع . ولقد جاء في رسالةِ «الإحتكار والتّسعير»، توضيحُ وتبيينُ تلك

---

١ ـ مفتاح الكرامة ٤ / ١٠٩؛ الاحتكار والتّسعير / ٦٠.

٢ ـ المسالك ١ / ١٧٧؛

٣ ـ الرّوضة البهيّة ٣ / ٢٩٩؛ الاحتكار والتسعير / ٦٦.

الاخبار وتعيينُ مصبِّها ببحثٍ ضاف، مع ايضاحِ السِّعرين، الطّبيعيِّ العاديّ الّذي تقتضيه الظّروفُ و الشّروطُ الطّبيعيّة، والعَسوفِ الّذي يَخلُقُه الظّلمُ والاجحافُ من المالك، وخصوصاً بعد الحِصارِ الاقتصاديّ، وفي ازمنةِ الحروبِ والاحوالِ الخاصّة، اولاغراضٍ يُبيِّتُونها المستعمرون والغاشمون؛ فليراجعها القارئ الباحثُ عن الموضوع.

تذنيب

هناك امران يُحَذِّران البعضَ من تسويغِ التّسعير. احدُهما حرمةُ مالِ المؤمن[1] (فإنّها كحرمةِ دمِه). ولعلّ اضافةَ المالِ الى «المؤمن» ـ كما ورد في الحديث[2] ـ لا الى المالك، تُشعِرُ بأنّ المالَ الّذي يُؤكِّدُ الاسلامُ على قداستِه، هو الّذي يَمتلِكُه المؤمنُ بوصفِه مراعياً للحدودِ والحقوقِ الشرعيّةِ في البيعِ والشِّراء والاقتناءِ والامتلاك، مجتنباً عن الظّلم والاجحافِ والتّضخيمِ وما الى ذلك، معتقداً في المالِ بانّه قَوامٌ للنّاس، بلامكاثرةٍ او ترفٍ او اعتداء.

والامرُ الثّاني، التّراضي. ومن الواضح اَنّ هذا التّراضيَ يجبُ اَن يكونَ من الطّرفين ـ كما يُفيدُه صريحُ اللّفظ ـ فكما يَجبُ اَن يكونَ

---

١ ـ ومما لا يُقضىٰ منه العجب، اَنّ هذه الاحتياطاتِ إنّما تَتِمُّ في الاغلب لحسابِ المستكبرين وعلى حسابِ المستضعفين. ولم نَجِد اَن يَحتاطَ محتاطُ القوم في اقامةِ العدل، وفي استردادِ حقوقِ المحرومين والمغصوبين، وفي توفيةِ اجورِ العُمّالِ والكادحين، وفي اعانةِ من هو اَحوَجُ الى الانصافِ من غيره، وفي تحصيلِ رضا اللّهِ سبحانه ورضا الرّسولِ «ص» بإنعاشِ المضطهدين والمعذّبين واخراجِ اموالِهم وارزاقِهم من حلقومِ اولئك الجبابرةِ المتنعِّمين؟! غفرانَك اللّهُمّ ربَّنا واليك المصير..

٢ ـ راجع : الفصل ٣، من الباب ١١.

البائعُ راضياً يجبُ اَن يكونَ المبتاعُ ايضاً راضياً . وكما لا يجوزُ اَن يَنتَقِلَ المتاعُ الى المُبتاعِ الاّ بصورةٍ يَرضاها المالك، كذلك لا يجوزُ اَن ينتقلَ الثّمنُ الى المالكِ الاّ بصورةٍ يَرضاها المبتاع . وفي احيانٍ كثيرةٍ لا يكونُ الامرُ كذلك، لاستبدادِ البائعين (وهم الّذين فيهم ضيقٌ فاحش، وشحٌّ مطاع، واحتكارٌ للمنافع، وتحكُّمٌ في البياعات)[1]، وحاجة المبتاعِ واضطرارِه الى المتاعِ والسِّلعة، وعند ذلك يصيرُ رضا المبتاعِ والمشتري منسيّاً عملاً .

وهذا جانبٌ هامٌّ، لا تصِحُّ ولا تَسلَمُ صِلاتُ النّاسِ الاقتصاديّةُ الاّبه، ولكن يَغفُلُه كثيرٌ من الفضلاء، فضلاً عن متعاطي البيوع، فيُؤَكِّدون على التّراضي في القول، ويُرَجِّحونَ رضا المالكِ في العمل (وخصوصاً أنَّ عدمَ رضا المشتري المحتاجِ الى السّلعةِ غيرُ معلَنٍ في اغلبِ الاحوال)، فيشتري المبتاعُ المتاعَ في حالةٍ لا يَدري ما يُفعَلُ به وعلي حسابِه في التّسعير .

---

١ ـ نهج البلاغة / ١٠١٧؛ عبده ٣ / ١١٠.

نظرة الى الفصـــل

١ ـ جاء في كلامِ النبيّ «ص» (في التّذييل) قوله: «بِعْهُ كيف شئت». وهذا الكلامُ يَدُلُّ على تسويغِ البيعِ بايّةِ صورةٍ شاءها البائع، لا بايِّ سِعْرٍ شاء، للعموماتِ الدّاعيةِ الى اعطاءِ الحقِّ واخذِه، وحذفِ الرّبحِ أو تخفيفِه، والنّاهيةِ عن الظّلمِ والاجحافِ والتّعدّي عن الحدودِ وتضخيمِ الرّبحِ وما الى ذلك. وهناك لصاحبِ «الجواهر» كلامٌ يُؤيِّدُ ما قلناه. واليك نصّه: «والاذنُ بالبيعِ كيف يشاء، محمولٌ على ما هوالغالبُ من عدم اقتراحِ المُجحف»[١].

٢ ـ جاء في عهدِ امير المؤمنين «ع» لمالكِ الاَشترِ النّخعيّ، بحقِّ المحتكر: «فنَكِّلْ به». قال اللّغويّون: «نَكَّلَ به، صَنَعَ به صَنيعاً يُحَذِّرُ غيرَه ويجعلُه عبرةً له». وقال الرّاغبُ الاصفهانيّ: «نَكَّلْتُ به: اذا فعلتُ به ما يُنَكَّلُ به غيرُه. واسمُ ذلك الفعل نَكالٌ، قال: "فجعَلناها نَكالاً لمابين يدَيها وما خلفَها"..»[٢].

وهذا الحديثُ العلويُّ ممّا يُستَدَلُّ به على حرمةِ الإحتكار، و«تقريبُ الاستدلال اَنّ امرَه «ع» بالتّنكيلِ والمعاقبة، دليلٌ واضحٌ على الحرمة، لعدمِ جوازِ العقوبةِ على المكروه»[٣] كما مرّ عن الشّيخ الانصاريِّ ايضاً.

---

١ ـ الجواهر ٢٢ / ٤٨٦.

٢ ـ المفردات / ٥٠٦.

٣ ـ الاحتكار والتسعير / ٢١.

٣ ـ والحقّ في امرِ «الاحتكارِ» مع القائلين بالتّحريمِ والتّعميم، امّا الاوّلُ فللنّهيِ عنه في الاخبار، ولانّه من مصاديقِ الظّلمِ والتعدّي المنهيِّ عنهما في القرآن؛[١] ولأنّ العقوباتِ الواردةَ بصددِ الاحتكارِ والمحتكرين في الاخبارِ تُوجبُ الحرمةَ بل المرتبةَ الشّديدةَ منها؛ ولحكمِ العقل ايضاً.

وامّا الثّاني، فلأنّ ملاكَ ممنوعيّةِ الاحتكار ـ الذي ذُكِرَ في الاخبار ـ يَعُمُّ جميعَ ما يَحتاجُ اليه النّاسُ في المعيشة. ويَدُلُّ على اَنّ الشّارعَ الحكيم اِنّما اَرادَ اَن يكونَ النّاسُ في سَعَة. ويَحكُمُ بذلك العقلُ ايضاً. ولا يكون للزّمانِ مدخليّةٌ فيه بعدَ ما حصلَ الضّيقُ وصَدَقَ الاحتكار.

وممّن اَفتىٰ بالتّعميم، من الفقهاءِ المتأخّرين والمعاصرين، الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ في «الجواهر»[٢]، والسّيّد ابوالحسن الاصفهانيّ، في «الوسيلة»، والشّيخ مرتضى الحائريّ، في شرحِها (ابتغاء الفضيلة).

٤ ـ ولقد كتب احدُ الفقهاءِ المعاصرين،[٣] رسالةً في «الاحتكارِ والتّسعير»، وجاء فيها بآراءٍ قيّمةٍ وفقاهةٍ مُتَفَتِّحَةٍ في المسألة، تُنبِئ عن طاقةِ فقهِنا للتّطوُّرِ الحياتيِّ المنشود، من غيرِ اَن نَجنَحَ الى غيرِ «الا دلّةِ الاربعة»، ومن غير اَن نَعتَزِلَ اصولَ «الاجتهادِ» الرّئيسيّةِ وجوهريّاتِ الفقهِ الثّابتة.

والفقيهُ المذكور يوردُ مسائلَ من المناسب اَن نَقتضِبَ منها مايلى:

أ ـ «اِنّ مسألةَ احتكارِ الامتعةِ والسِّلَعِ الضّروريّةِ وتسعيرِها، من اهمِّ مشاكلِ عصرِنا الحاضر وممّا بُلِيَت بها وبلوازمِها وآثارِها الحكوماتُ الدّارجةُ، بحيث ربما توشِكُ بسببِها على التّزلزلِ والسّقوط. وصارت

---

١ ـ وفي بعضِ الاحيان يُصبح من مصاديقِ خلقِ التّوتُّرِ في المجتمعِ الاسلاميّ، وتشويهِ سُمعةِ الاسلام، وتضعيفِ حكمِه، وما الى ذلك. وحرمة هذه الامور واضحة.

٢ ـ وسيأتي كلامُه.

٣ ـ وهو آيةُ الله، الشّيخ حسين علي المنتظريُّ النّجف آباديّ.

النّاحيةُ السّياسيّةُ فيها تَغلِبُ على النّاحيةِ الاقتصاديّةِ البحتة ..».

ب ـ «لايخفى اَنّ الاحتكارَ ليس امراً مستحدَثاً غيرَ معروفٍ في القرونِ السّالفة، بل كان في جميعِ الاعصارِ مشكلةً اجتماعيّةً كبيرة، ولا سّيما طِوالَ الحروبِ الواسعةِ النِّطاق، فانّه وليدُ الحرصِ والطّمعِ المجبولِ عليهما نوعُ الانسان .. وكلّما اتّسَعَت مجالاتُ التّبادلِ التّجاريِّ وتكاملت فنونُها،كثُرَتِ الحُكْرَةُ والحِصاراتُ الاقتصاديّةُ وسَرَت الى جميعِ مايحتاجُ اليه الانسانُ في نفقاتِه وصناعاتِه وانتاجاتِه، فعَمَّت شرورُها وكثُرت اَضرارُها».

ج ـ «وقد بلغت سَعَةُ مجالاتِها في اعصارِنا حدّاً صارت اكبرَ وسيلةٍ استعماريّةٍ تستخدمُها الدُّولُ الكبرى المستكبرةُ ضدَّ الدُّولِ والاُممِ المستضعفة، للضَّغط عليها والتسلّطِ على سياستِها وثقافتِها وثرواتِها . فيَفرُضُ على الرّجالِ العقلاءِ الملتزمين ـ مِن العالَمِ الثّالث ـ اَن يُفكِّروا في حلِّ هذه المشكلةِ الّتي بُلِيَت بها دولُهم واممُهم . ونقول اجمالاً اِنّ الوسيلةَ الوحيدةَ لذلك، هي التّمسّكُ بالاسلام وشرائعِه وتوحيدُ الكلمةِ تحت لوائه، وقطعُ العلاقاتِ مع الدُّولِ الكبرى الظّالمةِ الاّ بقدرِ الضّرورة ..»

د ـ «وهو ـ بحسب المفهوم ـ عامٌّ لكلِّ مايحتاجُ اليه النّاس ويكون منعُهم منه موجباً للظّلمِ والتّنقُّص، فلا يَختَصُّ بالطّعام . واضافتُه اليه في الكلماتِ من بابِ المثالِ لكونِ الطّعامِ من اظهرِ الحاجات، هذا».

هـ ـ« والاحتكار يُضَيِّقُ على اهلِ البلادِ الكبيرة ايضاً، لانَّ ما قاله البعض من "عدمِ تأثيرِ الاحتكارِ في البلادِ الكبيرة" اِنّما كان من جهةِ اَنّه لم يكن يوجَدُ في تلك الاعصارِ الشِّرَكاتُ الواسعةُ والحِصاراتُ الاقتصاديةُ العظيمةُ الّتي ربما تَقبِضُ بايديها وبَراثِنِها الخبيثةِ جميعَ المنابعِ الماديّةِ لمنطقةٍ كبيرة، بل لمناطقَ كثيرة، وتحكُم فيها بما تريد، وتستخدمُها للضَّغطِ

على الدُّولِ فضلاً عن الأُمَم ـ كما توجَدُ في اعصارِنا ..»

و ـ «انّ تركَ النّاسِ بلاطعامٍ ممّا يحكُمُ العقلُ بقبحِه. والحكمُ بجوازِهِ بعيدٌ من مذاقِ الشّرع جدّاً .. وعرفت ايضاً انّ ظاهرَ الاخبارِ هو الحرمة، بل ظاهرُ كثيرٍ منها التّشديدُ فيها وكونُه موجباً للدّخول في النّارِ وفي عرضِ المحرَّماتِ الكبيرةِ من قبيلِ الادمانِ على الخمر والقيادةِ ونحوِها. هذا مضافاً الى انّه لو لم يكن محرَّماً لم يكُن وجهٌ لعقوبةِ فاعلِه واجبارِه على البيع من قِبَلِ الحاكم. كيف؟ وهل يمكُن القولُ برضا الشّارعِ بعملٍ يوجبُ الضّررَ والضّيقَ على النّاس؟ فمنا سبةُ الحكمِ والموضوعِ ايضاً تقتضي القولَ بالحرمة. هذا».

ز ـ وبعد ايرادِ اخبارِالمسألة، وتقسيمِها على خمسِ طوائف، وذكر مايربُو على اربعين حديثاً من مصادرِ الفريقين،[1] يقول بصددِ الطّائفة الخامسةِ من الاخبار، الّتي تدلُّ «على انَّ الحُكْرَةَ المنهيَّ عنها انّما هي في امورٍ خاصّة»[2]: «هذه هي الاخبارُ الحاصرةُ للحُكرةِ المنهيِّ عنها في اشياءَ خاصّة. ولا يُوجَدُ في هذه الرّواياتِ الخمس صحيحٌ اعلائيٌّ اصلاً، ولا يوجدُ في الكتبِ الاربعةِ الاواحدةٌ منها. فمن حَصَرَ الحُجِّيّةَ بالصّحيحِ الاعلائيّ ـ كصاحبِ المعالمِ والمدارك ـ يُشكِلُ له الاخذُ بها. ومن حَصَرَها على الكُتب الاربعةِ يُشكِلُ له الاخذُ بغيرِ خبر غياثٍ (ابنِ ابراهيم). وكيف كان، بعد الاَخذ بهذه الرّوايات فالّذي تقتضيه الصّناعةُ الفقهيّةُ في بادئ الامر[3] هو تحكيمُها علىَ المطلَقاتِ السّابقةِ وحمل المطلقاتِ السّابقةِ

---

١ ـ وجاء فيما نقله عن «كنزِ العُمّال» (ج ۴، الحديث ۹۷۲۱) قولُ النبيِّ «ص» هذا: «من تَمَنّى على امّتي الغَلاء ليلةً واحدة، اَحبَطَ اللّهُ عملَه اربعين سنة».

٢ ـ الاخبار الحاصرةُ خمسة، كما اشير اليه في المتن، وسندُ بعضِها ضعيف لمكانِ ابي البختريِّ فيه.

٣ ـ هذا تقييدٌ حسنٌ جدّاً، لاَنّ تحكيمَ الاخبارِ الحاصرة (القليلة) على المطلقاتِ (الكثيرة) بلحنِها الحاسمِ الدّامغ، والذّهابَ الى تبنّي الحصر، امرٌ يميلُ اليه النّظرُ البدوي، لا النّظرُ الاجتهاديُّ القويُّ الواعي، كما تبنّاه عدّةٌ من فقهاءِ الاصحاب، كشيخِ الطّائفةِ الطّوسي ـ حيث اضافَ الملحَ مع انّه لم يَرِدْ ذكرُه في الاخبار ـ وصاحبِ «الجواهر»، والسّيّد ابي الحسن الاصفهانيّ، ومن اليهم.

عليها ..»

ح ـ ثم يَعمِدُ الى الاستدلالِ على التّعميم: «الظّاهرُ انّ حرمةَ الاحتكار .. ليس حكماً تعبُّديّاً بلاملاك، او بملاكٍ غيبيٍّ لا يَعرِفُه ابناءُ نوعِ الانسان. بل الملاكُ له ـ على ما هو المستفادُ من اخبارِ البابِ ايضاً ـ هو حاجةُ النّاسِ الى المتاعِ و ورودُ الضّيقِ و الضّررِ عليهم من فقدِه؛ ففي صحيحِ الحلبيّ: "إن كان الطّعامُ كثيراً يَسَعُ النّاسَ فلا بأسَ به، وإن كان الطّعامُ قليلاً لا يسعُ النّاسَ فإنّه يكرَهُ[1] أن يحتكرَ الطّعامَ ويَترُكَ النّاسَ ليس لهم طعام"[2] يظهرُ من هذه الصّحيحةِ علّةُ الحكمِ وملاكُه، وانّ نظرَ الشّارعِ الحكيمِ في تشريعِه الى كونِ النّاسِ في سَعَة، وان لا يُتركوا بلاطعامٍ يتوقّفُ عليه حياتُهم.وفي ذيلِ صحيحتِه الاُخرى بنقلِ الكلينيّ: "وسألتُه عن الزَّيّت فقال: إن كان عندَ غيرك فلا بأسَ بامساكِه"[3]. واتّفقتِ الرّواياتُ والفتاوى في الزّبيب، مع انّه كثيراً ما تكونُ حاجةُ النّاسِ الى كثيرٍ من الامتعةِ اكثرَ بمراتبَ من حاجتِهم الى الزّبيب. وقد ذُكِرَ الزّيتُ ايضاً في بعضِ الرّواياتِ الحاصرة،[4] وافتىٰ به الفقهاء، وانت تَعلَمُ انَّ الزّيتَ ليس مما تحتاجُ اليه عامّةُ النّاس، بل كان اِداماً في بعضِ المناطقِ كالشّاماتِ وامثالِها. وقد كثُرتِ البلادُ الّتي تنحصرُ اقواتُ اهلِها في الاَرُزِ او الذُّرّةِ مثلاً، ويصيرُ احتكارُهما موجباً لصيرورتِهم بلاطعام. فهل يجوزُ

---

١ ـ «ولفظُ الكراهةِ بحسب اللُّغةِ واصطلاحِ الكتابِ والسُّنّة، اعمُّ من الحرمةِ والكراهةِ المصطلحةِ عند الفقهاء، بل لعلّ ظهورَها في الحرمةِ كان اقوى ـ كما هو ظاهرٌ لمن تتبَّعَ مواردَ استعمالِ اللّفظِ في الكتابِ والسُّنّة، كقولِه تعالى: «وكَرَّهَ اليكمُ الكفرَ والفُسوقَ والعصيان»، وقولِه في سورةِ الاِسراء بعد النّهيِ عن مثلِ الزّنا وقتلِ الاولادِ واكلِ مالِ اليتيم ونحوِ ذلك: «كل ذلك كان سيِّئه عند ربّك مكروهاً»، ونحو ذلك. وحينئذٍ فاذا دلّ دليلٌ على كونِ عملٍ مكروهاً للشّارعِ المقدّس فلايجوزُ ارتكابُه الّا اذا ورد دليلٌ على الترخيصِ فيه، نظيرَ ما ذكرُوه في بابِ النّهي».

٢ ـ الوسائل ١٢/ ٣١٣.

٣ ـ الكافي ٥ / ١٦٥ ـ حُمِلَ على ما إذا كان بقدرِ حاجةِ النّاس ـ (تعاليق «الكافي»).

٤ ـ وكذلك اشياء أُخَر؛ راجع: الحديث ٢، في الصُّلب.

احتكارُهما في هذه البلاد ولايجوز احتكارُ مثلِ الزّبيب او الزّيتِ فيها؟ وهل تكونُ حاجتُهم الى الاَرُزِ او الذّرّةِ اقلَّ من حاجتِهم الى الزّبيب؟».

ط ـ «بل وربما تكونُ حاجةُ النّاسِ الى بعضِ الاشياءِ من غيرِ الاقواتِ ايضاً، في زمانٍ او بلدٍ خاصٍّ، اشدَّ بمراتبَ من حاجتِهم الى مثلِ الزّيتِ والزّبيب، كما اذا شاعَ مرضٌ في منطقةٍ خاصّة واشتدَّت حاجةُ النّاسِ الى دواءٍ خاصٍّ يتوقّفُ عليه حفظُ حياتِهم او سلامتِهم، فاحتكره بعضُ الصّيادلة. او وقعت الحُكرةُ في جميعِ الالبسةِ الصّيفيّةِ والشّتويّةِ وموادِّها الاوّليّة، او في مثلِ الوَقودِ والمياه والاراضي[1] ونحوِها، ووقع النّاسُ في ضيقٍ شديدٍ لذلك. وقد اوضح اميرُ المؤمنين «ع» في كتابِه الى مالك ما هو الملاكُ في المنعِ من الاحتكار، فقال في شأنِ التّجّار: "واعلَم ـ مع ذلك ـ اَنّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع و تحكُّماً في البياعات. وذلك بابُ مضرّةٍ للعامّة، وعيبٌ على الوُلاة، فامنَع من الاحتكار". ولم يَذكر «ع» الاشياءَ الخاصّةَ ولا الاقواتَ مع كونِه في مقامِ البيان».

ي ـ «وبالجملة، ليست احكامُ الشّريعةِ الاسلاميّة جزافيّةً، بلاملاك، بل شُرِّعَت على اساسِ المصالحِ والمفاسد، وليست ايضاً لزمانٍ خاصٍّ او مكانٍ خاصّ، بل شُرِّعَت لكافّةِ النّاس في جميعِ البُلدان الى يومِ القيامة. وحاجاتُ النّاسِ وضروريّاتُ معاشِهم تختلفُ بحسبِ الازمنةِ والحالاتِ والظّروف، واطلاقاتُ الرّواياتِ الكثيرةِ النّاهيةِ عن مطلقِ الحُكرةِ تَشمُلُ الجميع. ومناسبةُ الحكمِ والموضوعِ وملاحظةُ الملاكِ ايضاً تقتضيان الاخذَ بالاطلاق. والاخبارُ الحاصرةُ ايضاً بنفسِهامختلفة، فتَرى الزّيتَ مذكوراً فيمارُوي عن النبيّ «ص» ولم يُذكَر فيما روي عن

---

١ ـ أمعِنِ النّظرَ في هذه الكلمة (الاراضى)، حيث يجعلُها المؤلّف من «موضوعاتِ الاحتكار»، وهو الحقّ.

امير المؤمنين «ع»، وترى الملحَ مذكوراً في كلامِ الشّيخ ومن بعدَه ولم يُذكَر في كلامِ من قبلَه ولا في الرّوايات . فَاحْدُس من جميعِ ذلك عدمَ انحصارِ الاحتكارِ المحرَّمِ في اشياءَ خاصّة»[1].

وممّا يُؤَيِّدُ التّعميم، هو «العمومُ» المستفادُ من صريحِ كلمةِ «المنافع»، الواردةِ في العهدِ الأشتريِّ (واحتكاراً للمنافع)؛ فالحُكرةُ تَشمُلُ كُلَّ ما يَنفَعُ النّاسَ في حاجيّاتِهِمُ المعيشيّة، في مختلِفِ الفصولِ والأوساطِ والقُرى والأمصار؛ فالأخبارُ المُعَدِّدةُ تُحمَلُ على ذكرِ المثالِ لابيانِ الحصر.

تنـــبيه

ولا يذهب على الباحث، اَنّ شيخَنا النّجفيّ صاحبَ «الجواهر» يَميلُ أيضاً إلى التّحريم والتّعميم؛ امّا التّحريمُ فبملاكاتٍ أُخر، كقصدِ الإضرارِ بالمسلمين، او شِراءِ جميعِ الطّعامِ وتسعيرِه بمايشاء، او تسبيبِه للغلاء، او اطباقِ المعظمِ عليه على وجهٍ يحصُلُ الغَلاءُ والإضرار، وما الى ذلك[2].

وامّا التّعميمُ فقد قال : «بل هو كذلك في كلِّ حبسٍ لكلِّ ماتحتاجُه النّفوسُ المحترمةُ ويضطرّون اليه ولا مندوحةَ لهم عنه، من مأكولٍ او مشروبٍ اوملبوسٍ او غيرِها، من غيرِ تقييدٍ بزمانٍ دون زمان، ولا اعيانٍ دون اعيان، ولا انتقالٍ بعقد، ولا تحديدٍ بحدٍّ، بعدَ فرضِ حصولِ الاضطرار . بل الظّاهرُ تسعيرُه حينئذٍ بما يكون مقدوراً للطّالبين، اذا تجاوَزَ الحدَّ في الثّمن . بل لا يَبعُدُ حرمةُ قصدِ الإضطرارِ بحصولِ الغَلاءِ ولو مع عدمِ حاجةِ النّاسِ ووفورِ الاشياء، بل قديُقال بالتّحريمِ بمجرّدِ قصدِ

---

١ ـ الاحتكار والتّسعير / ١١ ـ ١٢، ١٤، ١٨، ٣٥، ٤٠، ٤٤ ـ ٤٦.

٢ ـ الجواهر ٢٢ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.

الغَلاء وحبِّه وان لم يَقصُدِ الاِضرار .ويمكن تنزيلُ القولِ بالتّحريمِ على بعضِ ذلك»[1].

ثم تأمَّلْ في كلامِ هذا الفقيه الكبير، حيث لا يكتفي بتسويغِ «التّسعيرِ» فقط، بل يُحدِّدُه بما كان مقدوراً للطّالبين . هكذا فليَكُن وعيُ الفقيهِ الاسلاميّ، في رعايةِ جانبِ الضّعفاءِ والجماهير، ومقاطعةِ المستكبرين الاقتصاديّين ومُيولِهم .

ايقاظ

لقد سلف ان قلنا ـ تبعاً للنّصوصِ القرآنيّةِ والتّعاليم الحديثيّة ـ اَنّ القسطَ واقامتَه في النّاس، هو المقياسُ الرّئيسيُّ الوحيدُ لكلِّ حكمٍ ورأيٍ وفتوى واتِّجاه في الاسلام؛ فكلّ ما قَصُرَ عنه او طاوَلَه فهو مرفوض .

واذا نظر ايُّ ناظرٍ الى الموضوع بمنظارِ القسطِ وارسائه في الجماهير، فلا يبقى له ايُّ ترديدٍ في هذه المسائل الخمسة :

١ ـ حرمةُ الاحتكار .

٢ ـ تعميمُه لكلِّ ما تحتاجُ اليه النّفوس .

٣ ـ لزومُ اجبارِ المحتكرِ على البيع .

٤ ـ لزومُ التّسعيرِ عند التّضخُّمِ والاجحاف .

٥ ـ تحديدُ الثّمنِ بما يكون مقدوراً للطّالبين .

ـ على حدّ قولِ شيخنا صاحب «الجواهر» ـ في صورٍ لا تُؤدِّي الى ظلمٍ بالنّسبةِ الى مالكٍ أو بائع .

---

١ ـ الجواهر ٢٢ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.

الفصلُ السّادس عشر

الإنفـــاق (١)

ـ نظرة عامّة

ألا ! إنّ الإنفـاقَ من أهـمِّ الاصولِ التّعليميّةِ والتّربَويّة، في سياسةِ الاسلامِ الاجتماعيّةِ ومذهبِه الاقتصاديّ . اِنّه اصلٌ جذريٌّ هامٌّ مستوعبٌ لجوانبِ الحياةِ الانسانيّة، هدّامٌ لقواعدِ التّكاثرِ والاِتراف، بنّاءٌ لحياةٍ زاخرةٍ بالقِيَم، ملئيةٍ بالانسانيّةِ والفضيلة، متماسكةٍ بالنُّضجِ والقوامِ للجماهير .

والمقصودُ بالانفاقِ هو بَذلُ المال وعدمُ امساكِه، وتصييرُه دائراً بين النّاس، ودفعُه للآخرين ممّن يحتاجون اليه، لمقاصدَ صالحةٍ مختلفة، وللمُنظَّماتِ المفيدةِ لشتّى الغاياتِ الصّالحة .

ويَتبَلْوَرُ من إمعانِ النّظرِ في الآياتِ القرآنيّة والاحاديثِ الاسلاميّة، اهميّةُ هذا الاصلِ الجذريِّ، وعمقُه الشّاسع، ودَورُه الصّامد، وطابعُه الحياتيُّ القويم، وتأثيرُه الاقتصاديُّ المُطَوِّر . ويَتَّضحُ كذلك اَنّه من اعظمِ التّكاليفِ الاسلاميّةِ والاصول العمليّة، واعمقِها اثراً وابعدِها مَدًى .

ونحن عَقَدْنا عَشَرَةَ فصولٍ ، للانفاقِ في هذا الباب، وسَنَأْتي ضمنَ عناوينِها، بآياتِ الكتابِ السّماويّ، واحاديثِ النّبيِّ «ص» و

ـ اوصيائه الهادين «ع»، لكي نُلْقِيَ ضوءاً على مقدارِ ما لهذا الاصلِ العظيمِ العمليِّ المُطَوِّرِ من الاهميّة، في حقولِ الحياةِ الاسلاميّةِ عامّة، وفي اَبعادِ الانسانيّةِ والحركةِ والتّقدُّمِ والابلاغِ والتّطويرِ كافّة، فالى المُلتقىٰ:

أ ـ الإنفاق، مبنى واصل

الكتـــاب

١ وَاَنفِقُوا في سبيلِ الله ولا تُلْقُوا بأَيديكُم الى التَّهلُكَة، واَحْسِنُوا، اِنّ اللّهَ يُحِبُّ المُحسِنين *[١]

٢ يا اَيُّها الَّذين آمَنوا، اَنفِقُوا ممّا رَزَقْناكُم ..[٢]

٣ يا اَيُّها الَّذين آمَنوا، انفِقُوا من طيِّباتِ ماكَسَبتُم وممّا اَخرَجْنا لكُم من الارض ..[٣]

٤ وَاَنفِقُوا ممّا رَزَقْناكُم من قبلِ اَن يَأْتِيَ احدَكُمُ الموتُ ..[٤]

٥ .. وَاَنفِقُوا خيرًا لاَنفُسِكُم ..[٥]

---

١ ـ سورة البقرة (٢): ١٩٥.

٢ ـ سورة البقرة (٢): ٢٥٤.

٣ ـ سورة البقرة (٢): ٢٦٧.

٤ ـ سورة المنافقون (٦٣): ١٠.

٥ ـ سورة التّغابن (٦٤): ١٦.

الحديـث

١ النبـي «ص»: لم نُبْعَث لجمعِ المالِ ولكن بُعِثْنا لِانفاقِه.[١]

٢ النبـي «ص»: ما أُوحِيَ اِلَيَّ اَنِ اجْمَعِ المالَ..[٢]

٣ النبـي «ص»: طُوبىٰ لمَن اَنفَقَ فَضَلاتِ مالِه..[٣]

٤ النبـي «ص» ـ قامَ رجلٌ الى رسولِ الله «ص» فقال: يا رسولَ الله! ما لي لا اُحِبُّ الموت؟ قال: «اَلَكَ مالٌ؟» قال: نعم. قال: «فقَدِّمْه!». قال: لا اَستَطيع. قال: «فاِنّ قلبَ الرّجلِ مع مالِه، اِن قَدَّمَه اَحَبَّ اَن يَلْحَقَ به، واِن اَخَّرَه اَحَبَّ اَن يَتَأَخَّرَ معه»[٤].

٥ الامام علي «ع»: اَمْسِكِ المالَ بقدرِ ضرورتِك، وقَدِّمِ الفضلَ ليومِ حاجتِك.[٥]

٦ الامام علي «ع»: كُنْ جواداً مُؤْثِراً، او مقتصداً مُقدِّراً، وايّاك والثّالثَ.[٦]

٧ الامام علي «ع»: من الواجبِ على الغنيِّ اَن لا يَضُنَّ على الفقيرِ بمالِه.[٧]

٨ الامام الباقر «ع» ـ في قولِه: «وَالّذين يَكْنِزُونَ الذّهَب..»: فاِنّ اللّهَ حرَّمَ كَنْزَ الذّهبِ والفِضّة، وامر بانفاقِه في سبيلِ الله..[٨]

---

١ ـ مشكاة الانوار / ١٨٣.

٢ ـ البحار ٧٢ / ٤٧، عن «روضة الواعظين».

٣ ـ البحار ٧١ / ٢٨٧.

٤ ـ مجمع البيان ٨ / ٤٠٧.

٥ ـ نهج البلاغة / ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

٦ ـ غرر الحكم / ٢٤٦.

٧ ـ غرر الحكم / ٣٠٤.

٨ ـ تفسير القمي ١ / ٢٨٩.

٩ الامام الباقر «ع» : يا ابنَ اَرْطاة! كيف تَواسيكُم؟ قلت : صالحٌ يا اباجعفر! قال : «يَدخُلُ احدُكم يدَه في كيسِ اخيه فيَأْخُذُ حاجتَه اذَا احْتاجَ اليه؟» قلت : امّا هذا فلا، فقال : «لو فَعَلْتُم مَا احْتَجْتُم».[١]

١٠ الامام الصادق «ع» : المؤمنُ من .. اَنْفَقَ الفضلَ من مالِه ..[٢]

ب ـ الإنفاق، من اركان الايمان

الكتـــاب

١ اِنَّما المؤمنون الّذين اِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهم، واذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهُم ايماناً، وعلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُون * الَّذين يُقيمُونَ الصَّلاةَ وممّا رَزَقْناهم يُنفِقُون *[٣]

* تَعُدُّ الآيتان للايمان خمسةَ اركان، فتَقولان بكلمةِ الحصر :

اِنّما المومنون الّذين :

١ ـ اذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم ،

٢ ـ واِذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهُم ايماناً ؛

٣ ـ وعلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُون ؛

٤ ـ الّذين يُقيمُونَ الصّلاة ؛

٥ ـ وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون .

---

١ ـ البحار ٧٨ / ١٨٥، عن «كشف الغُمّة».

٢ ـ الوسائل ١١ / ١٤٧.

٣ ـ سورة الانفال (٨) : ٣ ـ ٤.

الحديـث

١ الامام السجاد «ع»: .. اِنّ من اخلاقِ المؤمنِ الانفاق، على قدرِ الاِقتار.[١]

٢ الامام الصادق «ع»: المؤمنُ مَن .. اَنفَقَ الفضلَ من مالِه.[٢]

٣ الامام الصادق «ع»: يا ابنَ جُندَب! اِنّما شيعتُنا يُعرَفُون بخصالٍ شتّي: بالسّخاءِ والبذلِ للاِخوان ..[٣]

ج ـ الإنفاق، من دعائم الحياة الاجتماعيّة و بقائها

الكتـاب

١ ها اَنتُم هؤلاءِ تُدعَون لِتُنفِقُوا في سبيلِ الله، فمِنكُم مَن يَبخَلُ ومَن يَبخَلْ فاِنّما يبخلُ عن نفسِه، واللّهُ الغنيُّ وانتُمُ الفقراء، واِن تَتَوَلَّوا يَستَبْدِلْ قوماً غيرَكُم، ثمّ لايَكُونُوا امثالَكُم *[٤]

الحديـث

---

١ ـ البحار ٧٨ / ١٤٠.

٢ ـ الوسائل ١١ / ١٤٧.

٣ ـ البحار ٧٨ / ٢٨١.

٤ ـ سورة محمد «ص» (٤٧): ٣٨.

١ الامام السجاد «ع»: .. الذُّنوبُ الّتي تَحبِسُ غَيْثَ السّماء: جورُ الحُكّام في القضاء .. ومنعُ الزّكاةِ والقرضِ والماعون، وقَساوةُ القلبِ على اهلِ الفقرِ والفاقة، وظلمُ اليتيمِ والاَرْمَلَة، وانتِهارُ السّائلِ وردُّه باللّيل.[١]

د ـ الإنفاق، زينة اليقين

٢ النبـــي «ص»: بذلُ الموجود زينة اليقين.[٢]

هـ ـ الإنفاق، اعظم نعمة

٣ الامام علي «ع»: إنّ انفاقَ هذا المالِ في طاعةِ الله، اعظمُ نعمة.[٣]

* نجيءُ بالنّظرة الى فصول الانفاق، آخرَ فصولِه العَشَرة، وهو الفصلُ الخامسُ والعشرون، في الجزء السّادس، فلاحظ.

---

١ ـ البحار ٧٣ / ٣٧٦، عن «معاني الاخبار».

٢ ـ البحار ٧٧ / ١٣١.

٣ ـ غرر الحكم / ١٠١.

الفصلُ السّابع عشر

الإنفـــاق (٢)

- عظمته وأهميّته

أ ـ رديف الايمان بالغيب

الكتـــاب

١ الَّذين يُؤْمِنُون بالغيبِ، ويُقيمُونَ الصَّلاةَ، وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون *[١]

ب ـ رديف اقامة الصّلاة

الكتـــاب

١ والَّذين صَبَرُوا ابْتِغاءَ وجهِ رَبِّهم، واَقامُوا الصَّلاة، واَنفَقُوا ممّا رَزَقْناهُم ..[٢]

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٣.

٢ ـ سورة الرّعد (١٣) : ٢٢.

٢ قُل لِعبادِيَ الّذين آمَنُوا : يُقيمُوا الصَّلاة ويُنفِقُوا ممّا رَزَقْناهُم ..[١]

ج ـ رديف القتال في سبيل الله والجهاد بالنفس

الكتـــاب

١ وقاتِلُوهُم حتى لا تَكونَ فتنةٌ، ويَكونَ الدّينُ لِلّه .. وأَنفِقُوا في سبيلِ الله ..[٢]

* قال الطّبرسيّ : «لمّا أَوجَبَ اللّهُ سبحانه، القتالَ في سبيلِ الله عَقَّبَه بذكرِ الانفاق فيه فقالَ : ''وَأَنفِقُوا في سبيلِ الله''، مع اه : وأَنفِقُوا من اموالِكُم في الجِهاد وطريقِ الدّين؛ وكلُّ ما امر اللّهُ به من الخيرِ وابوابِ البِرِّ فهو سبيلُ الله، لأنّ السّبيلَ هو الطّريقُ الى اللّهِ والى رحمةِ الله وثوابِه، الّا انّه كَثُرَ استعمالُه في الجِهاد، لأنّ الجودَ بالنّفسِ أَقصَى غايةِ الجود . والجِهادُ هو الامرُ الّذي يُخاطَرُ فيه بالرُّوحِ فكانت له مزيّةٌ»[٣].

٢ اِنْفِرُوا خِفافاً وثِقالاً، وجاهِدُوا باموالِكُم وانفُسِكُم في سبيلِ الله ..[٤]

* قال الطّبرسيّ : «وهذا يَدُلُّ على أَنّ الجِهادَ بالنّفسِ

---

١ ـ سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ١٩٣ و ١٩٥.

٣ ـ مجمع البيان ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٤ ـ سورة التوبه (٩) : ٤١.

والمالِ واجبٌ على منِ اسْتَطاعَ بهما. ومن لم يَستَطِعْ على الوجهين فعليه اَن يُجاهِدَ بمَا اسْتَطاع».[١]

الحديـث

١ الامام علي «ع»: .. الله! الله! في الجِهادِ باموالِكُم وانفُسِكُم وَالْسِنَتِكُم في سبيلِ الله ..[٢]

* وممّا ينبغي اَن يَتَذَكَّرَه الملتزمون من المؤمنين، اَنّ الجِهادَ بالاموالِ والانفُسِ لا يكونُ جِهاداً مشكوراً عندَالله سبحانه، الّا اذا كانَ للّهِ وفي سبيلِ الله. واذا كان للّهِ ووَقَعَ لله، فلايُمكنُ اَن يَمُنَّ به صاحبُه على الاسلامِ والمسلمين، لأنّ اللّهَ يقولُ: «يَمُنُّون عليكَ اَن اَسْلَمُوا، قُل: لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكُم، بلِ اللّهُ يَمُنُّ عليكُم اَن هَداكُم للايمان، اِن كُنتُم صادقين * اِنّ اللّهَ يَعلَمُ غيبَ السّماواتِ والارضِ، واللّهُ بصيرٌ بما تَعمَلُون *»[٣]. فعالِمُ غيبِ السّماواتِ والارض، البصيرُ بما يَعمَلُه النّاس، يَعلَمُ ما اَنفَقْتُم في سبيلِه، فهو يَجزيكُم به، فلا تَمُنُّوا به على الدّينِ واهلِه، ولا تَطْلُبوا به جاهاً او نفوذاً، او تبديلَ حكمٍ، او تغييرَ قانونٍ، للبُلوغِ الى غاياتٍ لا يَرضى عنها اللّهُ و الرّسول «ص».

ولقد اخبر النّبيُّ «ص» عن قومٍ من الاغنياء يَمُنُّون بدينِهم

---

١ ـ مجمع البيان ٥ / ٣٣.

٢ ـ نهج البلاغة ٩٧٨؛ عبده ٣ / ٨٦.

٣ ـ سورة الحُجُرات (٤٩): ١٧ ـ ١٨.

على الله، ويَستَحِلُّون المُحرَّمات، فقال فيما رواه الامام اميرُ المؤمنين : «يا عليُّ ! اِنّ القومَ سيُفْتَنُون بعدي باموالِهم، ويَمُنُّون بدينِهم على رَبِّهم، ويَتَمَنَّون رحمتَه، ويَأْمَنُون سطوتَه، ويَستَحِلُّون حرامَه بالشُّبُهاتِ الكاذبة، والاهواءِ السّاهية، فيَستَحِلُّون الخمرَ بالنَّبيذ، والسُّحْتَ بالهديّة، والرِّبا بالبيع».[1]

ولعلّ الايّامَ عِوَجٌ رواجِع، وكأنّ الزّمانَ يَرعَفُ في الطّالعين بما رَعَفَ به في الغابرين . فكم من اُناسٍ هناك يَمُنُّون باموالٍ دَفَعُوها للنّفقاتِ الدّينيّةِ على اللّهِ وعلى دينِ اللّهِ واهلِه . وفي حين اَنّهم يَتَمَنَّون رحمةَ الله ـ كما قاله النّبيُّ «ص» ـ يَأْمَنُون سطوتَه، فيَستَغِلُّـــواالنّاس، ويُثـــيروا العراقيلَ في سبيل اَيّةِ دعوةٍ او فكرٍ يمكنُ اَن تَنتَهي الى احقاقِ حقٍّ محرومٍ او اجير، ويَستَحِلُّو احرامَ اللّهِ بالشُّبُهاتِ الكاذبةِ والاهواءِ السّاهية . و ممّا وصفهم به النّبيُّ «ص»، يُعلَمُ اَنّهم همُ المستور دون واهلُ الاسواقِ واصحابُ المعاملِ الكبيرةِ والاِقطاعيّون من المتكاثرين واصحابِ الاموال، فتَأَمّلْ في الحديثِ النّبويِّ المصدر، العلويِّ المأخذ، حتى تَرى العجبَ العُجاب، حيث اَخبَرَ «ص» في سالفِ الزّمان، عن اشياء تَقَعُ من اصحابِ الاوصافِ المذكورة، كلَّ يومٍ وفي كلِّ مكان!

د ـ رديف السّهر لصلاة اللّيل والتّجافي عن المضاجع

الكتـــاب

---

١ ـ نهج البلاغة / ٤٩١؛ عبده ٢ / ٦٥.

١ تَتَجَـافى جُنوبُهم عن المضاجع، يَدعُون رَبَّهم خوفاً وطمعاً، وممّا رَزَقناهُم يُنفِقُون* فلا تَعْلَمُ نفسٌ ما أُخْفِي لهم مِن قُرَّةِ اَعْيُنٍ، جزاءً بماكانُوا يَعمَلُون*[١]

* لعلّ القارئ لا يخفى عليه امران من مغازي هاتين الآيتين:
١ ـ سموُّ وصفِ الانفاق، حيث جاءَ رديفاً للتّجـافي عنِ المضاجعِ ودعوةِ الرّبِّ تعالى، خوفاً وطمعاً.
٢ ـ سموُّ اجرِ الانفاق، حيث عُدَّ ممّا لا تَصِلُ اليه فكرةُ انسان.

هـ ـ رديف الصّبر والقنوت والاستغفار بالاسحار

الكتـاب

١ الصّابرينَ والصّادقينَ والقانتينَ والمُنفِقينَ والمُستغفِرينَ بالاَسحار*[٢]

* لا يَذهَبْ على الباحثِ الوقوفُ على تلك النُّكتَةِ الهامّةِ الّتي جاءت في الآيةِ الكريمة بحقِّ «المُنفِقين»، حيث قُدِّمُوا في الذِّكرِ على «المُستغفِرين بالاَسحار»، مع ما للمستغفرين بالاَسحار، من زُلْفىٰ وتقرُّبٍ وأُجورٍ ودرجات.

---

١ ـ سورة السَّجدة (٣٢): ١٦ ـ ١٧.

٢ ـ سورة آل عمران (٣): ١٧.

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : مـا بَـلَا اللّهُ العبادَ بشيءٍ اَشدَّ عليهم، من اِخراجِ الدّراهم .[١]

* في هذا التّعليمِ الصّادقيِّ ايضاً نكتةٌ هامّة، وهي اَنّ الانفاقَ من اشدِّ ما بَلَا اللّهُ النّاسَ به، فعلى المنفقِ اَن يكونَ صابراً في الامر، صادقاً في المُعتَقَد، مؤمناً بالخَلَف، حتى يَتَوَفَّرَ على الانفاقِ في سبيلِ الله بسهولةٍ وسماحة، غيرَ مانٍّ به على احدٍ حتى يَحظىٰ باجرٍ خالصٍ جزيل .

و ـ رديف النّصح لله وللرسول «ص»

الكتـــاب

١ ليسَ على الضُّعفاءِ ولا على المَرضىٰ ولا على الَّذينَ لا يَجِدُون ما يُنفِقُون حَرَجٌ اذا نَصَحُوا للّهِ ورسولِه .[٢]

ز ـ رديف الاستجابة للربِّ تعالى

---

١ ـ الخصال / ٨ .

٢ ـ سورة التوبة (٩) : ٩١.

الكتـاب

١ وَالَّذينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهم، واَقامُوا الصَّلاةَ، واَمرُهُم شُورىٰ بينَهم، وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون *[١]

ح ـ احد ملاكات الايمان الحقّ

الكتـاب

١ ..وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون * اولئك هُمُ المؤمنون حقّاً ..[٢]

ط ـ من علائم الصّدق والالتزام

الكتـاب

١ إِنَّما المؤمنونَ الَّذين آمَنوا باللّهِ ورسولِه، ثم لم يَرْتابُوا، وجاهَدُوا باموالِهم وانفُسِهم في سبيلِ اللّهِ، اولئك هُمُ الصّادقُون *[٣]

---

١ ـ سورة الشورى (٤٢) : ٣٨.

٢ ـ سورة الانفال (٨) : ٣ ـ ٤.

٣ ـ سورة الحُجُرات (٤٩) : ١٥.

ي ـ من سمات المتقين

الكتـــاب

١ .. هدًى للمُتَّقين * الَّذين يُؤْمِنُون بالغيب .. وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون *[١]

٢ وسارِعُوا الى مغفرةٍ من ربِّكُم وجنَّةٍ عرضُهَا السَّماواتُ الارض، أُعِدَّتْ للمُتَّقين * الَّذين يُنفِقُون في السَّرّاءِ والضَّرّاء ..[٢]

* قال الطّبرسيّ : «.. فاوّلُ ما عَدَّدَ اللّهُ من اخلاقِ اهلِ الجنّةِ السّخاء . وممّا يُؤَيِّدُ ذلك من الاخبارِ ما رواه اَنَسُ بنُ مالكٍ عن النّبيِّ «ص» انّه قال : ''السّخاءُ شجرةٌ في الجنّة، اَغصانُها في الدّنيا، فمن تَعَلَّقَ بغُصنٍ من اَغصانِها قادَتْه الى الجنّة . والبُخلُ شجرةٌ في النّار، اغصانُها في الدّنيا، فمن تَعَلَّقَ بغُصنٍ من اغصانِها قادَتْه الى النّار''. وقال عليٌّ «ع» : ''الجنّةُ دارُ الاَسخِياء''. وقال «ع» : ''السّخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنّة، قريبٌ من النّاس، بعيدٌ من النّار . والبخيلُ (بعيدٌ من الله)، بعيدٌ من الجنّـــة، بعيدٌ من النّاس، قريبٌ من النّار''»[٣].

يا ـ درجات ومغفرة و رزق كريم

---

١ ـ سورة البقرة (٢) : ٢ ـ ٣.

٢ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ ـ ١٣٤ .

٣ ـ مجمع البيان ٢ / ٥٠٥.

الكتـاب

١ الَّذين يُقيمُون الصّلاة وممّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون * اولئك هُمُ المؤمنون حقّاً، لَهُم درجاتٌ عندَ رَبِّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم *[١]

يب ـ النّجاة من الخوف والحزن اللّازمين للانسان في احواله الآتيـة

الكتـاب

١ الَّذين يُنفِقُون اموالَهم باللَّيلِ والنَّهارِ، سرّاً وعلانيَّة، فلَهُم اَجرُهم عندَ رَبِّهم ولاخوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُون *[٢]

---

١ ـ سورة الانفال (٨) : ٣ ـ ٤.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.

الفصلُ الثّامن عشر

الإنفـــاق (٣)

ـ آثاره الخالدة

أ ـ مكتوب عندالله محسوب

الكتـــاب

١ ولا يُنفِقُون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يَقطَعُون وادياً الاّ كُتِبَ لهم، لِيَجزِيَهُمُ اللّهُ اَحسنَ ما كانُوا يَعمَلُون *[١]

* قال الشّيخُ الطّبرسيّ : «اي : ولا يُنفِقُون في الجِهاد ولا في غيرِه من سُبُلِ الخيرِ والمعروفِ نفقةً قليلةً ولا كثيرة، يُريدون بذلك إعزازَ دينِ اللّهِ ونفعَ المسلمين والتَّقرُّبَ بذلك الى الله»[٢]. وإنّ من واجبِ المتكاثرين من الاغنياءِ اليوم، اَن يَدفَعُوا فضلَ أمـــوالهم.[٣]

---

١ ـ سورة التوبة (٩) : ١٢١.

٢ ـ مجمع البيان ٥ / ٨٢.

٣ ـ نقول : «اموالَهم»، على حسبِ العرفِ والمصطلح، والاّ فانّ تلك الاموالَ الباهظة لا تَحصُلُ ولا تَتَكَدَّسُ من حلال ـ بحسَبِ القرآن والحديث، كما مرّ ـ فهي ليست كلُّها باموالِهم واقعاً.

ـ وهو كثيرٌ باهظ ـ لإعزازِ دينِ اللّهِ ونفعِ المسلمين في شتى الاغراض، ولا سيمّا المحتاجين منهم . وإن لم يَفعَلُوا ذلك يَقْضُوا على عِزَّةِ الدّينِ وكيانِ المسلمين.[١] فعلى الحكمِ الاسلاميِّ وعلماءِ الدّينِ اَن يَهتَمُّوا بهذا الامر، واَن يُوَعُّوا الجماهيرَ ويُوقِظُوهم الى ذلك الجانب، قبلَ اَن يَخرُجَ الامرُ من ايديهم؛ فإنّ اللّهَ تعالى، لا يُحِبُّ المؤمنَ الواهيَ عزمُه، الموهونَ دينُه .

ب ـ إخلاف الله له

الكتـــاب

١ .. وما اَنفَقْتُم من شيءٍ فهو يُخلِفُه، وهو خيرُ الرّازقين *[٢]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» : يُنادي منادٍ كلَّ ليلة: ..اللّهُمَّ هَب للمُنفِقِ خَلَفاً؛ ويُنادي منادٍ : اللّهُمَّ هَب للمُمسِكِ تَلَفاً ..[٣]

---

١ ـ ولعلّ في النّاسِ من الاغنياء والمتكاثرين او مدافعيهم ومُخالطيهم، من يَستَثقِلُ هذا الكلام، فلاجلِ ذلك نُشيرُ الى قول النّبيّ «ص» فيما رواه الامامُ الصّادق «ع»، عن آبائه، عنه «ص» : «ما مَحَقَ الاسلامَ مَحْقَ الشُّحِّ شيء» ـ (تفسير البرهان ٤ / ٣٤٤).

٢ ـ سورة سَبَأ (٣٤) : ٣٩.

٣ ـ مجمع البيان ٨ / ٣٩٤.

٢ النبـــي «ص» : كلُّ معروفٍ صدقة . وما وَقَى الرَّجلُ به عِرضَه فهو صدقة . وما اَنفَقَ المؤمنُ من نفقةٍ فعلى اللّهِ خَلَفُها ضامناً، اِلّا ما كان من نفقةٍ في بُنيانٍ او معصية .[١]

* فاِذَا اسْتَثْنَى النّبيُّ «ص» نفقاتِ البُنيانِ من اِخلافِ اللّهِ تعالى لها، فعلى اصحابِ الابنيةِ العظيمة، والقصورِ الشّاهقة، والبيوتِ الكبيرة والفسيحة، اَن يُنفِقُوها بنفسِها على المستضعفين والفقراء والمحرومين ـ ولا سيَّما المقاديرِ الزّائدةِ والفاضلةِ منها، وهي كثيرةٌ وكثيرة ـ حتى يُخلِفَها اللّهُ لهم، فتَبقىٰ ذُخْراً مذخوراً؛ واِلّا فلا تُعَقِّبُ لهم اِلّا استبدالاً في الدُّنيا وخِزْياً في العُقبىٰ .

ج ـ أجور مضاعفة

الكتـــاب

١ ومَثَلُ الّذين يُنفِقُون اموالَهُم ابْتِغاءَ مرضاتِ الله وتَثبيتاً من اَنفُسِهم، كمثَلِ جَنّةٍ برَبْوَةٍ اصابَها وابلٌ فآتَتْ اُكُلَها ضِعْفَين، فاِن لَم يُصِبْها وابلٌ فطَلٌّ، واللّهُ بما تَعمَلُون بصير *[٢]

٢ مَثَلُ الّذين يُنفِقُون اَموالَهم في سبيلِ الله، كمثَلِ حبّةٍ اَنْبَتَتْ سبعَ سَنابِلَ، في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ، واللّهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشاء، واللّهُ واسعٌ عليم *[٣]

---

١ ـ مجمع البيان ٨ / ٣٩٤ .

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٦٥.

٣ ـ سورة البقرة (٢) ٢٦١.

* قال في التّفسير: «سبيلُ اللّهِ هو الجِهادُ وغيرُه من ابوابِ البِرِّ كلِّها .. فالآيةُ عامّةٌ في النّفقةِ في جميعِ ذلك. وهو المرويُّ عن ابي عبدِالله «ع». و "كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ"، اي: اَخْرَجَت، "سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ" يعني: انّ النّفقَةَ في سبيلِ الله بسبعِ مِئَةِ ضِعْفٍ».[1]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامام الصادق: .. ومَن بَسَطَ يدَه بالمعروف اذا وَجَدَه، يُخلِفُ الله له ما انفق في دنياه، ويُضاعِفُ له في آخرتِه ..[2]

٢ الامام الباقر «ع»: .. وَيْحَكَ يا مغرور! الا تَحمَدُ مَن تُعطيه فانياً ويُعطيك باقياً، درهمٌ يَفنىٰ بعشرةٍ تَبقىٰ، الى سبعِ مئةِ ضعفٍ مُضاعَفَةٍ، من جوادٍ كريم ..[3]

٣ الامام الصادق «ع» ـ في تفسيرِ قولِه تعالى: «فآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَين»: معناه يَتَضاعَفُ اجرُ مَن اَنفَقَ مالَهُ ابْتِغاءَ مرضاةِ الله.[4]

د ـ شكران للنّعمة

---

١ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٧٤.

٢ ـ الكافي ٢ / ١٥٤.

٣ ـ تحف العقول / ٢١١؛ و ٢٩١، من طبعةِ الغفّاريّ.

٤ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٧٨.

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : لا يُحرِزُ الشّكرَ اِلاّ مَن بَذَلَ مالَه .[١]

هـ ـ عمل لنفسك

الكتـــاب

١ .. وما تُنفِقُوا من خيرٍ فلِاَنفُسِكُم ..[٢]

٢ .. وَاَنفِقُوا خيراً لِاَ نفُسِكُم ..[٣]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : اهلُ المعروفِ الى اصطناعِه اَحوَجُ من اهلِ الحاجةِ اليه، لاَنّ لهُم اجرَه وفخرَه وذكرَه؛ فمهمَا اصْطَنَعَ الرّجلُ من معروفٍ، فاِنّما يَبْدَأُ فيه بنفسِه، فلا يَطْلُبَنَّ شكرَ ما صَنَعَ الى نفسِه من غيرِه .[٤]

---

١ ـ غرر الحكم / ٣٤٩.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٢.

٣ ـ سورة التّغابن (٦٤) : ١٦.

٤ ـ البحار ٧٨ / ٧٩.

* انظُر الى هذا التّعليم! كيف يَبعَثُ الانسانَ على اداءِ المعروفِ والخير، ويُسَهِّلُه عليه، ويُرهِفُ الاحساسَ المتعالىَ فيه، با شراقتِه المنيرة؛ وكيف يَصعَدُ بالانسانِ الى اوجِ الاخلاصِ من جهة، ويَدفَعُه الى الاجتنابِ الشّديدِ من المَنِّ على الآخرين عند الانفاقِ من جهةٍ اخرى، ويَحُضُّه على النّظرِ الى العاقبةِ الخالدةِ من جهةٍ ثالثة ..

انظُر اليه، كيف يَصنَعُ من الانسانِ عاملاً صالحاً نشيطاً يُقدِّمُ الخدماتِ الى الجماهير، ويَرى نفسَه احوجَ الى اصطناعِ المعروفِ من المحتاجين اليه[1] ويَتعالىٰ في النَّقاءِ الرُّوحيِّ الى حدٍّ لا يَطلُبُ شكرَ من يَصطَنِعُ عندَه معروفاً، بل لا يَرى اصطناعَه للمعروفِ الى احد، اصطناعاً الى شخصٍ آخرَ سوى نفسِه بالذّات ..

هكذا فليَكُنِ التّعليم، ان كان مِن امامِ الانسانيّةِ والفضيلة، ممّن على كلامِه مَسْحَةٌ من العلمِ الالهيّ، وفيه عَبْقَةٌ من الكلامِ النّبويّ .

٢ الامام علي «ع» : يا ابنَ آدم! كُن وصيَّ نفسِك، وَاعمَلْ في مالِك ما تُؤْثِرُ اَن يُعمَلَ فيه من بعدِك .[2]

و ـ حمل الزّاد ليوم المعاد

---

١ ـ لاحظ ايضاً : الحديث ١، من الفِقرَةِ التّالية .

٢ ـ نهج البلاغة / ١١٩٩؛ عبده ٣ / ٢٠٩.

الكتـــاب

١ .. وما تُنفِقُوا من شيءٍ في سبيلِ الله يُوَفَّ إلَيكُم وَانتُم لا تُظْلَمُون *[١]

٢ .. وما تُنفِقُوا من خيرٍ يُوَفَّ اليكُم، وَانتُم لا تُظْلَمُون *[٢]

٣ .. وما تُقَدِّمُوا لا نفُسِكُم من خيرٍ تَجدُوه عندَالله ..[٣]

٤ .. وآتُوا الزَّكاةَ وَاَقْرِضُوا اللّهَ قرضاً حسناً، وما تُقَدِّمُوا لا نفُسِكُم من خيرٍ تَجِدُوه عندَاللّهِ، هو خيراً و اعظمَ اجراً ..[٤]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : .. اذا وَجَدْتَ من اهلِ الفاقةِ من يَحمِلُ لكَ زادَك الى يومِ القيامةِ فيُوافيك به غداً حيث تَحتاجُ اليه، فَاغتنِمْه وحَمِّلْهُ ايّاه، وَاَكْثِرْ من تزويدِه وانت قادرٌ عليه، فلَعلّك تَطلُبُه فلا تَجِدُه ..[٥]

٢ الامام علي «ع» : .. اَمسِك من المالِ بقدرِ ضرورتِك، وقدِّمِ الفضلَ ليومِ حاجتِك ..[٦]

٣ الامام علي «ع» : .. فقَدِّمُوا فضلاً يَكُنْ لكُم، ولا تُؤَخِّروا كُلّاً يَكُن عليكُم ، فإنّ

---

١ ـ سورة الانفال (٨) : ٦٠.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٢.

٣ ـ سورة البقرة (٢) : ١١٠.

٤ ـ سورة المُزّمّل (٧٣) : ٢٠.

٥ ـ نهج البلاغة / ٩٢٢؛ عبده ٣ / ٥٢.

٦ ـ نهج البلاغة / ٨٧١؛ عبده ٣ / ٢٣.

المحرومَ مَن حُرِمَ خيرَ مالِه. والمغبوطَ من ثَقَّلَ بالصّدقاتِ والخيراتِ موازينَه، واَحسَنَ في الجنّةِ بها مِهادَه، وطَيَّبَ على الصِّراطِ بها مَسلَكَه.[١]

٤ الامام الحسن «ع»: .. فإنّ المؤمَن يَتَزَوَّدُ، وإنّ الكافرَ يَتَمَتَّعُ.[٢]

ز ـ تجارة لن تبور

الكتـــاب

١ إنَّ الّذينَ يَتلُونَ كتابَ اللّهِ واَقامُوا الصَّلاةَ وَانفَقُوا مما رَزَقْناهُم، سرّاً وعلانيةً، يَرجُون تِجارةً لن تَبُور *[٣]

ح ـ شرف مكارم الدّنيا ودرك فضائل الآخرة

الكتـــاب

١ والَّذينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وجهِ رَبِّهم، واَقامُوا الصَّلاةَ وَانفَقُوا ممّا رَزَقْناهُم، سرّاً وعلانية، ويَدْرَأُون بالحَسَنةِ السَّيِّئة، اولئك لَهُم عُقْبَى الدّار * جنّاتُ عدنٍ

---

١ ـ البحار ٧٣ / ٨٨، عن «امالي الصدوق».

٢ ـ البحار ٧٨ / ١١٦.

٣ ـ سورة فاطر (٣٥): ٢٩.

يَدخُلُونَها، ومَن صَلَحَ من آبائهم وأزواجِهم وذرّيّاتِهم، والملائكةُ يَدخُلون عليهم من كلِّ باب * سلامٌ عليكُم بما صَبَرتُم، فنِعْمَ عُقْبَى الدّار *[1]

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. فمَن آتاهُ اللّهُ مالاً فَلْيصِل به القَرابة، وَلْيُحْسِنْ منه الضّيافة، وَلْيَفُكَّ به الاسيرَ والعانيَ، وَلْيُعْطِ منه الفقيرَ والغارِم، وَلْيَصْبِرْ نفسَه على الحقوقِ والنّوائبِ ابْتغاءَ الثّواب، فإنّ فوزاً بهذه الخِصال شرفُ مكارِم الدّنيا، ودركُ فضائلِ الآخرة ، إن شاءالله .[2]

ط ـ لا ضرر ولا نقصان في الانفاق

١ الامام علي «ع» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق : لا يَزدادنَّ احدُكم كبراً وعِظَماً في نفسِه ونأْياً عن عشيرتِه، إن كان موسراً في المال .. ولا يَغفُلْ احدُكم عن القَرابةِ بها الخَصاصة، أن يَسُدَّها بما لا يَنفَعُه إن أمسَكَه ولا يَضُرُّه إنِ اسْتَهلَكَه .[3]

* وإذا كان المالُ لا يَنقُصُ بالإنفاق والبذل، مع ما فيه من إسداءِ الخيرِ الى الجماهير، والجزاءِ الخالدِ المشكور، فلماذا يُمسِكُ الموسرون ؟

---

١ ـ سورة الرّعد (١٣) : ٢٢ ـ ٢٤.

٢ ـ نهج البلاغة / ٤٣٢؛ عبده ٢ / ٣٣.

٣ ـ الكافي ٢ / ١٥٤.

٢ الامام الصادق «ع»: ثلاثةٌ أُقسِمُ باللّهِ اَنّها الحقّ: ما نَقَصَ مالٌ من صدقةٍ ولازكاة؛ ولا ظُلِمَ احدٌ بظُلامةٍ فقَدَرَ اَن يُكافِيَ بها فكَظَمَها الّا أبدَلَهُ اللّهُ مكانَها عِزّاً؛ ولا فَتَحَ عبدٌ على نفسِه بابَ مسألةٍ الّا فُتِحَ عليه بابُ فقرٍ.[١]

ي ـ المال مال بالانفاق لا بالامساك

١ الامام علي «ع»: لم يُرزَقِ المالَ مَن لم يُنفِقْه.[٢]

* نعم، لم يُرزَقِ المالَ من لم يُنفِقْه؛ اذ المنفَقُ باقٍ والمُمسَكُ فانٍ، و من رُزِقَ الفانيَ فكأنّه لم يُرزَقْ شيئاً.

يا ـ لا توفيق الّا في الانفاق

١ الامام علي «ع»: لم يُوَفَّقْ مَن بَخِلَ على نفسِه بخيرِه، وخَلَفَ مالَه لغيره.[٣]

يب ـ ليس لك الّا ما انفقت

١ الامام علي «ع»: ليس لا حدٍ من دنياه، الّا ما اَنفَقَه على اُخراه.[٤]

٢ الامام علي «ع»: وَاعْلَم اَنّ افضلَ المؤمنين افضلُهم تَقْدِمةً[٥] من نفسِه و اهلِه ومالِه؛ فإنّك ما تُقَدِّمْ من خيرٍ يَبْقَ لك ذُخْرُه، وما تُؤَخِّرْهُ يكُن لغيرِك خيرُه.[٦]

---

١ ـ البحار ٧٢ / ٢٠٩، عن «كشف الغمّة».

٢ و ٣ و ٤ ـ غرر الحكم / ٢٥٩.

٥ ـ اي: بذلاً وانفاقاً.

٦ ـ نهج البلاغة / ١٠٦٩؛ عبده ٣ / ١٤٢.

يج ـ لا ينفع المال بلا انفاق

١ الامام علي «ع»: المالُ لا يَنفَعُك حتى يُفارِقَك.[١]

يد ـ شرّ المال مالم ينفق منه (١)

١ النبـــي «ص»: مَن أدّى زكاةَ مالِه، فقد ذَهَبَ عنه شرُّه.[٢]

يه ـ شرّ المال مالم ينفق منه (٢)

٢ الامام علي «ع»: شرُّ المالِ مالم يُنْفَقْ في سبيلِ الله منه، ولم تُؤَدَّ زكاتُه.[٣]

---

١ ـ غرر الحكم / ٣٤.

٢ ـ المهذَّب، لابن البرّاج ١ / ١٥٧.

٣ ـ غرر الحكم / ١٩٦.

الفصلُ التّاسع عشر

الإنفـــاق (٤)

ـ احوال واوقات

الكتـــاب

أ ـ سرّاً

١ والَّذين صَبَرُوا ابْتِغاءَ وجهِ رَبِّهم، واَقامُوا الصَّلاة، وَاَنْفَقُوا ممّا رَزَقْناهُم سرّاً ..[١]

٢ قُل لِعبادِيَ الّذين آمَنوا : يُقيمُوا الصَّلاة، ويُنفِقُوا ممّا رَزَقْناهُم سرّاً ..[٢]

ب ـ علانيـــةً

١ وَالَّذينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وجهِ رَبِّهم، واَقامُوا الصَّلاة، وَاَنْفَقُوا ممّا رَزَقْناهُم سرّاً وعلانيةً ..[٣]

---

١ ـ سورة الرّعد (١٣) : ٢٢.

٢ ـ سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٣ ـ سورة الرّعد (١٣) : ٢٢.

٢ قل لعبادِيَ الَّذين آمَنوا : يُقيمُوا الصَّلاة، ويُنفِقُوا ممّا رَزَقْناهُم سرّاً وعلانيةً ..[١]

ج ـ باللّيل

١ الّذينَ يُنفِقُون اَموالَهُم باللّيل ..[٢]

د ـ بالنّهار

١ الَّذين يُنفِقُون اَموالَهُم باللّيلِ والنَّهار ..[٣]

هـ ـ في السّرّاء

١ وسارِعُوا الى مغفرةٍ من رَبِّكُم وجَنَّةٍ عرضُها السَّماواتُ والارضُ، اُعِدَّت للمُتَّقين * الَّذين يُنفِقُون في السَّرّاء ..[٤]

و ـ في الضّرّاء

١ الّذين يُنفِقُون في السَّرّاءِ والضَّرّاء ..[٥]

ز ـ فرص مؤاتية والتّحذير من فواتها

---

١ ـ سورة ابراهيم (١٤) : ٣١.

٢ و ٣ ـ سورة البقرة (٢) : ٢٧٤.

٤ و ٥ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٣٣ ـ ١٣٤.

الكتـاب

١ وَاَنفِقُوا ممّا رَزَقْناكُم، من قبلِ اَن يَأْتِيَ اَحَدَكُمُ الموتُ ..[١]

٢ .. اَنفِقُوا ممّا رَزَقْناكُم، من قبلِ اَن يَأْتِيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ ..[٢]

٣ .. ويُنفِقُوا ممّا رَزَقْناهُم، سرّاً وعلانيةً، من قبلِ اَن يَأْتِيَ يَومٌ لا بيعٌ فيه و لا خِلالٌ.[٣]

الحديـث

١ الامام علي «ع» ـ فيما اَوصىٰ به ابنَه الحسن: وَاغْتَنِم مَنِ اسْتَقْرَضَك في حالِ غِناك، لِيَجْعَلَ قضاءَهُ لك في يومِ عُسرتِك.[٤]

٢ الامام علي «ع»: يا ابنَ آدم! كُن وصيَّ نفسِك، وَاعْمَلْ في مالِك ما تُؤثِرُ اَن يُعمَلَ فيه من بعدِك.[٥]

٣ الامام علي «ع» ـ سُئلَ اميرُ المؤمنين «ع»: مَن اعظمُ النّاس حسرةً؟ قال: مَن رَأىٰ مالَه في ميزانِ غيرِه، واَدخَلَهُ اللّهُ به النّارَ واَدخَلَ وارثَه الجنَّة ..[٦]

٤ الامام علي «ع» ـ لابنِه الحسن: يا بُنيّ! لا تُخَلِّفَنَّ وراءَك شيئاً من الدّنيا،

---

١ ـ سورة المنافقون (٦٣): ١٠.

٢ ـ سورة البقرة (٢): ٢٥۴.

٣ ـ سورة ابراهيم (١۴): ٣١.

۴ ـ نهج البلاغة / ٩٢٢؛ عبده ٣ / ٥٢.

٥ ـ نهج البلاغة ١١٩٩؛ عبده ٣ / ٢٠٩.

۶ ـ البحار ٧٣ / ١۴٢.

فإنَّك تُخَلِّفُه لا حدِر جلين : إمّا رجلٍ عَمِلَ فيه بطاعةِ اللّهِ فسَعِدَ بما شَقِيتَ به، وإمّا رجلٍ عَمِلَ فيه بمعصيةِ اللّهِ فشَقِيَ بما جَمَعتَ له، فكُنتَ عوناً له على معصيتِه؛ وليس احدُ هذين حقيقاً اَن تُؤْثِرَه على نفسِك.[1]

٥ الامام علي «ع» : تَنافَسُوا في صدقِ الاقوال، وبذلِ الاموال.[2]

٦ الامام علي «ع» : .. فالله، الله، مَعشرَ العِباد! وانتُم سالمون، في الصِّحَّةِ قبلَ السَّقَم، وفي الفُسحةِ قبلَ الضِّيق، فَاسْعَوا في فَكاكِ رِقابِكُم من قبلِ اَن تَغلَقَ رهائنُها .. وَاسْتَعمِلُوا اَقدامَكُم، وانفِقُوا اموالَكُم.[3]

ح - اهميّة الانفاق في ازمنة العسرة واليأس من غلبة الحقّ

الكتـــاب

١ .. لا يَستَوِي منكُم مَن اَنفَقَ من قبلِ الفَتحِ وقاتَل، اولئك اعظمُ درجةً من الَّذين اَنفَقُوا من بعدُ وقاتَلوا، وكلًّا وَعَدَاللّهُ الحُسنىٰ ..[4]

ط - الانفاق، بذل و بذل

---

١ - نهج البلاغة / ١٢٨٠، عبده ٣ / ٢٥٢.

٢ - غرر الحكم / ١٥٦.

٣ - نهج البلاغة / ٦٠٧؛ عبده ٢ / ١٣٦.

٤ - سورة الحديد (٥٧) : ١٠.

الكتـــاب

١ الَّذين يُنفِقُون اموالَهم، باللَّيلِ والنَّهار، سرّاً وعلانية ..[١]

* قال الطّبرسيّ: «بَيَّنَ سبحانه، كيفيّةَ الانفاقِ وثوابَه، فقال: "الّذينَ يُنفِقُون اموالَهم باللّيل والنَّهار، سرّاً وعلانيةً"، في هذه الحالات، اي يُنفِقُون على الدّوام، لاَنّ هذه الاوقاتَ مُعيَّنَةٌ للصّدقات، ولاوقتَ لها سِواها».[٢]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع»: ليس مِن شيعتِنا مَن مَلَكَ عَشَرَةَ آلافِ درهمٍ، الّا مَن اَعْطىٰ يميناً وشمالاً وقُدّامَ وخلفَ.[٣]

ي ـ هم الأخسرون الّا المنفقين

١ النبـــي «ص» ـ ابوذرٍّ الغِفاريّ قال: أتَيتُ رسولَ الله «ص» وهو في ظِلِّ الكعبة، فلمَّا رَآني قد اَقْبَلْتُ قال: «هُـــمُ الأخْسَرُون وربِّ الكعبة! هُم الأخْسَرُون وربِّ الكعبة!». قال: فدَ خَلَني غمٌّ وجَعَلْتُ اَتَنَفَّسُ وقلتُ هذا

---

١ ـ سورة البقرة (٢): ٢٧۴.

٢ ـ مجمع البيان ٢ / ٣٨٨.

٣ ـ مشكاة الانوار / ٢٧۴.

شيءٌ حَدَثَ فيَّ . قال (ابوذرٍّ) : قلتُ : من همُ فِداك اَبي واُمّي؟ قال : «الاَكْثَرون، الاّ من قال بالمالِ في عبادِ الله هكذا وهكذا، عن يمينِه وشمالِه ومن خلفِه، وقليلٌ ماهُم»[1].

---

١ ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦.

الفصلُ العشرون

الإنفـــاق (٥)

ـ بعض مناشئ اهماله و تركه

أ ـ سوء الظّنّ بالله تعالى

الكتـــاب

١ يَظُنُّون باللّهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهليَّة ..[١]

الحديـــث

١ الامام الصادق «ع» : مَنعُ الموجود، سوءُ ظَنٍّ بالمعبود .[٢]

---

١ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٥٤ .

٢ ـ البحار ٦٨ / ٢٠٧ . .

ب ـ النّفاق والكذب

الكتـــاب

١ فلمّا آتاهُم من فَضلِه بَخِلُوا به، وتَوَلَّوا وهم مُعرِضون * فَاَعْقَبَهُم نفاقاً في قُلوبِهم الى يومِ يَلقَونَه بما اَخلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوه، وبما كانُوا يَكذِبُون *[١]

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ قيل نزلتِ (الآيةُ المذكورة) في ثَعلَبَةِ بنِ حاطب، وكان من الانصار، فقال للنّبيِّ «ص» : اُدْعُ اللّهَ اَن يَرزُقَنى مالاً . فقال : يا ثَعلَبَة! قليلٌ تُؤَدّي شُكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقُه، اَما لكَ في رسولِ اللّهِ اُسْوَةٌ حَسَنة؟ والّذي نفسي بيدِه، لو اَردتُ اَن تَسيرَ الجِبالُ معي ذَهَباً وفضَّةً لسارَت . ثُمّ اَتاه بعدَ ذلك فقال : يا رسولَ الله! اُدْعُ اللّهَ اَن يَرزُقَني مالاً، والّذي بَعَثَكَ بالحقّ، لَئن رَزَقَنِيَ الله مالاً لَأُعطِيَنَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه . فقال «ص» : «اللّهُمَّ ارْزُقْ ثَعلَبَةَ مالاً». قال فَاتَّخَذَ غَنَماً، فَنَمَتْ كما يَنمُو الدُّود، فضاقَت عليه المدينة، فتَنَحّىٰ عنها، فنزل وادياً من اَودِيَتِها، ثمّ كَثُرَتْ نُمُوّاً حتى تَباعَدَ عن المدينة، فَاشْتَغَلَ بذلك عن الجمعةِ والجماعة . وبَعَثَ رسولُ اللّهِ «ص» اليه المُصدِّقَ ليَأْخُذَ الصّدقة، فَابىٰ وبَخِل وقال : ما هذه الاّ

---

١ ـ سورة التّوبة (٩) : ٧٦ ـ ٧٧ .

اختُ الجِزية . فقال رسولُ الله «ص» : يا وَيْحَ ثَعلَبَة، يا ويح ثعلبة، وأنزَلَ اللّهُ الآيات ..[١]

ج ـ الكفر

الكتـاب

١ . وما مَنَعَهُم اَن تُقبَلَ منهم نَفقاتُهم اِلّا اَنَّهم كَفَرُوا باللّهِ وبرسولِه، ولا يَأْتُون الصَّلاةَ الّا وهم كُسالىٰ، ولا يُنفِقُون اِلّا وهم كارِهُون *[٢]

مغبّات ترك الإنفاق وإهماله

١ ـ المغبّات الفرديّة

أ ـ الدّنيويّة

الكتـاب

١ وأمّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنىٰ * وكَذَّبَ بالحُسنىٰ * فسَنُيَسِّرُه للعُسرىٰ * وما يُغني

---

١ ـ مجمع البيان ٥ / ٥٣.

٢ ـ سورة التوبة (٩) : ٥٤.

عنه مالُه اِذا تَرَدّىٰ *[1]

الحديـــث

١ الامام علي «ع»: اِنَّ اعطاءَ هذا المال قُنْيَةٌ، وامساكَه فتنةٌ.[2]

٢ الامام الباقر «ع»: قام ابوذرٍّ ـ رحمةُ الله عليه ـ عند الكعبة .. فَاكْتَنَفَه النّاس، فقال: .. اِجعَلِ الدُّنيا درهمين: درهماً اَنفَقْتَه على عيالِك، ودرهماً قَدَّمتَه لآخرتِك. والثّالثُ يَضُرُّ ولا يَنفَعُ فلا تُرِدْه.[3]

ب ـ الأخرويّة

الكتـــاب

١ .. والَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّة ولا يُنفِقُونَها في سبيلِ الله، فبَشِّرْهُم بعذابٍ اليم * يَومَ يُحمىٰ عليها في نارِ جهنَّمَ فتُكْوىٰ بها جِباهُهُم وجُنوبُهم وظُهورُهم، هذا ما كَنَزْتُم لا نفُسِكُم، فذُوقُوا ما كُنتُم تَكْنِزُون *[4]

---

١ ـ سورة اللّيل (٩٢): ٨ ـ ١١.

٢ ـ غرر الحكم / ١٠١.

٣ ـ الخِصال / ٤٠.

٤ ـ سورة التّوبة (٩): ٣٤ ـ ٣٥.

الحديـث

١ النبـي «ص» : من تَرَكَ كنزاً مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شُجاعاً اَقْرَع، له زَبيبَتان، يَتَبعُه ويَقولُ : وَيْلَك ما اَنتَ؟ فيَقولُ : اَنَا كَنزُك الَّذي تَرَكْتَ بعدَك . فلا يَزالُ يَتَبعُه حتى يُلقِمَهُ يدَه فيَقضِمَها، ثم يُتبِعَه سائرَ جسدِه .[١]

٢ النبـي «ص» : ما من عبدٍله مالٌ ولا يُؤَدِّي زكاتَه، الّا جُمِعَ يومَ القيامةِ صفائح، يُحمىٰ عليها في نارِ جهنّم فتُكْوىٰ بها جَبهتُه وجَنْباه وظَهْرُه، حتى يَقضِيَ اللّهُ بين عبادِه في يومٍ كان مقدارُه خمسين الفَ سنةٍ ممّا تَعُدُّون، ثمّ يَرىٰ سبيلَه، اِمّا الى الجنّةِ وامّا الى النّار![٢]

* واضحٌ اَنّ منعَ الزّكاة من مصاديقِ تركِ الانفاق ـ كما يَلْمَحُ الى ذلك كلام اميرِ المؤمنين «ع» : «إعطاءُ هذا المالِ في حقوقِ اللّهِ داخلٌ في بابِ الجود» .[٣]

٣ الامام الصادق «ع» : .. يا اسماعيل! من اَتاه اخوه في حاجةٍ يَقدِرُ على قضائِها فلم يَقْضِها له، سَلَّطَ اللّهُ عليه شُجاعاً يَنهَشُ اِبهامَه في قبرِه، الى يومِ القيامة، مغفوراً له او مُعذَّباً .[٤]

٢ ـ المغبّات الاجتماعيّة

أ ـ الدّنيويّة

---

١ و ٢ ـ مجمع البيان ٥ / ٢٦.

٣ ـ غرر الحكم / ٥٤.

٤ ـ البحار ٧٥ / ١٧٤، عن «ثواب الاعمال».

الكتـــاب

١ ها انتُم هؤلاء تُدْعَون لِتُنفِقُوا في سبيلِ الله، فمنكُم مَن يَبخَلُ، ومن يَبخَلْ فإنَّما يَبخَلُ عن نفسِه، واللّهُ الغنيُّ وانتُمُ الفقراء، وإن تَتَوَلَّوا يَستَبْدِلْ قوماً غيرَكُم، ثم لا يَكُونُوا اَمثالَكُم *[١]

٢ وَاَنفِقُوا في سبيلِ اللّهِ ولا تُلقُوا بايديكُم الى التَّهْلُكَة ..[٢]

الحديـــث

١ الامام علي «ع» : إنّ لِلّهِ عباداً يَختَصُّهُمُ اللّهُ بالنِّعمِ لمنافعِ العباد، فيُقِرُّها في ايديهم ما بَذَلُوها، فإذا مَنعُوها نَزَعَها منهُم ثم حَوَّلَها الى غيرِهم.[٣]

ب ـ الأخرويّة

الكتـــاب

١ ولا يَحسَبَنَّ الّذين يَبخَلُون بما آتاهُمُ الله مِن فضلِه هو خيراً لهم، بل هو شَرٌّ لهم،

---

١ ـ سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٨.

٢ ـ سورة البقرة (٢) : ١٩٥.

٣ ـ نهج البلاغة / ١٢٨٥؛ عبده ٣ / ٢٥٥.

سَيُطَوَّقُون ما بَخِلُوا به يومَ القيامَة ..[١]

٣ ـ المغبّة الكبرى : الابتعاد عن الله تعالى

الحديـــث

١ النبـــي «ص» ـ فيما رواه الامامُ الصّادق، عن آبائه : السّخيُّ قريبٌ من الله .. والبخيلُ بعيدٌ من الله ..[٢]

٢ الامام علي «ع» : .. لا حاجةَ لِلّهِ فيمن ليس لِلّهِ في مالِه ونفسِه نصيب .[٣]

٣ الامام علي «ع» : فلا اموالَ بَذَلْتُموها لِلّذي رَزَقَها ..[٤]

٤ الامام الصادق «ع» : اَيُّما رجلٍ من اصحابِنَا اسْتعان به رجلٌ من اِخوانِه في حاجةٍ فلم يُبالِغ فيها بكلِّ جَهدٍ، فقد خانَ اللّهَ ورسولَه والمؤمنين .قال ابو ـ بصير : قلتُ لأبي عبـد الله «ع» : ما تَعني بقولِك : والمؤمنين؟ قال : من لَدُنْ اميرِ المؤمنين «ع» الى آخرِهم .[٥]

٥ الامام الصادق «ع» : اَيُّما مؤمنٍ مَنَعَ مؤمناً شيئاً ممّا يَحتاجُ اليه وهو يَقدِرُ عليه، من عندِه او من عندِ غيرِه، اقامَه اللّهُ عزّ وجلّ يومَ القيامةِ مُسوَدّاً وجهُه،

---

١ ـ سورة آل عمران (٣) : ١٨٠.

٢ ـ البحار ٧٣ / ٣٠٨، عن كتاب «الامامة والتّبصرة».

٣ ـ نهج البلاغة / ١١٤٦؛ عبده ٣ / ١٨٠.

٤ ـ نهج البلاغة / ٣٦٦؛ عبده ١ / ٢٣٠.

٥ ـ الكافي ٢ / ٣٦٢؛ البحار ٧٥ / ١٧٥.

مُزرِقَةً عيناه، مغلولةً يداه الى عنقِه، فيقال: هذا الخائنُ الّذي خانَ اللّهَ ورسولَه، ثم يُؤْمَرُ به الى النّار.[1]

٦ الامام الصادق «ع»: يا يونس! من حَبَسَ حقَّ المؤمنِ اقامَه اللّهُ عزّ وجلّ يومَ القيامةِ خمسَ مِئَةِ عامٍ على رِجلَيه، حتى يَسيلَ عرقُه او دمُه، ويُنادي منادٍ من عندِالله: هذا الظّالمُ الّذي حَبَسَ عن اللّهِ حقَّه؛ قال: فيُوبَّخُ اربعين يوماً ثم يُؤْمَرُ به الى النّار.[2]

اللّهُـمَّ! وفِّقنا لمَرضاتك، وجَنِّبنا من النّار برحمتك الواسعـة.

انتهى الجزء الخامس من كتاب «الحيـاة»، ويتلوه الجزء السّادس ـ ان شاء الله تعالى ـ ويبتدئ بـ «الفصل الحادي والعشرين»، من «الباب الثّاني عشر».

---

١ ـ البحار ٧٥ / ١٧٤.

٢ ـ الكافي ٢ / ٣٦٧.

دفتر نشر فرهنگ اسلامی



دفتر شعر فرهنگ سلامی

[illegible]

۱۵۰۰ ریال